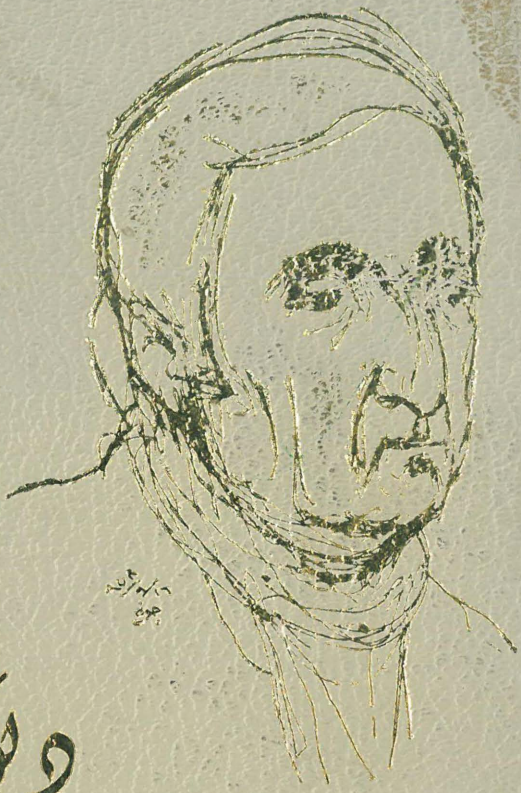

ديوان
بدوي الجبل

دار العودة . بيروت

فهرست

الى الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز آل سعود ٥
مقدمة : بقلم اكرم زعيتر ٧
الكعبة الزهراء ٦١
ابتهالات ٧٢
اني لا شمت بالجبار ٨٠
دمعة على الشام ٨٧
عيد الجلاء ٩٤
بدعة الذل ١٠٣
جلونا الفاتحين ١١٤
نم بقلبي ١٢٠
يا وحشة الثأر ١٢٨
جمرة النار ١٣٩
تحية فيصل الصغير ١٤٣
كافور ١٤٦
فرعون ١٥١
البلبل الغريب ١٥٨
عاد الغريب ١٧٠
حنين الغريب ١٨٠
من وحي الهزيمة ١٩٢
مصرع الشمس ٢٠٩
آلام ٢١٦
مَنْ كسعد ؟ ٢٢٤
اين أين الرعيل من اهل بدرٍ ؟ ٢٣٥
غربة الروح ٢٤٧
الشهيد ٢٥٩
وفاء القبور ٢٦٩
خلع الحياة على البلى ٢٧٢
دمعة على الشاعر عبد الحميد الرافعي ٢٧٦
الذكرى ٢٨٠
خمرة الاحزان ٢٨٦
نُكل الامومة ٢٩٧
إيهٍ حكيم الدهر ٣٠٨
اطلّ من حرم الرؤيا فعزاني ٣١٨
ما شأن هذا الاشعث الجواب ٣٢٨
حيرة النفس ٣٣٧
وانجلت نفسي في النور ٣٤٢
الكآبة الخرساء ٣٤٥
فلسفة الحقيقة ٣٤٦
الدمية المُحطّمة ٣٥٩
الكعبة السمراء ٣٦١
العذراء الخائنة ٣٦٦
يا جارتي ٣٦٩
(فطال عليك الليل) ٣٧١
شقراء ٣٧٣
اما الشباب ٣٧٨
انني قدمت روحي في الضحايا ٣٨٠
المعبد المسحور ٣٨١
الكنز المقدس ٣٨٤
الحب والله ٣٨٥
اتسألين عن الخمسين ؟ ٣٨٩
اللهب القدسي ٣٩١
هواجس ٣٩٥
ظمأ الى السراب ٣٩٨
السراب المظلم ٤٠٢
النبع المسحور ٤٠٥
ايها المعرض عني ٤١٢

خالقه ٤١٣
الى استاذي مصطفى الغلاييني ٤١٧
ايكما الربيع ٤٢١
بين الامير والشاعر ٤٢٤
سكب المروءات ٢٤٦
أخا الجُلَّى ٤٢٧
صهرت من الخطوب ٤٢٨
الى صديقي الدكتور ايمن الكزبري ٤٢٨
سيذكرني ٤٢٩

البواكير

الاهداء ٤٣٣
مرابع الاحباب ٤٣٤
الى الحبيبة الصغيرة ٤٣٨
الشاعر والبؤس ٤٣٩
حياة اسير القيد لفظ بلا معنى ٤٤٣
ماك سويني ٤٤٩
اي أمر سآءها ٤٥٢
يا قمر ٤٥٥
مي في وطنها ٤٥٧
وذرني حتي احيِّي الصباحا ٤٦٢
يا شاعر التاج ٤٦٣
نغمات عودي ٤٦٦
لبنان والغوطتان ٤٦٩
نشوة اليأس ٤٧٢
الروح الثائرة ٤٧٣
البلبل الصريع ٤٧٨
تحية الملك ٤٨٥
لا تحبيني ٤٩١
عاطفتي ٤٩٤
لا تذكري الماضي ٥٠٠
اغنية البردوني ٥٠٤
تلك الاقانيم الثلاثة ٥٠٦
على اطلال الجزيرة العربية ٥١٠
طمع الاقوياء ٥١٦
اهوى الشآم ٥٢٠
فترقبوا الغارات من ايتامها ٥٢٦
تحية الشباب ٥٣٠
تعالوا نعد الصَّيد ٥٣٤
شعاع العيون ٥٣٧
دموع ودموع ٥٤٢
انا وهي ٥٤٧
تحية وفاء ٥٥٢

ديوان
بدوي الجبل

مقدمـــة

بقلـم : اكـرم زعيتـر

اقدم الى العربية ديوان شاعرها بدوي الجبل .

وعلى ان العبقـرية الشاعـرة من صنـع اللـه ، ونفحة العليّ الأعلى ، فان منجمها البيت الـذي فيه نبتَتْ ، وصيقلها البيئة التي فيها ترعرعت ، فالشيخ سليمان الأحمد كان من اعلام الديار الشامية فقهاً ولغة وأدباً ، وهو في الجبل العلوي ، في قرية (ديفة) من محافظة اللاذقية ، مبجّلٌ في قومه ، وبيته مثابة لرواد الفضل ، يُرتَّل فيه القرآن ، ويُجَوّد الشعر ، ويَنظم الشيخ المتصوف في الحكمة ، وبعض مرامي الشعر الشريفة ، تساعفه قريحة ثرة . والولد (محمـد) ما تتلمذ في حداثته لمدرسة ابتدائية في الجبل وإعدادية في اللاذقية على قدر ما تتلمذ لأبيه في ديوانـه الـذي تعبـق فيه طيوب الشاعـرية ، حتـى ليجـيء اولاده الثلاثة : محمد واحمد وفاطمة شعراء .

وكان محمد وقدة ذكاء ، يتلقف في الديوان كل

*

سَريّ من نظيم ونثـير ، ويختزنـه في مستـودع اللاوعي ،لترفِد مفرداته بعد ذلك ذهنَـه السخي ، وقريحته المخصاب بالبيان الأجمل .

ولا يرى الفتى النابغ في وطنـه إلا ما ينـمُّ على القهر ، وما يشير الى الفقـر ، ومـا يُضرب مثـلاً في الاعتساف ، ولا سيما في سنـي الحـرب العجـاف ، ولكن نفسه الشاعرة كانت تسمع همسات الأسى ، وهمهمات التذمـر ، ودبيب الأمانـي . . . أمانـي الخلاص ! ثم تلمح بوارقه في ثورة الشريف الحسين ابن علي امير مكة ، فتموج بالمطامح القومية ثم تتنوّر إشراقة المجد في الموكب الفيصلي ، يهل على دمشق ، والعـربية تُبعـث من مرقدهـا ، تتلظّـى بالأنفـة والحمية . . فيبادر الى دمشـق يُنشِـدُ انديتهـا بواكير شعره ، وقد احبها ، وثبت على حبها وفضّلهـا على بلاد العالمين .

وكان « متصرف » الـلاذقية حـين احتلهـا الفـرنسيون ذلك العربـي الكبـير ، رشيد طليع ، الذي غدا في العهد الفيصلي وزيراً للداخلية ، وقد توثقت بينه وبين الشيخ سليمان آصرة صداقة ، وشام في الفتى « محمد » مخايل النجابة ، فلما ثار الـزعيم العلـوي الشيخ صالـح العلي على الفـرنسيين ،

واخذت الحكومة الفيصلية تُظاهر الحركات التحررية ، واتفق الرأي ابتغاء التوثيق والتنسيق ، على الاتصال بالشيخ الثائر في مقره الجبلي ، رشح رشيد طليع لمرافقة الوفد فتانا محمداً لنجابته ولمنزلة ابيه ، وحين عاد الوفد موفقاً ، قدَّم رئيسه يوسف العظمة ، وزير الدفاع الفتى محمداً الى الملك فيصل منوِّهاً به ، فشكر له الملك جهده ثم واصل اتصالاته ، مما جعل الفرنسيين يحتقدون عليه ويتربصون به .

وكانت الفاجعة ، واقتحم الفرنسيون دمشق غزاةً عُتاةً بعد معركة ميسلون واستشهاد وزير الدفاع يوسف العظمة ، ذاك الذي مجَّد الشاعرُ الفتى بطولته ، وشدا شهادتَه ، وأهدى بواكير شعره « الى تلك الروح الكبيرة التي تمردت على العبودية وعلى الحياة » . وعلم الشاعر ما تُبيِّته الإحنة الفرنسية ، فلاذ بحمى البطريرك العربي ، الشامخ الوطنية ، غريغوريوس حداد واستخفى في بيت صديق ثم يمم حماة ماشياً علَّه يتسلل منها الى معتصم الثوار في الجبل ولكن الفرنسيين اهتدوا الى مخبئه فاعتقلوه ، وأدموا قدميه ضرباً ، ومعصَمَيْه تكبيلاً وتشغيلاً ، وقد رأى في السجن كيف تستباح ارواح ، وكيف

يُصلب مجاهدون ، ثم سيق الى حمص فبيروت حيث مكث في سجنها اشهراً ، فاللاذقية حيث لبث في قلعتها حيناً ، ولما أُطلق كان التنكيل به قد احتفر في خواطره اخاديد من الذكريات الراعبة .

ولعل الشاعر ، وقد اوهى الاضطهادُ جَلَده ، وأعيتْهُ مناهضته ، جنح الى مهادنة المحتل حيناً ، ولكن ما اسرع ما استغفرالله وَهْناً المَّ به واستجاب للصارخة القومية ، يوم نُفخ في صور الوحدة السورية ، لم يفزع من ترهيب ولم يخضع لترغيب . كلاّ ، بل إنه انتمى الى الكتلة الوطنية منغمراً في حياة تنذر بصنوف المصاعب والوان المتاعب هاتفاً :

« ويا ربِّ : درب في الحياة سلكته
وما حدتُ عنه لو عرفت المغيَّبا »

وعرفته البرلمانات الوطنية نائباً يمثل عروبة جبل العلويين من أنسال غسان وتنوخ . وغاظ الفرنسيين والسنتهم هذا فعيَّرته صحيفة في بيروت بموقفه فأجاب إنه بحمد الله قد جهر بالوطنية وهي جذوة تحرق كف لامسيها ، وبكلمة الوطن قوية ، والهمس بها - خَلَّ الجهر - يكلف السجن والتشريد .

*

وراح الشاعر الوطني ينافح عن وحدة الوطن ويقارع دعاة التجزئة في غير هوادة ، ولياً حمياً لهامات الوطنية من زعمائها . يجلي في العُسر والمغرَم ، ورُواء الوطنية وحدهُ هو اليسر والمغنم ، وقد سمعه البرلمان ينافح عن وحدة الوطن الشامي وتمتد دعوته الى الوحدة العربية وفي مصرع الملك غازي اذكر انه وقف يقول : « إن الشام التي تنوء بالف جرح وجرح من الحراب فلا تئن ولا تشكو بل تزداد عنفاً وكبرياء ، هذه المدينة الأبية على الخطوب ، المتنمرة لعوادي الزمن يحونها الصبر فيك يا ابن فيصل فتجزع وتبكي ، وفي وسع الذين تكبرت دمشق على طغيانهم فما ارتهم دموعها أن يقولوا : لقد رأينا دمشق تبكي » .

وحين خاس الفرنسيون سنة ١٩٣٩ بالوعد ، ونكثوا العهد وتقوَّض الحكم الوطني ، وراحوا يغرون العلويين والدروز والجزيرة الفُراتية بالانفصال ، ظل البدوي واخوانه يذودون عن الوحدة . ثم أَسقَطَتْ الحربُ الحَصانةَ عن النواب ، وأيقن الشاعر انه ليس بمنجاة من غدر الفرنسيين ، فقطع البيداء لائذاً بالعراق . وأذكر أنني كنت في عملي ، موجهاً قومياً في معارف العراق ، حين

باغتني البدوي ، اشعث ، أغبر ، قد أضناه السفر ، ونهكته الوعثاء . . . ولكن ما اسرع ما انبسطت اساريره باللقاء ، واطمأن الى النجاء ، وانشرح صدره بالاحتفاء ، وتباشر الأدباء وحملة الفكرة القومية بقدومه . وفي العراق نظم دموع الشام شعراً ، وهز ساسته ، واستثار حميتهم لنجدة إخوانه الأحرار المصفَّدين في غيابات سورية ولبنان ، وسمعتُه وقد امتلأت نفسه بالحنين الى والده ، يخاطب رسولاً ميمماً ارض الشام :

« وانزل على خير الابوة رحمة
تسع الحياة وعفة وصلاحا

وأطِلْ حديثك ، يستعده تعللا
بالذكر : لا لتزيده ايضاحا

واذا الحَّ فللحَنان عذوبة
في مقلتيه تحُببُ الالحاحا

يشكو السقام ، فإن هتفت امامه
باسمي تهلل وجهه وارتاحا »

وحين انتهت ثورة الجيش العراقي على الانكليز ، تلك الموسومة بالكيلانية سنة ١٩٤١

وكانت للبدوي مشاركة إعلامية فيها ، عاد الى سورية فاعتقله الفرنسيون ، وزجوه في قلعة « كسَبَ » على الحدود السورية التركية ، ويا لوعة قلبه حين قضى ابوه الجليل وهو في المعتقل ! على ان الشاعر السجين قد ألهم في محبسه من الروائع ما يُزري بكثير من قصائد الحبوس ، فلم يكد يستعيد حريته حتى نودي لرثاء البطل الثائر ابراهيم هنانو في حلب فراح يُفَجِّرُ طاقات شعره التي اختزنها منفياً او سجيناً .

وبالتزكية الجماعية غدا الرجل نائباً للاذقية ، وظل نائباً ما بقي الحكم الوطني المدني .

وفي هذا الآن استقلت سورية وتحقق الجلاء ، فغنّى الاستقلال وشدا ابطاله ، وندب شهداءه .

وفي ذكرى « هنانو » وكنتُ رصيفه ، ارسل قصيدته ، ذات العنفوان ، عنفوان ذوي القدمة في النضال :

« كتب المجد ما اشتهت غرر المجد
ونحن الكتاب والعنوان

نحن تاريخ هذه الأمة الفخم
ونحن المكان والسُكان

من غوالي دموعنا العطر والخمر
ونعمى دمائنا الارجوان

قد سقينا من قلبنا الموت حتى
نبت الضرب في الربى والطِّعان »

وفي قصيدة اخرى ، اهداها الى روح هنانو ، هي قصيدة الاباء والكبرياء ، لا يحجبها سجنٌ ولا يُعَفِّيها قبر :

« اذا ملكوا الدنيا على الحر عنوة
ففي نفسه دنيا هي العز والكبر

وان حجبوا عن عينه الكون ضاحكاً
اضاء له كون بعيدٌ هو الفكر

فليلته صبح وعسرته غنى
واحزانه نُعمى وآهاته شعر

أُطِلُّ على الدنيا عزيزاً أضمني
إليه ظلام السجن ام ضمنى القبر

وما حاجتي للافق ضحيان مشرقاً
ونفسي الضحى والافق والشمس والبدر
وما حاجتي للكائنات بأسرها
وفي نفسَي الدنيا وفي نفسَي الدهر

*

ونفسي لو ان الجمـــر مسَّ إباءَها
على بِشرها الريان لاحترْق الجمر »

وقـد تمثـل لي ، وانـا اسمعهـا ، ابـو الـطيب المتنبي : فحلب موطن سيف الدولة ، وحلب معقل هنانو ، والبدوي في تمجيد هنانو هو المتنبي في تعظيم سيف الدولة ، شَمَمَ انف وجزالة نظم ، وقوة بيان ورنين قوافٍ واوزان ، وقد خاطب شاعرنا بطلَه :

« نماكَ وسيفَ الدولة الدارُ والهوى
وغنَّـاكما انـدى ملاحمـه الشعر

وأُقْسِمُ بالبيت المحـرم ما احتمتْ
بامنـع من كفَّيكما البيض والسمر

فإن تفخر الشهباء فالـكون منصت
وحق بسيفَـيْ دولتيهـا لهـا الفخر »

وقضت احـداث بتنحيتـه واخوانـه عن النيابـة والحكم فأصابه ما اصابهم من مغرم ، وقد انقذه من الاعتقـال محافـظ الـلاذقية يومئـذ ، سعيد السيد ، وكانت له قدم صدق في الحركة الوطنية ، حين تلقى امـراً بالقبض عليه فهـرَّبـه بسيارتـه الرسـمية الى لبنان .

على ان الشاعر ما لبث حتى عاد الى دمشق ، بعد ان تقشَّعت الغيمة ، وغدا وزيراً ممثلاً للحزب الوطني مرات ، ولكن احداثاً طارئة على نظام الحكم سنة ١٩٥٦ شـرَّدته وصفوة من اخوانه ست سنوات بين بيروت والآستانة وروما وفيينا وجنيف .

وفي مغتربه في العواصم الأوروبية الثلاث ، والبدوي يتنـزَّى الماً ـ والألم اقوى ملهمات الشاعر ـ اثرى ديوانَ الشعر العربي بخوالد من روائعه ، « فالبلبل الغريب » وقد نظمها في فيينا ، بث فيها حنانَه حفيده محمداً ، وما احسب ان شاعراً قال مثلها في حفيده ، ومطلعها :

« تغرب عن مخضوضل الدوح بلبل
فشـرَّق في الدنيا وحيداً وغرَّبا»

وفيها يهتف :

« تود النجوم الزُّهر لو انها دُمىً
ليختار منها المترفات ويلعبا
وعندي كنوز من حنان ورحمة
نعيمىَ ان يُغرى بهن وينهبا
ويوجز فيما يشتَهي وكأنه
بايجازه دَلاً اعاد واسهبا

يزف لنـا الأعياد عيداً إذا خطا
وعيداً اذا ناغـى وعيداً اذا حبا »

وأثـارت القصيدة شاعـر الشـام الكبـير شفيق جبري فأرسل رائعته « بلابل دوح » :

« سـل الشـام من غنّى حماهـا فأطربا
ومـن راح يسقيهـا الشراب المطيبا »

ورد البـدوي ـ وكان في جنيف ـ تحية جبـري بمثلها : « حنين الغريب » :

« وفـاء كمـزن الغوطتـين كريم
وحـب كنعمـاء الشـآم قديم »

ومن بداعاته فيها :

« قـد اختُصرت دنيا بقلبـي وعالَمٌ
كما اختصر العلـمَ الشـتيتَ رقيم
وتوجَـز في قارورة العطـر جنـةٌ
وتوجـز في كأس الـرحيق كروم »

ورنّحتني قصيدتـا البـدوي ومطارحـة جبـري فوصفت مشاعـري في سطـور ، وأرانـي اسـتجيب لداعي الإثرة فاقتطف من جوابـه لي قولـه : « وقـد كنتَ رفيقي الدائم ليلاً ونهاراً وأنـا انظـم قصيدتـي

« البلبل الغريب » في فيينا ، وقصيدتي « حنين الغريب » في جنيف ، وكنت استشيرك في كل نغم واسارّك في كل الم ، وانتقي وإياك المفردات ، ونغيِّر هنا كلمة ، ونُبَدِّل هناك كلمة ، كما أنك رفيقي عند كل روضة مطلولة او رفَّة معسولة » .

وفي جنيف اضناه الحنين الى الشام ، فجاءت « ابتهالات » اعذب ما هتف به شاعر غريب ، ورقرق عيني قولهُ :

« هذا الأديم ابي وامي والبداية والمآب
واموسة وطفولة ورؤى كما عبر الشهاب»

وانهى « ابتهالاته » وقد تجاوزت المئة من الأبيات :

« انا والربيع مشردان
وللشذا معنا ذهاب
دنيا بقلبي لا تحُد ولا
تُراد ولا تجاب
والنور يسأل والخمائل
والجمال : متى الاياب ؟ »

فكتبت اليه : « حبذا غربة العبقري اذا هو نفح الأدب بمثل « البلبل الغريب » و « حنين الغريب » . . وكم ترنح بالنشوة اديب او ذوَّاقة وهو

يرتِّل للعبقريين بنات محنتهم وثمرات شقوتهم ، على ان العبقري يثأر لنفسه حين يجعل الظالم هُزَأَةً بين الناس في التاريخ ، وظُلْمَه مَخْزأة لاصقة به ، سبةَ دهر وعار ابد ! ويثأر لنفسه بما يفرضه على الدهر من تخليد بخلود روائعه ومن تمجيد بمجادة بدائعه » واجابني برسالة نابغة ، ويوم تلقيتها ، جاءتني رائعة للشاعر الكبير شفيق جبري مطبوعة على الآلة الكاتبة ، وقد استحال نشرها لعنف ما فيها ، فبادرت الى ارسالها الى البدوي أجملَ هدية ، واوسمَ تحية ، وقد هتف به في مطلعها :

« يا نائحاً خلف العباب
أدموع عينك ام لُهاب
رفقاً بقلبك ان يذو
ب وقلب ربعك ان يُذاب ! »

وعاد الشاعر الى وطنه واستفزته هزيمة حزيران في فلسطين سنة ١٩٦٧ فأطلق عاصفته « من وحي الهزيمة » في مئة وثلاثة وستين بيتاً ، فيها براكين وصواريخ ، وفيها معارك وغارات ، وفيها دموع وآهات !! وذات صبح كان البدوي يمشي ، على عادته في الرياضة اليومية ، واذا بشرير يهوي على رأس الشاعر بطعنٍ دراك افقده وعيه ونقل محطماً الى

مكان خفي ، وباءت بالاخفاق جهودٌ موصولة للعثور عليه حياً او ميتاً ، ولكن انذاراً صارماً وجهه وزير الدفاع السوري يومئذ اللواء حافظ الأسد للآثمين بإعادته فوراً ادى الى طرحه خفية في احد المستشفيات وهو يحتضر ، وثمَّت ساعة يده عليه فبذلت جهود لانقاذه واستُنفر لذلك اطباء من سورية ولبنان حتى افاق بعد اربعين يوماً من غيبوبته ، وتماثل وئيداً وئيداً من علته ، فدُفعت عن تاريخ العربية مَعرَّة قتل شاعرها ، وليتها استطاعت ان تدفع مثل هذه المعرة قبل اجيال في مصرع ابي الطيب المتنبي . وقيل إن مدبر اغتيال الشاعر ، قد انتحر بعد حين ، فتذكرتُ ان آخر بيت في « وحي الهزيمة » هو :

« لم اهادن ظلماً وتدري الليالي
في غدٍ اينا هو المدحور ! »

* * *

كان الشاعر في صدر يفاعته يرسل شعره الى جريدة « الف باء » الدمشقية ، ولم يكن على قدر من الشهرة تناسب رفعة شعره ، وحدث ان هز العالم نبأ المناضل الايرلاندي ، ماك سويني ، محافظ مدينة كورك الذي جعل احتجاجه على وجود الانكليز في بلاده صياماً حتى الموت ، وسبك صلاة

لبني وطنه يرتلونها في كنائسهم ثم قضى صائماً ، فنظم شاعرنا تلك الصلاة بالعربية ، وبعث بها الى « الف باء » مع تحية شعرية لروح الشهيد ، وفي اليوم التالي ، رأى قصيدته مذيلة بتوقيع « بدوي الجبل » فسعى الى صاحبها الاستاذ يوسف العيسى يسأله عن السبب ، فأجابه : « ان الناس يقرأون للشعراء المعروفين ولستَ منهم ، وهذا التوقيع المستعار يحملهم على ان يقرأوا الشعر للشعر وان يتساءلوا : من ذا يكون هذا الشاعر المجيد ؟ وانت في ديباجتك بداوة ، وانت تلبس العباءة وتعتمر العقال المقصب . . . وانت ابن الجبل » . وتوالت قصائد « البدوي » ونقلتها صحف في بيروت شادية بها ، والناس يتساءلون : عمن يكون ؟ . اهو خير الدين الزركلي ؟ ام هو خليل مردم بك ؟ وهما شاعرا الشام آنئذ ، الى ان دعا صاحب الجريدة نخبة من الأدباء واعضاء المجمع العلمي الى احتفال قدم فيه الشاعر : « هو ذا بدوي الجبل ، انه محمد سليمان الأحمد ! » وراح البدوي يشدو ، وهم في نشوة مما يسمعون . . وغلب اللقب على الاسم ، حتى حل محله في البيت وخارجه ، ولا ازال اذكر انه حين يمم القاهرة لحضور المؤتمر البرلماني العربي سنة ١٩٣٨ لأجل فلسطين ـ وكنتُ فيها ـ كان يتلقى لكل اجتماع

او حفلة بطاقتين احداهما معنونة : « سعادة بدوي بك الجبل » وثانيتهما : « سعادة النائب محمد سليمان الأحمد » . . ومما اذكره توكيداً للقول إن نفاسة الشعر تعلن نفسها،ان مجلة « الهلال » المصرية ، نشرت ابياتاً من الشعر عزتها خطأ الى سيدة ، وقرأ الشاعر المهجري الكبير جورج صيدح تلك الأبيات المعزوة الى سيدة لم يسمع بها فكتب الَّي من باريس : « هذه الشاعرة الساحرة تسجد امامها قوافي الشعر ، ويحني هاماتهم شعراء العصر . ادعو لها بطول العمر ! » وكنتُ اعلم ان تلك الأبيات من قصيدة « اللهب القُدسي » لبدوي الجبل . وما لبثتْ المجلة حتى صححت أغلوطتها ، ولكن عبارة صيدح جاءت على وجازتها تقويماً عفوياً لشعر من شاعر .

* * *

اصبح « بدوي الجبل » هو الاسم ، ولكن اللقب الذي اشتهر به البدوي هو « شاعر العربية » وله حكاية : فقد استشهدتُ في خطاب لي في مهرجان الجلاء عن لبنان سنة ١٩٤٦ ، ببيت « لشاعر العربية » ، من دون ان اسميه :

« الزغاريد فقد جُنَّ الإباء
من صفات الله هذي الكبرياء »

ثم لقيت في القاهرة استاذي ، اسعاف النشاشيبي ، وكان يلقب « بأديب العربية » فسألني : « من ذا الذي اطلقت عليه « شاعر العربية » ؟ فأجبت : انه « بدوي الجبل . . » فتطلّق وجهه وقال : « إي والله ، انه اجدر شاعر بهذا اللقب . . اي والله . . » فقلت : « وهل « يكرّس » اديب العربية وإمامها هذا اللقب ؟ » فبادرني الى القول : « . . وانقل اليه هذا . . » وفعلت ، فكتب البدوي إليّ : « اما شهادة امام العربية الأكبر ، إمامنا النشاشيبي ، فهي والله تعدل عندي كنوز الدنيا . انا اعلم انني لا استحقها ولست في السبيل اليها ، ولكنه فضله وتفضله ورعايته لي وعطفه عليّ ». وفي اجتهادي ان سراوة البدوي كلّفته هذا التواضع ، فهو يعرف قدره ، وكونه شاعر العربية ويصون شعره عن رخيص المنزلة وهو القائل :

« الخالدان ـ ولا اعد الشمسّ ـ شعري والزمان »

والقائل :

« كل مجد يفنى ويبقى لشعري
شرف باذخ ومجد اثيل »

وأذكر انني صاحبته الى بغداد سنة ١٩٥٣

*

مُلبيين الدعـوة الى الاحتفـال بتتـويج الملك فيصـل الثانـي رحمـه اللـه ، وفي قصيدتـه في الحفـل مجَّـد الشعر :

« ايطمـع الشعـر بالاحســان يغمره
والشعــر يغمـر دنيا اللــه احسانا
لو شاء عطَّــر هذا الليلَ غاليةً
ونضرَّ الرمــل صهبــاءً وريحانا
لو شاء نمنــم هذا النجــم قافية
ونغَّــم الفجــر احلامــاً وأوزانا
لو شاء انــزل بدر التِّــم فاحتفلت
بــه الندامــى سراجــاً في زوايانا
ولو سقى الشـمس من احزانـه نديت
على هجــير الضحــى حبــاً وتحنانا »

وأنهى قصيده بأبيات غدت نشيد الثار تُطلقهـا لهوات الأحرار :

« ويل الشعوب التي لم تسقِ من دمها
ثاراتهــا الحمــر احقــاداً وأضغانا
والحـق والسيف من طبـع ومـن نسب
كلاهما يتلقــى الخطــب عريانا
ما في العـراق ومــا في الشــام موعدنا
على الثَّنيَّةِ من حطــين لقيانا !»

ولما عدنا من بغداد جاءه من رئيس الوزارة العراقية ان الحكومة انعمت عليه بوسام من الدرجة الثانية ، فرد الوسام مع رسالة تقريع يُصمي ، ولما حُلتُ دون نشر الرسالة في الصحف مؤثراً تدارك الأمر بهدوء ابرق الي : « ارجو الا يخامرك شك في عزمتي وتصميمي ، فوالله ما تغير إبائي ، ولا حالت كبريائي . . » ثم اعتذر الرئيس ، بل جاء الوسام الأرفع يعتذر في استحياء ! وما اكثر ما قال البدوي وكتب الي : « لا بارك الله في الساعة التي جرَّني فيها الضعف الانساني الى النيابات والوزارات » وردد :

« إني أُكرِّم شعري في متارفه
كما تُكَرَّمُ عند المؤمن السُوَر »

* * *

وقبل ان أتحدث عن اسلوب البدوي في النظم وخصائص شعره وآرائه ، مما يتحتم ان يُدرج في هذه المقدمة أحب ان اشير الى امرين :

كانت العرب تقول لمن يهتف او يهذي بالشعر قبل ان يجيده : إنه يقرزم ، وأشهد ان البدوي طلع على الدنيا شاعراً مجيداً ، وما عرفه الشعر قرزاما ، وانت اذا قرأت بواكير شعره رأيتها متينة السبك ، رائعة المعاني . . وأذكر انني استظهرت قصيدته في

مقدم الشريف الحسين بن علي مدينة عمان ، وأنا تلميذ ، وقد نظمها في صدر يفاعته ومطلعها :

« الف اهلاً بأمير المؤمنين
سيد البطحاء والبيت الأمين »

وحق للشاعر الكبير بشارة الخوري ان يقول يومئذ : « إن شعر البدوي ارجح من عمره » وللعلامة الشيخ عبد القادر المغربي ان يكتب : « إنه الشاعر الذي تمرد على ناموس التدرج » .

ولو ان الأصمعي القائل في شعر ابي العتاهية : « إنه كساحة الملوك يقع فيه الخزف والذهب » استشف ما سيبدعه البدوي لهتف : « هذه ساحة لا خزف فيها ، انها سوق الذهب واللؤلؤ والمرجان » .

درس شاعرنا في ديوان ابيه وحفظ ووعى شعر قدامى الفحول كالمتنبي ومهيار والرضي والبحتري وابي تمام و « حماسته » . ولكنني أقطع بأنه شبيه بذاته ، له كيان شعري مستقل بأدواته ، ديباجةً وخيالاً ، ومعاني ونغماً ، وقد يقال في شعراء مجيدين إنهم متأثرون بالبدوي ولا سيما بعد أن يذهب زبد الشعر الطِلَّسْمي المتفشي جفاء ، ويمسي هباء ! على

أن شاعرنا تأثر في نزعته الصوفية بجده الأكبر ، الشاعر العلوي المتصوف الأمير حسن بن مكزون السنجاري .

قلت : إن مدرسته ديوانُ ابيه ، وأشرت الى الشعراء الذين قرأ شعرهم ووعاه ، ويهمني ـ وثقافة الشاعر عنصر في خصوبة ذهنه ـ أن أقول : إنه درس القرآن والحديث والنهج وأوغل في مطالعة كتب الأدب العربي كالأغاني والأمالي وآثار الجاحظ والتوحيدي ، وإذا حرم معرفة لغة اجنبية فقد عبَّ المترجمات العربية من آداب واجتماع وتاريخ ومذكرات وروايات ، وأذكر أنه قرأ مترجمات شقيقي عادل في الفلسفة والتاريخ والاجتماع وأشاد بها أي إشادة .

* * *

لي مع الشاعر تجارب أذكر منها إثنتين تدل ـ وهو المطبوع ـ على أنه لا يصطنع الشعر اصطناعاً ، ولا يملك أن يقول الشعر ساعة يشاء ، وأن الشعر هو الذي يمتلك الشاعر ، وقد يمضي وقت طويل ، لا ينظم فيه بيتاً ، وقد يُرسل ثلاث قصائد في شهر واحد ! وإذا سألته :لمَ ؟ قال : « الإرادة بنت العقل ، والشعر ترجمان القلب . . . إذا لم يجئني

الشعر عفواً ، تعذَّر على استحضاره اقتساراً » . وقد أدركتُ أن دواعي المنطق لا تجدي إن لم يكن ثَمّ حافز عاطفي مثير . . . وشرارة تستوقد القلب . . وحين يهتف بالمطلع متأثراً ، قد يسلس الشعر قياده ويغدو الكلام غير ما وصفه « ابو حيان » : صلفاً تياها .

في خريف سنة ١٩٤٠ ، وقد احتل الالمان باريس ، قرر نادي « المثنّى » ببغداد ، وكنت من مؤسسيه ، الاحتفال في التاسع من شعبان بذكرى الثورة العربية التي أطلق الحسين بن علي رصاصتها الأولى ، وأردناها تظاهرة عربية وحدوية ومناسبة لتجميع القوى القومية والدعوة الى التخطيط للمستقبل العربي ، ومواجهة الأحداث بخطة محكمة وعزيمة ماضية ، ورجوت البدوي أن يكون شاعر الاحتفال فاعتذر ، فألححت في الرجاء فأصر على الاعتذار ، فهامست نفسي : « لا بد من إثارة عاطفية تحُلُّ عقدة من لسان الشاعر ! » وانطلقتُ اتحدث : « فرنسا التي نكلت بسورية . . . فرطت في إسكندرونة . . دمرت دمشق . . أنت هنا مشرد تترشف رزقك مدرساً ، وأبوك الشيخ الجليل يتحرق لوعة ألا يراك . . ، اخوانك : يوسف العظمة ، رشيد طليع ، احمد مريود ضحاياها . .

*

الجزائر ، المغرب ، تونس . . . ما فعلَتْ فيها ؟ يا لله هل كنا نحلم أن يمتد بنا العمر فنراها تذوق ما أذاقتنا ؟ وأبو الثورة ، الحسين بن علي انتهى به الغدر البريطاني الى ما تعلم مجحوداً ، وقبراً في جوار الأقصى ، وفي ذكرى الثورة أنت أنت الذي تنصفه ميتاً كما انصفته حياً » وعلى هذه الوتيرة استرسلت متأثراً ، الى أن برقت عيناه ، وبريق عينيه صدى نبضات فؤاده ، ودمعت عيناه ، ودموع البدوي مطالع القصيدة ، او هي كلماتها النثيرة ، ورشح جبينه بالعرق ، وانصرف يهمهم . وأرق تلك الليلة . . وغاب يومين ، وفي اليوم الموعود شخصت أبصار الحشد في النادي الى البدوي وأرهفت الآذان . . . فانطلق :

« يا سامر الحيِّ هل تعنيك شكوانا
رقَّ الحديد وما رقوا لبلوانا

خلِّ العتاب دموعاً لا غناء بها
وعاتب القوم أشلاءً ونيرانا »

وماج النادي حين جلجل الشاعر :

« إني لا شمت بالجبار يصرعه
طاغ ويُرهقه ظُلماً وعدوانا

سمعتُ باريس تشكو زهـو فاتحها
هــلاّ تذكرت يا باريس شكوانا

عشرين عاماً شربنا الـكاس مترعة
مــن الأذى فتملىّ صرفهــا الآنا »

ووصف الثورة العربية ، وقائدها ، وكتائبها ، وصحراءها :

« وللجياد صهيل في شكائمها
تــكاد تشربــه الصحــراء الحانا »

واذكر انني رأيت في اليوم التـالي على لوحـة في احد صفوف دار المعلمين ببغداد هذا البيت :

« تغضي على الـذل غفرانـاً لظالمها
تأنّـق الــذل حتــى صار غفرانا »

وقيل لي : إن الدكتور عبد الرزاق محي الدين ، استـاذ الادب العربــي (رئيس المجمــع العلمــي العراقي اليوم) هو الذي كتب البيت على اللوحة ، منوّهاً بجماله الشعري ، حاثاً الطلاب على استظهار تلك القصيدة .

وقد هُرِّبــت القصيدة الى الأقطــار العــربية فتداولت في بلاد الشام وغيرهـا ، وقيل إن الـزعيم

التونسي ، الحبيب بورقيبة فوجىء بها تتسلل الى زنزانته في جزيرة الشيطان بافريقية .

وفي الذكرى السنوية الأولى لاستشهاد الزعيم العربي اللبناني رياض الصلح قرر اخوانه الاحتفال بتأبينه ، وقد تفجع عليه عرب المشرق والمغرب ، ودُعي خطباء وشعراء من المغرب ومصر والعراق ولبنان وسورية الى رثائه ، وإلى كوني المنتدب للقول باسم فلسطين ، فقد رجوت البدوي ان ينظم مشاعر سورية والعرب شعراً ، رصيفاً لشاعره اللبناني الأثير امين نخلة ، فأجابني ، وقد بدت عليه ربكة :

« آه . . رياض ، من كرياض ؟ لكنني لا ادري هل يأتيني الشعر بعد ساعة او يوم او اسبوع . . ويمكن الا يأتيني ابداً ، فإذا رضي عليَّ آله الشعر او شيطانه ـ لا ادري ـ اديت الواجب نحو عظيمنا الراحل ، وإلا فمعذرتك والاخوان وعفوكم » . واقترب الموعد ولمّا يساعفه الالهام . . ثم حدث ان توفي في بيروت صديق البدوي ، الوطني الكبير عادل العظمة ونقل جثمانه الى دمشق وودّعه على الحدود شقيقه الكبير المجاهد نبيه العظمة ، لأنهما كان محظوراً عليهما دخول دمشق ! ودخلها عادل جثماناً بعد ما حرمها عياناً ، وكان موكب التشييع الى المقبرة متواضعاً مما

شجا الشاعر وتذكر ـ والشجا يبعث الشجا ـ مصرع رياض في عمان وعودته جثماناً الى بيروت ، وانبجست الذكريات دموعاً . . . وهنا بدأ يهمهم بالشعر ، وواتاه المطلع الأروع :

« لا تسلها ، فلن تجيب الطلول
المغاوير مثخن او قتيل

موحشات يطوف في صمتها الدهر
فللدهر وحشة وذهول

غاب عند الثرى احباء قلبي
فالثرى وحده الحبيب الخليل »

وراح يومين في غيبوبة شاعر ، يختمر فيهما الحزن شعراً ، مجدّ فيه رياضاً وهوى بمقامع من بيانه على الذين اغتالوه واستبكى الأمة والتاريخ ، وتمثل عادل العظمة مكفّناً :

« الذي شرّدته عنْكِ المعالي
آب وهو المكفّن المحمول

مثخن بالجراح يهفو الى الأمّ
فأين الترحيب والتأهيل

ضنّت الشام بالوفاء علينا
طلعة سمحة وود بخيل »

وتذكر مصارع رفاق رياض : سعد الله الجابري وعادل العظمة ونجيب الريس وكانت آهة الختام في الملحمة المأتم :

« اين اين الرعيل من اهل بدر
طُوِيَ الفتح واستُبيح الرعيل »

* * *

يمتلك البدوي أدوات الشعر العالي : الخيال واللفظ والعاطفة واللغة والنغم او الموسيقا . والأسلوب هو الذي يوائم بينها . خياله يتسم بالجدّة والطرافة والعمق . إنه مخترع أخيلة ، والفاظة أنيقة مصطفاة ، فصيحة ، تساير الأخيلة والمعاني شرافةً وجزالةً او رقة ولوناً ، وكأن لها ارواحا ، كما يقول سيد قطب . وعاطفته ذات سراوة ولغته متينة وفي بحوره وأوزانه ايقاع موسيقي يناسب الموضوع ، فللعاصفة او البركان بحر يختلف عن السلسبيل الرقراق . ثم إن الديباجة الجميلة كديباجة البدوي تجعل من المعنى المتداول شعراً ، وفي شعره حكمة . . والشعر إذا نبع من القلب لا غنية له عن العقل او الفكر ، وشعرنا العربي لا يستكمل مراميه إذا تجرد عن الحكمة ، وقولك: إن المتنبي حكيم لا

ينفي عنه عظامة شعره . وقد طعّم دانتي وغوتيه وشكسبير شعرهم بالحكمة ، وصاحبنا البدوي كثيراً ما سكب الحكمة في قوالب من جمال اللفظ وروعة النغم معتبراً ان الحقائق مظاهر جمال في الكون ، ولكنه على اي حال مع العاطفة قبل المنطق ، ويرى رأي قدامى النقاد أن الحكمة في الشعر لا يجوز ان تكون إلا كالملح في الطعام . كما انه جعل من اغراض شعره استثارة الحس الوطني والذياد عن الاهداف القومية العليا ، شأن من يستودع قلبَه ضميرَ وطنه ، فيجيء شعره صورة فنية لخواطره وهواجسه ونبضات فؤاده ، وهنا قد تُفتقد وحدة قصيدته في الرثاء مثلاً ، ذلك لأنه حين يرثي مجاهداً وطنياً تراه يثب الى الحديث عن وطنه وأمته ، ويقحم آراءه الوطنية في اتساق ويسكب روحه الثائرة في ابيات ثم يعود فيبدع الختام ابداعه المطلع .

* * *

ومراثي البدوي ليست مما الفناه نحيباً وتعداد محاسن ، ولكنها تقري الأخيلة بصورة اخاذة لاخوانه الراحلين ، تجمِّل اللوعة ، وتضفي على الحزن وسامة وسحراً فسعد الله الجابري :

« طلعة تفرح العيون وتسبيها
وتغزو القلوب كبراً ومجداً

بدعـة الظـرف والأنـاقـة يرضيـك
دعـابــاً عفّــاً ويرضيـك جِدا

تنهــل العــين من بشاشــة سعد
ريهًـا ، والعيون تـروى وتصـدا

متـرف في رجولــة واعتـداد
راع زياً وراع وجهــاً وقدا »

وابراهيم هنانو :

« ضاوٍ من السقم ضجت في شمائله
عـواصف الحـق والأمــواج والزبد

اذا اثيـر نضـا عنــه مواجِعَهُ
كمـا تفلّـت من أشراكـه الأسد

يـروع في مقلتيـه بـارقٌ عجـب
وعـالــم عبقـري الســحـر منفـرد

يغالــب البِشرُ ، اسقامــاً نزلن به
ابـى له الكبـر ان يأسى لهـا احد »

وفارس الخوري :

« ولــه الطــرفـة المليحــة تغني
عـن نقـاش وتُســكـت المنطيقـا

وبيان تخالــه الــوشى والأطياب
شــتــى ، واللــؤلــؤ المنســوقا
فيه عمــق البحــار تزخــر بالدر
وفيــه متــارف المــوسيقــا
وضمــير نديان يسرف في الحسِّ
فيجــزي حتــى الخفــيَّ الدقيقا »

* * *

قلت إن استثارة الحس الوطني والدفاع عن الأهداف القومية من اغراض شعر البدوي ، وهو داعية الحقد الوطني على المحتل الظالم ، فما يُذكي مقاومة الغاصب مثلُ هذا الحقد ، الذي أدعوه (الحقد المقدس) :

« آمنت بالحقد يذكي من عزائمنا
وأبعد الله إشفاقاً وتحنانا
ويل الشعوب التي لم تسق من دمها
ثاراتها الحمر احقاداً وأضغانا »

والفواجع والهموم والأحزان القومية مذكيات للعزائم ، حافزات للثار ، واذا كان للمؤ رخ تويني نظرية التحديات في أحداث التاريخ ، فالرزايا الوطنية هي اعنف التحديات في شعر البدوي :

« وقد عرفتُ الـرزايا وهـي منجبة
فـكيف لم تلـد الجُلّى رزايانا

يا وحشـة الثـار لم ينهـد له احد
فاستنجـدِ الثـار أجداثـا وأكفانا »

« الطالعـون على الـدنيا بنصرهم
لولا الفواجع هل شدوا وهل نهدوا

اذا ونـوا راح يُذكي من عزائمهم
حـزن هو القـوة الشهبـاء والعدد

اما الشعوب وقد ضجت عواصفها
فصاحب النصر فيها الثاكل الحرد »

واما الحقد الشخصي فما اسرع ما يغسله الأسى ويمحوه الحنان :

«غسـل الأسى قلبي وحسبك بالأسى
من غاسل حقد القلوب وماحي

ووددت حـين هوى جنـاح حمامة
لو حلّقت من خافقـي بجنـاح . »

واذا استشرى حقده على خصوم عقيدته رشقهم بسهمه :

« عصابــة شر راح يبــرأ منهم
الى الله ـ ابقاءً على نفســه ـ الشر »

ومـن سمات شعـره القومـي دعـوة ملحــة الى الوحدة العربية ، وأذكر اننا تراصفنا في تأبين غازي وهنانو ورياض وفي ذكرى الثورة العربية في بغداد وبـيروت ، فكان في قصائـده كلهـا داعية الوحـدة العربية .

وقد مادت القاعة وهو يقول في رثاء غازي :

« وبيمنــاه راية الوحــدة الكبرى
فميدي يا رَاية اللــه ميدي »

وفي تلك الملحمـة الشعــرية دوت الصارخــة القومية :

« لا تسلني عن الشـآم فقــد حز
بجيد الشــآم عض الحديد

فتنمَّـرْ واغضــب لقومــك وارجُم
بالشــهــاب اللّماح كل مـريــد

واغـزُ بالجيـش قبـة الفلك الدائر
واقحــم به عــرين الاسود »

وانتهى الى ما اتخذناه شعاراً قومياً :

« ليس بين العراق والشام حد
هدم الله ما بنوا من حدود »

وله :

« يا بُناة الحدود ، لا تعرف الصحـ
ـراء في زحمة الأعاصير حداً »

وفلسطين ، قضية العرب الأولى ، هوذا شاعر العربية يثير النخوات ، ويؤجج الثارات ، يُبكِّتُ ويندِّد ، وينذر ويهدِّد :

« قد استرد السبايا كل منهزم
لم تبق في رقِّها الا سبايانا

وما لمحت سياط الظلم دامية
إلا عرفت عليها لحم اسرانا

ولا نموت على حد الظبى انفاً
حتى لقد خجلت منا منايانا »

وفي أغرودة الجلاء عن سورية :

« يا فلسطين هوى مستعر
من ربي الشام ونصر وولاء
وتحيات الرضى من دجلة
وسلام الله من غار حراء »

« ايـن من ثـأرك والثـأر دم
خـالـد الفتـح وايـن الامـراء »

والايمان :

« يصـنـع الـدنيـا ولا تصنعهـا
صـور العقـل والـوان الدهاء »

وفي رثاء سعد الله :

« اسـلـم القـدس مـن يحـج
الى القدس ويتلـو الانجيلَ وِرداً فوردا

ضج سوقُ الـرقيق في ندوة القوم
ونخاسـهُ طغـى واستبـدا

غيرةَ الله ، ايـن قومي وعهدي
بـهـم ينهـدون للشر نهـدا ! »

ولكنه في صارخته الصادعـة « وحـي الهزيـمـة » وقد نيَّفت على مئة وستين بيتاً جاء بالعجب العاجب في التنديد بحاملي هزيمة ١٩٦٧ ومحتقبي اوزارها ، فالمسجد الأقصى :

« لـم يرتـل قرآن احمـد فيه
ويُـزار المبـكى ويُتلى الزبـور

طُوي المصحف الكريم وراحت
تتشاكى آياته والسطور
يا لَذل الاسلام ، لا الجمعة الزهراء
نُعمى ولا الأذان جهير »

وأنين اللاجيء المشرد :

« أنا حزن ..شخص يروح ويغدو
ومسائي من الأسى والبكور
حاملاً محنتي أوزِّعها في
كل دنيا وشرها مستطير
الخيام الممزقات ، وأمٌّ
في الزوايا وكسرة وحصير
وفتاة اذلها العري والجوع
ويلهو بالرمل طفل صغير
كلما أنَّ في الخيام شريد
خجل القصر والفراش الوثير »

وقد ترجح أن هذه القصيدة هي التي أوشكت أن تودي بالشاعر ، وما أظن أن قصيدة تداولها الناس ـ إذا استثنينا قصيدة سقوط باريس ـ او حفظوها او استشهدوا بأبياتها مثل هذه !

* * *

وشعر البدوي ذو نغم رائع . . هذا النغم هو

الذي يسمو به عن ابدع اللوحات الزيتية لأكابر الرسامين ، ويميزه عنها ، انه يحُفظ ويرتّل ، ويُرنّم ويُنغّم ، ويرتسم في الحافظة فينشد ، وبه يُستشهد .

خذ قصيدته في لبنان وقد اهداها الى احمد شوقي اثر رائعته اللبنانية :

« الحسن فيك وهذه مرآته
بجمال ربك اشرقت آياته »

الا تحس بالايقاع ؟ الا يهز عطفيك خطابُ البدوي راثيَ الحمراء ، احمد شوقي في سينيته الاندلسية الخالدة :

« يا راثي الحمراء جلّ على البلى
صرح بدمعك سُطِّرت مرثاته

لو كان رب القصر يسمع ضيفه
لسعت إليك وفوده وهباته

او كان يدري القصر مَنْ في بابه
خلع البلا وازّينت شرفاته

ضحكت اليك جنانه وتخايلت
بالكاعبات البيض مقصوراته

ما عذره ، وهتفتَ في امواته
ألا تهب من الثرى امواته ؟ »

ومن العجب أن يقضي التجديد لدى البعض بتجاهل النغم ، وان يحتجوا بأن مدرسة شعرية في الغرب تقول بهذا ، وهم لا يريدون ان يدركوا ان الشعر العربي غير الأعجمي ، وبدوي الجبل الشاعر الضخم لا يكون شاعراً عربياً اذا هو تخلى في شعره عن النغم . .

والمفردات لدى البدوي غزيرة ولكنك لا تقع على غير مأنوس فيها ، على طول نفسه الشعري ، وقد عثرت على مفردة في قصيدته في ذكرى انتخاب شكري القوتلي رئيساً للجمهورية السورية :

« وخف الى ظلالك عبد شمس
يريح شجونَهُ ظمأى طلاحا »

وقبل أن أتساءل : ما الطلاح ؟ رأيتني أنتشي وأرتل مع الشاعر :

« جراح في سريرتكَ اطمأنت
لقد اكرمت بالصبر الجراحا

كأن الهم ضيفُك فهو يلقىَ
على القسمات بِشراً وارتياحا

وقبلك ما رأت عيني هموماً
مدلّلة واحزانا ملاحا
وقد تَرِدُ الخطوب على كريم
فترجع من صَباحته ، صِياحا »

وما أحسب أن اتساق اللفظ والمعنى ، ومواءمة جزالة المبنى لجلالة المعنى ، وفخامة الكلام لجسامة الحادث ، وقدرة الفن الشعري التصويري للبدوي يتجلى بأروع من قوله في تأبين هنانو :

« زحف البحر بالجبال من الموج
دراكاً وجرجر الطوفان

لطفَ الله بالسفينة لم يسلم
شراع ولا نجا سكان

تخبط الليل ، والعواصف والركب
حيارى ، دليلهم حيران

حولها اليمّ كالجبال واطياف
الردى والبروق واللمعان

وظلامٌ غمْرٌ رهيب فما
تبصر إلا الظنون والآذان

وعزيف للجن تنقله الريح
وادىً الأمانةَ الترجمان

*

وانطوى تحتها الجحيم ،
فللأمواج من حر ناره فوران

سخرت بالسفينة اللجّة الخـ
ـضراء واختار قبره الربان
واطمأنت الى القنوط فما
تلمح حتى بالخاطر الشطآن »

أما الرقة التي تناسب المعنى ، أما اللفظ الحاني الحنون ، العطوف ، فدونك رثاء سعد الله ومطلعه :

« سأل الصبحُ عن اخيه المفدّى
ايها الصبح لن تشاهد سعدا ! »

وناهيك بوصفه مرض سعد الله رقةً :

« ما رأى السقمُ قبل سعد حنانا
وحياءً من السقام ورفدا

كبقايا السيف اطمأنت الى الجفـ
ـن وراحت تبلى الهوينا وتصدا

روعة الشمس في الغروب ولا
أعشق للشمس عنفواناً ورأدا

يملأ المغرب العيون من الشمس
اذا ردَّها الضحى عنه رمدا »

نعم ان شاعرنا لا يفصل بين المعنى والديباجة ، وأذكر أنه سمعني يوماً اردد لنابغة الشعر العربي الكبير خليل مطران قوله معجباً به :

« كسالك وعرٍ راقه حسنُ كوكب
فأرجله تدمى وعيناه في السما »

فبادهني : الصورة رائعة ولكن هلاَّ قال :

« ومُنْفَرِدٍ في البيد أغرته نجمة
فأرجله تدمى وعيناه في السما »

واسلوب البدوي خال من التعقيدات اللفظية ، والمجازات المصطنعة ، وجماع القول فيه : جودة سبك ، إشراقة لفظ ، بداعة خيال ، متانة لغة ، سراوة عاطفة ، وعطور وطيوب وذكريات ، واغاريد وزغاريد ونعميات ، وجوامح وثارات ، ونجاوى وهمسات ، وهموم واطياف احبة ودموع وآهات ، وعمق في تصوف وابتهالات .

والى هذا فإن شعره يتنزّه عن التعمية والإلغاز ، وكما ان فيه السلسبيل الهنيء السائغ فإن فيه العميق ـ ولا اقول الغامض ـ الذي يحملك على التفكير والاندماج في القصيدة حتى لتتقمص روح الشاعر ، ومن عبقرياته في هذا الباب قصيدته

*

« بكيت على السراب » ولو ترجمت الى اللغات الأجنبية ، ـ والديباجة لا تُترجم ـ لاختالت على اترابها لدى الأعاجم ، فالسراب ، سرابها ، اريحيٌّ ، اشقر القسمات ، نديّ اللمح ورديّ الحباب :

« يزوّقُ لي الرمال جنى وظلا
ويغمز بالكؤوس وبالشراب
محا حقد الهجير على الصحارى
ووحدتي المريرة واغترابي »

ويخاطب نعمى القلوب ونعمى العيون :

« سرابكِ رحمة ومنى حسان
سكبن طيوبهن على عذابي
احث خطاي في اللهب المدمّى
الى افيائه الخضر الرطاب »

ثم يهتف :

« بكيت من السراب ، فحين ولىّ
وأوحدني ، بكيت على السراب
واشقاني اليقين فيا حنيني
الى الخدع المنضرّة السوابي »

* * *

ولعل آراء الشاعر في الشعر تفصح عن اسلوبه ، وصداقتنا الحميمة مكنتني من استبار مذهبه في قديم الشعر وحديثه : انه لا يؤمن بوجود مدارس شعرية فالشعر إما ان يكون رفيعاً او لا يكون ، ولا وسط ، وهناك شعراء لا مدارس ، والشعر المسمى بالحديث ، لا هوية له ، ولايثبت على الزمان ما تخلى عن الاوزان وتنكر للطابع والروح العربيين ، وقد يكون الكلام فلسفة او حكمة ، وقد يكون رائع الخيال وقد يكون كل شيء الا ان يكون شعراً عربياً فيه وسامة الشعر العربي ونشوته . نعم إنه يفتقد الجمال الشعري لأن الأوزان عذوبة ونغم وجمال وعطر ، وهي هدية الله الى الروح . . والكلام الذي لا يلتزم قواعد العروض ليس شعراً والأوزان قد اتسعت وتتسع لنزعات النفس ، والخليل بن احمد لم يبتدعها ولكنه ضبطها ، وهي ليست صناعة ، وإنما تنسكب من السريرة انسكاباً ، ولا يكون التجدد في نسفها ، وإنما هو في ابتداع المعاني والأخيلة والصور مع المام باللغة والأدب ، اجل « إن الأوزان اساور وعقود ، لا سلاسل وقيود ! » . والشعر في أوزانه أقرب الى العفوية من هذا الذي يسمونه جديداً ويقول البدوي : إنه لم

يدرس العروض ولكنه جعل شعره بحسه المرهف منسجماً مع الأوزان . . .

وأذكر انه لما قال في رثاء هنانو :

« أنا ابكي لكل قيد فأبكي
لقريضي تَغُلُّه الأوزان ! »

سئل : « ألا يدل هذا على أن الأوزان اغلال ؟ » فأجاب : « قد تمر بالشاعر خاطرة عابرة يمليها جو القصيدة ، حين تكلمت عن القيود في قصيدتي مَرَّ هذا المعنى مروراً ، والواقع أنني لا اؤمن بأن الأوزان قيود ولكنها نغم وعطر وجمال » .

***

وما رأيت شاعراً عبقر الألم وجَمَّل الهم ونضرَّ الحزن كالبدوي ، وقد جعل من قبور أحبائه ورفاق دربه رياض إخاء، وبساتين وفاء، ومجمع ذكريات وأحرام مقدسات ، إنها تفجر بيانه وتطلق بالحنان لسانه :

« إن قلبي خميلة تنبت الأحزان
ورداً ونرجساً وشقيقا
لو على الصخر نهلة من جراحي
راح مخضوضل الظلال وريقا »

« لا أوحش الله قلبي من مواجعه
ولا تحـوَّل عن نعمائهـا الحسد
ولا شفى اللـه جرحـاً في سريرته
ندیان ينـطف منـه الخمـر والشهد
انـي ادلِّل آلامـي وامسحها
مسـح الشـفيق وأجلوهـا وأنتقد »

***

« مـن همومـي ما ينعـم العقل
في دنيا اسبـاه ويهنـأ الوجدان ..
من همومي ما يغمـر الـكون بالعـ
ـطـر ومنـهـا مزاهـر وقيـان »

« وأنـا الوالـد الـرحيم وابنائي
همـوم الحياة والأشجان »

***

« بـورك الهـم عبقـرياً جواداً
لا كهـمٍّ اعطـى قليلاً وأكدى »

اما قبور احبائه ولداته :

« يا قبـور اللِّـدات ، كل شقيق
حاضـن في الثـرى اخـاه الشقيقا
وسعـت هذه القبـور همومي
كيف تشـكو ، وهـي السماوات ، ضيقـا ؟

*

مقلتي يستحم في دمعها الطيف
وتحنو فلا يموت غريقا »

***

« سقى تلك القبور دمي ودمعي
وجلّ القبر عن سقيا السحاب »

***

« أفدي القبور التي طاف الرجاء بها
ياللقبور غدت ترجى وتفتقد
مصارع بعطور الحق زاكية
كأنما سكبوا فيها الذي اعتقدوا
مسحت دمعي من ذكراهم بيد
وأمسكتْ كبدي، ألا تذوب يد »

* * *

وللبدوي شعر غزِل ، يُزري بدواوين في النسيب ، وشاعر قدير مبدع مركّب من عواطف وخيال مخصاب ، يجيء بالعجب العجاب . وقصائده « خالقة » و « شقراء » و « سمراء » في الديوان أشير إليها وأنوه بها ، وما أصعب المفاضلة بينها واجتزاء بعضها عن كلها . وإذا اختص « السمراء » بروائع من النفحات الغزلية فإنه قوّل « الشقراء » ما أستغفر الله له :

« تأنق الله دهراً
يُعيد فيّ ويبدي

حتى جلانِيَ شعراً
يا حسرة الشعر بعدي !
يهيم حسني بحسني
ويجتلي ويُفدي
وجُنَّ ثغري بريقي
وجن جيدي بزندي »

وهو ظنان ، شكاك . اذا آنس من دميته خداعاً حطمها . . واذا استراب بعذرائه التي « يخشى على حسنها من خطرة الفكر ونجوى العيون » عيرَّها بقبل العاشقين ، فصنف القبل ، مبتدعاً ، مبتكراً ، منفرداً :

من قبلة خائنة مرة
وقبلة قد تمتمت لا اخون
وقبلة مجنونة في اللمى
وقبلة وادعة في الجبين
وقبلة حمراء مثل اللظى
وقبلة بيضاء مثل اليقين »

وفي « خالقة » :

« أخادع النوم إشفاقاً على حُلُم
حان على الشفة اللمياء مخمور

رشفت صوتك في قلبي معتقة
لم تعتصر وضياء غير منظور »

وأعجب ما في شعره الغزِل أن يكون ملوناً بألوان مترفة وبأصباغ حضارية محدثة، ولكنها العبقرية أطلقته من بيئته .

على أنك اذا حدثته في الحب ، انتهى بك الى أن اسماه هو الذي يبلغ مرتبة التصوف « وحُبُّك لله عبادة » وأعلى مراتب العبادة لدى الصوفيين ينتهي بالحب .

* * *

وفي شعر البدوي « شطحات» يُظَنُّ معها جنوحٌ الى إلحاد او شكوك في العقيدة . وقد اقتحم شيطان شعره قدس الأقداس ـ ولعله كان مطمئناً إلى الغفران الالهي ـ حين قال :

« حضارة الدهر طيب من خلاعتنا
وجنة الله عطر من خطايانا

من الغواية سلسلنا هدايتنا
فكان أرشدنا للنور أغوانا

نشارك الله ـ جل الله ـ قدرته
ولا نضيق بها خلقاً وإتقانا »

و « لخالقة » يقول :

« آثامك الخفرات البيض لو جليت
لطـور موسى لنَّـدت ذروة الطور »

وبينا أكون مشدوهاً مبهوتاً ، أراني أنتقـل الى شعر يتلألأ إيماناً ، وإلى تسابيح وصـوفيات ، وأراه يصلي خاشعاً ، . ويرسل ابتهالاتـه مدلهّـةً بالحـب الالهـي، ويقينه : « عندما يهتـدي الشاعـر الى دنيا قلبه ، اهتدى الى جمال ربه ، واشتف خمرة معرفتـه وحبه » ، ففي « الكعبة الزهراء » ومطلعها :

« بنـور على أُم القـرى وبطيب
غسلـت فؤادي من أسى ولهيب»

وصفٌ أروع للحـج ، وللصحـراء المقدسـة وصلوات واستغفارات :

« وأهـرب كبـراً ، او حياء لزلَّتي
ومنـكَ ـ نعـم ـ لكن إليكَ هروبي
وأجلـو عيوبـي نادمـات حواسراً
وأستـر إلاَّ في حمـاك عيوبي
وأي ذنـوب ليس تُمحـى لشاعر
معنـىً بألـوان الجمال طروب

*

وأنزلــت أحزانــي على قبــر أحمد
ضيوف كريم النبعتيــن وهوب »

وفي « ابتهالات » جنيف :

« بينــي وبــين اللــه من ثقتي
بلــطــف اللــه بــابُ
لي عنــده من أدمعــي
كنــز تضيــق به العيــابُ
يــا رب ، بابك لا يَــرد
الــلائذيــن بــه حجــاب
واذا سألت عن الذنوب
فــإن ادمعــيَ الجــواب »

وفي رثاء رياض :

« ربِّ ، روحي طليقة في سماواتك
والجسم موثــق مغلــول
عبــراتــي عبادة وابتهــال
وشــهيقي التــكبير والتهليــل
وصــلاتــي تأمل ومناجاتــي
خشــوع وزفــرتــي ترتيــل
لم يضــع في الظــلام نورك
عن قلبي فقلبي الى سناك الدليل »

* * *

والشاعر المفرد ، قد يباغتك في الأسواق الشعرية ـ اذا صح التعبير ـ او حفلات الذكريات او التمجيد او التأبين ،وفي زحمة اللُّسُن الفِصاح ، بالقصيد المدهش ، تعب منه ما اتضح ورق ، وترشف منه ما عمق ودق ، ففي المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري . . . كان متوقعاً ان تكون كفافة بصر المعري ونفاذ بصيرته وترجمة حياته وابعاد فلسفته ينابيع القول ، ولكن شاعرنا بعد ان قال عن المعري :

« نفذت بصيرته لاسرار الدجى
فتبرجت منه بالف صباح
من راح يحمل في جَوانِحِهِ الضحى
هانت عليه اشعة المصباح »

وثب خياله الشعري الى قصة المرأة والمعري فهتف :

« أتضيق بالأنثى وحبك لم يضق
بالوحش بين سباسب وبطاح
يا ظالم التفاح في وجناتها
لو ذقت بعض شمائل التفاح

ما أحوج العقل الحكيم ـ وهمه
وسع الحياة ـ لصبوة ومراح

إيهٍ حكيمَ الدهـر أي مليحة
ضنـت عليك بعطرهـا الفواح
أسكنتهـا القلـب الـرحيم فرابها
مـا فيه من شكوى ورجـع نواح

جرحـت إبـاءك والحياء فأقفـلا
بـاب المنـى ورميـت بالمفتـاح
إن التـي حرمتـك نعمـة حبها
وأبيك عار كواعبٍ وملاح »

والقصيدة في ابياتها الستة والتسعين تجري على هذا المنوال ، تنقلك من الطريفة الماتعة الى الفكرة الرائعة ، وتنتهي الى الاعتذار :

« فاعـذر اذا لم أوف مجـدك حقه
لجج الخضـمٍ طغـت على السَّباح »

***

ولا أظن أن قصيدة للبدوي تخلو من بيت سائر يُستشهد به ، تُلخص فيه حكمـة وتختصر تجربـة ، ويكون مسنَد حديث او فصل خطاب . وهـات في الأمثال المضروبة ما يُغني عن هذه السائرات :

« قـد تطـول الأعمار لا مجـد فيها
ويضـم الأمجـاد يوم قصير
أنـا البـرىء ولـكن حرمـةً وهوىً
أُقـر بالذنـب كي ترضى وأعترف

*

إنَّ دَيْن العـظيم في كل شعب
لا يُوفىً وحقـه لا يؤدَّى
ولا وفـاء لقلـب حـين نؤثره
حتـى تكون رزايانـا رزاياه
لا تحاسـب اخـا هوى في هواه
كل ثغـر على الهـوى معسول
يفتـك الظلـم بالضـعيف ويُردي
بعـد حـين بشؤمـه الظُّلاما
سُبَّـة الدهـر ان يحُاسـب فكر
في هواه وان يُغـل لسان »

* * *

وللبدوي نثر رفيع انيق ، إنه شعر منثور ، واذا كان لا يرضيه ان يطلق عليه لفظ شعر ، قلنا انه اشبه بقصائد منثورة ، وكونه في اكثره مسجوعاً بلا تكلف ، وفَّر له عذوبة الوقع على الآذان . واذا كان الشعر ، كما اسلفت ، هو الذي يمتلك الشاعر فلا يواتيه ساعة يريد ، فإن النثر يأتيه طائعاً ، سهلاً ، مسلساً قياده ، لا يتأبّى عليه حين يشاء ، ومما يسترعي النظر ان نثره ـ خلا رسائله الاخوانية ـ يكاد يكون قاصراً على المراثي ، وممن أبنهم نثراً من اخوانه أذكر :

الملك فيصل آل سعود وهاشم الأتاسي وجميل مردم بك والحاج امين الحسيني وعادل زعيتر ومظهر رسلان والشاعر محمد اقبال والأمير عادل ارسلان وصالح جبر وصبري العسلي وسمير الرفاعي والشاعر بدر الدين الحامد وعلي رضا النحوي وحبيب كحالة .

ولم يكن البدوي خطيباً مثله شاعراً ، وما اظن انه حاضر إلا مرة واحدة وكانت في الجامعة الأميركية ببيروت وعنوانها : « القومية العربية » ، وأذكر انه أنهاها صادحاً : « لقد آمنتُ بالعروبة لأنني آمنت بالحق والخير والجمال . ومن اراد العروبة ايماناً في قلبه ، وفناءً في حبه ، وأنساً في وحشته ، وهناءة في سريرته ، وعالَماً في وحدته ، فليتقرب الى نعمتها بالحق والخير والجمال » .

* * *

وقبل ان أطرح القلم ، لا يفوتني القول : إنه اذا طغت المادة في هذا العالم طغيانها ، وتضخمت في الحياة أعباؤها ، وتعاظمت همومها وأرزاؤها ، واستشرت في النفوس القحولة ، وفي الأرواح الجدوبة ، فإنه لا بد للانسانية من اللياذ بالفن الرفيع - وَالشعراسمى بدائعهِ - ،به تجمِّل وجودها، وتبدِّد

كآبتها ، وتخصب بالبشر وجوهها . إنه لن يفقد سلطانه على الدهر ، ولن ينضب معينه من السحر !

وبعد فلا يُقدِّمُ الشاعرَ مثلُ شعره ، وهذا ديوانه فحيَّ على الشعر ، حيَّ على الشعر . . شعر بدوي الجبل .

الكعبة الزهراء

مهداة الى أعتاب أبي الزهراء صلوات الله عليه

بِنُـورٍ عَلَـى أُمِ القُـرَى وَبِطِيـبِ
غَسَـلْـتُ فُـؤَادِي مِـنْ أَسَىً وَلَهِيـبِ
لَثَمْـتُ الثَّـرَى سَبْعـاً وَكَحَّلْـتُ مُقْلَتي
بِحُسْـنٍ كأَسْـرَارِ السَـمَـاءِ مَهِيـبِ
وَأَمْسَـكْـتُ قَلْبـي لا يَطِيـرُ إلى (مِنىً)
بِأَعْبَـائِـهِ مِـنْ لَهْفَـةٍ وَوَجِيـبِ
فَيَـا مُهْجَتـي : وادي الأمِيـنِ مُحَمَـدٍ
خَصِيـبُ الهُـدَى : وَالْـزَرْعُ غَـيْرُ خَصِيـبِ
هُنَـا الـكَعْبَـةُ الـزَهْـرَاءُ . وَالـوَحْـيُ والشَذَا
هُنَـا النُـورُ . فَافْنَـيْ في هَواهُ وَذُوبـي
وَيَـا مُهْجَتـي : بَـيْنَ الحَـطِيمِ وَزَمْـزَمٍ
تَـرَكْتُ دُمـوعـي شـافِعـاً لِذُنُوبـي
وَفي الـكَعْبَـةِ الـزَهْـرَاءِ زَيَّنْـتُ لَوْعَتِـي
وَعَـطَّـرَ أبـوابَ السـمـاءِ نحيبـي

* * *

مَوَاكِـبُ كالأمـواجِ ، عَـجَّ دُعَاؤُهـا
وَنَـارُ الضُـحَـى حَمْـرَاءُ ذَاتُ شُبُـوبِ

وَرَدَّدَتِ الصَحْرَاءُ شَرْقاً وَمَغْرِباً
صَدَى نَغَمٍ مِنْ لَوْعَةٍ وَرُتُوبِ
تَلاَقَوا عَلِيهَا ، مِنْ غَنِيٍ وَمُعْدِمٍ
وَمِنْ صِبْيَةٍ زُغْبِ الجَنَاحِ وشِيْبِ
نَظَائِرُ فِيْهَا : بُرْدُهُمْ بُرْدُ مُحْرِمٍ
يَضُوعُ شَذاً : والقَلْبُ قَلْبُ مُنِيبِ
أَنَاخُوا الذُنُوبَ المُثْقَلاتِ لَوَاغِباً
بِأَفْيَحَ - مِنْ عَفْوِ الإلَهِ - رَحِيبِ
وَذَلَّ لِعِزِّ اللهِ كُلُّ مُسَوَّدٍ
وَرَقَّ لِخَوْفِ اللهِ كُلُّ صَلِيبِ

* * *

وَلَوْ أَنَّ عِنْدِي لِلشَّبَابِ بَقِيَّةً
خَفَفْتُ إِلَيْهَا فَوْقَ ظَهْرِ نَجِيبِ
أَنَامُ عَلَى الكُثْبَانِ يُؤْنِسُ وَحْدَتِي
بُغَامُ مَهَاةٍ أَوْ هَمَاهِمُ ذِيْبِ
وَلِيْ غَفْوَةٌ فِي كُلِ ظِلٍّ لَقِيتُهُ
وَوَقْفَةُ سُقْيَا عِنْدَ كُلِ قَلِيبِ
هَتَكْتُ حِجَابَ الصَمْتِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
(بِشَبَّابَةٍ) سَكْرَى الحَنِينِ خَلُوبِ

حَبَسْتُ بِهَا جِنِّيَّةً (معبدية)[1]
وَفَرَّجْتُ عَنْ غَمَّائِهَا بِثُقُوبِ

* * *

وَرَكْبٍ عَلَيْهَا ، وَسْمُ أَخْفَافِ عِيْسِهِمْ
وَهَامٍ تَهَاوَتْ لِلْكَرَى وَجُنُوبِ
وَأَلْفُ سَرَابٍ ، ما كَفَرْتُ بِحُسْنِهَا
وَإِنْ فَاجَأَتْ غُدْرَانُهَا بِنُضُوبِ
وَضَجَّةُ صَمْتٍ جَلْجَلَتْ . ثُمَّ وَادَعَتْ
وَرَقَّتْ ، كَأَخْفَى هَمْسَةٍ وَدَبِيْبِ
وَأَطْيَافُ جِنٍّ فِي بِحَارِ رِمَالِهَا
تُصَارِعُ حَالَيْ طَفْوَةٍ وَرُسُوبِ
وَتَعْطِفُنِي الآرَامُ فيها نَوَافِراً
إلى رَشَأٍ في الغُوطَتَيْنِ رَبِيْبِ
يُعَلِّلُنِي ـ وَالصِدْقُ فيهِ سَجِيَّةٌ
بِوَعْدٍ مَطُولٍ باللقاءِ كَذُوبِ
وَبُدِّلْتُ حُسْناً ضاحِكَ الدَلِّ ناعِماً
بِحُسْنٍ عَنِيفٍ في الرِمَالِ كَئِيبِ
وَمَنْ صَحِبَ الصَحْرَاءَ هَامَ بِعَالَمٍ
مِنَ السِحْرِ جِنِّي الطُوفِ رَهِيبِ

---

١) نسبه الى شيخ المغنين معبد قال الشاعر القديم : وما قصبات السبق الا لمعبد

وَلِلْفَلَكِ الأَسْمَى ، فُضُولٌ لِسِرِها
ففي كُلِّ نَجْمٍ مِنْهُ عَيْنُ رَقِيبِ

* * *

أَرَى بِخَيَالِ السُّحْبِ خَطْوَ مُحَمَّدٍ
عَلَى مُخْصِبٍ مِنْ بِيْدِهَا وَجَدِيبِ
وَسُمْرَ خِيَامٍ مَزَّقَ الصَمْتُ عِنْدَهَا
حَمَاحِمَ خَيْلٍ بُشِّرَتْ بِرُكُوبِ
وناراً على نَجْدٍ مِنْ الرَمْلِ أُوْقِدَتْ
لِنَجْدَةِ مَحْرُومٍ وَغَوْثِ حَرِيبِ
وَتَكْبِيرَةً في الفَجْرِ سَالَتْ مَعَ الصَّبَا
نَعِيمَ فَيَافٍ واخْضِلالَ سُهُوبِ
أَشُمُّ الرِمَالَ السُمْرَ: في كُلِ حَفْنَةٍ
مِنَ الرَّمْلِ ، دُنْيا مِنْ هَوَىً وَطُيُوبِ
عَلَى كُلِ نَجْدٍ مِنْهُ نَفْحُ مَلائِكٍ
وفي كُلِ وادٍ مِنْهُ سِرُّ غُيوبِ
تَوَحَّدْتُ بالصحراءِ . حَتَّى مَغِيْبُهَا
وَمَشْهَدُهَا مِنْ مَشْهَدِي وَمَغِيبِي
ومن هذِهِ الصَحْرَاءِ ، أنوارُ مُرْسَلٍ
ورايَاتُ منصُورٍ . وبِدْعُ خطيبِ
وَمِنْ هَذِهِ الصَحْرَاءِ ، شِعْرُ تَبَرَّجَتْ
بِهِ كُلُّ سَكْرَى بالدَلالِ عَرُوبِ

تُعَـطِّـرُ فـي أَنْغَـامِـهِ وَرَحيقِـه
وَرَيَّـاهُ : عِطْـرَيْ مَبْسِـمٍ وَسَبِيـبِ[1]
تَـرُشُّ النُجُـومُ النُـورَ فيهـا مُمَسَّكـاً
فَـأُتْـرِعُ أَحْـلامـي وَأُهْـرِقُ كُوبـي
وَمَـا أَكْـرَمَ الصَحْـرَاءَ .. تَصْـدَى .. وَغَنَّمَـتْ
لنـا بُـرْدَ ظِـلٍ كالنَعِيـمِ رَطِيـبِ
وَيغْفُـو بهـا التـاريخُ ، حَتَّـى تَرُجَّـهُ
بِـدَاهِيَـةٍ صُلْـبِ القَنَـاةِ أَرِيـبِ
شَكَـا الـدَهْـرُ مِمَّـا أَتْعَبَتْـهُ رِمَالُهـا
وَلَـمْ تَشْـكُ فِيْهِ مِنْ وَنَـىً وَلُغُـوب
وَصَبْـرٍ مِنْ الصَـحْـرَاءِ ، أَحْـكَمْـتُ نَسْجَـهُ
سَـمَـوْتُ بِـهِ عَنْ مِحْنَتـي وَكُرُوبـي
وَمِـنْ هَـذِهِ الصَـحْـرَاءِ .. صِيْغَـتْ سَجِيَّتي
فَـكُلُ عَجِيـبِ الـدَّهْـرِ غَيْـرُ عَجِيـبِ
يُـرَنِّحُ شِعْـري باللِـوَى كُلَّ بانَـةٍ
وَيَنْـدَى بِشِـعْـري فِيْـهِ كُلُ كَثِيـبِ
وَلَـوْلا الجِـرَاحُ الـدَامِيَـاتُ بِمُهْجَتَـي
لأَسْـكَـرَ نَجْـداً والحِجَـازَ نَسِيْبِـي
وَهَيْهَـاتِ مَا لَـوْمُ الـكَـرِيمِ سَجِيَّتَـي
وَلاَ بُغْضُـهُ عِنْـدَ الجَفَـاءِ نَصيبـي

---

١) السبيب ـ خصلة الشعر .

نَقَلْتُ إلى قَلبي حَيَاءً وعِفَّةً
أسارِيرَ وَجْهي مِنْ أسىً وقُطُوبِ

وَعَرَّتْنِيَ الأيامُ مِمَّنْ أُحِبُّهُمْ
كَأيْكٍ - تَحَامَاهُ الربيعُ - سَلِيبِ

وَرُبَّ بَعيدٍ عَنْكَ أحْلى مِنَ المُنى
وَرُبَّ قَرِيبِ الدارِ غَيْرُ قَريبِ

وَوَيْحَ الغَواني : ما أمِنْتُ خُطُوبَها
وقد أمِنَتْ بَعْدَ المشيبِ خُطوبي

وكيف وثوبي لِلزَّمَانِ وأهْلِهِ
وَلِلشَيْبِ أصْفادٌ يَعُقْنَ وُثُوبي

أفي كُلِ يَوْمٍ لَوْعَةٌ بَعْدَ لَوْعَةٍ
لِغُرْبَةِ أهْلٍ أوْ لِفَقْدِ حَبِيبِ

وَيَارَبِ : في قَلْبي نُدُوبٌ جَدِيدَةٌ
تُرِيدُ القِرَى مِنْ سَالِفاتِ نُدُوبِ

يُرِيدُ حِسَابي ظَالِمٌ بَعْدَ ظَالِمٍ
وَما غَيْرُ جَبَّارِ السَمَاءِ حَسِيبي

وَيَارَبِ : صُنْ بِالْحُبِ قَومي مُؤَلَّفاً
شَتَاتَ قُلُوبٍ لا شَتَاتَ دُروبِ

وَيَارَبِ : لاَ تَقْبَلْ صَفَاءَ بَشَاشَةٍ
إذا لَمْ يُصاحِبْهُ صَفَاءُ قُلوبِ

تَـدَاوَوْا مِـنَ الجُلَىَّ بِجُـلَىَّ .. وَخَلَّفُوا
وَرَاءَهُـمُ الإِسـلاَمَ خَيْـرَ طَبِيـبِ

* * *

وَيَارَبِ : فـي الإِسـلامِ نُـورٌ وَرَحْمَـةٌ
وَشَـوْقُ نَسِـيْـبٍ نَازِحٍ لِنَسِيـبِ
فَـأَلِّـفْ عَـلَىَ الإِسـلامِ دُنْيا تَمَـزَّقَتْ
إِلى أُمَـمٍ مَقْـهُـورَةٍ وَشُـعُـوبِ

وَكُـلُّ بَعِيـدٍ حَـجَّ لِلْبَيْـتِ أَوْهَفَـا
إِلَيْـهِ ـ وَإِنْ شَطَّ المَـزَارُ ـ قَرِيبِـي
سَجَـايا مِنَ الإِسـلامِ : سَمْحٌ حَنَانُهـا
فَـلاَ شَعْـبَ عَـنْ نَعْمـائِهـا بِغَـرِيبِ

* * *

وَآمَنْـتُ أَنَّ الحُـبَ خَيْـرٌ وَنِعْمَـةٌ
ولا خَيْـرَ عِنْـدِي فِي وَغَـىً وَحُـرُوب
وَكُـلُ خَضِيـبِ الـكَـفِ فَتْحـاً وَصَـوْلَـةً
فِـدَاءٌ لِكَـفٍ بالعبيـرِ خَضِيـبِ
وآمَنْـتُ أَنَّ الحُـبَ والنـورَ واحِـدٌ
وَيَكْـفُـرُ بالـلأَلاءِ كُـلُ مُـرِيـب

ولـو كان في وُسْـعي حَنـاناً وَرَحْمَةً
لَجَـنَّبْتُ أعـدائِي لِقَـاءَ شَـعُوبِ[1]

* * *

وَيَـارَبِ : لَمْ أُشْـرِكْ ولَـمْ أعْـرِفِ الأذَى
وَصُـنْـتُ شَبَـابي عنهمـا ومشيبي
وَإنـي - وَإنْ جَـاوَزْتُ هَـذيـن سَالِماً
لأكْبِـرُ لَـوْلا جُـوْدُ عَفْـوِكَ حُـوْبِـي[2]
وَأهْـرُبُ كِـبْـرَا أوْ حَيَـاءً لِـزَلَّتِي
وَمِنْـكَ ، نَعَـمْ ، لَكِنْ إليـكَ هُروبـي
وَأجلـو عُيـوبِي نـادماتٍ حواسِـراً
وَأسْـتُـرُ إلاَّ فـي حِمَـاكَ عُيـوبـي
وَأيُّ ذُنُـوبٍ ليس تُمْحَـى لِشَـاعِرٍ
مُعَـنًّىً بـألـوانِ الجَمَـالِ طَـرُوبِ
وَلَـوْ شَهِـدَتْ حُـوْرُ الجِنـانِ مَدَامِعـي
تَرَشَّـفْـنَ فـي هَوْلِ الحِسَـابِ غُـروبـي[3]

* * *

وَأنْـزَلْـتُ أحْـزَانِـي عَلَـى قَبْـرِ أحْمَـدٍ
ضُيُـوفَ كَـرِيـمِ النَبْعَتَيـنِ وَهُـوب

---

١) شعوب بفتح الشين:الموت
٢) الحوب - الذنب
٣) الغروب - الدموع

مَدَحْتُ رَسُولَ اللهِ أَرْجو ثَوابَهُ
وحاشا النَدَى أَنْ لا يَكُونَ مُثيبي
وَقَفْتُ بِبَابِ اللهِ ثُمَّ بَبَابِهِ
وُقُوفَ مُلِحٍّ بالسُؤَالِ دَؤُوبِ
صَفَاءٌ على اسْمِ اللهِ غَيْرُ مُكَدَّرٍ
وَحُبٌ لذاتِ اللهِ غيرُ مَشُوبِ
وأُزهى بِتَظْلِيلِ الغَمَامِ لأَحْمَدٍ
وَعَذْبٍ بَرُودٍ مِنْ يَدَيْهِ سَرُوبِ
فَإِنْ كَانَ سِرُّ اللهِ فَوْقَ غَمامةٍ
تُظِلُّ وماءٍ سائغٍ لِشُرُوبِ[1]
فَفِي مُعْجِزِ القرآن والدولةِ التي
بناها عليه مُقْنِعٌ لِلَبِيبِ

* * *

ويَارَبِ ، عِنْدَ القَبْرِ قَبْرِ مُحَمَدٍ
دُعاءُ قَرِيحِ المُقْلَتَيْنِ سَلِيبِ
بِجَمْرِ هَوَىً عِنْدَ الحَجِيجِ لِكَّةٍ
وَدَمْعٍ عَلَى طُهْرِ (المَقَامِ) سَكُوبِ
بِشَوْقٍ على نُعْماهُ ، ضَمَّ جَوانِحٍ
وَوَجْدٍ على رَيَّاهُ زَرَّ جُيوبِ

---

١) شروب بضم الشين والرآء (جمع شارب) .

تَـرَفَّـقْ بِقَـوْمِـي واحْمِهِمْ مِنْ مُلِمَّـةٍ
لَقَـدَ نَشِـبَـتْ أَوْ آذَنَـتْ بِنُشُـوبِ
وَرُدَّ الحُـلُـومَ العـازِبـاتِ الى الهُـدى
فَقَـدْ تَـرْجِعُ الأَحـلامُ بَعْدَ عُـزوبِ
وَرُدَّ القلـوبَ الحـاقداتِ إلى نَدٍ
مِـنْ الحُـبِّ فَـوَّاحِ الـظِـلالِ عَشيـبِ

* * * *

تَدَفَّقَـتِ الأَمـواجُ والليـلُ كافِـرٌ
وَهَـبَّ جُنُـونُ الـرِيـحِ كُـلَّ هُبـوبِ
رَمـى اليَـمُّ انْضَـاءَ السـفيـنِ بِمارِدٍ
مِـن اليَـمِّ تَيَّـاهِ الحُتـوفِ غَضُـوبِ
يُـزَلْزِلُـهَـا يُمْنَى وَيُسْـرَى مُـزَمْجِراً
وَيَضْـغَمُهـا مِنْ هَـوْلِـهِ بِنُيـوب
يُـرَقِّصُـهـا حِينَـاً وَحِينَـاً يَـرُجُّهـا
وَيُـوجِزُ حَـالَيْ هَـدْأَةٍ وَوُثُـوبِ
وَتَـرْفَعُهَـا عَجْلَى وَعَجْلى تَحُطُّهَـا
لَعُـوبٌ مِنَ الأَمـواجِ جِـدُّ لَعُـوبِ
وَأَيْقَـنَ أَنْضَـاءُ السـفينـةِ بالردى
يُطَـالِعُهُـمْ فـي جَيْئَـةٍ وَذُهـوبِ
وَلَمَّـا اسْتَـطَـالَ اليَـأْسُ يَكْسُـو وُجُوهَهُمْ
بِـأَلْـوَانِـهِ مِـنْ صُفْـرَةٍ وَشُحُـوبِ

دَعَـوْا يا أبـا الـزَهْـراءِ والحَتْـفُ زَاحِفُ
عَلَيْهِـمْ : لَقَـدْ وُفِّقْتُـمُ بِمُجِيـبِ
وَأَسْـلَسَـتِ الـرِيْحُ القِيَـادَ كَـأنهَا
نَسِـيمٌ هَفَـا مِـنْ شَمْـأَلٍ وَجَنُـوبِ
وَبَـادَهَ لُطْفُ اللـهِ مِـنْ يُمْـنِ أَحْمَـدٍ
بِبُـرْدٍ على عُـرْيِ الـرَجَـاءِ - قَشِيبِ

* * *

وَأَقْعَـدَنِـي عَنْـكَ الضَّـنى فَبَعَثْتُهـا
شَـوارِدَ شِعْـرٍ لَـمْ تُـرَعْ بِضَـرِيـبِ
أَقَمْـتُ وآمـالـي إلَيْـكَ مُجِـدَّةٌ
تَلُـفُّ شُـروقـا مُعْتِمـاً بِغُـرُوبِ
وَتُـرْشِـدُهـا أَطْيَـابُ قَبْـرِكَ فـي الدُجَى
فَتَعْصِـمُهـا مِـنْ حَيْـرَةٍ وَنُكُـوبِ
وَعِنْـدَ أَبـيْ الـزهـراءِ حَطَّـتْ رِحالَهـا
بِسَـاحِ جَـوَادٍ لِلْثَنَـاءِ كَسُـوبِ

* * *

جَلَـوْتُ علـى وادي العقيـقِ فـريدتـي
فَفَـازَ حَسِيـبٌ مَنْهُمـا بِحَسِيـبِ
تَتِيـهُ حَضَـارَاتُ الشُـعـوبِ بشـاعـرٍ
وَتَـكْمُـلُ أَسَـبـابُ العُـلى بِـأَدِيـبِ

* * *

ابتهالات

مهداة الى قبور حبيبه في بغداد ودمشق وحلب وحمص واللاذقية .

لا الغُوطَتـانِ ولا الشَـبـابُ أدْعُـو هَوايَ فَلا أُجَابُ
أيْنَ الشَـآمُ مِـنَ البُحَيْـرَةِ والمَـآذِنُ والقِبَابُ
وَقُبـورُ إخْـواني وَمَـا أبْقَـى مِنَ السَيْفِ الضِـرابُ
الصـامِتَـاتُ وللـطُيـورِ عَلى مَشـارِفِهـا اصْطِخَـابُ
الغـافِيـاتُ فَلَـمْ تَرُعْ مِنْهـا الـزَمـاجِـرُ والوِثَـابُ
أشْـتـاقُ أحْضُـنُهَـا وألْثِمُهَـا وللـدَمْـعِ انْسِكابُ
تَحْنـو الـدمـوعُ على القُبُـورِ فَتُـورِقُ الصُـمُّ الصِلابُ
وَلَهَـا إلَيْنَـا لَهْفَـةٌ وَلِـطُـولِ غُرْبَتِنَـا انْتِحَـابُ
يـا شَامُ : يا لِدَةَ الخُلـودِ وَضَـمَّ مَجْـدَكُما انْتِسَـابُ
مَنْ لِي بِنَـزْرٍ مِنْ تَرَاكِ وَقَـدْ أَلَـحَّ بِـيَ اغْتِـرَابُ
فَأَشُـمُّـهُ وكـأَنَّـهُ لَعَـسُ النَـواهِـدِ والمَـلاَبُ
وَأَضُـمُّـهُ فَتَـرى الجَـواهِـرُ كَيْـفَ يُكْتَنَـزُ التُـرَابُ
هَـذا الاديـمُ شَمـائِـلٌ غُـرٌّ وأحْـلامٌ عِـذابُ
وَأُمُـومَـةٌ وطُـفـولَـةٌ وَرُؤىً كَما عَبَـرَ الشِهَـابُ
وَتَحِيَّـةٌ مِسْـكِيَّـةٌ مِنْ سَالِفِيـنَ هَـوَوْا وَغابُوا
وَمِـنَ الأُبُـوَّةِ والجُـدودِ لأهْـلِ وُدِّهِـمُ خِطَـابُ
هَذا الاديـمُ أبِـي وأُمِّـي والبِـدايَـةُ والمَـآبُ

وَوَسائِدي وَقَلائِدي وَدُمَى الطُفولَةِ والسِخَابُ[1]
وَدَدٌ يُبَاعُ لَهُ الوَقارُ وَلا نَدامَةَ والصَوابُ
أَغْلى عَلَيَّ مِنَ النُجومِ ولا أُلامُ ولا أُعَابُ
الرُوحُ مِنْ غَيْبِ السَمَاءِ وَمِنْكِ قَدْ نُسِجَ الإهَابُ
أَشْتَاقُ شَمْسَكِ والضُحَى أَنَا والبُحَيْرَةُ والضَبَابُ
وَمُضَفَّراتٌ بالثُلوجِ كأَنَّما نَصَلَ الخِضَابُ
تَعْوِي الرِياحُ فَما القَساوِرُ في الفَلاةِ وما الذِئَابُ
والثَلْجُ جُنَّ فَلَمْ تَبِنْ سُبُلٌ وَلَمْ تُعْرَفْ شِعَابُ
أَخْفَى المَعا لِمَ لا السُفوحُ هِيَ السُفوحُ ولا الهِضَابُ
يا شَمْسُ غِبْتِ فَكَيْفَ تَمَّ - ولا طُلُوعَ لَكِ - الغِيَابُ
إنْ كُنْتِ مُسْلِمَةَ الهَوى فَتَأَلَّقِي رُفِعَ الحِجَابُ
مَلَّ السَحابُ مِنَ السَماءِ وَقَرَّ في الأَرْضِ السَحابُ
وكأَنَّ مِلْءَ الأَرْضِ مِلْءَ الأُفْقِ آلِهَةٌ غِضَابُ
حُسْنٌ يُهَابُ وما سَمَا حُسْنٌ يُحَبُّ ولا يُهَابُ

* * *

دَوْحَ البُحَيْرَةِ أَيْنَ سامِرُكَ المُعَطَّرُ والشَرَابُ
والرَاقِصُونَ وَنَوْا فَحِينَ دَعاهُمُ النَغَمُ، اسْتَجَابُوا
والقَاطِفُونَ شِفَاهُهُمْ كُورودِهِمْ حُمْرٌ رِطَابُ
ثَغْرٌ على ثَغْرٍ. تَسَرَّبَ فِيه، فاخْتَلَطَ الرِضَابُ
قُبَلٌ، أَغارِيدُ الشِفاهِ فَتُسْتَعادُ وَتُسْتَطَابُ

---

١) قلادة ليس فيها لؤلؤ ولا جوهر

وَتَـكـادُ تُقْـطَـفُ كـالـريَاحيـنَ المَجـانَـةُ والدُعَـابُ
أهِـيَ العُقُـودُ عَلى الـرِقـابِ بـل المَعـاصِـمُ والرِقَـابُ
بَيْنِـي وبَيْـنَ الـدَوْحِ فـي أحْـزَانِـهِ النَسَـبُ القُـرابُ
مِنْ كُـلِّ مُوحِشَـةٍ فَـأيْـنَ الـطِـيْـبُ والـوَهَـجُ الـمُذَابُ
وَغَـداً يَعُـودُ لَكَ الشَـبـابُ وَلَـنْ يَعُـودَ لـيَ الشَبابُ
أَلـدَّهْـرُ مِلْـكُ يَمِينِـهِ والشَمْسُ مِـنْ يُسْـراهُ قَابُ
طَابَـتْ سُـلافَتُـهُ تُـدارُ على سُكَـارَاهـا وطَابُـوا
لَهْفِـي عَلَيْـهِ فَطَـالَمَا أشْـقَـاهُ لَـوْمٌ واغْتِيـابُ
نَعِـمَ المَلائِـكُ بالشَـبـابِ فَمـا لِنِعْمَتِـهِ اسْتِلابُ
وَيَـزُورُنـا لَمَـعُ البُـروقِ فما لِـلامِعِـهِ اصْطِـحَـابُ
والعُمْـرُ أيَّـامٌ قَـدِ اخْتُصِـرَتْ وآمَـالٌ رِحَـابُ
لَيْـتَ المَـلائِـكَ يُشْـفِـقُـونَ علـى الأُلـى عَبَثُـوا وخَابُـوا
قَـدَرٌ تَعجَّـلَ أن نُعَـاقَـبَ مُـؤْمِنِيـنَ وأنْ يُثـابُـوا
عُـدْ يـا شَبَـابُ ولـن أُطـامِـنَ مِنْ جِمـاحِـكَ يـا شَبَـابُ

* * *

فِـي غُـرْبَـةٍ أنَـا والإبَـاءُ المُـرُّ والأَدَبُ اللُبَـابُ
كالسَـيْـفِ حَلَّـتْـهُ الفُتُـوحُ وَرُبَّمَـا بَلِـيَ القِـرَابُ
طَـوْدٌ أشَـمُّ فَكَيْـفَ تَرْشُـقُنِـي السِـهـامُ ولا أُصَـابُ
يَخْـفَـى البُغَـاثُ فَـلا تُلِـمُّ بِهِ ولا يَخْفَـى العُقَـابُ
الـكِبْـرُ عِنْـدي للعَـظِيـمِ اذا تَكَـبَّـرَ لا العِتَـابُ
عِنْـدِي لَهُ زُهْـدٌ يُـدِلُّ على الـكَـواكِـبِ واجْتِنَـابُ

يَـزْهُـو الـكَـرِيمُ وَقَلْبُـهُ قِطَـعُ
أَغْلَى الْمُـرُوَّةِ شِيمَـةٌ طُبِعَـتْ وأَرْخَـصُهـا اكْتِسـاب

* * *

أَنَـا مـا عَتَبْـتُ على الصِحـابِ فليس في الـدُنيـا صِحَابُ
خُـرْسٌ ولـكْـنْ قَـدْ تَفَاصَـحَـتِ الخَـواتِـمُ والثِيـابْ
عَقِمَـتْ مُـروءَتُهُـم وَنَطْـمَـعُ أنْ يُدَغْـدِغَهـا احْتِلابُ
وَأَعِـفُّ عَـنْ سَبِّ اللئيـمِ وَرُبَّمَـا نَبُـلَ السِبَابُ
حَيَّـا فَبِـشْـرُ سَلامِـهِ نَزْرٌ وَبَسْـمَتُـهُ اغْتِصَـابُ
يـا مَنْ يَـمُـنُّ بِـوُدِّهِ والشَـهْـدُ. حِـينَ يُمَـنُّ ـ صَـابْ
أَنَـا كالْمُسـافِـرِ لاحَ لـي أَيْـكٌ وأَغْـرَتْنِـي قِبَـابُ
وَتَفَتَّحَـتْ حَوْلـي الـرِيـاضُ الخُضْـرُ واصْطَـفَـقَ العُبَـابُ
وَوَثِقْـتُ أَنَّ النَهْـرَ مِلْـكُ يَدِي فَفَـاجَـأَنِـي السَـرَابُ

* * *

أَنَـا لا أُرَجِّـي غَيْـرَ جَبَّـارِ السَـمـاءِ وَلا أَهَـابُ
بَيْنِـي وَبَيْـنَ اللـهِ مِنْ ثِقَتِـي بِلُـطْـفِ اللـهِ بَابُ
أَبَـداً أَلـوذُ بِهِ وَتَعْـرِفُنِـي الأَرائِـكُ والـرِحَـابُ
لِـي عِنْـدَهُ مِنْ أَدْمُعِـي كَنْـزٌ تَضِيـقُ بِـهِ العِيَـابُ

* * *

يا رَبِّ : بَـابُـكَ لا يَـرُدُّ الـلائِـذِيـنَ بِـهِ حِجَـابُ

مِفْتَـاحُـهُ بِيـدِي يَقِيـنٌ لا يُـلِـمُّ بِـهِ ارْتِيَـابُ
وَمَحَبَّـةٌ لَـكَ لا تُـكَدِّرُ بالـرِيَـاءِ ولا تُشَـابُ
وَعِبَـادَةٌ لا الحَشْـرُ أمْـلاَهَـا عَـلَيَّ ولا الحِسَـابُ
واذا سَأَلْـتَ عـنِ الـذُنُـوبِ فَـإنَّ أدْمُعِـيَ الجَـوَابُ
هِـيَ فـي يَمِينـي حِـينَ أَبْسُـطُهَـا لِرَحْمَتِـكَ الكِتَـابُ
إنّـي لَأَغبِـطُ عاكِفِيـنَ على الـذُنـوبِ وما أَنَابُـوا
لـوْ لَـمْ يَكُـونـوا واثِقيـنَ بِعَفْـوِكَ الهَـانِـي لَتـابُـوا
مِنْهُـمْ غَـداً لِكُنـوزِ رَحْمَتِـكَ اخْتِـطَـافٌ وانْتِهَـابُ
وَلَـهُـمْ غَـداً بِيَقِينِهِـمْ مِـنْ فَـيءِ سِـدْرَتِـكَ اقْتِـرابُ
وَسَـقَيْـتُ جَنَّتَكَ الدمـوعَ فَـرَوَّتِ النُـطَـفُ العِـذَابُ
وسَـكَبْـتُ فـي نِيـرانِـكَ العَبَـراتِ فابْتَـرَدَ العَـذَابُ
تَنْهَـلُّ في عَـدْنٍ فَنَـوَّرَ كَوْكَـبٌ وَنَمَـتْ كَعَابُ
قَـرَّبْتُهـا زُلْفَـى هَـواكَ فـلا الثَـوابُ ولا العِقَـابُ
أَنْـتَ المُـرَجَّـى لا تُنَـاحُ بِغَيْـرِ سَاحَتِـكَ الرِكَـابُ
الأُفْـقُ كَـأْسُـكَ والنُجـومُ الـطـافِيَـاتُ بِـهِ حَبَـابُ
أنـا مِـنْ بِحـارِكَ قَطْـرَةٌ مِـمَّـا تَـحَمَّلَـهُ الرَبَـابُ
أَلْـقَـى بِهـا بَعْـدَ السِـقَـارِ فَضَـمَّهـا قَفْـرٌ يَبَـابُ
أَلْبَـحْـرُ غَايَتُهـا فَلا وادٍ يَـصُـدُّ ولا عُقَـابُ
يـا دَمْعَـةَ المُـزْنِ اغتَـرَبْـتِ وَشَـطَّ أَهْلُـكِ والجَنَـابُ
حُثِّـي خُطـاكِ فلِـلْـفُـروعِ إلـى أُرومَتِهـا انْجِـذَابُ
حُثِّـي خُطـاكِ فَشـاهِـقٌ يُـرْقَـى وَمُـوحِشَـةٌ تُجَـابُ

أَلْبَحْرُ مَعْدِنُكِ الأَصِيلُ وَشَوْق رَوْحِكِ والحُبَابُ
وَغداً لِلُجَّتِهِ وإنْ بَعُدَتْ يَتِمُّ لَكِ انْسِيابُ

* * *

أَنَا لا أُطِيلُ إذَا ابْتَهَلْتُ وقد تَحَدَّتْنِي الصِعَابُ
لا أَشْتَكِي وَبِمُهْجَتِي ظُفُرٌ يُمَزِّقُها وَنَابُ
مَسَحَ الحَيَاءُ على الدُموعِ وأَكْرَمَ الشَكْوى اقْتِضَابُ
تَكْفِي بِبَابِكَ وَقْفَةٌ وأَسىً تَجَمَّلَ واكْتِئَابُ

* * *

يا شَامُ عِطْرُ سَرِيرَتِي حُبٌّ لِجَمْرَتِهِ التِهَابُ
أَنْتِ اللُبَانَةُ في الجَوانِحِ لا النَوارُ ولا الرَبابُ
لَكِ مُهْجَتِي وَقَبُولُها مِنْكِ الهَدِيَّةُ والثَوَابُ
والنُورُ في عَيْنِي وَلا مَنٌّ عَلَيْكِ وَلا كِذَابُ
أَنَا مَنْ عَرَفْتِ: تَجَلُّدٌ زَحَمَ النَوائِبَ واحْتِسَابُ
وَلَئِنْ عَثَرْتُ فَرُبَّما عَثَرَتْ مُجَلِّيَةٌ عِرَابُ
يَعْيَا بِحَقِّك مَنْ يُسَوِّفُهُ ولا يَعْيَا الطِلابُ
غَالَبْتُ أَشْواقِي إلَيْكِ وَيُضْرِمُ الشَوْقَ الغِلابُ
وَوَدِدْتُ لَوْ عَمَرَتْ رُباكِ وأَلْفُ عامِرَةٍ خَرَابُ
أَنا طَيْرُكِ الشادِي وللأَنْغامِ مِنْ كَبِدِي انْسِرابُ
سُكِبَتْ أَغارِيدي وللأَمْواجِ زَأْرٌ واحتِرابُ
فَصَغَتْ لِتَسْمَعَها الرِياحُ وَقَرَّ في المَوْجِ اضْطِرابُ

أَنَـا والـرَبِيعُ مُشَـرَّدَانِ وللشَـذَا مَعَنَـا ذَهَـابُ
لا الأَيْـكُ بَعْـدَ غِيابِنَـا غَرِدُ الـطُيـوبِ ولا الرَبَابُ
والنُـورُ يَسْـأَلُ والخَمـائِـلُ والجَمَـالُ مَتَـى الإيَابُ ؟

* * *

جنيف ٢٢/شباط ١٩٦٤

أني لاشمت بالجبار

يـا سَـامِـرَ الحَـيِّ هَـلْ تَعْنِيـكَ شَكْـوَانَـا
رَقَّ الحَـدِيـدُ وَمـا رَقُّـوا لِبَـلْوانـا
خَـلِّ العِتَـابَ دُمـوعَـاً لاَ غَنَـاءَ بِهَـا
وعَـاتِـبِ القَـوْمَ أشْـلاَءً ونِيـرانَـا
آمَنْـتُ بالحِقْـدِ يُذْكِـي مِـنْ عَـزَائِمِنَـا
وأبْعَـدَ اللَّـهُ إشْفَـاقَـاً وَتَحْنـانَـا
وَيْـلَ الشُـعـوبِ التـي لَـمْ تَسْـقِ مِـنْ دَمِهَـا
ثـاراتِهـا الحُمْـرَ أحْقَـاداً وأضْغَـانَـا
تَرَنَّـحَ السَـوْطُ فِـي يُمْنَـى مُعَـذِّبِهـا
رَيَّـانَ مِـنْ دَمِهَـا المَسْـفُـوحِ سَكْـرَانَـا
تُغْضِـي عَلـى الـذُلِّ غُفْـرانَـاً لِظَـالِمِهَـا
تَـأَنَّـقَ الـذُلُّ حَتَّـى صَـارَ غُفْـرانَـا
ثَـاراتُ يَعْـرُبَ ظَمْـأى فِـي مَـراقِـدِهَـا
تَجَـاوَزَتْهَـا سُفَـاةُ الحَـيِّ نِسْيـانَـا
أَلاَ دَمٌ يَتَنَـزَّى فِـي سُـلاَفَتِهَـا
أَسـتَغْفِـرُ الشَـأْزَ بَـلْ جَـفَّـتْ حُمَـيَّـانَـا
لاَ خَـالِـدُ الفَتْـحِ يَغْـزُو الـرُومَ مُنْتَصِـراً
وَلاَ المُثَنَّـى عَلـى رَايَـاتِ شَيْبـانَـا

* * *

أمَّـا الشَـآمُ فَلَـمْ تُبْـقِ الخُـطُـوبُ بِهَـا
رَوْحَـاً أَحَـبَّ مِـنَ النُعْمَى وَرَيْحَـانَـا
أَلَـمَّ واللَّيْـلُ قَدْ أَرْخَـى ذَوائِبَـهُ
طَيْـفٌ مِـنَ الشَـامِ حَيَّـانَـا فَأَحْيَـانَـا

حَنَـا عَلَيْنَـا ظِمَـاءً فِـي مَنَـاهِلِنَـا
فَـأَتـرعَ الـكَأْسَ بالـذِكْـرَى وعَـاطَـانَـا
تُنَضِّـرُ الـوَرْدَ والـرَيْحَـانَ أَدْمُعُنَـا
وَتَسْـكُبُ العِـطْـرَ والصَـهْبَـاءَ نَجْـوانَـا

السَـامِـرُ الحُـلْـوُ قَـدْ مَـرَّ الـزَمَـانُ بِـهِ
فَمَـزَّقَ الشَـمْـلَ سُـمَّـاراً وَنُـدْمَـانَا
قَـدْ هَـانَ مِـنْ عَهْـدِهَـا مَـا كُنْـتُ أَحْسَـبُهُ
هَـوى الأَحِبَّـةِ فِي بَغْـدادَ لا هَانَـا

فَمَـنْ رَأى بِنْـتَ مَـرْوانَ انْحَنَـتْ تَعَبَـاً
مِـنَ السَـلاسِـلِ يَرْحَـمْ بِنْـتَ مَـرْوَانَـا
أَحْنُـو عَلى جُـرْحِهَـا الـدَامِـي وأَمْسَحُـهُ
عِـطْـراً تَطِيـبُ بِهِ الـدُنْيـا وإِيمَـانَـا

أَزْكَـى مِـنَ الـطِيبِ رَيْحَـانـا وغَالِيَـةً
مـا سَـالَ مِـنْ دَمِ قَتْـلاَنَـا وَجَـرْحَانَـا
هَـلْ فِـي الشَـآمِ وَهَـلْ فِـي القُـدْسِ وَالِـدَةٌ
لا تَشْتَـكِـي الثُكْـل إِعْـوَالاً وإِرنـانـا

تِلْكَ القُبُورْ فَلَوْ أَنِّي أُلِمُّ بِهَا
لَمْ تَعْدُ عَيْنَايَ أَحْبَابَاً وَإِخْوَانَا
يُعْطِي الشَهِيدُ فَلاَ واللَّهِ ما شَهِدَتْ
عَيْنِي كإِحْسَانِهِ فِي القَوْمِ إِحْسَانَا
وَغَايَةُ الجُودِ أَنْ يَسْقِي الثَرى دَمَهُ
عِنْدَ الكِفَاحِ وَيَلقَى اللّهَ ظَمْآنَا
والحَقُّ والسَيْفُ مِنْ طَبْعٍ وَمِنْ نَسَبٍ
كِلاَهُمَا يَتَلَقَّى الخَطْبَ عُرْيَانَا

***

قُلْ لِلأُلى اسْتَعْبَدُوا الدُنْيَا لِسَيْفِهِمُ
مَنْ قَسَّمَ النَاسَ أَحْرارا وَعُبْدانَا
إِنِّي لأَشْمَتُ بالجَبَّارِ يَصْرَعُهُ
طَاغٍ وَيُرْهِقُهُ ظُلْمَا وَطُغْيَانَا
لَعَلَّهُ تَبْعَثُ الأَحْزانُ رَحْمَتَهُ
فَيُصْبِحُ الوَحْشُ فِي بُرْدَيْهِ إِنْسَانَا
والحُزْنُ فِي النَفْسِ نَبْعٌ لاَ يُمَرُّ بِهِ
صَادٍ مِنَ النَفْسِ إِلاَّ عَادَ رَيَّانَا
والخَيْرُ فِي الكَوْنِ لَوْ عَرَّيْتَ جَوْهَرَهُ
رَأَيْتَهُ أَدْمُعَاً حَرَّى وأَحْزَانَا

---

١) سقوط باريس في يد الالمان في الحرب الاخيرة .

سَمِعْتُ بَارِيسَ تَشْكُو زَهْوَ فَاتِحِهَا
هَلاَّ تَذَكَّرْتِ يا بارِيسُ شَكْوانَا[1]

والخَيْلُ فِي المَسْجِدِ المَحْزُونِ جائِلَةً
عَلى المُصَلِّينَ أَشْيَاخاً وفِتْيَانَا
والآمِنِينَ أَفَاقُوا والقُصُورُ لَظًى
تَهْوِي بِها النَارُ بُنْيَاناً فَبُنْيَانَا
رَمَى بِهَا الظَالِمُ الطَاغِي[1] مُجَلْجِلَةً
كالعارِضِ الجَوْنِ تَهْداراً وَتَهْتَانَا
أَفْدِي المُخَدَّرَةَ الحَسْنَاءَ رَوَّعَهَا
مِنَ الكَرى قَدَرٌ يَشْتَدُّ عَجْلانَا
تَدورُ في القَصرِ عَجْلى وهْيَ باكِيَةٌ
وتَسْحَبُ الطِيبَ اذيالاً وأَرْدَانَا
تُجِيلُ والنَوْمُ ظِلٌّ في محَاجِرِها
طَرْفاً تُهَدْهِدُهُ الاحلامُ وسْنَانَا
فَلا تَرى غَيْرَ أَنْقاضٍ مُبَعْثَرَةٍ
هَوَيْنَ فَناً وتاريخاً وأَزْمَانَا
تِلْكَ الفَضائِحُ قد سَمَّيْتِها ظَفَراً
هَلاَّ تكَافأَ يَوْمَ الرَوْعِ سَيْفَانَا
نُجابِهُ الظُلْمَ سَكْرانَ الظُبى أَشِراً
ولا سِلاحَ لنا الا سَجايانَا

---

١) الجنرال سارای یوم ضرب دمشق بالمدافع .

إذا انْفَجَـرْتِ مِـنَ العُـدْوانِ بَاكِيـةً
لـطـالـمـا سُمْتِنـا بَغْيـاً وعُـدْوانـا
عِشـرينَ عـامـاً شَـرِبْنـا الـكَـأْسَ مُتْـرَعَـةً
مِـنَ الاذَى فَتَمَلَّـيْ صِـرْفَـهـا الآنـا
مـا للطـواغِيـت فـي بـاريـسَ قَـدْ مُسِخُـوا
علـى الأرائِـكِ خُـدَّامـاً وأعْـوانَـا
اللـهُ اكبـرُ هـذا الـكـونُ أجْمَعُـهُ
لِلَّـهِ لا لَـكِ تَـدْبِيـراً وسُلْطـانـا
ضَغِينـةٌ تَتَنـزَّى فـي جَـوانِحِنـا
مـا كـان أغنـاكُمُ عنهـا وأغْنـانـا

* * *

تَفْـدِي الشُـمـوسُ بِضَـاحٍ مـن مَشـارِقِهـا
هِـلالَ شعبـانَ إذْ حَـيَّا بِشَعْبـانـا[1]
دَوَّتْ بِـهِ الصَـرْخَـةُ الـزهـراءُ فانتفضـتْ
رِمـالُ مكـةَ أنْجـاداً وكُثْبـانَـا
وسَـالَ أبْـطَحُهـا بالخَيْـلِ آبِيـةً
علـى الشَـكيـمِ تُـريـدُ الأُفْـقَ مَيْـدانَـا
وبـالـكتـائِـبِ مـن فِهْـرٍ مُقَنَّعَـةً
تُضـاحِـكُ الشَـمْـسَ هِنْـدِيًّا ومُـرَّانَـا

---

١) ـ شعبان عيد الثورة العربية التي اضرمها الشريف الحسين بن علي

تَمْلَمَلَ الفاتِحونَ الصيدُ وازْدَلَفُوا
إلى السيوفِ زُرَافاتٍ وَوُحْدانَا
ولِلْجِيادِ صَهيلٌ في شَكائِمِها
تكادُ تَشْرَبُهُ الصحراءُ أَلحانَا
ألسابِقاتُ وما أَرْخَوا أَعِنَّتَهَا
والحامِلاتُ المَنايا الحُمْرَ فُرْسانا
سِفْرٌ مِن المَجْدِ راحَ الدهْرُ يَكْتُبُهُ
ولا يَضِيقُ بِهِ جَهْراً وإمْعانَا
قَرأْتُ فيه الملوكَ الصِيدَ حاشيةً
والهاشِمِيّينَ طُغْراءً وعُنْوانَا
شَدَّ الحُسَيْنُ على الطُغْيانِ مُقْتَحِماً
فَزَلْزَلَ اللهُ للطُغْيانِ بُنْيانَا
نُورُ النُبوَّةِ في مَيْمُونِ غُرَّتِهِ
تكادُ تَرْشُفُهُ الاجفانُ فُرْقانا
لاثَ العِمامَةَ للجُلَّى ولَسْتُ أرى
الا العَمائِمَ في الإسْلامِ تِيجانَا
يا صاحِبَ النَصرِ في الهَيْجاء كيف غدا
نَصْرُ المعارِكِ عند السِلْمِ خِذْلانَا[1]
تَرى السياسَةَ لوناً واحِداً ويَرى
لها حليفُكَ اشكالاً وألْوانَا

---

١) ـ يشير الشاعر بهذه الابيات الثلاثة لنكث الانكليز عهودهم للملك الهاشمي بالحرية والوحدة بعد نهاية الحرب .

لا تَسْـأَلِ القَـوْمَ أَيْمـانـاً مُـزَوَّقـةً
فَقَـدْ عَبِينَـا بِهِـمْ عَهْـداً وأيمـانـا
أَكْـرَمْـتُ مَجْـدَكَ عـن عَتْـبٍ هَمَمْـتُ بِهِ
لـو شِئْـتُ أَوْسَـعْتُـهُ جَـهْـراً وتبيـانَـا[1]

***

مـا للسَـفينَـةِ لـم تَـرْفَـعْ مَـراسِيَهـا
إِلَـمْ تُهَـيِّئْ لهـا الاقـدارُ رُبَّـانَا
شُـقِّـي العَـواصِـفَ والـظَّلْمـاءَ جاريـةً
بـاسْـمِ الجَـزيـرةِ مَجْـرانـا ومُـرْسـانَـا
ضُمِّـي الاعـاريبَ مِنْ بَدْوٍ ومِـنْ حَضَرٍ
إنـي لأَلْـمَـحُ خَلْـفَ الغَيْـمِ طُـوفـانَا
يـا مَـنْ يُـدِلُّ علينـا في كَتائِبِهِ
نَظـارِ تَطْلَـعْ علـى الـدنيـا سرَايانـا[2]

* * *

(١٩٤١)

---

١)يقول الشاعر:إنني اكرم مجدك فلا اعتب عليك لانك خدعت بوعودهم ولولا اكرامي لمجدك لاستطعت ان اوسع هذا العتب جهرا وتبيانا .

٢) يتنبأ الشاعر هنا بالوحدة وبقيام جيش عربي ولقد قامت هذه الجيوش ولكنها لم تستطع ان تحرر فلسطين .

دمعة على الشام

نظم الشاعر هذه القصيدة وهو لاجيء في بغداد .

حَـيِّ الـرئيـسَ[1] إذَا نَـزَلْـتَ بِساحـهِ
رُحَبـاً تَهَـلَّلُ للـوُفـودِ فِساحَـا
واقْـرَأْ لَـهُ شِعْـري تُـرَنِّـحْ عِطْفَـهُ
غُـرَرُ البيـانِ وَجَـوِّدِ الأَمْداحَـا
واهْتِـفْ إذا هَـدأَ النـدِيُّ ولـم تَجِـدْ
إلاَّ الأَحِبَّـةَ فيـه والنُصَّاحَـا
يا شـارِبَ المـاءِ القَـراحِ : بِجِلِّـقٍ
لـم يشـربـوا الا الـدمـوعَ قَـراحَا
عُرْسُ الشـآمِ طَغـى عَلَيْـهِ ظالِـمٌ
فَـطـوى البِسـاطَ وحـطَّـمَ الأَقْداحَـا
نَكَـثَ العُهُـودَ وراح يَحْمِـلُ غَـدْرَةً
بَلْقَـاءَ فاجِـرَةَ اليميـن وَقَاحَـا

* * *

قُـلْ للـرئيـسِ تَحِيَّـةً مِنْ شاعـرٍ
لـم يَقْـوَ بالبَلْـوى فَضَـجَّ وَباحَـا

١) المرحوم رشيد عالي الكيلاني وكان رئيسا لوزراء العراق يومئذ .

جُلِيَتْ[1] لَهُ الدُنيا وزُوِّقَ حُسْنُهـا
فَـزَوى بِحُـرِّ جَبِينِـه وأشَـاحَا
كَتَـم الأُبـاةُ دُمـوعَهُـمْ وأذَعْتُهـا
حُـرَقـاً مُجَلْجِلَـةَ البَيـانِ فِصاحَـا
ولأَهْتِفَـنَّ بِهـا فَأُسْـمِـع فَيْصَـلاً
وأُحَـرِّكَ المَنْصـورَ والسَفَّاحَـا
وَأَعِـزُّ مِـنْ عَبْـدِ الإلَـهِ بِغَضْبَـةٍ
لِحِمـى أُمَيَّـةَ بالشَـآمِ مُباحَـا

* * *

أَمَّـا لِداتُـكَ بالشَـآمِ فإنَّهُـمْ
حَمَلـوا الإبَـاءَ سَلاسِـلاً وجِراحَـا
نَزَلُـوا السُـجُـونَ فَعَـطَّـرُوا ظُلُماتِهـا
أنَفـاً وعِـزّاً كالضُـحَـى وَجِمَاحـا
يا نازِليـنَ علـى السُـجُـونِ فأَصْبَحَـتْ
بِهِـمُ أَعَـزَّ حِمـىً وأَكْـرَمَ سَاحَـا
اللَّـهُ يَعْلَـمُ ما ذَكَـرْتُ عُهودَكُـمْ
الا انْفَجَـرْتُ تَفَجُّعـاً ونُواحَـا
وإذَا ذَكَرْتُـكُـمُ شَـرِبْـتُ مَدامِعِـي
فَـكأَنَّنـي ثَمِـلٌ أَعُـبُّ الرَاحَـا

---

١) يشير الشاعر بهذا البيت الى ما تعرض له من اغراء فاق كل الحدود ليوافق على قرار فصل محافظة اللاذقيه عن سورية فرفض ولجأ الى العراق سنة ١٩٣٩

إنِّـي لَيَحْمِلُنـي الخَيـالُ إلَيْكُـمُ
فَـأجُـوبُ فِيـهِ سَباسِـبـاً وبِطَاحَـا
وإخَـالُ أنَّ البَـدْرَ يَحْمِـلُ مِنْكُـمُ
نَبـأً إلَـيَّ اذا أطَـلَّ ولاَحَـا
وَأرَاكُـمُ وأكَـادُ أسْـمَـعُ ضَجَّـةً
لِلـدَّيْدَبَـانِ وغُـدْوَةً وَرَواحَـا
حِسٌّ أُشـارِكُكُمْ بِـهِ آلاَمكُـمْ
وأكَـادُ أحْمِـلُ عَنْـكُـمُ الأتْراحَـا
(١) شَيْـخُ العُـروبـةِ في القُيـودِ إبـاؤُهُ
يُخْفِـي السِـنيـنَ وعِبْئَهـا الفَضَّاحَـا
عَنِـفَ الـطغـاةُ به ويسـخرُ كِبْرُه
بـالشامتيـن طـلاقـةً ومِراحـا
حَمَـلَ القَضِيَّـةَ والسِـنيـنَ فَيالَـهُ
مِـنْ مَنْـكِـبٍ زَحَـم الـرَدى وأزاحَـا
وإذا ذَكَـرْتُ ابـا ريـاضٍ(٢) عادَنـي
شَـجَـنُ الغَـريـبِ طَغـى هَواهُ فَناحـا
الـذائـدُ الحَـامـي كأنَّ بَيانَـه
آيُ السَـمـاءِ تَنَـزَّلَـتْ أَلْواحَـا

* * *

١) المرحوم نبيه العظمه وقد كان معتقلا .
٢) المرحوم نجيب الريس وقد كان معتقلا .

يا راكِبَ الوَجْناءِ أَخْمَلَ عَهْدُها (١)
إبِلاً ظِماءً في الفلاةِ طِلاحَا
مَرَّت كَلامِعَةِ البُروقِ فَهَجَّنَتْ
غُرَرَ العِرابِ الشُقْرَ والأَوْضاحَا
لا تَعْدُ عِنْدَ اللاَّذِقِيَّةِ شاطِئاً
غَزِلاً كضاحِكَةِ الصِبا مِمْراحَا
نَدْيَانَ مِنْ أَشَرِ الصِبا وجُنُونِهِ
طَلْقَ الفُتونِ مجانَةً ومِزاحَا
باللهِ إنْ كَحَلَتْ جُفونُكَ مَوْجَهُ
ضُمَّ الشِراعَ وقَبِّلِ المَلاَّحَا
واسْرِقْ مِنَ الكَنْزِ المُقَدَّسِ مَغْرِباً
حُلْوَ الاصيلِ ومَشْرِقاً لَمَّاحَا
(٢) وانزِلْ على خَيْرِ الأُبُوَّةِ رَحْمَةً
تَسَعُ الحياةَ وعِفَّةً وصَلاَحَا
يَشْكو السَقامَ فإنْ هَتَفْتَ أَمامَهُ
باسْمِي تَهَلَّلَ وَجهُهُ وارتاحَا
وأَطِلْ حديثَكَ يَسْتَعِدْهُ تَعَلُّلاً
بالذِكْرِ لا لِتَزيدَهُ إيضاحَا

---

١) يراد بها هنا السيارة

٢) يشير الشاعر بهذا البيت الى المغفور له والده وقد فارقه وهو على فراش المرض الذي لم يشف منه حتى استأثر به رضوان الله

واذا الحَّ فللحنانِ عُذُوبةُ
في مقلتيهِ تحُبَّبُ الإلحاحا

(١) والْثِمْ أَحِبَّتِيَ الصِغارَ ورُفَّها (٢)
غُرَراً نَواعِمَ كالوُرودِ صِباحَا
واحْمِلْ لإخْوانِ الجِهادِ تحِيَّةً
كالروض رفَّ عَبَاهِراً وأقاحا
وإذَا نزَلْتَ بِبانِياسَ فَحَيِّها
عَنِّي وضُمَّ عَبيرَها الفَوَّاحَا
(٣) واسْكُبْ عَلى قَبْرٍ هُناكَ مُعَطَّرٍ
بالذِكْرَياتِ فُؤادَكَ المُلْتاحَا
وأنا الوفيُّ وإن نَزَحْتُ ورُبَّما
لَجَّ الحَنينُ فَأَتْلَفَ النُزَّاحَا
إنَّ الفِراخَ على نُعومَةِ ريشِها
رِيعَتْ فَفَارَقَ سِرْبُها الأَدْواحَا

* * *

(٤) فُتَّ العَدُوَّ بِهُجْتي وَتَرَكْتُهُمْ
حَنَقاً عليّ يُقَلِّبُونَ الراحَا

---

١) ترك الشاعر يومئذ اطفاله وهم كزغب القطا .
٢) رفها : ضمّها وعطف عليها
٣) قبر المرحوم فائز الياس وقد كان زميل الشاعر في النيابة وفي الكتلة الوطنية .
٤) هرب الشاعر قبل ساعات من مداهمة بيته لاعتقاله .

عَــزْمٌ فَجَــأْتُ بِـهِ العِـدى لَمْ أَسْتَشِرْ
نَجْمـاً عليـه ولا أَجَلْـتُ قِدَاحـا
مالِـي أُكافِـحُ بالبَيـانِ وإِنَّـهُ
جُهْـدُ المُقِـلِّ عَزِيمَـةً وكفاحَـا
وَمِـنَ الغَضَـاضَـةِ أَنَّنِـي أَرْضَـى بِـهِ
بَعْـدَ الـظِمـاءِ المُرْهَفَـاتِ سِلاحـا
فَلَئِـنْ سَلِمْـتُ لأُهْتِفَـنَّ بغَـارَةٍ
شَـعْـواءَ أُحْكِمُهـا ظُبـىً ورِماحَـا
ولأَشْـهَـدَنَّ بكـل فَجٍّ مَعْقِـلاً
للـظُلْـمِ زَعْـزَعَـهُ القَضـاءُ فَطاحَـا

* * *

(١) خَلّوا جَنـاحاً فـي العِـراق لِنَسْـرِهِ
وتخـوَّفُـوه فـي الشـآم جَنـاحَـا
وَلَـوَ انَّهُـمْ خَلَّـوا عِنـانَ جَناحِـهِ
لَغَـدا بـه بَيْـنَ النُجـومِ ورَاحَـا

* * *

أَمَّـا اللِـواءُ فلِلْعِـراقِ ورُبَّمَـا
زَحَـمَ الـكواكِبَ نجـدةً وطِماحَـا

---

١) وقد صدقت نبوءة الشاعر فرأى بعد سنوات قليلة معاقل الظلم الفرنسي تتداك واحدا بعد آخر وثكناتهم ينزل عنها لواء فرنسا ليرتفع العلم السوري . وقد كانت فرحة لا يستطيع ان يتصورها الا من عاشها .

آسى الجِراحَ الدامياتِ حَنانُهُ
وَهَفا وَرَقَّ طَلاقةً وسَماحَا

النازِلُون[1] على العِراقِ تفيَّأُوا
ظِلَّ العِراقِ مُعَطَّراً نَفَّاحَا

اللهُ أَطْلَعَ في مَخَائِلِ فَيْصَلٍ
عند الخُطوبِ الزَّاحِفاتِ صَباحا

(بغداد ١٩٤١)

١) لجأ الزعماء السوريون أو اكثرهم يومئذ الى العراق بعد ان تمكنوا من الهرب اليه عبر الصحراء وفي طليعتهم المغفور له سعد الله الجابري وجميل مردم بك ولطفي الحفار وعادل العظمه .

عيد الجلاء

أَلزغَارِيدَ فَقَدْ جُنَّ الإِبَاءْ
مَنْ صِفَاتِ اللهِ هَذِي الكِبْرِيَاءْ
بِأَبِي العَزْلاءُ في غَمْرتِها
آلَةُ الحَرْبِ جِراحٌ وَدِمَاءْ
بِنْتُ مَرْوانَ اصطفاها ربُّها
لا يشاءُ اللهُ إلاَّ ما تَشَاءْ
هي في غسانَ بأسٌ وَنَدىً
وَهْيَ في الإسلامِ فَتْحٌ وَبَلاءْ
جَمْرَةُ الحق فَسُبْحانَ الذي
صَاغَ هذَا الجَمْرَ من ظِلٍ وماءْ
الأديمُ السَّمْحُ عِطْرٌ ورؤىً
رُبَّما أغفَى عَلَيْهِ الأَنْبِيَاءْ
وعلى كلِ مكانٍ جِدَّةٌ
تأْسِرُ العَيْنَ ونُعْمَى وَرُواءْ
خَالَفَ المَشْهدُ فيها جارَه
فِلْداتُ الحُسْنِ شَتَّى غُرَباءْ
كُلُّ حُسْنٍ بِدْعَةٌ مُفْرَدَةٌ
لَيْسَ بَيْنَ الحُسْنِ والحُسْنِ إخَاءْ

تَنْـدُرُ الأشْـبـاهُ مِـمَّا اخْتَلَفَـتْ
صُـوَرُ الحُـسْـنِ وتَخْفَـى النُظَـرَاءْ
أَلـوُرودُ الحُمْـرُ ذِكْـرىَ وَهَـوىً
وَطُيـوفٌ مِـنْ جِـرَاحِ الشُهَـدَاءْ
نَفْحَـةُ الصُـبْـحِ على غُـوطَتِنـا
خَبَـرٌ عَنْهُـمْ وأَطْيَـابُ المَسـاءْ
حَمَلَـتْ زَغْـرَدَةَ العُـرْسِ لَكُـمْ
فـانْتَشَـى الأُفْـقُ ولَـم يَصْحُ الهَـواءْ
أيُهـا الـدُنيـا أرشُـفـي مـن كـأسِنَـا
إنَّ عِطْـرَ الشـامِ مِـنْ عِطْـرِ السَمـاءْ
شُـهَـدَاءُ الـحَـقِّ فـي جَنَّتِـهِـمْ
هَـزَّهُـمْ لِلْشَـامِ وَجْـدٌ وَوَفَـاءْ
تَضْـحَـكُ (الْـرَّبْـوَةُ) فـي أحـلامِهِـمْ
هَـلْ عَـنِ الرَّبْـوَةِ في عَدْنٍ غَنَاءْ
كُلَّمـا هَبَّتْ صَبـاً مِـنْ (دُمَّـرٍ)
رَنَّـحَ الجَنَّـةَ طِيـبٌ وَغِنَـاءْ
خُيَـلاءُ الحَـقِّ فـي عَـدْنٍ لَكُـمْ
يَغْـفِـرُ اللـهُ لِقَـوْمـي الخُيَـلاءْ
واعْـذِروا عَـدْنـاً علَـى غَيْـرَتِهـا
إنَّهـا والشَـامَ فـي الحُسْـنِ سَـواءْ

***

شُـهَـداءَ الـحَـقِّ هَـلْ يُسْكِـرُكُـمْ
فـي نَعِيـمِ اللـهِ شِـعْـرٌ وَغِنـاءْ
فَسَـلُـوا اللـهَ بِمَـا قَـدَّمْتُـمُ
يَكْشِـفِ اللـهُ عَـنِ السِـرِّ الغِطَـاءْ

وإذا الفِـردوسُ مَـجْلُـوٌّ عَلَـى
مَفْـرِقِ الشَـمْـسِ فَما فِيـه خَفَـاءْ
عَـرَبِـيٌّ[1] الـدَارِ والاهـلِ مَعـاً
والـرَحيـقِ المُشْـتَهـى والنُـدَمَـاءْ
حَمْحَمَـاتُ الخَيْـلِ فـي أفيـائِـهِ
وَقِـرَى الضَيْـفِ وتَـرْجِيعُ الحُـدَاءْ
عَمِـرَ الفِـرْدوس ظِـلاً وقِـرَىً
وَتَجَـلَّى للـوفـود الخُلَفَـاءْ
آلُ مـروانَ جَـلالٌ وَنَـدىً
وبنـو العبـاسِ هَـدْيٌ وَضِيَـاءْ
مُتَصَـافِيـنَ علـى نَعمـائِـهِ
لَيْـسَ فـي الجَـنَـةِ إلاَّ الأَصْفيـاءْ
سَكَـبَ اللـهُ على أَحْقـادِهِـمْ
مـن نَـدِيِّ الحُـبِ ما شَـاؤُوا وَشَـاءْ
وَعَلـى الـسُـدَّة قَحْطَـانِيَـةٌ
جُلِـيَ المُلْـكُ وقيـل : الشُعَـرَاء

---

١) يقول الشاعر:إن الجنة عربية الدار والسكان والشمائل والعادات .

وَتَغَنَّيتُ فَمَرَّتْ صُوَرُ
لَذَّةُ الأَحْلامِ مِنْ دُنيا الفَنَاءْ
كُلَّمَا سَلْسَلْتُ من أَلْحانِها
مَسَحُوا الدَمْعَ على فَضْلِ الرِدَاءْ

أَنْتِ مِيراثُ لنا مِنْ عُمَرٍ
يَسْأَلُ الدَيَّانُ عَنْهُ الوُرَثَاءْ

* * *

يا فَلَسْطِينُ هَوىً مُسْتَعِرُ
مِنْ رُبَى الشَامِ وَنَصْرٌ وَوَلاَءْ
وَتَحِيَّاتُ الرِضَى مِنْ دِجْلَةٍ
وَسَلاَمُ اللَّهِ مِنْ غَارِ حِرَاءْ
أَيْنَ مِنْ ثَأْرِكِ والثَأْرُ دَمٌ
خَالِدُ الفَتْحِ وَأَيْنَ الأُمَراءْ

(١) اليَهُودُ اسْتَأْسَدُوا فِيكِ فَمَنْ
جَرَّأَ الضَعْفَ وأَشْلَى الضُعَفَاءْ
(٢) هَانَ عَنْ شَكْوايَ عُبْدَانُ العَصَا
أَنَا أَشْكُو مِنْ عُهودِ الخُلَفَاءْ

---

١) هذه الابيات قبل قيام دولة اسرائيل فماذا نقول الآن ؟

٢) يريد بعبدان العصا اليهود وهو تعبير عربي عن الذل .

وَتَغَنَّيْتُ فَجُنِنْتُ طَرَباً
أَرْيِحِيَّاتٌ وَنُعْمَى وَحَيَاءْ
جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ أَنْتُمْ أَهْلُهَا
وَسِوَاكُمْ فِي حِمَاهَا غُرَبَاءْ

أَنَا أَشْعَارِيَ مِنْ أَحْسَابِكُمْ
غُرَرُ الأَحْسَابِ والشِعْرِ وِضَاءْ
هَفَتِ الحُوْرُ وأَلْقَتْ خُمْرَهَا
أَيْنَ رِضْوَانُ وَأَيْنَ الرُقَبَاءْ

كُلُّ حَوْرَاءَ عَلَى أَجْفَانِهَا
يَخْلُمُ السِحْرُ وَيَغْفُو الإِشْتِهَاءْ
تَمَّ صَفْوُ الدَّهْرِ لَوْلاَ مِحْنَةٌ
فِي فَلَسْطِينَ وَبَلْوَى وَشَقَاءْ

يَا رُبَى القُدْسِ وَمَا أَنْدَى الرُبَى
دَمُنَا فِيهَا رَبِيعٌ وَنَمَاءْ
هَذِهِ الأَطْيَافُ فِي جَنَّاتِهَا
أَرْيِحِيَّاتُ الجُدُودِ القُدَمَاءْ

هَمَسَ الفِرْدَوْسُ هَلْ مِنْ نَبَأٍ
عَنْ رُبَى الغُوطَةِ مَعْسُولِ الرَجَاءْ
وَنَعَمْ عِنْدِيَ بُشْرَى عَطَّرَتْ
بِالزَغَارِيدِ وُجُوهَ البُشَرَاءْ

إنْتَـزَعْنَـا الْمُلْـكَ مِـنْ غَـاصِبِـيـهِ
وَكَتَبْنَـا بالـدَمِ الغَمْـرِ الجَـلاَءْ
وَسَـقَـانَـا كَأْسَـهُ مُـتْـرَعَـةً
وَسَـقَيْنَـاهُ وَفِـي الـكَـأْسِ امْتِـلاَءْ
واقْتَحَمْنَـاهُ حَـدِيـداً وَلَظَـىً
وَجَـزَيْنَـاهُ اعْتِـدَاءً باعْتِـدَاءْ
سَكِـرَتْ مِمَّـا ارْتَـوَتْ مِـنْ دَمِـهِ
غُصَـصٌ حَـرَّى وَثَـاراتٌ ظِمَـاءْ
كُلَّمَـا جُـدِّلَ مِنَّـا بَطَـلٌ
زَغْـرَدَتْ فِـي زَحْمَةِ الهَـوْلِ النِسَـاءْ
الـظِبَـاءُ الأُمَـوِيَّـاتُ وَفِـي
خِـدْرِهَـا الـدُنْيَـا : حَمَـى اللَّـهُ الظِبَـاءْ
كَلَّمَـا نَادَيْـنَ فِتْيَـانَ الحِـمَـى
كَـبَّـرَ الفِتْيَـانُ وارْتَـدَّ النِـدَاءْ
نَـحْـنُ لِلْغُـوطَـةِ فِـي الجُـلَّى فِـدَىً
وَلِهَـذَا الـكُحْـلِ فـي العَيْـنِ فِـدَاءْ
سَقَـتِ الجَـرْحَـى فَلَـمْ يَظْمَـأْ فَتَـىً
رَشَـفَ الْـكَـوْثَـرَ مِـنْ هَـذا السِقَـاءْ
شُهَـدَاءَ الحَـقِّ لا أَبْكِيْـكُـمُ ...
جَـلَّـتِ الغُـوطَـةُ عِـنْ ضَعْـفِ الْبُكَـاءْ

جَـلَّ هَـذا الـدَمُ انْ يُـرْثَـى لَـــهُ
عَـــارُ سَفَّـاكِيـهِ أَوْلَـى بالرِثَـــاءْ
الـرُبَـى فِـي مَيْسَـلُـوْنَ اسْتَعْبَـــرَتْ
أَيْـنَ دَمْـعُ الحُـزْنِ مِـنْ دَمْـعِ الهَنَـــاءْ
أَقْبَـلَ الـدَّهْـرُ عَلَيْهَـا تَائِبـاً
وَعَفَـا يُـوسُـفُ[1] عَـنْ جَـوْرِ القَضَـــاءْ
يـا ظِبَـاءَ الأُمَـوِيِيـنَ اضْحَكِـــي
تَضْـحَـكِ الـدُنْيَـا وَيَغْمُـرْهَـا الصَفَـــاءْ
واغْمِـــزِي الأَنْجُـمَ هَـذِي أَعْيُـــنٌ
شَـأْنُهـا فِـي الـدَّهْـرِ لَـمْـحٌ واجْتِـــلاَءْ
أَعْيُـــنٌ حُبُّـكِ قَـــدْ سَـهَّـدَهَـــا
فـاغْمُـرِيهـا بالمُنَـى تَغْـفُ السَمَـاءْ
وَعَلَـى السُـدَّةِ والنَقْـعُ دُجَـــىً
أُمَـوِيُ الفَتْـحِ مَـرْمُـوقُ البَهَـــاءْ
مِـنْ عَلـيٍّ فِيـهِ طُهْـرٌ وَهُـــدَىً
وَمِـنَ الفَـارُوقِ بَـأْسٌ وَمَضَـــاءْ
كَيْـفَ أَنْسَـى يـا زَعِيمِـي[2] لَيْلَـــةً
عَصَـفَـتْ نيـرانُـهـا بالأَبْـرِيَـــاءْ
غُـوْطَـةُ الشَـامِ جَحِيـمٌ فَـائِـرٌ
والمَيَـادِيـنُ طِعَـــانٌ وَرِمَـــاءْ

---

١) الشهيد يوسف العظمة
٢) الزعيم شكري القوتلي .

مَـا شَـكَى الشَـاكُـونَ فِيهـا ظَمَـأً
أَكؤُسُ الحِقْـدِ رَوِيَّـاتٌ مِـلاَءْ
مَلَكَ الـطَـاغِي الثَنَـايَـا عُنْـوَةً
واسْـتَـحَـرَّ القَتْـلُ واشْـتَـدَّ الْبَـلاَءْ
وَتَجَـارى الأُمَـوِيُّـونَ إِلَـى
غَمْـرَةِ الـمَـوتِ وَفَـازَ السُعَـدَاءْ

***

جُنَّـتِ النَخْـوَةُ قَحْطَانِـيَّـةً
وَهْـيَ عَزْلاءُ وَجُـنَّ الأَقْوِيـاءْ

* * *

تَخْـرَسُ الانْبـاءُ مِـمَّا حَمَلَـتْ
فَهْـيَ هَمْـسٌ فـي شِفـاهِ السُفَـراءْ[1]

* * *

عُنْفُ بَارِيـسَ شَجَـانـي أَمْـرُهُ
بِـدْعَـةُ الأَقْـدارِ عُنْفُ الجُبَنَـاءْ
قَـدْ عَذَرْنَـاهُـمْ على غَدْرِهِـمُ
واسْتَـرَحْنـا واسْـتَـراحَ الطُلَقَـاءْ
سَهَّـلَ الغَـدْرَ علـى صاحِبِـهِ
أَنَّـهُ مِـنْ كُلَـفِ المَجْـدِ بَـراءْ

لَمْ يَنَلْ مِنْ عَزْمِكَ اليَأسُ وَلا
عَنَتُ الدَهْرِ ولا الداءُ العَيَاءْ
بُورِكَ الإيمانُ نُوراً وهُدىً
نِعْمَةُ اللهِ وسِرُّ العُظَمَاءْ
يَصْنَعُ الدُنْيَا ولا تَصْنَعُها
صُوَرُ العَقْلِ وألْوانُ الدَهَاءْ
كَتَبَ اللهُ لَكَ النَصْرَ بِهِ
فَعَلى الظُلاَّمِ والظُلْمِ العَفَاءْ
حَقُّ يَوْمِ الشامِ أنْ تَكْتُبَهُ
قُدْرَةُ اللهِ على وَجْهِ ذُكَاءْ
هَذِهِ الارضُ لِفُرْسانِكُمُ ...
ولِعِقْبانِكُمُ هَذا الفَضَاءْ
مُلْكُ مَرْوانَ لَكُمْ وَحْدَكُمُ
قَدْ جلا الإيمانُ كُلَّ الشُرَكَاءْ
ألغد الميمون في الدنيا لكم
فاقتحم يا جيشُ واخفق يا لواء

١٩٤٦ * * *

---

(١) هذه الابيات تصف المعركة الاخيرة التي انتهت بالاستقلال التام وقد جن جنون الفرنسيين فصبوا مدافعهم على البرلمان وعلى المدينة وجاء سفراء الدول الاجنبية الى قصر الرئيس القوتلي وهو مريض بقرحة المعدة والتزيف لا ينقطع عنه فعرضوا عليه ان يقبل بمعاهدة مع الفرنسيين تضمن لهم بعض الحقوق وتجنب البلاد كارثة لا تُعرف حدودها ولكن الرئيس رغم مرضه، واخوانه حوله أبى ذلك كل الاباء وقال للسفراء: اذا لم تتدخل دولكم لاعادة الحق الى نصابه فسأنقل سريري الى ساحة المرجة لأستشهد مع افراد الشعب .

بدعة الذل

إلى روح ابراهيم هنانو

عاصِـــفٌ بَـــادَه الـــرُبَـــى ودُخَـــانُ
أيْـــنَ مِنْـكَ الشَـقِيـــقُ والأُقْحُـــوانُ
أيْـــنَ مِنْـكَ الـرَبِيـعُ يَنْفَـحُ بالعِطْـرِ
وأيْـــنَ السُـلافُ والنُدْمـــانُ
بُـورِكَ الفَـرْدُ حِيـــنَ يَدْمَـــى فُـؤادٌ
عَبْقَـرِيٌّ أوْ حِيـنَ تَدْمَـى بَنـانُ
مُحِيَـــتْ أشْـهُـــرُ الـرَبيـعِ فَلا أيَّـارُ
مِـنْ دَهْـرِنـا ولا نَيْسـانُ
لا شَقِيـقُ النُعْمـانِ فـي غُوطَـةِ الشـامِ
ولا عطـــره ولا النُعْمـــانُ
يَعْـرِفُ الفَجْـرُ أنَّ دَمْعِـيَ أصْفَـى
مِـنْ نَـداهُ ويَعْـرِفُ الـرَيحْـانُ
هَـبْ نَـدَى الفَجْرِ كالـدُمـوعِ صَفـاءً
أيْـنَ مِنْـهُ البَلْـوى وأيْـنَ الحَنَـانُ
يَعْـرِفُ الـطِيـبُ أنَّ دَمْعِـيَ أذْكـى
مِنْـهُ عِطْـراً وتَعْـرِفُ الأرْدانُ ..
تَعْـرِفُ الـراحُ أنَّ دَمْعِـي سُـلافٌ
وَجُفُـوني كُؤوسُـهـا والدِنَـانُ

أنـا أبْـكِـي لِلَّيْـلِ أوْحَشَـهُ البَـدْرُ
ولِلْقَلْـبِ هَـدَّهُ الحِرْمـانُ

أنـا أبْـكِـي لِلْهَـمِّ يَأْوِي إلـى القَلْـبِ
فَيَقْسـو عَلى الغَـريـبِ المَكَـانُ
أنـا أبْكِـي لِكُـلِّ طـاغٍ فمـا يَسْتُـرُ
إلاَّ الضَـراعَـةَ الطُغْيـانُ

أنـا أبْـكِـي لِلْعَيْـنِ لا تُدْرِكُ الحُسْـنَ
ولِلْحُسْـنِ فاتَـهُ الإحْسـانُ
أنـا أرْثِـي لِلْمُتْـرَفِيـنَ فَمـا يُبْـدِعُ
الا الشَـقـاءُ والاحـزانُ

وأنَـا المُتْـرَفُ الأنِيـقُ ولَكِـنْ
تَـرفـي صَـاغَ فَنَّـهُ الرَحْمـنُ
أنـا أبْـكِـي لِكُـلِّ قَيْـدٍ فَأبْكِـي
لِقَـريضـي تَغُلُّـهُ الأوْزانُ

أدْمُعِـي فـي السَـمـاءِ أنْجُمُهـا
الـزُهْـرُ وفـي البِحْـرِ دُرُّهُ والجُمـانُ
أيُّهـا الـكَافِـرُونَ هَـذي دُموعـي
مِـنْ رِسـالاتِ وَحْيِهـا الإيمـانُ
أيُّهـا المُذْنِبُـونَ هَـذا فُـؤادي
مِـنْ مَعَـاني جِراحِـهِ الغُفْـرانُ

مِنْ هُمومِي ما يَنْعُمُ العَقْلُ في
دُنْيا أساهُ وَيَهْنَأُ الوِجْدانُ

مِنْ هُمومِي مالا يُفِيقُ عَلَى
البَعْثِ ومِنْها المُدَلَّهُ السَهْرَانُ

مِنْ هُمومِي ما يَغْمُرُ الكَوْنَ بالعِطْرِ
وَمِنْها مَزاهِرٌ وَقِيانُ

وَهُمومي مُعَطِّرَاتٌ عَلَيْها
مِنْ شَبابِي الطُموحُ والرَيْعانُ

كالغَوانِي ، لِكُلٍّ عَذْراءَ لَوْنٌ
مِنْ جَمالٍ وَنَفْحَةٌ وافْتِتانُ

لَمْ أضِقْ بالهُمومِ قَلْباً وَهَلْ
ضَاقَ بِشَتَّى عُطورِهِ البُسْتانُ

والهُمومُ الحِسانُ تَفْعَلُ في الأنْفُس
ما تَفْعَلُ الغَوانِي الحِسانُ

وأنَا الوَالِدُ الرَحِيمُ وأبْنائِي
هُمومُ الحَياةِ والأشْجَانُ

إنَّ حُلْمِي حُلْمُ النُجومِ وَمَا
زَوَّقَ في الحُلْمِ نُورُها الوَسْنانُ

وأُعِيرُ الحَزِينَ سِحْرَ بَيانِي
فَيُعَزِّيهِ لَوْ يُعارُ البَيانُ

عَقَّنِـــي الأَقْـرَبـــونَ فـي غَمْـــرَةِ الخَطْـــبِ
وَعَـــقَّ اللِّـــداتُ والإِخْـــوانُ
سَوْفَ يُمْلِـــي التَاريـــخُ عَنِّـــيَ مـا يُمْلِـــي
فَتَخْـزَى بِظُلْمِـــيَ الأَوْطـــانُ
يُنْصِـــفُ العَبْقَـــرِيَّ دَهْـــرٌ فَسِيَّـــانِ
وَفَـــى أَصْـفِيـــاؤُهُ أَمْ خَانُـــوا
نِعْمَـــةُ الشِـعْـرِ نِعْمَـــةُ الشَـمْسِ لا يُعْـذَرُ
فِيهـــا الجُحـــودُ والنُكْـــرَانُ
وَأُسِـرُّ الشَـكْـوى حَيـاءً وَكِبْـراً
رُبَّ شَكْـــوى إِسْـــرارُهـا إِعْـــلانُ

* * *

كَيْـفَ أُغْضِـي عَلـى الهَـوانِ لِجَبَّـارٍ
وعنـــدي الشَبـــابُ والعُنْفُـــوانُ
ما لِسُلْطـانِهِـمْ على الحُـرِّ حُكْـمٌ
كُـلُّ نَفْسٍ إِبـاؤُهـا سُلْطـانُ
فَلَـكِي ثَابِـتٌ ولا خَيْـرَ في الأَفْـلاكِ
يُمْلِـــي نِظَـامَهـــا الـــدَوَرانُ
لامَنِـــي الـلاَّئِمُـــونَ فـي الصَمْـتِ
والصَـمْـتُ على القَبْـرِ لَوْعَـةٌ لا هَوانُ
كَيْـفَ تَشْـدو بَـلابِـلُ الـدَّوْحِ
لِلْفَجْـرِ وفـي الـدَوْحِ عاصِـفٌ مِرْنَـانُ

أخْرَسَتْنِي الشَامُ تُحْفَرُ للقَبْرِ عَلَيْها
الطيوبُ والأكفانُ
يا لَهَا مِيتَةً وَمِنْ صُوَرِ المَوْتِ
هُمودُ الإباءِ والإذْعَانُ
إنَّهُ المَوْتُ لا اختِلافَ عَلَيْهِ
فَعَزاءً بالشامِ يا مَرْوانُ
لَمْ تُمَيِّزْ مُحَبَّباً مِنْ بَغِيضٍ
في الدُجَى لا تُمَيِّزُ الأَلْوانُ

* * *

بِدْعَةُ الذُلِّ حِينَ لا يَذْكُرُ الانـ
سانُ في الشَامِ أنَّهُ إنْسانُ
بِدْعَةُ الذُلِّ أنْ يُصاغَ مِنَ الـ
فَرْدِ إلَهٌ مُهَيْمِنٌ دَيَّانُ
أيُّها الحَاكِمُونَ ما ضاعَتِ الحُجَّةُ
مِنْكُمْ ولا انْطَوى البُرْهَانُ
حَقُّ هَذِي النُفُوسِ أن تُرْفَعَ
الاصْنامُ فيها وتُعْبَدَ الأوْثانُ

* * *

يا لَهَا دَوْلَةً تُعَاقَبُ فِيهَا
كالجُنَاةِ العُقُولُ والأذْهانُ

أيْـنَ حُـرِّيَّتـي فَلَـمْ يَبْـقَ حُـرّاً
مِـنْ جَهيـرِ النِـداءِ إلاَّ الأَذَانُ
سُبَّـةُ الـدَهْـرِ أنْ يُحَـاسَـبَ فِكْـرٌ
في هَـوَاهُ وَأنْ يُغَـلَّ لِسـانُ
أَلضُـحـى والشُـجـاعُ حِلْفَـا كِفَـاحٍ
مـا احْتَمـى بالـظَـلامِ إلاَّ جَبانُ
حَـرَنُـوا والشُـعُـوبُ في مَوْكِـبِ السَّبْقِ
وَمِـنْ شِيَمَـةِ الهَجِيـنُ الحِـرانُ
يَعْثُـرُ الـدَهْـرُ والشُـعـوبُ وتَشْقَى
بالمَنـاكِيـرِ أمَّـةٌ وَزَمَـانُ
قُبِـرُوا فـي المُهـودِ ما سُـلَّ سَيْـفٌ
في رَدَاهُـمْ ولا تَعَـرَّى سِنـانُ
لَـمْ تَنَلْهُـمْ يَـدُ المَنِيَّةِ ظُلْمـاً
وُلِـدُوا قَبْـلَ أنْ يَجِيـنَ الأوَانُ
سائِلُـوا زَحْمَـةَ العَـواصِـفِ لَمّـا
رُجَّـتِ الأرْضُ أيْـنَ كُنَّـا وكَانُـوا
وَسَـلُـوا ظُلْمَـةَ السُـجـونِ فَلَـنْ
يُنْبِـيءَ عَنْهُـمْ سِجْـنٌ ولا سَجَّـانُ
كَتَـبَ المَجْـدُ ما اشْـتَهَـتْ غُرَرُ المَجْـدِ
وَنَحْـنُ الـكِتَـابُ والعُنْـوانُ

نَحْـنُ تارِيـخُ هَـذِهِ الأُمَّـةِ الفَخْـمُ
وَنَحْـنُ المَكـانُ والسُكَّـانُ
شَـرَفُ الشَـوْطِ بالمُجَلِّـي مِنَ الخَيْـلِ
وَيَخْـزَى بِغَيْـرِهِ المَيْـدانُ

مِـنْ غَوالِـي دُمـوعِنـا الخَمْـرُ والعِطْـرُ
وَنُعْمـى دِمـائِنـا الأُرْجُـوانُ
قَدْ سَقَيْنـا مِنْ قَلْبِنـا المَوْتَ حَـتَّى
نَبَـتَ الضَـرْبُ في الـرُبـى والطِعـانُ

تَخْجَـلُ الخَيْـلُ بالـذَلِيـلِ اذا صَالَـتْ
وَيَشْـقَـى سَـرْجٌ وَيَشْـكُـو عِنـانُ
يَتَلَـوَّى علـى الحِبـالِ فُنونـاً
أَوَزِيـرٌ في الـدَسْـتِ أَمْ بَهْلَـوانُ ؟

أَنِسُـوا مِنْـهُ بالنُعـومَـةِ واللِّيـنِ
ولا بِـدْعَ إِنَّـهُ أُفْعُـوانُ
لَيْـسَ خَلْـفَ البُـرودِ إِلاَّ هَبـاءٌ
فاحْـكُـمِ النَـاسَ أَيُّهـا الطَيْلَسـانُ

ما عَلـى الحُـكْـمِ وَهْـوَ مَرْعـىً وَمَـاءٌ
أَنْ تَعُـودَ الخِمـاصُ وَهْـيَ بِطـانُ
يُظْلِـمُ القَلْـبُ لا مُـروءةَ فِيـهِ
فَهْـوَ كالقَبْـرِ مُوحِـشٌ حَـرَّانُ

كَيْفَ تَسْمو القُلوبُ لَوْلا المُروءاتُ
وَتَغْفُو على المُنى الأَجْفانُ
حَسِبُوا ضِحْكَةَ الشُعوبِ ارْتياحاً
واللظى حِينَ يَضْحَكُ البُرْكانُ
لا يَهُنُ الشُعوبَ إلاَّ رِضَاهَا
رَضِيَ النَاسُ بالهَوانِ فَهانُوا
ما لِشُمِّ الذُرَى تَغُضُّ مِنَ الذُلِّ
فَأَيْنَ النُسورُ والعِقْبانُ

* * *

يا وَزِيراً يُطِلُّ بَعْدَ وَزيرٍ
والعُلى في رِكابِهِ والزَمانُ
رُبَّ نُعْمى تَضِيعُ مِنَّا إذَا
زُرْتَ ولا ضَجَّةٌ ولا دَنْدَبانُ
وإذَا فُتَّ أَعْيُنَ النَاسِ دَلاًّ
فَلِمَنْ صَاغَ حُسْنَكَ الرَحْمَنُ
أيُّ بِدْعٍ في المِهْرَجَاناتِ يُصْنَعْنَ
فَحَقُّ المُتَوَّجِ المِهْرَجَانُ ....
وَلَئِنْ تُحْشَدُ الجُمُوعُ فَهَلْ زَارَ
ولايَاتِ مُلْكِهِ الخَاقَانُ
لَكُمُ لا لِقَيْصَرٍ أَوْ لِكِسْرَى
رُصِّعَ التَاجُ وازْدَهى الإيوانُ

وَكَفَى هَذِهِ الرَعِيَّةَ عِزّاً
أنَّها في رِحابِكُمْ ضِيفانُ

* * *

قَلْبِيَ الواحَةُ الطَرُوب بِصَحْراءَ
جَفْنُهَا الظِلالُ والغُدْرانُ
تَتَراءَى الأفياءُ يُومِئْنَ للـ
ـرُكْبِ وتَحْنُو على الوَنَى الأفْنانُ
وَيَعُلُّ الهَجِيرُ ما شَاءَ مِنْ قَلْبِي
فَقَلْبِي المُعَطَّرُ الرَيَّانُ
جَنَّتِي نِعْمَةُ السَكِينَةِ والدُنْيا
جَحِيمٌ والحَرْبُ حَرْبٌ عَوانُ
جَنَّتِي الزَهْوُ والنَعِيمُ فَفِي النَـ
ـفْسِ وُثوقٌ باللهِ واطْمِئْنانُ
الغَوالِي أَدِيمُها والسلآلِي
وَحَصَاها الياقُوتُ والمَرْجَانُ
وَرَحِيقٌ تَكادُ تَشْتَفُّهُ العَيْنُ
وَيَرْوَى بِلَمْحِهِ الظَمْآنُ
وَغَنٌ كَما تَشاءُ الخَيالاتُ
وَطَوْعُ الأُمنيَّةِ الإمْكَانُ
هَذِهِ جَنَّتِي فَلاَ تَخْدَعِ الرَكْبَ
فَرادِيسُ زُوِّرَتْ وَجِنانُ

إنَّ للشَـرِّ جَـنَّـةً يَغْمِـزُ الإغْـراءُ
فِيهـا وَيَضْـحَـكُ الشَيْطـانُ
جَنَّـةُ الشَرِّ لا تَخُادِعْكَ رَيَّاهَا
فَفِي كُـلِّ أيْكَـةٍ ثُعْبـانُ
لا يَغُـرَّنَّكَ سِحْـرُهـا وَرُؤَاهَـا
جَنَّتِـي وَحْـدَهَـا الـرِضَـى والأَمَـانُ

***

يـا أبـا طَـارِقٍ تَحِيَّـةَ شَعْـبٍ
زَلْـزَلَتْـهُ الخُـطـوبُ والحَـدَثـانُ
زَحَـفَ البَحْـرُ بالجِبـالِ مِـنَ المَـوْجِ
دِرَاكـا وَجَـرْجَـرَ الطُّـوفـانُ
لَطَـفَ اللَّـهُ بالسَـفِينَـةِ لَـمْ يَسْلَـمْ
شِـراعٌ ولا نَجَـا سُكَّـانُ
تَخْبِـطُ اللَّيْـلَ والعَـواصِـفَ والـرَكْـبُ
حَيـارَى دَلِيـلُهُـمْ حَيْـرَانُ
حَوْلَهَا اليَـمُّ كالجِبـالِ وأطْيَا
فُ الـرَدَى والبُـروقُ واللَّمَعـانُ
وَظَـلامٌ غَمْـرٌ رَهِيـبٌ فَمـا
تُبْـصِـرُ الا الـظنـونُ والآذانُ ....
وَعَـزِيـفٌ للجِـنِّ تَنْقُلُـهُ الـرِيـحُ
وَأَدَّى الأَمَـانَـةَ التَـرْجُمَـانُ

وانْــطَــوى تَحْتَهــا الجَحِيــمُ فَلِلأَمْــواجِ
مِــنْ حَــرِّ نــارِهِ فَــوَرَانُ
سَخِــرَتْ بالسَــفِينَــةِ اللُّجَّــةُ
الخَضْــراءُ واخْتــارَ قَبْــرَهُ الــرُّبَّــانُ
واطْمَــأَنَّــتْ الــى القُنُــوطِ فَما تُلْمَحُ
حَتَّــى بالخــاطِــرِ الشُــطْآنُ
أَنْــتَ أَقْــوى مِنَ المَنــايــا وأَقْــوى
مِــنْ أَذَى الــدَهْــرِ فاسْــتَفِــقْ يــا هَنــانُو

* * *

١٩٥٠/١١/٢٤

جَلَوْنا الفاتحين

تَمَنَّى الرُكْبُ وَجْهَكَ والصَباحا
فَجُنَّ اللَيلُ مِنْ فَجْرينِ لاحا
وحَنَّ إلى ظِلالِكَ عَبْدُ شَمْسٍ
يريحُ شجونَهُ ظمأى طِلاحَا
حمى اللهُ الكواكِبَ مِنْ مَعَدٍّ
وصانَكَ بَيْنَهَا قَمراً لَياحا
وطمأنَ للجواري كُلَّ بَحْرٍ
وبَلَّغَها السعادةَ والنجاحا
بطاحُ القُدْسِ دنَّسَها مُغِيرٌ
فهل صانت كتائِبُنا البِطاحا
وهل جَبَهتْ بِحَدِّ السَيْفِ دعوى
كَعِرْضِ القومِ فاجِرَةً وَقَاحا
ولَم نغضبْ لها أيام كانتْ
حمىً نهباً وشعباً مُستباحا
ولا صَدَّتْ سرايانا عدواً
ولا هاجتْ حَمَيَّتُنا كِفاحا
ولا اهتزَّت صوارمُنا انتخاءً
ولا صَهَلتْ صوافِنُنَا مِراحا

نُجابَهُ باليَهُودِ دماً ونَاراً
فنُغضَي لا إباءَ ولا طِماحا

***

جَلَوْنا الفاتحينَ فلا غُدُواً
نَرى للفاتحينَ ولا رَواحَا
إذا انقصفَتْ أسِنَّتُنا وَصَلْنا
بأيدينا الأسِنَّةَ والصِفاحَا

إذا خرِس الفصيحُ فقد لقينا
من النيرانِ ألسنةً فِصَاحَا
زماجِرُ دكَّتِ الطغيانَ دَكاً
وأخْرسَتِ الزلازلَ والرياحا
وتعرفُ هذه الحصباءُ مِنَّا
دَماً سَكْباً وهاماتٍ وَراحا
وأشلاءً مبعثرةً تَمَنَّتْ
على البِيدِ الشقائِقَ والأقاحا
تتيه بها الرمالُ وتصطفيها
من الفِرْدَوْسِ ريحاناً وَراحا
يرفُّ على خمائِلِ غوطَتَيْها
هوى بطلٍ على الغَمراتِ طاحا
فألمحُ في السراب مُنى شهيدٍ
تخَيَّلَ في الوغى المَاءَ القَراحا

فـلا حُـرِمَ الشـهيـدُ بِـرَوْضِ عَـدْنٍ
علـى بَـردَى غُبـوقـاً واصْطِبـاحـا

***

حَمَـى دُنْيـا أُمَيَّـةَ أرْيحَـيٌّ
مَتيـنُ الأَسْـرِ قـد فَرع الرِمـاحـا
أبـو حسَّـان[1] إن طَغَتِ الرزايـا
تحـدَّى الـدهْـرَ والقَـدَرَ المُتـاحـا
أشَـمُّ الأنْـفِ أبْـلَـجُ سَمْهـرِيٌّ
كـأنَّ علـى محُـيَّاهُ صَبـاحـا
تمـرَّسَ بالخـطـوبِ فمـا شكـاهـا
ولـولا كِبْـرُهُ لشـكـا وبـاحـا
تَـذكَّـرتِ الشـآمُ أخـاكَ سَعْـداً[2]
ومـن ذَكَـرَ الحبيـبَ فـلا جُنـاحَـا
أرقَّ النـاسِ عاطِفـةً وطبْعـاً
وأعْنفَهُـمْ علـى الـطـاغي جِـاحـا
يُنـافِحُ ، لا تُـروِّعُـهُ المَنـايـا
فـإن شَتَـم اللئِـيمُ فـلا نِفـاحـا
إذا بكَـتِ الشـآمُ أخـاكَ سعداً
فقـد بكتِ المـروءَةَ والسَمـاحـا

---

١) أبو حسان الرئيس الزعيم شكري القوتلي .
٢) المغفور له الزعيم سعد الله الجابري .

زَحَمْنا النَجْمَ منه على جَناح
وفَيْأنا مروءتَهُ جَناحا
ولو نَعَتِ النُعاةُ أخاك سعداً
إلى قمر السماءِ بكى وناحا
ولو فَدَّيْتُهُ بضياءِ عيني
لَقَلَّ مروءةً وهوىً صُراحا

***

جِراحٌ في سريرتكَ اطمأنَّتْ
لقد أكرمْتَ بالصَبْرِ الجِراحا
كأنَّ الهمَّ ضَيْفُكَ فَهْوَ يَلْقى
على القَسَمات بِشْراً وارتياحا
وقَبْلَكَ ما رأتْ عيني هُموماً
مُدَلَّلَةً وأحْزاناً مِلاحَا
وقد تَرِدُ الهمومُ على كريمٍ
فتَرجِعُ مِنْ صَباحَتِهِ صِباحا
ويا دنيا أمَيَّةَ لا تُراعي
شبابُكِ يغْمُرُ الرُحْبَ الفِساحا
طلعْتِ على العصور هُدَىً وخيراً
غداةَ طلعتِ غَزْواً وافتتاحا
وما نَبُلَ الصَلاحُ على ضعيفٍ
فَبَعْضُ الذُلِّ تَحْسَبُهُ صَلاحا

وعلَّمْـــتِ الحَضـــارَةَ فَهْـــيَ فَجْـــرٌ
على الأكـــوانِ ينســـاح انسيـــاحـــا
ورُبَّ حضـــارةٍ طَـــهُـــرَتْ وطابتْ
ورُبَّ حضـــارةٍ وُلـــدت سِفـاحـــا
وعلَّمْـــتِ المـــروءَةَ فهـــي عِطْـــرٌ
مـــن الفـردوس يُسْـــكِـــرُنـــا نِفَـــاحـــا
وعلّمـــتِ العـــروبـــةَ فهـــي عِرْضٌ
لربِـــكِ لن يهـــان ولن يُبـــاحـــا
أســـاحَ المجدِ حســـبُـــكِ لـــن تكـــونـــي
لغير شبـــابِـــكِ البـــأمـــولِ ســـاحـــا
خـــذي ما شئـــتِ واقتـــرحـــي علينـــا
كـــرائـــمَ هـــذه الـــدنيـــا اقتـــراحـــا

***

أبـــا حسَّـــانَ رفَّ كـــريـــمُ وُدِّي
علـــى نُعمـــاكَ فخـــراً وامتـــداحـــا
بـــلائـــي مـــا شَهِـــدْتَ وليـــس مَنّـــاً
إذا عـــدَّدْتُهـــا غُـــرَراً وِضـــاحـــا
إذا زحمَتْنِـــيَ الجُـــلَّـــى بِـــرَوْعٍ
جمعْـــتُ لهـــا الإبـــاءَ فـــلاَ بَـــراحـــا
ولـــو زحمـــتْ ثبـــيراً حيـــن شَـــدَّتْ
علـــيَّ لَضَـــجَّ غـــارِبُـــهُ وزاحـــا

وأَوْجَعُ مِنْ مصَائِبها خليلٌ
أَغارَ على المروءةِ واستَباحا
يُكَتِّمُ بُغْضَهُ حِقْداً وجَمْراً
ويُسْمِعُني حنيناً والتياحا
ويزعُمُ كَيْدَهُ سِرّاً خَفِيّاً
لقد جَهَرَ الزَمانُ بِه افْتضاحا
تنكَّرَ وهو لو كَشَّفْتَ عنه
أَسَفَّ مجانةً وهَوىً مُزاحا
وذَلَّ فلا نسمِّيه عِداءً
وهانَ فلا نُسمِّيهِ نِطاحا
ولو شِئنا جزيناهُ ونُرْضي
شمائِلَنا فنوسِعُهُ سَماحا

***

أَتُنْكِرُني الشآمُ وفي فؤادي
تلقَّيْتُ الصوارِمَ والرِماحا
إذا نَسِيَتْ على الجُلَّى وفائي
فقد عذروا على الغَدْرِ الملاحا
وغَنَّيْتُ الشآمَ دَماً وثأراً
فلا شكوى عَرَفْتُ ولا نُواحا
وأَكْرَمَ عَهْدَكَ الميمونَ شعري
فقلَّدَه جواهِرِيَ الصِحاحا

***

نم بقلبي

في ذكرى المغفور له الزعيم سعد الله الجابري

أَدُمُوعاً تُرِيدُهَا أَمْ رَحِيقَا
لاَ وَنُعْمَاكَ مَا عَرَفْتُ العُقُوقَا

تَتَجَلَّى عِنْدَ المَغِيبِ لِعَيْنِيَّ
ضِيَاءً عَذْبَ الحَنَانِ رَفِيقَا

وَجَلاَكَ الشُرُوقُ حتَّى تَبَيَّنْتُ
مُحَيَّاكَ فاحْتَضَنْتُ الشُروقَا

وَتَزُورُ البُروقُ تُخْبِرُنِي عَنْكَ
وَلَوْلاَكَ ما اسْتَزَرْتُ البُروقَا

كُلُّ حُسْنٍ أَرَى مُحَيَّاكَ فِيهِ
فَأُطِيلُ الإِمْعَانَ والتَحْدِيقَا

طَرَقَ الطَيْفُ بَعْدَ أَنْ غَابَ وَهْناً
أَنْتَ أَحْلَى مِنَ النَعِيمِ طُروقَا

مَرَّ فِي وَحْشَتِي نَعِيماً وَأُنْساً
وَمَحَا أَدْمُعِي رَحِيماً شَفِيقَا

كُلَّمَا غِبْتُ عَنْهُ أَوْ غَابَ عَنِّي
لاَحَ فِي خَاطِرِي وَسِيماً أَنِيقَا

إِنْ رَعَى صُحْبَتِي وأَوْرَدَهَا الصَفْوَ
فَقَدْ كَانَ بالمَعَالِي خَلِيقَا

نَـمْ بِقَلْبِـي وَلَـوْ قَـدَرْتُ مَنَعْـتُ الـ
ـقَـلْـبَ حَـتَّـى تَقَـرَّ فِيهِ الخُفُـوقَـا

نَمْ بِقَلْبِـي وَحُـرْمَـةُ لَـكَ لَـنْ
تَسْـمَـعَ مِـنِّـي تَأَوُّهَـاً وَشَهِيقَـا

نَـمْ بِعَيْنِـي فَقَـدْ فَـرَشْـتُ لَـك الأَحْـلامَ
مُخْضَـلَّـةَ الـوُرودِ طَرِيقَـا

نَـمْ بِعَيْنِـي إِذَا اصْـطَفَيْـتَ رُؤَاهَـا
هَـمُّ عَيْنِـي أَنْ تُصْطَفَـى وَتَـرُوقَـا

زَيَّـنَ الجَفْـنُ دَمْعَـهُ لَـكَ فانْهَـلَّ
سُـلافَـاً عَذْبَـاً وَمِسْكَـاً فَتِيقَـا

* * *

إِنَّ قَلْبِـي خَمِيلَـةٌ تُنْبِـتُ الأَحْـزانَ
وَرْدَاً وَنَـرْجِسَـاً وَشَقِيقَـا

لَـوْ عَلَـى الصَّـخْـرِ نَهْلَـةٌ مِـنْ جِرَاحِـي
رَاحَ مُخْضَوْضِـلَ الظِّـلالِ وَرِيقَـا

هَـمِّيَ الهَـمُّ لَـوْ تَكَـشَّـفَ للنَّـاسِ
لأَغْـرَى حُسْـنَـاً وَرَاعَ بَرِيقَـا

أَتْـرَعَ الـكَأْسَ للـرَّبِيـعِ فَغَنَّـى
وانْتَشَـى بانُـهُ فَمَـاسَ رَشِيقَـا

نَجْمَتِـي والطَّـرِيـقُ تِيـهُ وَلَيْـلٌ
وَرَفِيقِـي إِذَا فَقَـدْتُ الرَّفِيقَـا

إنَّ بَعْـضَ الأَحْـزَانِ يُخْـطَـبُ بالمَجْـــدِ
وَبَعْـضَ الأَحْـزانِ يُشْـرَى رَقِيقَـــا
مِـنْ جِـراحِ الضُـحَـى سَنَـىً أَرِيجِـيٌّ
نَضَّـرَ الـكَـائِنَـاتِ حِيـنَ هُرِيقَـــا
أنـا والهَـمُّ كُلَّمَـا أَقْبَـلَ الهَـمُّ
مَشُـوقٌ يَلْقَـى أَخَـاهُ المَشُـوقَـا
أَيُّهَـا النَـاعِمَـانِ فِـي الغَفْـوَةِ النَشْـوى
أَفِيقَـا عَلَـى الصَـبَـاحِ أَفِيقَـــا
سَكِـرَ الشِـعْـرُ مِـنْ سُـلافِـي وَعَبَّـتْ
مِـن دِنَـانِـي فَجُـنَّـتِ المُـوسِيقَـا

* * *

وَحْـدَتِـي عَـالَـمٌ مِـنَ السِـحْـرِ والفِتْنَـةِ
حُـلْـوُ القِـطَـافِ خَمْـراً وَرِيقَـــا
وَأَدِيـمٌ يَغْفُـو ثَـراهُ عَلَـى العِطْـرِ
وَيُغْـرِيـهِ عَنْبَـراً مَـسْحُـوقَـا
طُـفْ بِقَلْبِـي تَجِـدْ بِـهِ أَلْـفَ دُنْيَـا
لاَ يُـلاقِـي الشَـقِيـقُ فِيهـا الشَقِيقَـا
سَكَنَتْـهُ الشُـمـوسُ مِـنْ كُـلِّ أُفْـقٍ
وَتَحَـدَّى أَشْتَـاتَهـا أَنْ يَضِيقَـــا
حَفِـيَ الفِـكْـرُ فِـي عَوالِمِهَـا الفِيـحِ
وَلَـمْ يَبْلُـغِ المَكَـانَ السَحِيقَـــا

كُـلُّ أُفْـقٍ تَضِيـقُ فِيهِ أسِيـراً
سَـعَـةُ الأُفُـقِ أنْ تَكُـونَ طَلِيقَـا

* * *

لاَ تَلُمْنَـا إذَا تَرَكْنَـا المَـيادِيـنَ
سُـمُّـوا بِحَقِّنَـا وَوُثُـوقَـا
فالأَصِيـلُ العَتِيـقُ يَأْنَـفُ شَـوْطَـاً
لَـمْ يُشَـاهِدْ فِيـهِ أَصِيـلاً عَتِيقَـا
ذَلَّ شَـوْطٌ يَكُـونُ بَيْـنَ البَـرَاذِيـنِ
فَـلا سَـابِقـاً وَلا مَسْبُـوقَـا
لَـمْ تُحَمْحِـمْ تَخْتَـالُ بالحُسْـنِ والقُـوَّةِ
بِـلْ حَمْحَمَـتْ تُـرِيـدُ العَلِيقَـا
مَا نَزَلْنَـا عَـنِ السُـروجِ عَيَـاءً
لَـوْ رَكِبْنَـا لَمَـا أَطَـاقُـوا اللُحُوقَـا
وَلَنَـا السَـبْـقُ فامْسَـحُـوا غُـرَرَ
الخَيْـلِ بِأَيْمَانِـكُـمْ تَشُـمُّـوا الخَلُـوقَا
أَيُّهَـا الـزاعِمـونَ انَّـا فَرِقْنَـا
صَـائِـدُ اللَيْـثِ لا يَكُـونُ فَرُوقَـا
كَيْـفَ يُرْمَـى بالخَـوْفِ مَـنْ زَحَـمَ
الأُسْـدَ وأَعْيَـا أَنْيابَهَـا والحُلُوقَـا
أَنْكِـرُونَـا يَشْـهَـدْ حَطِيـمُ قُيـودٍ
وَسَـمَـتْ مِنْـكُـمُ رِقَـابـاً وَسُـوقَـا

سُـدَّةُ الحُـكْـمِ بَعْـدَ آسـادِ خَفَّانَ
تَضُـمُّ الأَحْـلافَ شـاءً ونُوقَـا
أَبْـطَـرَ الحَـاقِـدينَ حِلْـمُ أَبِـي حَسَّـانَ[1]
والحِلْـمُ أَنْ تُقِيـلَ الصَدِيقَـا
جَحَـدُوا فَضْـلَـهُ ولا لَـوْمَ عِنْـدِي
إنَّ فَضْـلَ الـرَئيـسِ ضَـلَّ الطَرِيقَـا
إنَّ نُعْمَـى الـكَرِيـمِ دَيْـنٌ علـى
الْحُـرِّ وَتُجْـزَى مِـنَ اللئِيـمِ عُقُوقَا
نامَـتِ الشـامُ فاسـتغِـلُّـوا كَراهَـا
مَـوْعِـدُ الهَـوْلِ بَيْنَـنَـا أَنْ تُفِيقَـا
لاَ أُغـالِـي بِلَـوْمِهَـا فَهْـيَ حَسْنَـاءُ
تُحِـبُّ الـدَلالَ والتَمْلِيقَـا
إنَّ عُنْـفَ العِتَـابِ يُـؤْذِي أَحِبَّـا
يَ وأَحْـلاهُ ما يَكُـونُ رَقِيقَـا

* * *

جَمْـرَةُ الحِقْـدِ فـي السرَائِـرِ لَـوْلاَ
ذُلُّ أَصْحـابِهـا لَشَـبَّـتْ حَرِيقَـا
قَـدْ أَرَقْنـا دِمـاءَنـا فَسَلُـوهُ
أَيُّ دَمْـعٍ مِنْ مُقْلَتَيْـهِ أُرِيقَـا

---

١) ابو حسان: الرئيس شكري القوتلي

حَمَّلُوهُ ما لا يُطِيقُ وكانَتْ
بِدْعَةً تُخْجِلُ العُلَى أَنْ يُطِيقَا

دَعْكَ مِنْ زَحْمَةِ العَواصِفِ واتْرُكْ
للعُقابِ السَماءَ والتَحْلِيقَا

خَلَقَ اللهُ لِلْعَظائِمِ والمَجْدِ
فَرِيقاً وللصَّغارِ فَرِيقَا

يا زَعِيمي عِنْدَ الدُعاءِ وَلَوْ شِئْتُ
لَنادَيْتُ في الزَعِيمِ الصَدِيقَا

كَيْفَ تَغْفُو أَلَمْ تَرَ الشَامَ في
النَزْعِ وَتَشْهَدْ لِواءَها المَخْنُوقَا

مَزِّقِ القَبْرَ فالشآمُ تُنادِيكَ
وَتَبْكِي مَكانَكَ المَرْمُوقَا

مَزِّقِ القَبْرَ فالجَلاءُ يَتِيمٌ
بَدَّدُوا إِرْثَهُ وَغالُوا الحُقُوقَا

أَلسَّرِيُّ العَرِيقُ هَانَ عَلَى
الدَهْرِ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ سَرِيّاً عَرِيقَا

* * *

مَنْ رأى في السَقامِ سَعْداً رَأَى
الفَجْرَ وَدِيعَ السَنا وَسِيماً طَلِيقَا

يَتَنَزَّى ولا يُطِيقُ ثُوباً
حَسْرَةَ الشَمْسِ لا تُطِيقُ الشُروقَا

سَـأَلـوا يَـوْمَ سَبْقِـهِ كَيْـفَ جَلَّـى
مِـنْ سَجـايـاهُ أَنْ يَكُـونَ سَبُـوقَـا
رَاوَدَتْـكَ الـدُّنْيَـا على الحُـسْنِ
والجَـاهِ فَكُنْـتَ المُبَـرَّأَ الصِـدِّيقَـا
سَـأَلَتْنِـي عَنْـكَ الخَمـائِـلُ فـي الـغُوطَـةِ
تَشْـتـاقُ عِطْـرَكَ المَـرْمُوقَـا
وَدُروبٌ خُضْـرٌ عَلَيْهـا خُطَـى
الشَـاءِ تُعِيـدُ التَغْـرِيـبَ والتَشْـرِيقَـا
وَظِـلالٌ سَكْـرَى وَفَـوْضَى مِنَ الـزَهْـرِ
تَحَـدَّى جَمَـالُهُـا التَنْسِيـقَـا
مـا تَبـرَّجْـنَ للعُيـونِ فَغَـالِـي
الحُسْـنِ يَـأْبَـى الإغْـراءَ والتَشْـوِيقَـا
وَدَّتِ الـوُرْقُ[1] لَوْ خَلَعْـنَ مِـنَ الحُـزْنِ
عَلَيْـكَ البَيـاضَ والتَطـوِيقَـا

* * *

تَيَّمَـتْ قَلْبَـكَ الطَبِيعَـةُ
بـالحُسْـنِ بَـرِيئـاً مُعَـطَّراً مَـوْثُـوقَـا
كَـرَّمَ اللـهُ دَنَّهـا والنَـدامَـى
وَصَـبُـوحـاً على الهَـوى وَغَبُـوقَـا

---

١) الحمائم .

للنَّبِـــيِّ الإشْـــراقُ مِـنْ حُسْنِهـا
السَـــمْـحِ وأرْضَـى مِنْـهُ الخَفِـيَّ الـدَقِيقَـا
حَمَلَـتْ قَـوْسَـهـا فَهَيَّـأْتُ قَلْبِي
وَتَـرقَّبْـتُ سَهْمَهَـا المَـرْشُـوقَـا

* * *

مُـرْ أُرنِّـحْ عِطْفَيْـكَ بالشِـعْرِ
مِـنْ عَيْنِـي وَقَلْبِـي مُنَمْنَمَـاً مَنْسُوقَـا
حَضَـرِيُّ الخَيَـالِ إنْ ذُكِـرَ المَنْبِـتُ
سَـمَّـى نَجْـدَاً وَسَـمَّى العَقِيقَـا
عِنْـدِيَ الـكَنْـزُ لا يَضِـيرُ غِنَـاهُ
أنْ يَكُـونَ المَنْهُـوبَ والمَسْـرُوقَـا
وَكُـؤُوسٌ مِـنَ السَـمـاءِ تَشَهَّـتْ
حُـورُ رِضْـوانَ عِطْـرَهَـا والـرَحِيقَـا
عَـابَ كَأسِي وَلَـمْ يَذُقْ عِطْـرَ كَأسِي
لاَ تَعِبْهـا باللـهِ حَتَّـى تَـذُوقَـا
يَـا صَحِيحَ الإخَـاءِ قَـدْ كُشَفَ النَاسُ
إخَـاءً مُـمَـوَّهَـاً مَمْـذُوقَـا
أتَمَنَّـى اللَّحـاقَ فِيـكَ وأشْكُـو
لِلقَضَـاءِ التَـأخِيـرَ والتَعْـويـقَـا

* * *

يا وحشة الثـــأر!

قيلت في تتويج الملك فيصل الثاني

شَـادٍ علـى الأيْـكِ غَـنَّانَـا فَأشْجَـانَـا
تَبـارَكَ الشِـعْـرُ أطْيـاباً وَألْحَـانَـا
تَـرَنَّـحَ البَـانُ واخْضَـلَّـتْ شَمـائِلُـهُ
فَهَـلْ سَقَـى الشِعْـرُ مِنْ صَهْبَائِـهِ البَانَا
هَـلْ كُنْـتُ أمْلِكُ لَـوْلاَ عِطْـرُ نِعْمَتِـهِ
قَلْبـاً عـلى الـوَهَـجِ القُـدْسِيِّ نَـدْيَـانَـا
أيَطْمَـعُ الشِـعْـرُ بالإحْسـانِ يَغْمُـرُهُ
والشِـعْـرُ يَغْمُـرُ دُنْيـا اللـهِ إحْسَـانَـا
لَـوْشَـاءَ عَـطَّـرَ هذا اللَّيْـلَ غَالِيـةً
وَنَضَّـرَ الـرَمْـلَ أشـواقَـاً وريْحَـانَـا
لَـوْ شَاءَ ثَمَّنَ هَذا النَجْـمَ قَافِيـةً
وَنَغَّـمَ الفَجْـرَ أحْـلامـاً وَأوْزَانَـا
لَـوْ شَـاءَ أنْـزَلَ بَـدْرَ التِـمَّ فاحْتَفَلَـتْ
بِـهِ النَـدامَـى سِـراجـاًفـي زَوايانَـا
وَلَـوْ سَقَـى الشَـمْسَ مِنْ أحْـزانِـهِ نَدِيَـتْ
عَـلى هَجيـرِ الضُـحَـى حُبّـاً وتَحْنَـانَا

* * *

تَضِيعُ فِي نَفْسِيَ الجُلِّيَّ وَقَدْ نَزَلَتْ
مِنْ كِبْرِيائِيَ آفاقاً وأكوانَا
وَمَا رَضِيتُ بِغَيْرِ اللهِ مُعْتَصَماً
وَلا رَأَيْتُ لغيرِ اللهِ سُلْطانَا
وَلا عَكَفْتُ بِقُرْبانِي عَلى صَنَمٍ
أَكْرَمْتُ شِعْرِي لِنُورِ اللهِ قُرْبانَا
تَبَرَّجَتْ للشَذَى الأَعْلى مَجامِرُنَا
وَزُيِّنَتْ لِلْهَوى الأَغْلَى خَفايَانَا
نَبْعٌ مِنَ النُورِ عَرَّانَا لِوَجْتِهِ
فَكَحَّلَ النُورُ أَجْفاناً وَوِجْدَانَا
تَفَجَّرَ الحُسْنُ في دُنْيَا سَرائِرِنَا
هَلْ عِنْدَ رَبِّكَ مِنْ دُنْيَا كَدُنيانَا
حَضَارَةُ الدَهْرِ طِيبٌ مِنْ خَلاعَتِنَا
وَجَنَّةُ اللهِ عِطْرٌ مِنْ خَطايَانَا
مِنَ الغِوايَةِ سَلْسَلْنَا هِدَايَتَنَا
فَكانَ أَرْشَدَنا للنور أَغْوانَا

* * *

يا وَحْشَةَ الكَوْنِ لَوْلا لَحْنُ سامِرِنَا
على النَدِيِّ المُصَفَّى مِنْ حُمَيَّانا
نُشارِكُ اللهَ ـ جَلَّ اللهُ ـ قُدْرَتَهُ
وَلا نَضِيقُ بِها خَلْقاً وإتْقانَا

وَأَيْـنَ إِنْسـانُـهُ المَصْـنُـوعُ مِنْ حَمَـأٍ
مِمَّـنْ خَلَقْنـاهُ أَطْيـاباً وأَلْحَـانَا
وَلَـوْ جَـلاَ حُسْـنَـهُ إِنْسـانُ قُـدْرَتِنَـا
لَـوَدَّ جِبْـرِيـلُ لَـوْ صُغْنَـاهُ إِنْسـانَا
وَلَـوْ غَمَـزْنَـا نُجـومَ اللَّيْـلِ مُغْفِيـةً
أَفـاقَ أَثْـرَفُهـا حُسْـنـاً وَغَنَّـانَـا
نَـاجَـى عَـلى الـطُّـورِ مُـوسـى والنِـدامُ لنـا
فَـكَيْـفَ أَغْفَـلَ مُوسـى حِـينَ نَـاجَـانـا
إِنْ آنَـسَ النَّـارَ بالـوادِي فَقَـدْ شَهِدَتْ
عَيْنِـي مِـن اللَّهَـبِ القُـدْسِيِّ نِيـرانَا
نُطِـلُّ مِـنْ أُفُـقِ الـدُّنْيا علـى غَـدِهـا
فَتَنْجَلِـي الـراسِيـاتُ الشُّـمُّ كُثْبـانَـا
وَمـا دَهَتْنَـا مِـنَ الجَبَّـارِ عَادِيَـةٌ
إِلاَّ جَـزَيْنـا عَلـى الـطُّغْيـانِ طُغْيَـانـا
أَدِيـمُ حَصْـبـائِنـا دُرٌّ وَغَالِيـةٌ
مـا أَفْقَـرَ النَّـاسَ للنُّعْمَـى وأَغْنـانَـا
وَأَيُّ نُعْمَـى نُرَجِّيهـا لَـدَى بَشَـرٍ
واللـهُ قَـرَّبَنـا مِنْـهُ وأَدْنَـانَـا
تَبْـكِـي السَّـمـاءُ وتَبْـكِـي حُـورُهـا جَزَعـاً
للحُسْـنِ والشِـعْـرِ فـي الـدُّنْيـا إِذا هَـانـا

* * *

يـا خَالِـقَ القَلْبِ: أَبْدَعْنَـا صَبَـابَتَـهُ
يـا خَالِـقَ الحُسْـنِ: أَبْدَعْنَـاهُ أَلْوانَـا

أَلْقَلْـبُ قَصْـرُكَ زَيَّنَّـا عَـوارِيَـهُ
بـالحُسْـنِ حِيناً وبـالإِحْسَـانِ أَحْيَـانَـا

أَلْعَـاطِـلاتُ مِـنِ الأَبْهَـاءِ قَـدْ كُسِـيَتْ
شَـتَّـى اللُّبَـانَـاتِ أَصْـنَـامـاً وأَوْثَـانَـا

قَلْـبٌ شَكَـا لِلْخَيَـالِ السَمْـحِ وَحْشَتَـهُ
فَـراحَ يَغْمُـرُهُ نُعْمَـى وأَشْجَانَـا

يَا سَيِّـدَ القَصْـرِ لَوْلانَـا لَمَـا عَرَفَـتْ
أَفْيَـاؤُهُ الخُضْـرُ سُمَّـاراً وَنُدْمَانَـا

يُمْنَـى السَـرابِ على الصَـحْـراءِ حَانِيَـةٌ
تُضَـاحِـكُ الـرَّكْـبَ واحـاتٍ وَغُدْرانَـا

قَـاعُ البِحَـارِ أَضَـاءَتْـهُ عرائِسُنَـا
وَنَـدَّتِ العَـدَمَ القَـاسِـي عَذَارانَـا

نُنَضِّـرُ البُـؤْسَ عِـنْـدَ البَـائِسِينَ مُنَىً
والعَـقْـلَ عاطِفَـةً والشَّـكْـلَ إِيمَـانَا

وَكُلُّ ذَنْـبٍ سِـوَى الـطُّغْيَـانِ نُنْزِلُـهُ
علـى جَوانِحِنَـا حُبّـاً وغُفْرَانَـا

وَهَـمُّ كُـلِّ عُفـاةِ الأَرْضِ نَحْمِلُـهُ
كأَنَّنـا أَهْلُـهُ هَمّـاً وَحِرْمانَـا

نُشـارِكُ النـاسَ بلواهُـمْ وإِنْ بعُـدوا
ولا نُشـارك أدنـاهُـم ببـلوانـا

ضَمَّـتْ مَحَبَّتُنـا الأَشْـتـاتَ واتَّسَعَـتْ
تَحْنُـو على الـكَـوْنِ أَجْنـاسـاً وأَدْيانَـا

سُبْحَـانَ مَنْ أَبْـدَعَ الـدُّنْيـا فَكَـانَ لَنَا
أَشْـهـى القَـوارِيـرِ مِنْ أَطْيـابِ سُبْحانَـا

سَتَنْـطـوِي الجَنَّـةُ النَشْـوى فَلا مَلَكـاً
وَلا نَعِيمـاً ولا حُـوراً وَوِلْدانَـا

يَفْنَـى الجَمِيـعُ وَيبْقَـى اللـهُ مُنْفَرِداً
فَـلا أَنِيـسَ لِنُـورِ اللـهِ لَوْلانَـا

لَنـا كِلَيْنـا بَقـاءٌ لا انْتِهـاءَ لَـهُ
وَسَـوْفَ يَشْـكُـو الخُلُـودَ المُرَّ أَبْقانَـا

* * *

تَأَنَّـقَ الشِـعْـرُ للأَعْيـادِ حَـالِيَـةً
وَقـطَّـفَ الـوَرْدَ مِـنْ عَـدْنٍ وَحَيَّانَـا

سَمْـحٌ فبالـريقَـةِ العَـذْراءِ نَادَمَنـا
نَهْـلاً وبالشَـفَـةِ اللَمْيـاءِ عَاطَانَـا

صَـاغَ الهِـلالَ لِتـاجِ المُلْكِ لُؤْلُـؤَةً
وأَنْجُـمَ اللَيْـلِ يَاقُـوتـاً وَمَرْجانَـا

يا صَاحِبَ التَاجِ لا تاجِ العِراقِ عَلى
كَريمِ أمْجادِهِ بَلْ تَاجِ عَدْنَانَا

جِبْرِيلُ حَوَّطَهُ باللهِ فانْسَكَبَتْ
عُطورُ جِبْرِيلَ أوْراداً وَقُرْآنَا

لَكَ الكُنوزُ فُتوحاتٍ مُنَضَّرَةً
فاغْمُرْ مِنَ الفَتْحِ يُمْنَانَا وَيُسْرَانَا

سُدْتَ الغَطارِيفَ فِتْياناً وَسادَهُمُ
أَبُوكَ في جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ فِتْيانَا

تَبارَكَ اللهُ ما أَسْمَى شَمائِلَكُمْ
لَكُمْ زَعامَةُ دُنْيانَا وأُخْرانَا

فَتَحْتُ عَيْنِي عَلى حُبٍّ صَفَا وَزَكا
فَصُنْتُهُ لِضِيَاءِ العَيْنِ إنْسَانَا

وَفِي ظِلالِ أَبِي غَازِي مُنَضَّرَةً
مَرَّ الشَبابُ مُرورَ الطَيْفِ عَجْلانَا

نُعْمَى لِصَقْرِ قُرَيْشٍ طَوَّقَتْ عُنُقِي
فَكَيْفَ أُوسِعُ نُعْمَى اللهِ نُكْرانَا

وَحِينَ شَرَّدَنَا الطاغِي وأَرْخَصَنَا
حَنَا العِراقُ فَآوانا وأَغْلانَا

وَمَنْ تَفَيَّأَ نَعْمَاءَ العِراقِ رَأى
بِالأَهْلِ أَهْلاً وَبالجِيرانِ جِيرانَا

إذَا العَـواصِفُ جُنَّـتْ فيـهِ هَدْهَدَهَـا
عَبْـدُ الإلـهِ وأرْسَـى المُلْكَ أرْكَانَـا
نُعْمَـى الوَصِـيِّ كَنُعْمَـى جَدِّهِ حَلِيَـتْ
عَلـى ضُحَـى النُـورِ أفْيـاءً وَأفْنانَـا

* * *

يا صاحِـبَ التـاجِ دُنْيَـا اللـهِ ما عَرَفَـتْ
إلاَّ عَمائِمَـكُـمْ في الشَـرْقِ تِيجانَـا
لَمْ يَقْبَـلِ اللـهُ إلاَّ فـي مَحَبَّتِكُـمْ
يا آلَ فاطِـمَ إسْـلاماً وإيمانَـا
غَنَّيْـتُ جَـدَّكَ أشْـعـارِي وَنُحْـتُ بِهَا
في مَصْـرَعِ الشَـمْـسِ إعْـوالاً وَإرْنانَا[1]
أصْـفَيْـتُ آلَ رَسُـولِ اللـهِ عاطِفَتـي
وَكُنْـتُ شـاعِـرَكُمْ نُعْمَـى وَأحْزَانَـا
وَمـا رَضِيـتُ جَـزاءً فـي مَوَدَّتِكُـمْ
لا يَعْـدَمُ الحُـرُّ أقْـواتـاً وأكفانَـا

* * *

أيُكْـرِمُ العِيـدُ شَكْوانـا فَقَـدْ نَزَلَـتْ
عَلَيْـكَ يا ابْـنَ رَسُـولِ اللـهِ شَكْـوانَا
نَدَّى شَمائِلَنـا بالـذِكْرَيـاتِ كَمَـا
نَـدَّى الخَيـالُ بِنُعْمَـى المَـاءِ ظَمـآنَا

---

١) في تأبين الملك غازي

يَرُوعُنِـــي العِيـــدُ دَيَّـــانـاً لأُمَّتِـهِ
مَـــنْ أغْضَـــبَ العِيـــدَ حَتَّـــى صـارَ دَيَّانَـــا

تَغَـــرَّبَ العِيـــدُ فـي قَوْمِـــي وأنْكَرَهُـــمْ
عَلَـــى المَيَادِيـــنِ أحْـــراراً وَعُبْدَانـا

مـالِـي أرى الشُـــمَّ فـي لُبْنـــانَ مُغْضِـيةً
تَطـامَنَـتْ للـرَزَايـا شُـــمُّ لُبْنانَـــا

لا صِيـــدُ غَسَّـــانَ والهَيْجَـاءُ ضارِيَـــةٌ
علـى السُـــروجِ ولا أقْيَـالُ مَرْوانَـــا

وَأُكْـرِمُ العِيـــدَ عنْ عَتْـبٍ هَمَمْـتُ بِهِ
لـــو شِئْـتُ أوْسَـعْتُـهُ جهـراً وَتَبْيـانَا

قَـدِ اسْـتَرِدَّ السَبَـايـا كُـلُّ مُنْهَـزِمٍ
لَـمْ تَبْـقَ فـي رِقِّهـا إلاَّ سَبَايَانَـــا

دَمٌ بِتُـونـــسَ لَمْ يُثْـأرْ لَـــهُ وَدَمٌ
بالقُـدْسِ ـ هـانَ علـى الأيَّـامِ ـ لا هَانَا

وَمـا لَمَحْـتُ سِيـاطَ الظُـلْـمِ دَامِيَـةً
الا عَـرَفْـتُ عليـهـا لحمَ أسرانـا

ولا نَمـوتُ علـى حـدِّ الظُبَـى أنَفـاً
حَتَّـى لَقَـدْ خَجِلَـتْ مِنَّـا مَنـايَـانَا

لَـوْ يَعْلَمُ البَـدْرُ فـي شَعْبَـانَ مِحْنَتَنَا
لَمـا أطَـلَّ حَيَـاءً بَـدْرُ شَعْبَانَـا

لَـوْ كَـانَ يَعْلَـمُ قَتْـلانَـا ، بَكَـتْ مِـزَقُ
عَلَـى الصَـحـاصِـحِ مِـنْ أَشْـلاءِ قَتْلانَـا

تَهَلْهَلَـتْ أُمَّتِـي حَتَّـى غَدَتْ أُمَـماً
وَزُوِّرَ الـوَطَـنُ المَسْـلـوبُ أَوْطَانَـا

وَقَـدْ عَرَفْـتُ الـرَزايـا وَهْـيَ مُنْجَبَـةٌ
فَـكَيـفَ لَـمْ تَلِـدِ الجُلَّـى رَزايَانَـا

كَفَـرْتُ بالحَسَـبِ السَـامِي إِلَـى مُضَـرٍ
اَسْـتَغْفِـرُ المجْـدَ إِنْـكـاراً وَكُفْرانَـا

تُطْـوَى القُبـورُ على المَوْتـى فَتَسْتُرُهُـمْ
وَفـي القُصـورِ وفـي السُلْـطـانِ مَوْتَانَـا

دَعُـوا الجِـراحَ لِوَهْـجِ النَـار سَافِـرَةً
فالجُـرْحُ يَقْتُـلُ إِنْـكـاراً وَكتمـانَـا

ذَلَّ الـدَهَـاءُ أَكـاذِيبـاً مُزَوَّقَـةً
فَـكانَ أَكْذَبَنـا بالقَـوْلِ أَدْهَانَـا

ثَاراتُ يَعْـرُبَ ظَمْـأى فـي مَصارِعِهَـا
تَجَـاوَزَتْهَـا سُقَـاةُ الحَـيِّ نِسْيانَـا

يا وَحْشَـةَ الثَـأْرِ لَمْ يَنْهَـدْ لَـهُ أَحَدٌ
فاسْـتَنْجَـدَ الثـأْرُ أَجْداثـاً وأَكفَانَـا

أَفْـدِي شَمَائِـلَ قَوْمِـي ثَوْرَةً ولَظَـىً
وعاصِـفـاً زَحَـمَ الـدُنْيَـا وَبُرْكانَـا

مَـنْ أطْفَـأَ الجُـذْوَةَ الكُبْـرى بأنْفُسِنَـا
أدَهْـرُنَـا حَـالَ أمْ حَالَـتْ سَجايَانَـا
هِـيَ الـكُؤوسُ ولَـكِـنْ أيْـنَ نَشْوَتُنَـا
وَهْـيَ الحُـروفُ وَلَـكِـنْ أيْـنَ مَعْنَانَـا

* * *

ما للـرِمـالِ الصَـوادِي لا نَبـاتَ بِهَـا
وَتُنْبِتُ المَجْدَ هِنْـدِيّـاً وَمُرَّانَـا
عَبَـدْتُ فِيهـا إلَـهَ الشَـمْـسِ مُنْتَقِمـاً
مُعَـذِّبـاً وإلَـهَ اللَّيْـلِ رَحْمَانَـا
أللَيْـلُ يَخْلُـقُ فِيهـا الحُـورَ مُتْرَفَـةً
وَتَخْلُـقُ الشَـمْـسُ جِنَّـانـاً وغِيلانَـا
عَلـى الـرِمـالِ طُيـوفٌ مِـنْ كَتائِبِنـا
نَشْـوى الفُتـوحِ ونَفْـحٌ مِـنْ سرَايانَا
لابْـنِ الـوَلِيـدِ علـى كُثْبـانِهـا عَبَـقٌ
سَـقَـى الهَجِيـرَ مِنَ الـذِكْـرى فَنَدَّانَا
وَفِـي النَسيمِ عَلـى الصَـحْـراءِ نَرْشُفُـهُ
طِيـبُ المُثَـنَّـى علـى رايَاتِ شَيْبانَا

* * *

يا فَيْصلاً فـي يَمِـينِ اللـه تَحْسُـدُهُ
بِيـضُ الـظُبَـى هاشِـمـيَّ الفَتْـحِ رَيَّانَـا

يا فَيْصَلاً في يَمِينِ اللهِ مُنْسَكِباً
كَجَدِّهِ المُرْتَضى يُمْناً وإيمانَا
يا فَيْصَلاً وَحَنَتْ في الخُلْدِ فاطِمَةٌ
تَسودُّ لَوْ قَبَّلتْ خَدّاً وأَجْفانَا
يَا فَيْصَلاً وانْتَخَتْ كِبْراً صَوارِمُنَا
وَزَغْرَدَتْ باسْمِكَ الحَالِي صَبايَانَا
يا فَيْصَلاً وَرَنا نَجْمٌ لِصاحِبِهِ
يَقُولُ : فَيْصَلُ أَحْلانا وأَسْمانَا
كَتائِبُ اللهِ مِنْ فِهْرٍ وإِخْوَتِهِ
فَعَطِّرِ المَجْدَ مَيْدَاناً فَمَيْدانَا
لِواءُ عَدْنانَ أَنْتَ اليَوْمَ صاحِبُهُ
فاقْحَمْ بِهِ الشَرْقَ : هَذا الشَرْقُ دُنْيانَا
ما فِي العِراقِ ولا في الشَامِ مَوْعِدُنَا
عَلى الثَنِيَّةِ مِنْ حِطِّينَ لُقْيانَا

١٩٥٣ * * *

جمرة الدنيا

مهداة الى الرئيس شكري القوتلي

عَهْـدٌ عَلَيْـهِ مـــن الضَـحـايـا رَوْنَـقُ
أَلْحَـقُ مِـنْ لَبِنَـاتِـهِ والمَنْطِـقُ
بَنَـتِ الـدُمـوعُ بِـهِ فَمَـكَّـنَ صَرْحَـهُ
جُـرْحٌ يَنِـزُّ وَعَبْـرَةٌ تَتَرَقْـرَقُ
وَدَمٌ سَقَـى ظَمَـأَ الصَبـاحِ فَفَجْرُهُ
ثَمِـلٌ وَمَشْـرِقُـهُ نَـدِيٌّ مُشْـرِقُ
وَزَكـا فَعِنْـدَ الغُـوطَتَيْـنِ تحِيَّـةٌ
مِنْـهُ تَـمُـرُّ على الصُـخُـورِ فَتُـورِقُ
مِـنْ خَالِـدٍ أَوْ مِنْ عُهـودِ أُمَيَّـةٍ
مـا انْفَـكَّ يَزْكُـو بـالشَـآمِ وَيَعْبَـقُ
وَحَلَـفْـتُ قَـدْ كَتَـبَ البَقـاءَ لَهَـا دَمٌ
قَـــانٍ وَعَهْـدٌ للحَلِيـفِ وَمَوْثِـقُ

* * *

رَافَقْتَهـا مِـنْ أَرْبعِـينَ تَصُـونُـها
وَتَـرُدُّ عَنْهـا النـازِلاتِ وتُشْفِـقُ
تُفْنِـي شَبـابَكَ فـي الشَـآمِ وَحُبُّهَـا
وشَـبـابُهـا فِـي جِـدَّةٍ لا تَخْلُـقُ

غَسَّانُ جُنَّ بِهَا وَهَامَ أُمَيَّةُ
وَهَفَا إِلَيْهَا الهَاشِمِيُّ المُعْرِقُ
لَمْ يُنْصِفُوا لَمَّا شَكَوْا نَزَواتِها
هِيَ جَمْرَةُ الدُّنْيَا تُضِيءُ وَتُحْرِقُ
تَبْغِي المَزِيدَ مِنَ الصَبَابَةِ والهَوى
وَتُلِحُّ لا تَحْنُو ولا تَتَرَفَّقُ
فَاعْذُرْ إِذا مَلَكَتْ هَوَاكَ فإِنَّهَا
وَأَبِيكَ أَمْلَحُ مَنْ يُحَبُّ وَيُعْشَقُ

* * *

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي الرَئِيسَ قَصِيدةً
تَحْمِي الثُغورَ فَكُلُّ بَيْتٍ فَيْلَقُ
وأَنَا الذي غَنَّى الشَآمَ فَهَزَّهَا
مِنْهُ البَيانُ العَبْقَرِيُّ المُونِقُ
دَلَّلْتُ مِحْنَتَهَا بِسِحْرِ قَصائِدِي
أَيَّامَ يَسْتَخْذِي الكَمِيُّ فَيُطْرِقُ
وَجَبَهْتُ بالحَقِّ العَنِيفِ عَدُوَّهَا
وَعَدُوُّهَا ثَمِلُ الضَغائِنِ أَخْرَقُ
أَلْقَى الأَذَى فِيها وأَطْرَبُ للأَذَى
فَمُشَرَّدٌ حِيناً وحيناً مُوثَقُ

* * *

رَنَتِ العُيونُ الى جَلالِكَ خُشَّعاً
والبَدْرُ يُلْثَمُ في العُيونِ ويُرْمَقُ
حَوَّطْتُهُ باسْمِ النَبِيِّ وآلِهِ
مِمَّنْ يَفِيءُ الى الظَلامِ وَيَرْشُقُ
في مَوْكِبٍ تَتَدَفَّقُ الذِكْرى بِهِ
والخَيْلُ في جَنَباتِهِ تَتَدَفَّقُ
مَرْوانُ آبَ الى الحِمى فَتَزَيَّنَتْ
لِلِقائِهِ بَعْدَ القَطيعَةِ جِلَّقُ
وكَأَنَّ فَتْحاً مِنْ فُتوحِ أُمَيَّةٍ
حَمَلَتْ بشائِرَهُ الجِيادُ السُبَّقُ

* * *

ذاكَ البِناءُ تَكامَلَتْ أَجْزاؤُهُ
إلاَّ طرائِفَ في يَدَيْكَ تُنَسَّقُ
وَيَزِيدُ في حُسْنِ القُصورِ وسِحْرِها
فَنٌّ يَرِفُّ إطارُها وَيُزَوِّقُ
إنْ تَعْيَ بالزَمَنِ الطَويلِ فَرُبَّما
صَحِبَ الأَناةَ الصانِعُ المُتأَنِّقُ
وأُعِيذُ عَهْدَكَ أَنْ يُقَرِّبَ خائِنٌ
فِيهِ وَيَظْفَرَ بالرِضى مُتَمَلِّقُ
إنَّ الأُلَى مَحَضُوكَ صَفْوَ ولائِهِمْ
غَيْرُ الأُلَى مَحَضُوهُ وَهْوَ مُرَنَّقُ

مَـنْ عَرَفْـتَ بَـلاءَهُ وَوفَـاءَهُ
أَهْـوىَ فَـأُسْـرِفُ فـي هَوايَ وَأَصْـدُقُ

* * *

تحية فيصل الصغير[1]

رَمَقَتْكَ العُيونُ حُبّاً وَوَجْدَا
وَفَتَحْنَا قُلوبَنَا لَكَ مَهْدَا
رَنَواتٌ مِنْ مُقْلَتَيْكَ الى الصَحْراءِ
رَفَّتْ بِها عُطوراً وَوَرْدَا ...
نَوَّرتْ ضِحْكَةُ الطُفولَةِ والمُلْكِ
بأحْلَى مِنَ النَعيمِ وأنْدَى

* * *

ضَجَّتِ البِيدُ بالسُؤَالِ فَنَجْدُ
مِنْ ذُراها العَذْراءِ يَسْأَلُ نَجْدَا
لِمَنِ الرَكْبُ كالنُبُوَّةِ عِطْراً
وَكَنْعمائِها فُتوحاً ورُشْدَا
بُورِكَ الطِفْلُ يُعْشِبُ الرَمْلُ يُمْناً
وَيَضوعُ الهَجِيرُ ظِلاً وبَرْدَا
نَفْحَةُ المُلْكِ والنُبُوَّةِ والفَتْحِ
فَمَنْ ساقَها إلَيْنا وأهْدَى

* * *

١) لمناسبة زيارته دمشق سنة ١٩٣٩

مَوكبٌ مَرَّ فالرِّمالُ عُيُون
تَنْسُبُ القادِمينَ خَالاً وجَدَّا
واذا مُشْرِفٌ مِنَ الرَمْلِ عالٍ
شَهِدَ الفاتِحِين جُنْداً فَجُنْدا
مَرَّ في جَفْنِهِ سَنا المَلِكِ الطِفْلِ
فَتَنَّى بِلَمْحَةٍ واسْتَرَدَّا
عَرَفَ الأصْيَدَ المُتَوَّجَ نُوراً
مِنْ أبِيهِ الهَادي وَفَرْقاً وخَدَّا
فَدَوَتْ في الظَلامِ زَغْرَدَةُ البُشْرَى
تَجُوبُ الصَحْراءَ قُرْباً وبُعْدَا
وأفاقَ الغُزَاةُ فالفارِسُ المُعْلَمُ
يَبْلُو سَيْفاً ويَمْسَحُ غِمْدا
وَحَنا عالَمٌ مِنَ الفَتْحِ والذِكْرى
عَلى فَيْصَلٍ وَحَيَّا ومَدَّى

* * *

يا بُناةَ الحُدودِ لا تَعْرِفُ الصَحْراءُ
في زَحْمَةِ الأعاصيرِ حَدَّا
لا تُغَرُّوا فإنَّ في النَفْسِ كِبْراً
يَتَنَزَّى وإنَّ في الصَدْرِ حِقْدَا
وسَجَايا الرِمالِ فينا فَما
يُرْقَبُ إلاَّ طُغْيانُها حين تَهْدا

الـرِمـالُ السمـراءُ ظَمْأى الـى
المـاء وتَسْـقِـي الـدُنْيـا إبـاءً ومَجْـدَا

* * *

مَلِـكَ الشـامِ لاَ أُداري عَـدُوّاً
جمَعَـتْ كَفُّـهُ الحُتـوفَ فَشَـدَّا
زَيِّـنِ القَصْـرَ قَصْـرَ جَدِّكَ واطْلَـعْ
فـي الـرِحـابِ الـزَهْـراءِ يُمْنـاً وسَعْـدَا
وَأْذَنِ الشِـعْـرَ يَسْكُـبِ العِـطْـرَ فـي
القَصْـرِ وَفـاءً وكبـريـاءً وخَمْـدَا
زَغْـرَدَتْ باسْـمِـكَ النـدِيِّ العَـذَارى
فَجَـرى فـي الشِـفـاهِ خَمْراً وشَهْـدَا
هاشِـمٌ والعَـزيزُ مِـنْ عَبْـدِ شَمْـسٍ
هَيَّـآ حُلْـمَ فَيْصَـلٍ وأَعَـدَّا

* * *

كافور

كَافُورُ قَدْ جُنَّ الزَمَانُ وإلَيْكَ آلَ الصَوْلَجَانُ
خَجِلَ السَرِيرُ مِنَ الدَّعِيِّ وَكَادَ يَبْكِي الأُرْجُوانُ
أيْنَ الأهِلَّةُ والكَوَاكِبُ والشَوامِخُ والرِعَانُ ؟
الهَاشِمِيونَ انْطَوَوْا وأُمَيَّةٌ كَانُوا فَبَانوا
كَافُورُ جَمِّعْ حَوْلَ عَرْشِكَ كُلَّ مَنْ حَقَدُوْا وهَانَوا
مَجْدُ البَغِيِّ تَعَافُ بَهْرَجَهُ المُخَدَّرَةُ الْرَزَانُ
حَرِّكْ دُمَاكَ فَإنْ أردتَ قَسَوْا وإنْ آثَرْتَ لانُوا
الخَاضِعُونَ لِمَا تَشَاءُ وَمَا دَرَوْهُ وَمَا اسْتَبَانُوا
النَاعمونَ عَلى اليَهُودِ عَلى رَعِيَّتِكَ الخِشَانُ
لِلْعَفَ تَخْوِينٌ بِدَوْلَتِهِمْ وَلِلِصِ ائْتِمَانُ

* * *

أشْبَعْتَ بِالْخُطَبِ الجِيَاعَ فَكُلُّ هَادِرَةٍ خِوَانُ
حَفَلَ السِمَاطُ وَمِنْ فَرَائِدِكَ الموائِدُ والجِفَانُ
خُطَبٌ الرئيسِ هِيَ الكَرَامَةُ والعُلَى ، وَهْيَ الضَمَانُ
هِي لِلْجِيَاعِ الطَيِّبَاتُ وَلِلْعُرَاةِ الطَيْلَسَانُ
هِيَ لِلْعُفَاةِ النَازِحِينَ لُبَانَةٌ وَهَوَىً وَحَانُ
خُطَبٌ مُصَبَّغَةٌ وَتُعْرَفُ مِنْ مَبَاذِلِهَا القِيَانُ
مِنْ كُلِّ عَاهِرَةٍ وَتَحْلِفُ أنَّهَا الخَوْدُ الحَصَانُ
إلْحَنْ وَكَرِّرْ مَا تَشَاءُ فَإنَّهَا الخُطَبُ الحِسَانُ

وَإذا رَطَنْتَ فَإنَّها عَرْبَاءُ خَالِصَةُ هِجَانُ[1]
كَافُورُ قَدْ عَنَتِ الوُجُوهُ فَكَيْفَ لا يَعْنُو البَيَانُ ؟

* * *

الفِكْرُ مِنْ صَرْعَى هَواكَ وَمِنْ ضَحَايَاكَ الجَنَانُ
يُغْنِي الشَآمَ عَنِ الكَرَامَةِ والنعِيمِ المِهْرَجَانُ
حُشِدَتْ لِطَلْعَتِكَ الجُمُوعُ فَهَوَّنَ الخَبَرَ العِيَانُ
هَتَفُوا فَبَيْنَ شِفَاهِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ حَرْبٌ عَوَانُ
غَرْثَى وَيَتْخَمُ مِنْ لُحُومِ الأَبْرِيَاءِ الخَيْزُرَانُ
عَضَّتْ ظُهُورَهُمُ السِيَاطُ فَكُلُّ سَوْطٍ أُفْعُوَانُ
الرَاكِعُونَ ، السَاجِدُونَ عَنَوْا لِوَجْهِكَ واسْتَكَانُوا
الجَائِعُونَ وَزَرْعُهُمْ لكَ والمناهلُ والجِنَانُ
القَاطِفُونَ كُرومَهُمْ وَلَكَ السُلاَفَةُ والدِنَانُ
الحَاضِنُونَ شَقَاءَهُمْ وَلَكَ المَتَارِفُ واللَّيَانُ
الظَامئُونَ ويومُهُمْ شَرِسُ الهَوَاجِرِ إضْحِيَانُ
المالكونَ قُبورَهُمْ لَمَّا عَصَفْتَ بهم فَحَانُوا
لَكَ عُذْرَةُ العُرْسِ الحزينِ فَمَا تُعَزُّ ولا تُصانُ
وَلَكَ الظِلالُ فَبَعْضُ جُودِكَ أَنْ يُفَيِّئَهُمْ مكانُ
وَدِماؤهم لَكَ والبَنونَ فما الأباطح والرِعانُ
ولك العِبادَةُ لا لِغَيْرِكَ والتشَهُّدُ والأذان
كافورُ أَنْتَ خَلَقْتَهُمْ كونوا ـ هَتَفْتَ بِهِمْ ـ فكانوا

(١) الهجان : الكريمة الخالصة .

كافورُ مِنْ بَعْضِ الإماءِ زُبَيْدَةٌ ... والخَيْزُرانُ
مَرْوَانُ عَبْدٌ مِنْ عَبيدِكَ لاَ يُزَانُ وَلاَ ... يُشَانُ
لِلسَّوْطِ جَبْهَتُهُ إذا اسْتَعْلَى وَلِلْقَيْدِ البَنَانُ
يا مُكْرِمَ الغُرَبَاءِ والعَرَبيُ مُحْتَقَرٌ ... مُهَانُ
تاريخُ قَوْمِيَ في يَدَيْكَ يُدَانُ حَسْبُكَ ما يُدَانُ
زَوَّرْتَهُ وسطا على الأَقْدَاسِ أَرْعَنُ أُلْعُبَانُ
ما عَفَّ في الموتى هَوَاهُ ولا الضَميرُ ولا اللِّسَانُ
يَا عَبْقَرِيَ الظُّلْمِ فيهِ لكَ ابْتِدَاعٌ وافْتِنَانُ

* * *

نَحْنُ العَبِيْدُ فَلاَ تُحَرِّكَنَا الضَغِينَةُ واللِعَانُ
لاَ الْفَقْرُ يُلْهِبُ في جَوَانِحِنا الإباءَ ولا الهَوانُ
فاسْجُنْ وَعَذِّبْ واستَبِحْ حُرُماتِنا وَلَكَ الأَمانُ
هَمَدَتْ حَمِيَّتُنَا على الجُلَّى وماتَ العُنْفُوانُ
مِنْ رِقِّ فَتْحِكَ حَازَنَا سَيْفٌ وأَحْرَزَنا سِنَانُ
والذُلُّ أطْيابُ العبيدِ فما البَخُورُ وما اللُّبَانُ
والظُلْمُ مِنْ طَبْعِ الجَبَانِ وكلُ طاغيةٍ جَبَانُ

* * *

يا أيها الصَنَمُ المُدِلُّ فَما مَناةُ وما المَدَانُ
إنْ الَّهُوكَ فَرُبَّما فَضَحَ الأُلوهَةَ ثَعْلَبَانُ

* * *

بأبي السُهولُ جَمَالُها كَرَمٌ وَنِعْمَتُهَا اخْتِزَانُ

المُذْهَبَاتُ كَمَا تَمَوَّجَ فِي الضِّيَاءِ الزَّعْفَرَانُ
عَهْدِي بِهَا أُخْتَ الرَّبِيعِ وللمُهُورِ بِهَا إِرَانُ
تِلْكَ المُرُوجُ شَذاً وافيَاءُ وسَاجِعَةٌ وَبَانُ
وَسَنَابِلٌ لِلطَّيْرِ يَنْفُدُهَا فَيَنْفَرِطُ الجُمَانُ
وَثُغَاءُ ماشِيَةٍ وَيَصْهِلُ فِي مراعِيهَا .. حِصَانُ
لاَ خِصْبُهَا غِبٌّ وَلاَ سُقْيَا غَمامَتِها .. دِهَانُ
زَهْرَاءُ تُجْدِبُ كُلُ أَرْضٍ وَهْيَ مُخْصِبَةٌ عَوَانُ
وَشْيُ الغَمَامِ فَمَا الطَّنَافِسُ والحَرِيرُ وأَصْفَهَانُ
سَلِمَتْ جُبَاتُكَ ، قُطْنُنَا عَافٍ وَحِنْطَتُنَا .. زُوَانُ
جُعْنَا وَيَسْلَمُ لِلإِذَاعَةِ هَيْلُهَا وَالهَيْلَمَانُ
سَلِمَتْ جُبَاتُكَ لاَ الخِماصُ مِنَ الشِيَاءِ ولاَ السِمَانُ
أَغْلى من الفَرَسِ الجَوادِ ـ وَلاَ شَمَاتَ بِهِ ـ العِنَانُ
لاَ الزَرْعُ يَضْحَكُ فِي المُروجِ وَلاَ يَضُوعُ الأُقْحُوَانُ
خُرْسُ البَلابِلِ والجَدَاوِلِ دُلَّهُ الشَكْوَى حِزَانُ

* * *

الضارِعَاتُ إِلى السَمَاءِ وَلاَ تُجَابُ وَلاَ تُعَانُ
كالأُمَّهَاتِ الثَّاكِلاَتِ فَعَزَّ شَمُ ... واحْتِضَانُ
وَأَدَ الهَجِيرُ بَنَاتِهِنَّ فَكُلُ رَوْضٍ صَحْصَحَانُ
بَيْنَ السَمَاءِ وَبَيْنَهَا ثَدْيُ الأُمُومَةِ واللِبَانُ
نَسِيَتْ أُمومَتَهَا السَمَاءُ فَمَا يُلِمُّ بِهَا حَنَانُ

* * *

أُمَـزِّقَ الأَرْحَـامِ لاَ يُبْنَـى عَلـى الحِقْـدِ الكِيَـانُ
غَـرِّبْ وَشَـرِّقْ فِـي هَـواكَ وَخُـنْ فَمِثْلُهُـمُ يُخَـانُ
واغْـزُ الـكَـواكِـبَ بالغُـرور فَـأَنْـتَ مَنْصُـورٌ مُعَـانُ
بالخُـطْبَةِ العَصْـمَـاءِ تُقْتَحَـمُ المَعَـاقِـلُ والقِنَـانُ
والشَتْـمُ مِـنْ آلاتِ نَصْـرِكَ لاَ الضِـرَابُ وَلاَ الطِعَـانُ
وَلَـكَ الفُتـوحُ المُعْلَمَـاتُ وَمِـنْ بَشَـائِـرِهَـا عُمَـانُ
كَـافُـورُ طَاغِيـةٌ وَفِـي بَعْضِ المَشَـاهِـدِ بَهْلَـوَانُ
مَـنْ أَنْـتَ فِـي الحَلَبَـاتِ تَقْحَمُهـا إِذَا احْتَـدَمَ الـرِهَـانُ
فَضَـحَ الهَجِيـنَ بِشَـوْطِهِ لُـؤْمُ المنـابِـتِ والحِـرَانُ
مَـنْ أَنْـتَ ؟ عَـاصِـفَـةٌ وَتَذْهَـبُ مِثْلَمَـا انْقَشَـعَ الـدُخَـانُ
مَـنْ أَنْـتَ ؟ لاَ المَجْـدُ الأَصِيـلُ وَلاَ شَمَائِلُـهُ اللَّـدانُ
لاَ العَبْـقَـرِيَـةُ فِيكَ مُشْرِقَـةٌ وَلاَ الـخُـلُـقُ الحُسَـانُ
لاَ الفِـكْـرُ مُـؤْتَنِـفٌ العُـطُـورِ وَلا البَيَـانُ وَلاَ الجِنَـانُ
لاَ السِّـرُّ عَنْـدكَ أَرْيَحِـيُّ المَكْرُمَـاتِ وَلاَ العِـلانُ
مَـنْ أَنْـتَ ؟ .. إِنْ ذُكِـرَ العِظَـامُ وَرَنَّـحَ الـدُنْيَـا افْتِنَـانُ
مِـنْ أَنْـتَ ؟.. لَـوْلاَ صَـوْلَـةُ الـطُغْيَـانِ ، أَنْـتَ إِذَنْ فُـلاَنُ

* * *

كَافُـورُ عَـرْشُـكَ لِلْفَنَـاءِ وَرُبَّمَـا آنَ الأَوانُ
الخَـالِـدَانِ ـ وَلاَ أَعُـدُّ الشَـمْسَ ـ شِعْـرِي والـزَمَـانُ

* * *

فرعون

يـا نَجْـدُ جَنَّـاتُ وبيـدٌ بِكَلَيْهمـا سَكِـرَ النشيـدُ
ألـرملـةُ الـظمـأى حنيـنُ الشـوقِ والـرَوْضُ المجُـودُ
أرِجَـتْ صَبـاكِ . يجِيدُ ـ حينَ يَشـمُّهـا ـ مـنْ لا يجِيـدُ
وعـرائـسُ الأحـلامِ نُعْمـانُ الجـزيـرةِ والنَفُـودُ
وقـوافِـلٌ بمَتـاهَـةٍ ، أَلنَجْـمُ قـائـدُهـا الـوحيدُ
وهـوادِجٌ لِحِمـى السيـوف وحَـوْلَهَا العَـددُ العـديدُ
رنَّ الحِلِـيُّ بهـا وجَـرْجَـرَ فـي مبَـاركِهِ قَعُـودُ
أَلجُهْـدُ هَـدَّ قَـلُوصَـهـا بـالـرَمْـلِ والمرْعَـى الجَهيـدُ
والشيـحُ قـاطَعَـهُ النسيـمُ فَـلاَ يَمِيـلُ ولا يميـدُ
وأشِـعَّـةٌ كالنـارِ. تِبْـرٌ، مـا لِسـائِلِـهِ جُـودُ
ثَـمَّ الضُـحـى فـاذا عَيَـوْا فَبِـظِـلِّ عيسـهِمُ الـرُقـودُ
حتَّـى إذا أخْـفـى الضِيَـاءَ غـدائِـرُ لِلَـيْـل سُـودُ
فالبَـدْرُ والحـادي وخَـطْـوٌ بَيْـنَ سِحْـرِهمـا وَئِيـدُ
وعلـى الـربـي النيـرانُ عَطَّـرَ وَهْجَهـا غـارٌ وعُـودُ
هِـي والصَـبـاحُ لـه عمـودٌ ضـاحِـكٌ ولهـا عَمُـودُ
وصـهيـلُ أفـراسٍ وراغِيـةٌ واضْيـافٌ وَجـودُ
ونُسَيْمَـةٌ هَفْهـافَـةٌ ثم المنـاهِـلُ والـوُرُودُ
ومُـدَهَّـانِ نَـأَتْ ديـارُهُما ومـا نأتِ الكُبـودُ
حَـمَلَـتْ حنينَهُـما الصَبـا بِـأبي الرِسـالَـةُ والبَـريـدُ

رَضْـوى خَيـالُ قصـائـدي وطيـوفُ أجْفـانـي زَرُودُ
أنـا مِلْـكُ إلهـامـي فـلا أُبـدي هُنـاكَ ولا أُعيـدُ
مـا رُحْـتُ أَحْـكُـمُ بالقصيـدِ وراح يحَـكمنـي القَصِيـدُ
إنْ شـاءَ تَـمَّ لنـا اللقـاءُ وإنْ يشَـأْ كُتِـبَ الصُـدودُ
والأمْـرُ مـا يختـارُهُ هُـو سَيِّـدٌ وأنـا المَسُـودُ
وأريـدُهُ فيفـوتُنـي ويـزورُ سـاعَـةَ لا أُريـدُ
سِـرِّي واجْهَـلُ كُنْهَـهُ فقـديـمُ صُحْبَتِنـا جـديـدُ
والـروحُ أقْـرَبُ مـا إلَيْـكَ وغَيْبُهـا الـداني البَعيـدُ

* * *

أَلشِـعْـرُ أَنْغـامٌ مُعْـطَـرَةٌ ولُـؤْلـؤةٌ وجيـدُ
فِيـهِ الهـوى والأريحيـةُ والسُـلافَـةُ والمـزَيـدُ
فَـرَحٌ مُقِيـمٌ فـي سرَائِـرِنـا وقـافِيـةٌ شَـرودُ
أوزانُـهُ عقـد الحـريـر على العـرائـس لا القُيـودُ
الصـائنـاتُ لـه كمـا صيـنَـتْ بِعفَّتِهـا النُهـودُ
نـورٌ تحُـدِّدُهُ الحـروف وتُخْطـيءُ النُـورَ الحُـدودُ
أَحْلـى الصِـعـابِ قصـائِـدٌ ونـواعِـمٌ كالـوَرْدِ خُـودُ
ومِـنَ التَمنُّـعِ مـا يُـدَلِّـهُ بالجَمـالِ وما يـزيـدُ
الشِـعْـرُ والحُسْـنُ المُـدلُّ كِلاهُمـا طاغٍ عَنيـدُ

* * *

أنـا مَـنْ تُغَنِّيـهِ النُجـومُ علـى السُـلافِ فيستعيـدُ
وعلى المَشيـبِ وعُنفُـوانِ مِمَّـا يـؤودُ ولا يَـؤُودُ
لَتصيـدُنـي نُجْـلُ العُيـونِ وقـد أُغِيـرُ وقـد أَصِيـدُ
مـا كـان يُقْنِعُني اللقـاءُ فَصِـرْتُ تُقْنِعُنـي الـوُعُـودُ
عـاد الـربيـعُ فيـا شَبـابُ : ألا تَحِـنُّ ؟ ألا تَعُـودُ ؟
لـي فـي ظِـلالِ الأَرْزِ تَقْتَـطِـفُ الـوُرودَ بِـهِ الـوُرودُ
سَمْـراءُ كـالأحـلامِ : جَفْنُـاهـا وجَفْـنُ الليـل سُـودُ
أَلْحُسْـنُ يَحْسُـدُ نَفْسَـهُ فيهـا ، لقد كَـرُمَ الحَسُـودُ
ويَغـارُ مـن شُهْـدِيِّهـا جـاراهُ : سـالِفَـةٌ وجِيـدُ

* * *

سمـراءُ حُبُّـكِ صَحْـوِيَ السَـكْـرانُ والغَـيُّ الـرشيـدُ
لُفِّـي عـلى الجَسَـدِ البُـرودَ تُـؤَرِجِ الـدُنْيـا البُرودُ
أَلـروحُ فيـكِ فـريـدةٌ يَـزْهـو بهـا جَـسَـدٌ فـريـدُ
ذكـراكِ إنْ عـزَّ اللِقـاءُ لِلَـوْعتي كـأسٌ وعُـودُ

* * *

أنـا سـاحِـرٌ لَمَـسَ الغُصـونَ وضَـمَّهـا فَهِـيَ القُـدودُ
ومِـنَ الشـقـائِـقِ حيـن أَقـطِفُهـا المَـراشِـفُ والخُـدودُ
ومـن الـدمـوعِ وقـد ضَنَنتُ بهـا الـلآلـيءُ والعُقـودِ
وغَمَـزْتُ عِطْـرَ الأُقحُـوانِ فَنَـوَّرَتْ شَـفَـةٌ بَـرودُ

عندي الكنوزُ فكيف تسألُني النُجومُ ولا أجودُ
أُعْطي وتَسألُ ـ لا نَمَلُّ ـ فتستزيدُ وأستزيدُ
شُهْبُ السماءِ تفرَّقتْ في الأفق تَنْقُصُ أو تَزيدُ
كُتِبَ الضياءُ لِبَعْضِها ولِبَعْضِها كُتِبَ الهُمودُ
والعبقريةُ كالضُحى من بعض نِعْمَتِهِ الوجُودُ
وأنا الغريب بِموطني وأنا المُشرَّدُ والطريدُ

* * *

قُلْ لِلَّداتِ بتدْمُرٍ[1] عَزَّ المُفاخِرُ والنَديدُ
سِجْنٌ تَضِيقُ كُهوفُهُ والسَهْلُ مُنْبَسِطٌ مديدُ
أَلدَهْرُ أَقْعَدني ولم يَكُ من شمائِلِيَ القُعودُ
والسُقْمُ فَوَّتَ أن أُشارِكَكُمْ وذُرْوَتُهُ كَؤُودُ
شَرَفاً على عَضِّ القُيودِ فَشارةُ الشَرَفِ القُيودُ
أَسْمى القُلوبِ هُوَ الرحيبُ على النَوازِلِ والجَليدُ
نحنُ الحُماةُ الأَوَّلونَ. قُبورُ صَرْعانا الشهودُ
نحنُ العقيدةُ والرسالةُ والمعارِكُ والخُشودُ
إنْ يُصْرَعِ البَطَلُ النجيدُ تَقدَّمَ البَطَلُ النَجيدُ
وتفاسمَ الكوخُ الوديعُ النَصْرَ والقصْرُ المشيدُ
أَيَّامَ لا الطَبَقاتُ مَزَّقَتِ الصُفوفَ ولا الحُقودُ
كُنِرَتْ جُهودٌ كالضحى لِلّهِ والوَطَنِ الجُهودُ

---

[1] تدمر معقل الاحرار.

أنا والعهود فلم يَضِعْ حُبٌّ ولم تُنكث عهودُ
عيني الضنينةُ بالدموعِ وقلبي المُضْنَى العميدُ
ماد الطغاةُ بكم ، فيا فَلَكَ السماءِ ألا تميدُ ؟
فلكٌ يدورُ ولم اجدْ فَلَكاً أُتيحَ له الركودُ
بيني وبَيْنَ الظلم نار وغَىً يُشَبُّ لها وَقُودُ
ألحبُّ عُدَّتيَ الوحيدةُ لا السلاحُ ولا الجنودُ
وتَهونُ عندي النائباتُ فلا أَلينُ ولا أَحِيدُ
يا ربِّ عَفوَكَ إنْ سألْتُ وأَنْتَ تعلَمُ مَنْ أُريدُ
مِنْ أي طينٍ أُنْشِىءَ الظمآنُ للدمِ والحَقُودُ
أَللَّينونَ على العَدُوِّ وبَأْسُهُمْ فينا شديدُ
جَلَّ الوِدادُ فكان من أسماءِ عِزَّتكَ الوَدُودُ
أَلِغَيرِ وجْهِكَ في كنائتكَ العِبادَةُ والسجودُ
فِرْعَوْنُ عاد فكيف كيف وقد عَصَفْتَ به يَعودُ ؟
ما للطغاةِ سيادةٌ ، يُخْشَى الظَلامُ ولا يَسُودُ
دنيا العروبةِ رَجَّها باهَوْلِ شيطانٌ مَريدُ
صُبغَتْ بألوانِ الأذى فَخُطوبُها حُمْرٌ وسُودُ
أَرْضُ الكِنَانةِ ما بها إلاَّ المُتَوَّجُ والعبيدُ

* * *

فِرْعَوْنَ مِصْرَ : وأَنْتَ من رشقَ المصاحِفَ لا الوليدُ
فرعونَ مِصْرَ : وأَنْتَ مَنْ قَتَلَ الهواشِمَ لا يزيدُ
سُمِّيتَ فِرْعَوْنَ الكِنانَةِ وهي تسميةٌ كَنُودُ

فِرْعَوْنُ ذَلَّ بِه اليهودُ وأَنْتَ عَزَّ بِكَ اليهودُ
طامِنْ غُرورَكَ . لم تَدُمْ عادٌ ولا بَقِيتْ ثَمُودُ
ولَئِنْ ذُكِرْتَ فإنَّ ذِكْرَكَ لا الزَكيُّ ولا الحميدُ
ولَئِن حَكَمْتَ فإنَّ عَيْشَكَ لاَ الهنيُّ ولا الرغيدُ
تَتناهَبُ الأشلاءُ نَوْمَكَ والعواصِفُ والرُعودُ
وهواجِسُ اليمَنِ السعيد . ورَجَّكَ اليَمَنُ السعيدُ

* * *

مُغْرَىً بِحُبِّ الإمَّعَاتِ طريفُ حُكْمِكَ والتليدُ
مِنْ كُلِّ أبْلَهَ عاثرٍ وغْدٍ يَضُرُّ ولا يُفيدُ
الغَدْرُ طَبْعُكَ والدسائس والخيانَةُ والجحودُ
يتسلَّلُ النَذْلُ الجبانُ دُجىً وتَقتحِمُ الأسُودُ

* * *

أمُيَتِّمَ الأطفالِ : لا جَدٌّ عَناكَ ولا حَفيدُ
أُمٌّ مُزَّقَةٌ وفي أحْضانِها هُشِمَ الوَليدُ
شَكَتِ الأرامِلُ والثكالى والطفولةُ والمُهودُ
يا قاتلاً بأخٍ أخاهُ . كلا قتيلَيْكَ الشهيدُ
أولاَ تَخافُ على بَنيكَ وقد تَعَثَّرتِ الجدودُ
أنْ يُسْتَجابَ دُعاءُ ثاكِلةٍ وأدْمُعُها تجودُ
فَترى بَنِيكَ مُصَرَّعينَ ولا تَضُمُّهُمُ اللحودُ

* * *

كِـدْ للنبـيِّ ودِينـهِ أللـهُ فَـوْقَـكَ إذْ تكِيـدُ
بـادَ الـطُّغـاةُ جميعهُـمْ أمّـا الشعـوبُ فـلا تَبِيـدُ
خَـلِّ الـكِـرامَ وشـأنَهُـمْ خُلِـقَ الـكِـرامُ لكـي يسـودوا

١٩٦٦

البلبل الغريب

مهداة الى حفيدي محمد

سَلِي الجَمْرَ هَلْ غَالَى وَجُنَّ وَعَذَّبَا
كَفَرْتُ بِهِ حَتَّى يَشُوقَ وَيَعْذُبا
ولا تَحْرِمِينِي جُذْوَةً بَعْدَ جُذْوةٍ
فما اخْضَلَّ هذا القَلْبُ حَتَّى تَلَهَّبَا
وَمَا نَالَ مَعْنَى القَلْبِ إلاَّ لأَنَّهُ
تَمَرَّغَ في سَكْبِ اللَّظَى وَتَقلَّبَا
هَبِينِي حُزْناً لَمْ يَمُرَّ بِمُهْجَةٍ
فَما كُنْتُ أَرْضَى مِنْكِ حُزْناً مُجَرَّبَا
وَصُوغِيه لِي وَحْدِي فَرِيداً وأَشْفِقِي
على سِرِّهِ المَكْنُونِ أَنْ يَتَسَرَّبَا
مَصُوناً كأَغْلى الدُّرِّ عَزَّ يَتِيمُهُ
فَأُودِعَ في أَخْفَى الكُنُوزِ وغُيِّبَا
وَصُوغِيهِ مَشْبُوبَ اللَّظَى وَتَخَيَّرِي
لآلامِهِ ما كانَ أَقْسَى وأَغْرَبَا
وَصُوغِيه كالفَنَّانِ يُبْدِعُ تُحْفَةً
وَيَرْمُقُهَا نَشْوانَ هَيْمانَ مُعْجَبَا
فما الحُزْنُ إلاَّ كالجَمالِ ، أَحِبُّهُ
وأَتْرَفُهُ ، ما كان أَنْأَى وأَصْعَبَا

* * *

خَيالُكِ يا سَمْراءُ ، مَرَّ بِغُرْبَتِي
فَحَيَّا وَرَحَّبْنَا طَويلاً وَرَحَّبَا
جَلاكِ لِعَيْنِي مُقْلَتَيْنِ وناهِداً
وَثَغْراً كَمَطْلولِ الرَياحِينِ أشْنَبَا

فَصَانَكِ حُبِّي في الخَيالِ كَرامةً
وَهَمَّ بِما يَهْواهُ لَكِنْ تَهَيَّبَا
وَبَعْضُ الهَوى كالنُورِ إنْ فَاضَ يَأْتَلِقْ
وَبَعضُ الهَوى كالغَيْثِ إنْ فَاضَ خَرَّبَا

أَرَى طَيْفَكِ المَعْسُولَ في كُلِّ ما أَرَى
وَجِدْتُ ولكِنْ لَمْ أَجِدْ مِنْه مَهْرَبَا
سَقانِي الهَوى كأْسَيْنِ : يَأْساً وَنِعْمَةً
فَيالَكَ مِنْ طَيْفٍ أَراحَ وأَتْعَبَا

وَخَالَطَ أَجْفانِي على السُهْدِ والكَرى
فَكانَ إلى عَيْنِي مِنَ الجَفْنِ أَقْرَبا
شَكَوْنَا لَهُ السَمْراءَ حَتَّى رَثَى لَنَا
وَجَرَّأَنَا حَتَّى عَتَبْنَا فَأَعْتَبَا

وَناوَلَنِي مِنْ أَرْزِ لُبْنَانَ نَفْحَةً
فَعَطَّرَ أَحْزَانِي وَنَدَّى وَخَضَّبَا
وَثَنَّى بِرَيَّا الغُوْطَتَيْنِ يُذِيعُهَا
فَهَدْهَدَ أَحْلامِي وأَغْلَى وَطَيَّبَا

وَهَلْ دَلَّلَتْ لِي الغُوْطَتَانِ لُبَانَةً
أَحَبَّ مِنَ النُعْمَى وأحْلَى وأعْذَبَا
وَسِيماً مِنَ الأَطْفَالِ لَوْلاَهُ لَمْ أَخَفْ
ـ عَلى الشَيْبِ ـ أَنْ أَنْأَى وأنْ أَتَغَرَّبَا

تَوَدُّ النُجُومُ الزُهْرُ لَوْ أَنَّهَا دُمَىً
لِيَخْتَارَ مِنْهَا المُتْرَفَاتِ وَيَلْعَبَا
وَعِنْدِي كُنوزٌ مِنْ حَنَانٍ وَرَحْمَةٍ
نَعِيمِيَ أَنْ يُغْرَى بِهِنَّ وَيَنْهَبَا
يَجُور وَبَعْضُ الجَوْرِ حُلْوٌ مُحَبَّبٌ
وَلَمْ أَرَ قَبْلَ الطِفْلِ ظُلْماً مُحَبَّبَا
وَيَغْضَبُ أَحْياناً وَيَرْضَى وَحَسْبُنَا
مِنَ الصَفْوِ أَنْ يَرْضَى عَلَيْنَا وَيَغْضَبَا

وَإِنْ نَالَهُ سُقْمٌ تَمَنَّيْتُ أَنَّنِي
فِداءً لَهُ كُنْتُ السَقِيمَ المُعَذَّبَا
وَيُوجِزُ فيما يَشْتَهِي وَكَأَنَّهُ
بِإِيجَازِهِ دَلاَّ أَعَادَ وأَسْهَبَا

يَزُفُّ لَنا الأَعْيادَ عِيداً إذا خَطَا
وَعِيداً إذَا نَاغَى وَعِيداً إذَا حَبَا
كَزُغْبِ القَطَا لَوْ أَنَّهُ راحَ صَادِياً
سَكَبْتُ لَهُ عَيْنِي وَقَلْبِي لِيَشْرَبَا

وَأُوثِرُ أَنْ يَرْوَى وَيَشْبَعَ نَاعِماً
وَأَظْمَأَ فِي النُعْمَى عَلَيْهِ وأَسْغَبَا
وَأَلْثِمُ فِي دَاجٍ مِنَ الخَطْبِ ثَغْرَهُ
فَأَقْطِفُ مِنْهُ كَوْكَباً ثُمَّ كَوْكَبَا
يَنَامُ عَلَى أَشْوَاقِ قَلْبِي بِمِهْدِهِ
حَرِيراً مِنَ الوَشْيِ اليَمَانِيِّ مُذْهَبَا
وَأُسْدِلُ أَجْفَانِي غِطَاءً يُظِلُّهُ
وَيَالَيْتَهَا كَانَتْ أَحَنَّ وَأَحْدَبَا
وَحَمَّلَنِي أَنْ أَقْبَلَ الضَيْمَ صَابِراً
وَأَرْغَبَ تَحْنَاناً عَلَيْهِ وَأَرْهَبَا
فَأَعْطَيْتُ أَهْوَاءَ الخُطُوبِ أَعِنَّتِي
كَمَا اقْتَدْتَ فَحْلاً مُعْرِقَ الزَهْوِ مَصْعَبَا
تَأَبَّى طَوِيلاً أَنْ يُقَادَ .. وَرَاضَهُ
زَمَانٌ فَرَاخَى مَنْ جِمَاحٍ وَأَصْحَبَا
تَدَهَّلْتُ بالإيثَارِ كَهْلاً وَيَافِعاً
فَدَلَّلْتُهُ جَدّاً وَأَرْضَيْتُهُ أَبَا
وَتَخْفُقُ فِي قَلْبِي قُلُوبٌ عَدِيدَةٌ
لَقَدْ كَانَ شِعْبَاً وَاحِداً فَتَشَعَّبَا

* * *

وَ يَا رَبِّ مِنْ أَجْلِ الطُفُولَةِ وَحْدَهَا
أَفِضْ بَرَكَاتِ السِلْمِ شَرْقَاً وَمَغْرِبَا

وَرُدَّ الأَذَى عَـنْ كُـلِّ شَعْـبٍ وَإِنْ يَكُـنْ
كَفُـوراً وَأَحْبِبْـهُ وَإِنْ كَـانَ مُذْنِبَـا
وَصُنْ ضِحْـكَـةَ الأَطْفَـالِ يَـا رَبِّ إِنَّهَـا
إِذَا غَـرَّدَتْ فِـي مُـوحِشِ الـرَمْـلِ أَعْشَبَـا
مَلائِـكُ لاَ الجَنَّـاتُ أَنْجَبْـنَ مِثْلَهُـمْ
وَلاَ خُلْـدُهَـا ـ أَسْـتَغْفِـرُ اللَّـهَ ـ أَنْجَبَـا
وَيَـا رَبِّ حَبِّـبْ كُـلَّ طِفْـلٍ فَـلاَ يَـرَى
وإن لَـجَّ في الإعنـاتِ وجهـاً مُقَطِّبَـا
وَهَيِّـئْ لـهُ فـي كُـلِّ قلـبٍ صبـابةً
وفي كُـلِّ لُقْيَـا مَـرْحَبَـاً ثُـمَّ مَـرْحَبَـا
وَيَـا رَبِّ : إنَّ القَلْـبَ مِلْـكُـكَ إنْ تَشَـأْ
رَدَدْتَ مَحِيـلَ القَلْـبِ رَيَّـانَ مُخْصِبَـا

* * *

وَيَـا رَبِّ فِـي ضِيـقِ الـزَمَـانِ وَعُسْـرِهِ
أَرَى الصَبْـرَ آفَـاقـاً أَعَـزَّ وَأَرْحَبَـا
صَلِيـبٌ عَلـى غَمْـزِ الخُـطـوبَ وَعَسْفِهَـا
وَلَـوْلاَ زَغَـالِيلُ القَـطَـا كُنْـتُ أَصْلَبَـا
وَلِـي صَـاحِبٌ أَعْفَيْتُـهُ مِـنْ مَوَدَّتِـي
وَمَـا كَـانَ مَجْنُـونُ الغُـرُورِ لِيُصْحَبَـا
غَرِيبَـانِ لَكِنِّـي وَفَيْـتُ وَمَـا وَفَـى
وَنَـازَعَ حَبْـلَ الـوُدِّ حَتَّـى تَقَضَّبَـا

وَيَـا رَبِّ هَـذِي مُهْجَتِـي وَجِـراحُهَـا
سَيَبْقَيْـنَ إلاَّ عَنْـكَ سِـرّاً مُحَجَّبَـا
وَيَـارَبِّ : إنْ هَـانَـتْ دُمُـوعٌ فَأَدْمُعِـي
حَـرائِـرُ شَـاءَتْ أنْ تُصَـانَ وَتُحْجَبَـا

فَمَـا عَـرَفَـتْ إلاَّ قُـبـورَ أَحِبَّتِـي
وَإلاَّ لِـدَاتِـي فِـي دُجَـى المَـوْتِ غُيَّبَـا
وَمَـا لُـمْـتُ فِـي سَكْـبِ الـدُمُـوعِ فَلَـمْ تَكُـنْ
خَلَقْـتَ دُمُـوعَ العَيْـنِ إلاَّ لَتُسْكَبَـا
وَلَـكِـنَّ لِـي فِـي صَـوْنِ دَمْعِـيَ مَذْهَبَـاً
فَمَـنْ شَـاءَ عَـانَـاهُ وَمَـنْ شَـاءَ نَكَّبَـا

* * *

وَيَـا رَبِّ أَحْـزَانِـي وِضَـاءٌ كَـأَنَّنِـي
سَكَبْـتُ عَلَيْهِـنَّ الأَصِيـلَ المُذَهَّبَـا
تَرَصَّـدَ نَجْـمُ الصُـبْـحِ مِنْهُـنَّ نَظْـرَةً
وَأَشْـرَفَ مِـنْ عَلْيَـائِـهِ وَتَرَقَّبَـا
فَأَرْخَيْـتُ آلافَ السُـتـورِ كَأَنَّنِـي
أُمُـدُّ عَلـى حَـالٍ مِـنَ النُـورِ غَيْهَبَـا
فَغَـوَّرَ نَجْـمُ الصُـبْـحِ يَـأْسَـاً ومَـا رَأى
عَلـى طُهْـرِهِ ـ حَـتَّـى بَنَـانَـاً مُخَضَّبَـا

وَقَـدْ تَبْـهَـرُ الأَحْـزَانُ وَهْـيَ سَـوافِـرُ
وَلَـكِـنَّ أَحْـلاَهُـنَّ حُـزْنٌ تَنَقَّبَـا

* * *

وَيَـا رَبِّ : دَرْبٌ فِـي الحَيَـاةِ سَلَكْتُـهُ
وَمَـا حِدْتُ عَنْـهُ لَـو عَرَفْـتُ المُغَيَّبَـا
وَلِـي وَطَـنٌ أَكْبَرْتُـهُ عَـنْ مَـلاَمَـةٍ
وَأُغْلِيـهِ أَنْ يُدْعَـى ـ عَلَـى الـذَّنْبِ مُذْنِبَـا
وَأُغْلِيـهِ حَـتَّى قَـدْ فَتَحْـتُ جَوانِحِـي
أُدَلِّـلُ فِيهِـنَّ الـرَجَـاءَ المُخَيَّبَـا
تَنَكَّرَ لِـي عِنْـدَ المَشِيـبِ ـ ولا قِلَـى ـ
فَمِـنْ بَعْضِ نُعْمَـاهُ الكُهولَـةُ والصِبَـا
وَمِـنْ حَقِّـهِ أَنْ أَحْمِـلَ الجُـرْحَ راضِيـاً
وَمِـنْ حَقِّـهِ أَنْ لاَ أَلُـومَ وَأَعْتُبَـا

ومـا ضِقْـتُ ذَرْعـاً بالمَشيـبِ فإننـي
رأيـتُ الضُـحـى كالسيفِ عُـرْيانَ أَشْيَبَـا
يُمَـزِّقُ قَلبـي البُعْـدُ عَمَّـنْ أُحِبُّهُـمْ
ولـكِـنْ رأَيْـتُ الـذُلَّ أَخْشَـنَ مَرْكَبَـا
وَأَسْتَعْـطِـفُ التـارِيخَ ضَنّـاً بِأُمَّتِـي
لِيَمْحُـوَ مـا أُجْـزَى بِهِ لا لِيَكْتُبَـا

* * *

ويا ربِّ : عِزٌّ مِنْ أُمَيَّةَ لا انْطَوى
ويا ربِّ : نُورٌ وَهَّجَ الشَرْقَ لا خَبَا
وَأَعْشَقُ بَرْقَ الشام إنْ كان مُمْطِراً
حَنُوناً بِسُقْياهُ وإنْ كان خُلَّبَا
وَأَهْوَى الاديمَ السَمْحَ رَيَّانَ مُخْصِباً
سَنابِلُهُ نَشْوَى وأَهْواهُ مُجْدِبَا
مآرِبُ لي في الرَبْوَتَيْنِ وَدُمَّرٍ
فَمَنْ شَمَّ عِطْراً شَمَّ لِيْ فِيهِ مَأْرَبَا

* * *

سَقَى اللهُ عِنْدَ اللاذِقِيَّةِ شاطِئاً
مُراحاً لأَحْلامِي وَمَغْنَىً وَمَلْعَبَا
وَأَرْضَى ذُرَى الطَّوْدِ الأَشَمِّ فَطالَما
تَحَدَّى وسامى كُلَّ نَجْمٍ وَأَتْعَبَا
وَجادَ ثَرى الشَهْبَاءِ عِطْراً كأَنَّهُ
عَلَى القَبْرِ[1] مِنْ قَلْبِي أُرِيقَ وَذُوِّبَا
وَحَيَّا فَلَمْ يُخْطِئْ حَمَاةَ غَمامُهُ
وَزَفَّ لِجِمْصَ العَيْشَ رَيَّانَ طَيِّبَا
وَنَضَّرَ في حَوْرَانَ سَهْلاً وشَاهِقاً
وباكَرَ بالنُّعمى غَنِيَّاً وَمُتْرِبَا

---

١) قبر المرحوم سعد الله الجابري

وَجَلْجَـلَ فـي أَرْضِ الجَـزيرَةِ صَيِّـبٌ
يُـزاحِـمُ في السُـقْيَـا وفي الحُسْـنِ صَيِّبـا
سَحـائِـبُ مِنْ شَـرْقٍ وَغَـرْبٍ يَلُمُّهـا
مِـنَ الـرِيـحِ راعٍ أَهْـوَجَ العُنْـفِ مُغْضَبَـا
لَـهُ البَـرْقُ سَـوْطٌ لا تَنِـدُّ غَمامَةٌ
لِتَشْـرُدَ الا حَـزَّ فِيهَـا وَأَهْبَـا
يُـؤَلِّفُهـا حِينـاً وَتَـطْفِـرُ جُفَّـلاً
وَحـاوَلَ لَـمْ يَقْنَـطْ إلى أَنْ تَغَلَّبَـا
أَنَخْـنَ علـى طُولِ السَـمـاءِ وَعَرْضِهَـا
يُزاحِـمُ مِنْهَـا المَنْـكِـبُ الضَـخْـمُ مَنْكِبَـا
فَلَـمْ أَدْرِ هَـلْ أَمَّ السَـمـاءَ قَطِيعُهُ
مِـنَ الغَيْـمِ أَوْ أَمَّ الخِبـاءَ المُطَنَّبـا
تَبَـرَّجَ للصَـحْـراءِ قَبْـلَ انْسِكابِـهِ
فَلَـوْ كانَ للصَـحْـراءِ رِيقٌ تَحَلَّبَـا
وَتَعْـذِرُ طَـلَّ الفَجْـرِ لَمْ يُرْوِ صَادِيـاً
ولـكِنَّـهُ بَـلَّ الـرِمَـالَ وَرَطَّبَـا
وَيُسْكِـرُهَـا أَنْ تَشْـهَـدَ الغَيْـمَ مُقْبِـلاً
وأَنْ تَتَمَـلَّأَهُ وَأَنْ تَتَرَقَّبَـا
كَـأَنَّ طِبـاعَ الغِيـدِ فِيهِ فَـإِنْ دَنَـا
قَلِيـلاً . تَأَى حَتَّـى لَقَـدْ عَزَّ مَطْلَبَـا

وَيُطْمِعُهَـا حَتَّـى اذا جُنَّ شَـوْقُهَا
إِلَيْـهِ انْثَنَـى عَنْ دَرْبِهَـا وَتَجَنَّبَا
تَعُـدُّ لَيالِـي هَجْـرِهِ وَسَجِيَّـةٌ
بِـكُـلِّ مَشُـوقٍ أَنْ يَعُـدَّ وَيَحْسُبَا
وَيَبْـدَهُ بالسُّـقْيَـا علـى غَـيرِ مَوْعِـدٍ
فَمَـا هِـيَ الا لَمْحَـةٌ وتَصَبَّبَـا
كَذلِـكَ لُطْـفُ اللـهِ في كُـلِّ مِحْنَةٍ
وَإِنْ حَشَـدَ الدَهْـرُ القُنُـوطَ وأَلَّبَـا
إِلَىَ أَنْ جَـلاَهَـا كالـكَعَـابِ تَزَيَّنَـتْ
لِتُحْسَـدَ مِنْ أَتْـرابِهَـا أَوْ لِتُخْطَبَـا

* * *

وَمَـرَّتْ عَلى سُمْـرِ الخِيـامِ غَمامَـةٌ
تَجُـرُّ على صَـادٍ مِنَ الـرَمْـلِ هَيْـدَبَا[1]
نِطـافٌ عِـذَابٌ رَشَّـهَـا الغَيْمُ لُؤْلُؤاً
وَتِبْـراً فَما أَغْنَـى وأَزْهَـى وأَعْجَبَـا
حَبَـتْ كُلَّ ذِي رُوحٍ كَـرِيـمَ عَطائِهَـا
فَلَـمْ تَنْـسَ آراماً وَلَـمْ تَنْسَ أَذْؤُبَـا
وَجُنَّـتْ مَهـاةُ الـرَمْـلِ حَتَّـى لَغَازَلَـتْ
وَجُـنَّ حَمَـامُ الأَيْـكِ حَتَّـى لَشَبَّبَا

---

١) الهيدب : السحاب المتدلي

وطَـافَ الغَمـامُ السَـمْـحُ في البيدِ ناسِكاً
إلـى اللـهِ في سُقْيَا الـظِمَـاء تَقَرَّبا
عواطِـلُ مَـرَّ المُزْنُ فِيهِـنَّ صائِغاً
فَفضَّـضَ في تِلْـك السُـهـولِ وذَهَّبَـا
وَرَدَّ الـرِمـالَ السُمْـرَ خُضْـراً وَحاكَهـا
سَـمـاءً وأغْنـاهَـا وَرَشَّ وَكـوْكَبَـا
وَرَدَّ ضُـروعَ الشَـاءِ بالـدَّرِّ حُفَّـلاً
لِتُـرْضِـعَ حُمْـلانـاً جِيـاعـاً وَتُحْلَبَا
وَحَـرَّكَ فـي البِيـدِ الحَياةَ وسِـرَّهَا
فَمـا هامـدٌ في البِيـدِ إلاَّ تَوَثَّبـا
ولاعَـبَ فِي حَـالٍ من الـرَمْـلِ رَبْربـاً
وضـاحَـكَ في غـالٍ مِنَ الـوَشْـيِ رَبْرَبَـا[1]
وَجَمَّـعَ أَلْـوانَ الضِيـاءِ وَرَشَّهَـا
فـأَحْمَـرَ وَرْدِيّـاً وأَشْـقَـرَ أصْهَبَـا
وَأَخْضَـرَ بَـيْنَ الأَيْـكِ والبَحْـرِ حائِـراً
وأَبْيَـضَ بالـوَهْـجِ السَـمـاوِيِّ مُشْـرَبَا
وَلَـوْنَـاً مِـنَ السَـمْـراءِ صيـغَـتْ فُتُـونُـهُ
بَيَـاضَـاً نَعَمْ لَكِـنْ بَيَـاضَـاً تَعَـرَّبَـا
أَتَـدْرِي الـرُبَـى أنَّ السَـمَـاواتِ سَـافَـرَتْ
لِتَشْـهَـدَ دُنْيَـانـا فَأَغْفَـتْ عَلى الرُبَـى

---

١) الغطيع من بقر الوحش

أَلُـمُّ بِـكَـفَّـيَّ النُجـومَ وأَنْتَقِـي
مُـزَرَّرَهـا فِـي بَـاقَـتِـي والمُعَصَّبَـا
دِيَـارِي وَأَهْـلِي بَـارَكَ اللَّـهُ فِيهِمَـا
وَرَدَّ الـرِيَـاحَ الهُـوجَ أَحْنَـى مِـنَ الصَبَـا
وَأُقْسِـمُ أَنِّـي مَـا سَأَلْـتُ بِحُبِّهَـا
جَـزاءً وَلاَ أَغْلَيْتُ جَـاهـاً وَمَنْصِبَـا
وَلاَ كَـانَ قَلْبِـي مَنْـزِلَ الحِقْـدِ والأَذَى
فَـإِنِّـي رَأَيْـتُ الحِقْدَ خَـزْيَـانَ مُتْعَبَـا

* * *

تَغَـرَّبَ عَـنْ مُخْضَـلَّةِ الـدَوْحِ بُلْبُـلٌ
فَشَـرَّقَ فِـي الـدُنْيَـا وَجِيـداً وَغَـرَّبَـا
وَغَمَّـسَ فِـي العِـطْـرِ الإِلَهِـيِّ جَـانِحَـاً
وَزَفَّ مِـنَ النُـورِ الإِلَهِـيِّ مَـوْكِبَـا
تَحَمَّـلَ جُـرْحَـاً دَامِيَـاً فِـي فُؤَادِهِ
وَغَـنَّـى عَلَـى نَـأْيٍ فَأَشْجَـى وَأَطْرَبَـا

فيينا في ٣١ آب ١٩٦٣

عاد الغريب

نظمت على اثر العودة من الغربة القسرية التي فرضها الطغاة

حَلَفْتُ بالشَامِ هَذا القَلْبُ ما هَمَدَا
عِنْدِي بَقَايا مِنَ الجَمْرِ الذِي اتَّقَدَا
لَثَمْتُ فِيهَا الأَدِيمَ السَمْحَ فالْتَهَبَتْ
مَراشِفُ الحُورِ مِنْ حَصْبَائِهَا حَسَدَا
قَدْ ضَمَّ هَذا الثَرَى مِنْ صِيدهَا مِزَقاً
إِرْثَ الفُتوحِ وَمِنْ مُرَّانِهَا قِصَدَا[1]
أُلَمْلِمُ الجَمَراتِ الخُضْرَ مِنْ كَبِدِي
وَأَسْتَرِدُّ الصِبَا والحُبَّ والكَبِدَا
وَأَرْشِفُ الكَأْسَ مِنْ عِطْرٍ وَمِنْ غَيَدٍ
فَأُسْكِرُ المُتْرَفِينِ العِطْرَ والغَيَدَا
فَدَيْتُ سَمْراءَ مِنْ لُبْنَانَ سَاقِيَةً
حَنَانُهَا مَا اخْتَفَى مِنْ غُرْبَتِي وَبَدا
تَحْنُو عَلى اليَأْسِ فِي قَلْبِي فَتَغْمُرُهُ
نُورَا وَتُبْدِعُ فِيهِ الصَبْرَ والجَلَدَا
حُورِيَّةٌ طَافَ جِبْرِيلٌ بِجَنَّتِهِ
يُرِيدُ نِدًّا لِرَيَّاهَا فَمَا وَجَدَا

---

١) جمع قصدة : وهي القطعة من كل ما يُكسر

فَدَيْتُ جَفْنَيْنِ مِنْ سَكْبِ الدُجَى اكْتَحَلاَ
إذَا سَهِدْتُ عَلى جَمْرِ الغَضَا سَهِدَا

* * *

سَقَيْتُ خَمْرَةَ أَشْعَارِي لَمَى شَفَةٍ
بَخِيلَةٍ فَسَقَتْنِي الشَهْدَ والبَرَدَا
وَإِنْ كَبِرْتُ فَلِي كَنْزا هَوىً وصِبَاً
نَهْدَانِ مِنْ نُعْمَيَاتِ اللَّهِ قَدْ نَهَدَا
أَوْدَعْتُ عِنْدَهُمَا بَعْضَ الشَبَابِ فَمَا
خَانَا وَدِيعَةَ أَيَّامِي وَلاَ جَحَدَا
قَدِ ادَّخَرْتُ لِقَلْبِي عِنْدَ كِبْرَتِهِ
ما صَانَهُ كَادِحٌ للشَيْبِ واجْتَهَدَا
كَنْزاً يَضُمُّ لُبَانَاتِي مُنَوَّرَةً
وَمَا اطْمَأَنَّ مِنَ النُعْمَى وما شَرَدَا
أَمُدُّ كَفِّي إلى كَنْزِي فَيَغْمُرُهَا
بِمَا أُحِبُّ شَبَاباً جَامِحاً وَدَدَا
عَادَ الغَرِيبُ وَلَمْ تَظْمَأْ سَرِيرَتُهُ
فَقَدْ حَمَلْتُ بِهَا فِي غُرْبَتِي بَرَدَى
مَنْ رَوَّعَ البُلْبُلَ الهَانِي وأَجْفَلَهُ
عَنْ أَيْكِهِ وَسَقَاهُ الخَنْفَ لَوْ وَرَدَا
جَلاَنِيَ الظُلْمُ أَشْلاءً مُمَزَّقَةً
واحْتَزَّ أَكْرَمَهُنَّ : القَلْبَ والوَلَدَا

تُصْغِي النُجومُ إلى نَوْحِي فَيُسْكِرُهَا
يَبْكِي الهَزارُ وَيَبْقَى مُسْكِراً غَرِدَا

أَلْحَانِيَيْنِ عَلى قَلْبِي وَلَوْعَتِهِ
يُبَدِّدَانِ مِنَ الأَحْزَانِ ما احْتَشَدَا

قَلْبِي الذِي نَضَّرَ الدُنْيَا بِنِعْمَتِهِ
رَأى مِنَ الحِقْدِ أَقْسَاهُ وما حَقَدَا

فَيا لَقَلْبٍ غَنِيٍّ النُورِ مَزَّقَهُ
عَلى النَوى حِقْدُ أَحْبَابٍ وَحِقْدُ عِدَى

إِنِّي لأَرْحَمُ خَصْمِي حِينَ يَشْتُمُنِي
وَكُنْتُ أُكْبِرُهُ لَوْ عَفَّ مُنْتَقِدَا

عَانَيْتُ جَهْدَ مُحِبٍّ فِي الوَفَاءِ لَهُ
والغَدْرُ بِي كُلُّ ما عانَى وَمَا جَهَدَا

قَرَّتْ عُيُونُ العِدَى والأَصْفِيَاءِ مَعَاً
فَلَسْتُ أَمْلِكُ إلاَّ العِطْرَ والشَّهَدا

* * *

دَعُوا كَرَامَتِيَ العَصْمَاءَ نازِلَةً
عَلى الشُموسِ تُذِيعُ الحُسْنَ والرَأَدَا

كَرَامَتِي الحَجَرُ الصَوَّانُ ما ازْدُرِدَتْ
إلاَّ لِتَهْشِمَ أَنْيَابَ الذِي ازْدَرَدَا

كَغابَةِ الليْثِ إنْ مَرَّ العَدُوُّ بِهَا
رَأى الزَماجِرَ والأَظْفَارَ واللِّبَدَا

وَكَيْفَ أعْنُو لِجَبَّارٍ وقَدْ مَلَكَتْ
يَمِينِيَ القَمَرَيْنِ : الشِعْرَ والصَيَدَا
إذَا دَجَا النُورُ فِي غَمْرِ الضُحَى ائْتَلَقَا
وَإنْ سَطَا الظُلْمُ مَخْمُورَ الظُبَى صَمَدَا
عُروبَتِي فَوْقَ فَرْقِ الشَمْسِ سَاخِرَةٌ
مِنْ لُؤْمِ ما زَوَّرَ الوَاشِي وَمَا سَرَدَا
تَفَرَّدَ اللهُ بالأرْواحِ يُبْدِعُها
مِنْ سِرِّهِ لَمْ يُشارِكْ غَيْبَهُ أحَدَا
تَفَرَّدَ اللهُ بالأرْواحِ لا مَلأً
جلا لَهُ سِرَّها الأعْلى ولا بَلَدا
وَمَيَّزَ الشامَ بالنُعْمَى ودَلَّلَها
فَمِنْ ثَرى الشَامِ صاغَ الرُوحَ والجَسَدا
أُولى المَدائِنِ أُخْتُ الشَمْسِ قَدْ شَهِدَتْ
رُوما وغارَ الضُحَى مِنْها فَما شَهِدا
ثَراكِ والدُرُّ ما هَانا وإنْ ظُلِمَا
وأنْتِ والنورُ ما ضاعا وان جُحِدَا

* * *

يَسُومُنا الصَنَمُ الطَاغِي عِبادَتَهُ
لَنْ تَعْبُدَ الشامُ الا الواحِدَ الأحَدا
وَجْهُ الشآمِ الذي رَفَّتْ بَشاشَتُهُ
مِنَ النَعيمِ لِغَيرِ اللهِ ما سَجَدَا

تَفَنَّنَ الصَنَمُ الطاغِي فَأَلْفُ أذىً
وَأَلْفُ لَوْنٍ مِنَ البَلْوَى وأَلْفُ رَدَى
أنْحَى عَلى الشَامِ أرْيَافاً وحاضرةً
فَلَمْ يَدَعْ سَبَداً فيها ولا لَبَدا
جُهْدُ العُفاةِ مِنَ العُمَّالِ جِزْيَتُهُ
وكلُّ ما قَطَفَ الفَلاَّحُ أوْ حَصَدا
هَذا المُدِلُّ على الدُنْيَا بِصَوْلَتِهِ
ما صَالَ إلاَّ عَلى قَوْمِي ولا حَشَدا
وَمُرْعِدٍ مُبْرِقٍ ضَجَّتْ صَواعِقُهُ
حَتَّى إذَا قامَتِ الجُلَّى لَهُ قَعَدا
الظامِىءُ القَلْبِ مِنْ خَيْرٍ وَمَرْحَمَةٍ
فإنْ أَلَحَّ سَقَاهُ الحِقْدَ والحَسَدا
لَوِ اسْتَطاعَ محَا أمْجادَنَا بَطَراً
لَمْ يُبْقِ منهُنَّ لا بَدْراً ولا أُحُدَا

***

دَعِ الشآمَ فَجَيْشُ اللهِ حارِسُهَا
مَنْ يَقْحَمِ الغَابَ يَلْقَ الضَيْغَمَ الحَرِدَا
عَزَّتْ على كُلِّ فِرْعَوْنٍ عَرِينَتُها
ما رُوِّضَتْ ويروضُ القانِصُ الأَسَدا
إذَا العَدُوُّ تَحَدَّاها بِصَوْلَتِهِ
نَهَدْتُ أُرْخِصُ رُوحِي كُلَّما نَهَدا

تَفَحَّمَتْ كِبْرِيائِي يَوْمَ مِحْنَتِها
ما سامِعُ المِحْنَةِ الكُبْرى كَمَنْ شَهِدا
أهْوالَ ما أوْعَدَ الطاغِي لِيَصْرِفَني
عَنِ الشآمِ وَنُعْمَى كُلِّ ما وَعَدا

* * *

مَاذا يُرِيدُ الأُلَى أصْفَوْهُ وُدَّهُمُ
وَسَخَّرُوا لِهَواهُ المَالَ والعُدَدَا
يَكادُ تِمْثالُهُمْ يَحْمَرُّ مِنْ خَجَلٍ
وَقَدْ غَدا لِلطُّغَاةِ العَوْنَ والمَدَدَا
يا مِشْعَلَ النُّورِ كَمْ حُرِّيَّةٍ ذُبِحَتْ
عَلى يَدَيْكَ وَنُورٍ مَاتَ بَلْ وُئِدَا
قَدْ أنْكَرَ المِشْعَلُ الهادِي رِسالَتَهُ
فإنْ يُماجِدْ خَصِيماً بَعْدَهَا مُجِدَا
يَبْكِي لِحُرِّيَّةِ الدُّنْيَا وَيَذْبَحُها
عَلى هَواهُ ولا ثَأْراً ولا قَوَدا
وَمَنْ حَمَى ظُلْمَ فِرْعَونٍ لأُمَّتِهِ
فَقَدْ تَفَرْعَنَ طُغْيَاناً وَمُعْتَقَدَا
تَحَمَّلُوا وِزْرَ هذا الشَرْقِ مَزَّقَهُ
جُنُونُ طاغٍ فأضْحَى شَمْلُهُ بَدَدا
لاَ أكْذِبُ اللهَ قَدْ أضْحَتْ كُنوزُكُمُ
لِصَرْحِ طُغْيانِهِ الأرْكانَ والعُمُدَا

لا أُكـذِبُ اللـهَ مِـنْ أَمْوالِـكُـمْ صُقِلَـتْ
خَنـاجِـرٌ طَعَنَـتْ حُرِيَّتـي وَمُـدَى

* * *

يا رَاقِـدَ الثَـأْرِ لَـمْ يَأْرَقْ لِجَمْـرَتِهِ
جَيْـشُ الشـآمِ عَنِ الثَـاراتِ ما رَقَـدَا
جَيْشـي وَفَـوْقَ ذُرَى حِطِّيـنَ رَايَتُـهُ
غَـداً وَيُمْلِـي عَلى الـدُنْيَـا الفُتـوحَ غَـدا
أَلْمُطْمَئِـنُّ وَجَمْـرُ الثَـأْرِ في دَمِـهِ
خـابَـتْ رِياحُـكَ هذا الجَمْـرُ ما هَمَـدا
ألْحـامِـلُ الغَـارَ أَبْجَـاداً مُنَضَّـرَةً
والمُـدْرِكُ الثَـأْرَ لا زُوراً ولا فَنَـدَا
تَبَـرَّجَـتْ في السـمـاءِ الشَـمْـسُ حالِيَـةً
لِتَشْـهَـدَ العُـدَّةَ الشَـهْبـاءَ والعَـدَدا
جَيْشِـي وإيمـانُـهُ بالحُـكْـمِ مُجْتَمِعـاً
شُـورى وَقَـدْ داسَ حُكْـمَ الفَـرْدِ مُنْفَـرِدَا
لَبَّـى الشَـآمَ وقـد رِيعَـتْ كَرامَتُهـا
وَثـارَ للشَـعْـبِ مَنْهُـوبـاً وَمُضْطَهَـدا
إنَّ الـكَرامَـةَ والحُـرِّيَـةَ احْتَلَفـا
وَلَـنْ يُفـارِقَ حِلْـفٌ حِلْفَـهُ أَبَـدا
مِنْ هَـدْيِهِ صاغَـهـا الإسْـلامُ فانْسَكَبَـتْ
تُـوَزِّعُ النُـورَ والنَعْمَـاءَ والرَشَـدا

هَـذِي الحَنِيفِيَّـةُ السَـمْحـاءُ قاهِـرَةٌ
لا الـلاتُ عَـزَّتْ ولا فِرْعَـوْنُهـا عُبِـدَا
تَأَلَّـهَ الفَـرْدُ حِينـاً ثُـمَّ عاصِفَـةٌ
هَـدَّارَةٌ فكـأنَّ الفَـرْدَ ما وُجِـدَا
كَنْـزُ الحَنِيفَـةِ مِنْ حُـبٍّ وَمَرْحَمَـةٍ
كالنُّـورِ قد غَمَـرَ الـدُّنْيـا ومـا نَفَـدَا
نَبْـعٌ مِنَ الحُـبِّ لَوْ مَـرَّ الجحيـمُ بِهِ
لقـطَّـفَ الـظِـلَّ مِنْ رَيَّـاهُ وابْتَـرَدا
لا الفَقْـرُ حِقْـدٌ ولا النَعْمَـاءُ غاشِمَـةٌ
كِلاهُمـا انْسَـجَمـا بالحُـبِّ واتَّحَـدا
كِلاهُـما أَمْلَـتِ السَـمْحـاءُ حُرْمَتَـهُ
عَلى أَخِيـه فَمـا ابْتَـزَّا ولا حَقَـدَا
تُبْنَـى الشُـعُـوبُ عَلى قُرْبَـى وَمَرْحَمَـةٍ
ومـا بَنَـى الحِقْـدُ لا شَعْبـاً ولا رَغَـدَا
آمَنْـتُ بالفَـرْدِ حُـرّاً في عَقِيدَتِـهِ
وَكـلُّ فَرْدٍ ومـا وَالى ومـا اعْتَقَـدا
أَفْـدِي الشَـآمَ لِنُعْمـاهَـا وَعِزَّتِهَـا
مِـنْ أَرْبَعِيـنَ أُقَـاسِـي الهَـوْلَ والنَكَـدا

* * *

ضَـمَّ الثَـرى مِنْ أَحِبَّائـي لُيـوثَ شرَىً
وَغـابَ تَحْـتَ الثَـرى مِنْهُـمْ شُـمـوسُ هُـدَى

لِداتِـيَ الصيِـدُ ، شَـلَّ المَوْتُ سَـرْحَهُمُ
لَيْـتَ النُجـومَ وَرُوحِـي لِلِّـداتِ فِـدَى

الـراقِـدُونَ وَجَفْنِـي مِـنْ طُيوفِهِـمُ
في سـامِـرٍ ضَـجَّ في جَفْنِـي فَما رَقَـدا

قُبـورُ أهْلِـي وإخْـوانـي وَغافِيَـةٌ
مِـنَ الـطُيـوفِ وأسْـرارُ ورَجْـعُ صَـدَى

والليْـلُ والصَـمْـتُ والـذِكرى وَكَنْـزُ رُؤىً
لَمَحْـتُ مَارِدَ جِـنٍّ حَـوْلَـهُ رُصِـدَا

وَوَحْشَـةُ لَفَّـتِ الـدُنْيـا بِرَهْبَتِهـا
وَلَفَّـتِ الغَيْـبَ والأَحْـلامَ والأَبَـدَا

أَلحـانِيـاتُ علـى تِلْـكَ القُبـورِ معـي
وَنَبَّـهَ الفَجْـرُ طَيْـراً غافِياً فَشَـدا

حَتَّـى بَكَيْـتُ فَذابَـتْ كُلُّ واحِـدَةٍ
مِنْهُـنَّ فِي أَدْمُـعِ النَـائـي الـذِي وَفَـدا

هَشَّـتْ إلـيَّ قُبـورٌ ، أَدْمُعِـي عَبَقٌ
عَلَـى الـرَياحِيـنِ في أَفْيائِهـا وَنَـدَى

ضَمَّتْنِـيَ الشـامُ بَعْـدَ النَـأْيِ حَانِيَـةً
كالأُمِّ تَحْضُـنُ بَعْـدَ الفُـرْقَـةِ الوَلَـدا

رَدَّتْ إلَـيَّ شَبـابـي فـي مَتارِفِـهِ
وَهَيَّـأَتْ للصِيـالِ الفَـارِسَ النَجِـدَا

أنَــا الــوَفِيُّ وَتــأْبَــى الغُــرُّ مِنْ شِيَمــي
كُفْــرانَ نِعْمَــةِ مَنْ أسْــدَى إلَيَّ يَــدا

* * *

حنين الغريب

وَفَـاءٌ كَمُزْنِ الغُـوطَتَيْـنِ كَرِيـمُ
وَحُـبٌّ كَنَعْمَـاءِ الشَـآمِ قَـدِيمُ
وَشِـعْـرٌ كَآفَـاقِ السَـمَـاءِ تَبَـرَّجَـتْ
شُـمُـوسٌ عَلَـى أَنْغَـامِـهِ وَنُجُـومُ
يَـلُـمُّ (شَـفِيـقٌ)[1] كَوْكَبـاً بَعْدَ كَوْكَـبٍ
وَنَـسَّقَ مِنْهَـا العِقْـدَ فَهْـوَ نَظِيـمُ
مَعَـانٍ بِأَلْـوَانِ الجَمَـالِ غَنِيَّـةٌ
كَمَـا زَفَّ أَلْـوانَ الـطيـوبِ نَسِيـمُ
وَوَشْـيٌ كَأَحْـلامِ الشَـبَـابِ يَصُـوغُـهُ
أَنِيـقٌ بِأَسْـرارِ البَيَـانِ عَلِيـمُ
سَقَـانِـي سُـلاَفَ الشِـعْـرِ حَـتَّـى تَـرَنَّحَـتْ
دُمُـوعٌ وَغَنَّـتْ لَـوْعَـةٌ وَكُلُـومُ
فَفِـي كُـلِّ بَيْـتٍ رِيـقَـةٌ أَوْ سُـلاَفَـةٌ
وَرَيْحَـانَـةٌ شَـامِيَّـةٌ وَنَـدِيـمُ

***

تُطَـوِّحُنِـي الأَسْـفَـارُ شَـرْقَـاً وَمَغْـرِبَـاً
وَلَـكِـنَّ قَلْبِـي بالـشَـآمِ مُقِيـمُ

---

(١) شفيق جبري الشاعر الكبير . وقد اطلع على قصيدة (البلبل الغريب) فنظم قصيدة رائعة بعث بها الى الشاعر في جنيف .

وَأَسْمَعُ نَجْواهَا عَلى غَيْرِ رُؤْيَةٍ
كَأَنِّي عَلى طُور الجَلالِ (كَلِيمُ)
وَمَا نَالَ مِنْ إِيمَانِيَ السَّمْحِ أَنَّنِي
أُصَلِّي لَهَا فِي غُرْبَتِي وَأَصُومُ
وَلاَ نَالَ مِنْ قَدْرِي اغْتِرابٌ وَعُسْرَةٌ
يُصَانُ وَيُغْلَى الدُّرُّ وَهْوَ يَتِيمُ
وللْمَجْدِ أَعْبَاءٌ وَلَكِنَّهَا مُنًى
وَلِلْمَكْرُمَاتِ الغَالِيَاتِ هُمُومُ
وَخَاصَمَنِي مَنْ كُنْتُ أَرْجُو وَفَاءَهُ
وللشَّمْسِ بَيْنَ النَيِّرَاتِ خُصُومُ
يُلاقِي العَظِيمُ الحقد فِي كُلِّ أُمَّةٍ
فَلَمْ يَنْجُ مِنْ حقدِ الطَّغَامِ عظيمُ
ويَقْذى بِنُورِ العَبْقَرِيَّةِ حَاسِدٌ
وَيَخْزَى بِمَجْد اِلْعَبْقَرِيِّ لَئِيمُ
وَتَشْقَى عَلى الخِلْدِ اِلْنُفُوسُ كَمَا انْطَوتْ
قُلوبٌ عَلى جَمْرِ الغَضَا وَحُلُومُ
وَلَمْ يدْرِ نَعْمَاءَ الكَرى جَفْنُ حَاقِدٍ
وَهَلْ قَرَّ عَيْناً بالرُّقَادِ سليمُ[1]
وَيَزْعَمُ أَنَّ الحقدَ يُبدِعُ نِعْمَةً
وَهَيْهَاتَ مِنْ نُعْمَى البَنِينَ عَقِيمُ

---

(١) اللديغ

وَمَـا بُنِيَـتْ إلاَّ عَلـى الحُـبِّ أُمَّـةٌ
وَلاَ عَـزَّ إلاَّ بالحَنَـانِ زَعِيـم
وَلاَ فَـوْقَ نعمـاءِ المَحَبَّـةِ جَنَّـةٌ
وَلاَ فَـوْقَ أحْقـادِ النُفـوسِ جَحِيـمُ
هُـوَ الحُـبُّ حَتَّـى يُكْـرِمَ العُدْمَ مُـوسِرٌ
وَيَـأْسَـى لأَحْـزَانِ الغَنِـيِّ عـديـمُ
وَحَتَّـى يُرِيـحَ الـذنبَ مِـنْ حَمْـلِ وِزْرِهِ
حَنَـانٌ بِغُفْـرانِ الـذنوبِ زَعِـيـمُ
وَيَـا رَبِّ قَلْبِـي مَـا عَلِمْـتَ . مَحَـبَّـةٌ
وَعِـطْـرٌ وَوَهْـجٌ مِـنْ سَنَـاكَ صَمِيـمُ

وَآمَنْـتُ حَتَّـى لاَ أَرُومَ لُبَـانَـةً
تُخَـالِـفُ مـا تَخْتَـارُهُ وَتَـرُومُ
جَـلاَ نُـورُكَ الـدُنْيَـا لِعَيْنِـي وَسِيمَـةً
فَلَـمْ يَبْـقَ حَتَّـى فِـي الهُمـومِ دَمِيـمُ
وَسَلَّمْـتُ أَمْـرِي لا مِنَ اليَأس بَلْ هَوىً
أَصِيلٌ وَإِرْثٌ طَاهِـرٌ وأَرُومُ[1]

فَرَرْتُ إلـى قَلْبِـي مِـنَ العَقْـلِ خَـائِفَـاً
كَمـا فَـرَّ مِـنْ عَـدْوَى المَرِيـضِ سَلِيـمُ

---

١) الاحساب واصل الشيء .

تَأَلَّـهَ عَقْـلٌ أَنْـتَ يَـا رَبِّ صُغْتَـهُ
وَكَـادَ يَـرُدُّ المَيْـتَ وَهْـوَ رَمِيـمُ

وَضَاقَـتْ بِهِ الـدُّنْيَا فَفِـي كُلِّ مُهْجَةٍ
هَـوَاجِسُ مِنْ كُفْرَانِـهِ وَغُمُومُ

وَأَبْدَعْـتَ هَـذَا العَقْـلَ نُعْمَـى قِطَـافُهَـا
فُنُـونٌ كَأَطْيَـابِ الهَـوى وَعُلُـومُ

تَـرِفُّ حَضَـارَاتٌ عَلَيْـهِ وَضِيئَـةٌ
وَخَيْـرٌ كَإِغْـدَاقِ السَّـمَـاءِ عَمِيـمُ

وَغَـرَّدَ فِـي عَـدْنٍ لِحُـورِكَ شَـاعِـرٌ
وغـازَلَ أَسْـرارَ السَّمَـاءِ حَكِيـمُ

فَمَـا بَـالُ هَـذَا العَقْـلِ جُـنَّ جُنُـونُـهُ
فَـرَدَّ مَـلاكَ الـطُّهْـرِ وَهْـوَ أَثِيـمُ

وَزَلْـزَلَ مِنْـهُ البَـرَّ والبَحْـرَ كَـافِـرٌ
بِنُعْمَـاكَ مَـرْهُـوبُ الخُتُـوفِ غَشُـومُ

وَفِـي كَـأْسِـهِ عِنْـدَ الصَّبَـاحِ سُـلاَفَـةٌ
وَفِـي كَـأْسِـهِ عِنْـدَ المساءِ سُمُـومُ

وَيُعْـطِـي المُنَـى مـا تَشْـتَهِـي فَهْـوَ مُحْسِـنٌ
وَيَنْهَـبُ مـا أَعْـطَـاهُ فَهْـوَ غَـرِيـمُ

تَحَـدَّاكَ حَـتَّـى كَـادَ يَزْعَـمُ أَنَّـهُ
شَرِيـكٌ لِجَبَّـارِ السَّـمَـاءِ قَسِيـمُ

وَحـاوَلَ غـزْوَ النـيِّرَيْـنِ فَـرُدَّهُ
عَـنِ الـذُرْوَةِ العَصْـمَـاءِ وَهْـوَ رَجِيـمُ
وَكُـفَّ عِنـانَ العَقْـلِ قَسْـراً فَرُبَّمَـا
أُثِيـرَ بِإِلْجَـاحِ السَـفِيـهِ حَلِيـمُ
جَـلَـتْ هَـذِهِ الـدُنْيَـا لِعَيْنِـي كُنُـوزَهَـا
لَـوامِـعَ يُغْـرِي بَـرْقُهَـا فَأَشِيـمُ
أَفَـانِيـنُ مِـنْ حُسْـنٍ وَجَـاهٍ وَنِعْمَـةٍ
مَعَـادِنُ نُـورٍ كُلُّهُـنَّ كَرِيـمُ
وَوَشْـيٌ بِـهِ الأَلْـوانُ حَيْـرَى كَأَنَّهَـا
سَـمَـاءٌ فَتَصْـحُـو لَمحَـةً وَتَغِيـمُ
وَلَـمْ أَتَـرَدَّدْ وانْتَقَيْـتُ .. وَحُـبُّهَـا
وَأَحْـلامُهَـا مـا اخْتَـرْتُ حِيـنَ تَسُـومُ
قَـدِ اخْتُصِرت دُنيـا بِقَلْبِـي وَعَـالَـمٌ
كَمَـا اخْتَصَـرَ العِلْـمَ الشَـتِيـتَ رَقِيـمُ[1]
وَتُـوجَـزُ فِـي قَـارُورَةِ العِـطْـرِ روضَـةٌ
وَتُـوجَـزُ فِـي كَـأْسِ الـرَحِيـقِ كُـرُومُ
وَأُعْـرِضُ إِعْـراضَ الخَـلِـيِّ مِـنَ الهَـوى
وَبِـي مِـنْ هَـوَاهَـا مُقْعِـدٌ وَمُقِيـمُ
وَمَـا حِيلَتِـي إِنْ نَـمَّ عَـنْ نَفْسِـهِ الهَـوَى
هُـوَ العِطْـرُ والعِطْـرُ الـزَكِـيُّ نَمُـومُ

---

١) كتاب .

تَشَابَهَتِ السَّمْرَاءُ والدَّهْرُ شِيمَةً
كِلاَ القَادِرَيْنِ القَاهِرَيْنِ ظَلُومُ
وَأُكْرِمُهَا عَنْ كُلِّ لَوْمٍ وَأَنْثَنِي
أُعَاتِبُ قَلْبِي وَحْدَهُ وأُلُومُ
وَلَوْ أَنَّ شِعْرِي دَلَّلَ الرِيمَ نَافِراً
تَلَفَّتَ يَجْزِينِي الصَبَابَةَ رِيمُ

* * *

تُبَادِهُنِي عِنْدَ البُحَيْرَةِ دُمَّرُ
وَرَوْضٌ عَلَى أَفْيَائِهَا وَشَمِيمُ
وَوُرْقٌ عَلَى شَطِّ البُحَيْرَةِ حُوَّمٌ
وَوُرْقٌ عَلَى قَلْبِ الغَرِيبِ تَحُومُ

خَيَالٌ جَلا لِي الشَامَ حَتَّى إِذَا انْطَوَى
تَنَازَعَ قَلْبِي عَبْرَةٌ وَوُجُومُ
وَقَرَّبَهَا مَا شِئْتُ حَتَّى احْتَضَنْتُهَا
وغَابَتْ بِحَارٌ بَيْنَنَا وَتُخُومُ

وَحَيَّتْ مَنِ الرَّوْحِ الشَآمِيِّ نَفْحَةٌ
وَلَوْعٌ بِأَشْتَاتِ الطُيُوبِ لَمُومُ
وَلاَحَ صِغَارِي كَالفِرَاخِ وَأُمُّهُمْ
حَنُونٌ كَوَرْقَاءِ الغُصُونِ رَؤُومُ

فِـرَاخُ وَإِنْ طَارُوا وللرِيحِ ضَجَّةُ
وللـرَعْـدِ زَأْرٌ فـي الـدُجَى وَهَـزِيـمُ
فُطِرْنَـا على حُـبِّ البَنِيـنَ ، سَجِيَّةٌ
تَـلاقَى عَلَيْهَـا عَاذِرٌ وَمُلِيـمُ
يَشِـيـبُ الفَتَى مِنْهُمْ وَيَبْقَـى لِرَحْمَتِي
كَمـا كَانَ فـي عَيْنَـيَّ وَهْـوَ فَطِيـمُ
وَهَـانٍ[1] بِنَعْمـاءِ الطُفُـولَـةِ مـادَرى
أَهـادَنَ دَهْـرٌ أَمْ أَلَـحَّ خَصِيـمُ
غَـرِيـرٌ يُبِينُ القَـوْلَ بَـلْ لاَيُبِينُهُ
طَفُـورٌ كَـأَطْلاءِ الـظِبـاءِ بَغُـومُ
نَـزَعْـتُ سِهـامَ القَلْـبِ لَّـما خَلَعْتُـهُ
عَلَيْـهِ وَنَـزْعُ المُصْـمِيـاتِ أَلِيـمُ
وَجُـرْتُ على قَلْبِي فَأَخْفَيْتُ أَنَّـهُ
مُـدَمًّىً بِـأَنْـواعِ السِـهـامِ كَلِيـمُ
وَلَـوْلاَهُـمُ مَارَوَّضَـتْنِي شَكِيمَـةٌ
ولا لانَ مِـنِّـي فـي الصِـعَـابِ شكِيـمُ

* * *

وَهَيْهَـاتَ مِـنِّـي فـي البُحَيْـرَةِ دُمَّـرٌ
وَسَـجْـعٌ بِـوَادِي الـرَبْـوَتَيْـنِ رَخِيـمُ

---

١) حفيده محمد

إذَا لاحَ لِي وَجْـهُ البُحَيْـرَةِ قَائِماً
أَلَحَّ عَلَيْـهِ عـاصِفٌ وَغُيُـومُ
فَوَجْـهُ أَدِيـمِ الشامِ طَلْـقٌ مُنَـوَّرٌ
وَوَجْـهُ بُحَيْـراتِ السَـمـاءِ قَسِـيمُ
تَعَـلَّلْتُ لا أَشْكُو سَقَامـاً ولا أَذىً
بَلى كـلُّ نـاءٍ عَنْ هَوَاهُ سَقِيمُ
وَيُحْزِنُنِـي دَوْحُ البُحَيْـرَةِ عـارِيَـاً
وَأَوْراقُـهُ الخَضْـراءُ وَهْـيَ هَشِيـمُ
وَأَبْسُـطُ كَـفِّـي أَقْـطِـفُ المَـاءَ عائِشـاً
كَـأَنَّ المُـوَيْجَاتِ الصِـغَـارَ جَمِيـمُ[1]
وَتِلْـكَ الـظِـلالُ الخَـالِيـاتُ عَـواطِـلٌ
عَلى كُـلِّ أَيْـكٍ وَحْشَـةٌ وسُـهُـومُ
تَـعَـرَّتْ مِـنَ الغِيـدِ المِـلاحِ وَطَالَمَا
تَغَـطَّـى بِـأَسْـرَابِ المِـلاَحِ أَدِيـمُ
رُسُـومُ هَـوىً مـا اسْتَـوْقَفَتْ خَطْـوَ عَابِرٍ
كَمَا اسْتَوْقَفَـتْ رَكْـبَ الفَـلاةِ رُسُومُ
وَلا لَثَـمَ الحَصْـبـاءَ فِيـهـا مُتَيَّـمٌ
يَشُـمُّ الهَـوى مِـنْ عِطْـرِهَـا فَيَهِيـمُ
يُجَلِّلُهَـا اللَيْـلُ البَهِيـمُ وَمِثْلُـهُ
ضُـحـىً كالـدُجَـى غَمْـرُ السَـوَادِ بَهِيـمُ

---

١) الثَّبَتُ يغطي الارض .

وَشَمْسُ الضُحَى خَوْدٌ كَعابٌ يَضُمُّهَا
لِغَيْرانَ مِنْ صِيدِ المُلوكِ حَرِيمُ
يُرَدُّ وَيُجْلَى عَنْ كُوىَ الغَيْمِ وَجْهُهَا
كما رُدَّ عَنْ بَابِ البَخِيلِ يَتِيمُ
وَيَشْكُو الضُحَى مِنْ هَجْرِها مُتَوجِّعاً
وَيُوحِشُهُ هِجْرَانُهَا وَيَضِيمُ
تَأَبَّتْ على جُهْدِ الضُحَى فَكَأَنَّهَا
مِنَ الغِيدِ مِكْسَالُ الدَلالِ نَؤُومُ
وَضَمَّ الظَلامُ السَكْبُ ظِلاً لِجَارِهِ
كَأَنَ الظِلالَ المُغْفِيَاتِ جُسُومُ

***

يُطارِحُنِي دَوْحُ البُحَيْرَةِ شَجْوَهُ
كِلانَا مُعَنًّىً بالزَمَانِ هَضِيمُ
وَأَشْكُو لَهُ البلوى وَيَشْكُو كأَنَّنَا
حَمِيمٌ يُسَاقِيهِ العَزَاءَ حَمِيمُ
أَتَشْكُو وَلَكِنْ عِنْدَكَ الرِيحُ والدُجَى
وللجِنِّ مِنْ شَتَّى الظِلالِ نُجُومُ
وَعِنْدَكَ آلافُ الطُيوفِ حَوائِمُ
رَوانٍ لأَسْرارِ البُحَيْرةِ هِيمُ
تُلَمْلِمُ أَسْرارَ البُحيرة شُرَّداً
وَيَفْتِنُهَا سَكْبُ الشَذَا فَتَرِيمُ

هُنَا كُلُّ أَسْرارِ البُحَيْرةِ والرُّؤَى
طَوافِرُ في دُنْيا الخَفَاءِ تَهِيمُ
هُنَا عُرُسُ الأَطْيافِ يَفْتَرِشُ الدُجَى
ويقعُدُ في أَحْضَانِهِ وَيَقُومُ
خَفَاءُ يَضِجُّ الصَمْتُ فيهِ وَبُلْبُلٌ
تَحَدَّى ضَجِيجَ الصَمْتِ فَهْوَ نَغُومُ
وَلَفَّ الخَفَاءُ الحُسْنَ حَتَّى شَكَى الهَوى
وَغارَ حَرِيرٌ مُتْرَفٌ وَرُقُومُ
فَدَعْ لَوْمَهُ إِنْ لَمْ يَلُحْ لَكَ سِحْرُهُ
خيالُكَ لا سِحْرُ الخَفَاءِ مَلُومُ
هُنَا أَلَّفَ الأَطْيارَ والناسَ رَحْمَةٌ
فللطيْرِ أُنْسٌ فِيهِمُ وَلُزُومُ
إِذَا انْبَسَطَتْ رَاحٌ فللطَيْرِ فَوْقَها
حَنِينٌ الى سَمْحِ القِرَى وَجُثُومُ
فَيا خَجْلَةَ الصَحْرَاءِ لَمْ يَنْجُ جُؤْذُرٌ
ولا قَرَّ عَيْناً بالأَمانِ ظَلِيمُ[1]
وَلَمْ تَهْنَ بالعُشِّ البَعِيدِ حَمَامَةٌ
فَصَيَّادُهَا صَعْبُ المِرَاسِ عَزُومُ
شَكَا الطَيْرُ مِنْ ظُلْمِ الأَنَاسِيِّ واشْتَكَتْ
ظِباءٌ وَعُشْبٌ في الفَلاةِ نَجِيمُ

---

١) الظَليم ذكر النعام

فَيـا رَبِّ لا أَقْـوَى مِنَ الـطَيْـرِ عُشُّـهُ
وَلا رَاعَ أَسْـرَابَ الـظِبَـاءِ غَرِيـمُ
وَلا أَوْحَشَـتْ رَمْـلَ الفَـلاةِ جَآذِرٌ
وَوَرْدٌ يُنَـدِّي حَـرَّهَـا وَفُغُـومُ
وَكُـلُّ غَمـامٍ مرَّ في الـرَمْـلِ دِيَمَـةٌ
وكـلُّ كِنَـاسٍ للـظِبـاءِ مَـدِيـمُ[1]
رِمـالٌ كَبُـرْدٍ عاطِـلِ الـوَشْـيِ حَاكَـهُ
صَـنـاعٌ مُعَـنّـىً بالبُـرودِ سَـؤُومُ
فَزَوَّقَـهُ بالـوَشْـيِ غَـادٍ وَرائِـحٌ
وَعَـدْوُ جِيَـادٍ ضُمَّـرٍ وَرَسِيـمُ
ويـا رَبِّ في الانْسـانِ والـطَيْـرِ لا احْتَمَـى
بِغَيْـرِكَ مَقْصُـوصُ الجَنـاحِ ظَلِيـمُ
وَصُـنْ كُـلَّ زَرْعٍ أَنْ يُنـازِعَ خِصْبَـهُ
هَجِيـرٌ وَرِيـحٌ - لا تَرِقُّ - حَطُـومُ
سَنـابِـلُ وَفَّـتْ للـطُيُـورِ زَكاتَهَـا
فَحَنَّـتْ إِلَيْهـا جَنَّـةٌ وَنَعِيـمُ
ويـا رَبِّ تَـدْرِي الشـامُ أَنِّـي أُحِبُّهـا
وأَفْنَـى وَحُبِّـي للشَـآمِ يَـدُومُ
وَلِـي في ثَـراهـا من لِـداتِـي أَعِـزَّةٌ
حُمـاةٌ اذا اسْـتَخْـذَى الشُـجـاعُ قُـرومُ

---

1) المديم ما اصابته الديمة وهي المطر الدائم في سكون .

تَهاوَوْا تِبَاعاً واحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ
عَلَيْهِ انْفِراطَ العِقْدِ وَهْوَ نَظِيمُ
تَساقَوْا مَنايَاهُمْ ضُحَى العُمْرِ وانْطَوى
شَبابُهُمُ الرَّيَّانُ وَهْوَ تَمِيمُ
وأُسْرِفُ في الذِكْرَى لأَنْزَحَ نَبْعَها
وَلَكِنَّ نَبْعَ الذِكْرَياتِ جَمُومُ[1]
إذَا قُلْتُ غاضَتْ بَعْدَ لَأْيٍ تَدَفَّقَتْ
وَلِلْمَوْجِ فِيها كَرَّةٌ وَهُجُومُ
وَتُسْدِلُ أَحْياناً شَفِيفَ لِثامِها
كَما لَثَمَ الفَجْرَ الضَحُوكَ سَدِيمُ
وَفِي كُلِّ أَيْكٍ لِي عَلَى الشَامِ مَنْسَكٌ
وفي كلِّ دَوْحٍ زَمْزَمٌ وَحَطِيمُ
وَكُلُّ مَقَامٍ فيكِ حتى على الأذَى
حَمِيدٌ وكلُّ النَأْيِ عَنْكِ ذَمِيمُ
حَوَالَي الصِبا إنْ لَمْ تَرِدْكِ عواطِلٌ
وريحُ الصَبا ما لَمْ تَزُرْكِ سَمُومُ
ويا ربِّ إنْ سَبَّحْتُ والشَامُ قِبْلَتِي
فأَنْتَ غَفُورٌ للذُنوبِ رَحِيمُ
تَهَلَّلَ عَفْوُ اللهِ للذَنْبِ عِنْدَما
أَطَلَّ عليهِ الذَنْبُ وَهْوَ وَسِيمُ

جنيف ١٩٦٣/١١/١

١) تجمّع ماؤها وكثر

من وحي الهزيمة

الى ابطال تشرين التحرير الذين حلمت بهم هذه القصيدة كما حلم بهم الوطن المنكوب فكانوا له ولها فجرين من ثأر وامل .

رَمْلُ سيناءَ قَبْرُنا المحفورُ
وعلى القَبْرِ مُنْكَرٌ ونَكيرُ
كِبْرِياءُ الصحراءِ مرَّغها الذُلُّ
فَغَابَ الضُحى وغار الزئيرُ
لا شهيدٌ يُرْضي الصحارى ، وجَلَّ
هاربٌ في رمالِها وأسيرُ
ايُّها المستعيرُ ألْفَ عتادٍ
لأعاديكَ كلُّ ما تستعيرُ
هذَكَ الذُعْرُ لا الحديدُ ولا النارُ ،
وعِبءٌ على الوغى المذْعورُ
أغُرورٌ على الفِرارِ ؟! لقد ذابَ
حياءً من الغُرورِ الغُرورُ !
ألقِلاعُ المُحَصَّناتُ - إذا الجُبْنُ
حَماها - خَوَرْنَقٌ وسديرُ !
لم يُعانِ الوغى « لِواءٌ » ولا عانى
« فريقٌ » أهواهَا و« مُشيرُ »
رُتَبٌ صُنْعَةُ الدواوين .. ماشاركَ
فيها قَرُّ الوغى والهجيرُ

وتـطيـرُ النُسـورُ فـي زَحْمَـةِ النَجْـمِ ،
وفـي عُشِّـهِ البُغـاثُ يَطيـرُ
جَبُـنَ القـادَةُ الـكِبـارُ وفَـرُّوا
وبـكـى للفِـرارِ جَيْـشٌ جَسُـورُ
تـركـوه فَـوْضـى الى الـدُورِ ، فيحاءَ ،
لقـد ضَمَّـتِ النسـاءَ الخُـدورُ !
هُـزِمَ الحـاكمـون - والشـعبُ فـي
الأصـفـادِ ، فالحُـكْـمُ وحـده المكسـورُ
هُـزِمَ الحاكمـونَ . لم يَحْـزَنِ الشعبُ
عليهـم ، ولا انتخـى الجمهـورُ
يسـتجيرونَ ! والـكريمُ لدى الغَمْرَةِ
يَلْقَـى الـردى ولا يستـجيـرُ !

***

لا تَسَـلْ عن نَميـرها غُوطَـةَ الشامِ
أَلَحَّ الصَـدى وغـاضَ النَميـرُ
وانْـسَ عِـطْـرَ الشآمِ ، حيـثُ يُقيمُ
الـظُلْـمُ تَنْـأى .. ولا تُقيـمُ العُطـورُ
أَطْبِقـوا .. لا ترى الضِيـاءَ جُفوني
فَجفـونـي عـن الضِيـاءِ سُتـورُ
بعضُ حريتـي السماواتُ والأنجـمُ
والشـمـسُ والضُـحـى والبُـدورُ

بعض حريتي المَلائِكُ والجَنَّةُ
والراحُ والشذا والحُبورُ
بعضُ حريتي الجمالُ الإلهيُّ
ومنه المكشوفُ والمستورُ
بعض حريتي ويكتحِلُ العَقْلُ
بنورِ الإلهام ، والتفكيرُ
بعضُ حريتي . ونحن القرابينُ
لمحرابها ، ونحن النُذورُ
بعضُ حريتي ، من الصُبْحِ أطيابُ
ومن رِقَّةِ النسيم حريرُ
ثَمَّ أملى الطُغاةُ أن يُبْغَضَ النورُ
علينا ويُعْشَقَ الديجورُ

***

نحنُ أسرى ، ولو شَمَسْنا على القَيْدِ
لَما نالنا العَدُوُّ المُغِيرُ
لاقْتَحَمْنا على الغُزاةِ لَهيباً
وعَبَرْنا وما استحال العبورُ
سألوني عن الغُزاةِ فجاوَبْتُ :
رياحٌ هَبَّتْ ونحن ثبيرُ
سألوني عن الغزاةِ فجاوبْتُ :
رِمالٌ تُسْفَى ونحن الصخورُ

سألوني عن الغزاةِ فجاوبْتُ :
ليالٍ تمضي ونحنُ الدهورُ !

***

هلْ دَرَتْ عَدْنُ أن مَسْجِدَها الأقصى
مكانٌ من أهلهِ مهجورُ
أيْنَ مسرى البُراقِ ، والقُدْسُ والمَهْدُ
وبيْتٌ مُقَدَّسٌ معمورُ ؟
لم يُرَتِّلْ قُرآنُ أحْمَدَ فيه
ويُزارُ المَبْكى ويُتْلى الزَبُورُ
طُويَ المُصْحَفُ الكريمُ ، وراحَتْ
تتشاكى آياتُهُ والسطورُ
تُسْتَبى المُدْنُ والقُرى هاتفاتٍ
أين ... أين الرشيدُ والمنصورُ !
يالَذُلِّ الإسلامِ . إرْثُ أبي
حَفْصٍ بديدٌ مُضَيَّعٌ مغمورُ
يا لَذُلِّ الإسْلامِ : لا الجُمْعَةُ الزهـ
ـراءُ تُعْمى ، ولا الأذانُ جَهيرُ
كلُّ دنيا للمسلمين مَنَاحاتٌ
وويْلٌ لأهْلِها وثُبورُ
لَبِستْ مَكَّةُ السوادَ ، وابْكَتْ
مَشْهَدَ المُرْتضى وذُكَّ الطُورُ

هـل دَرى جَعْفَـرٌ ؟ فـرفَّ جَناحـاهُ
الى المَسْـجِـدِ الحـزيـنِ يطيـرُ !
نـاجَـتِ المَسْـجـدَ الـطَهْـورَ وحنَّتْ
سِـدرةُ المُنتهـى وظِـلُّ طَهورُ
أيْـنَ قَبْـرُ الحُسَـيْـنِ ؟[1] قَبْـرٌ غريبٌ!
مـن يضُـمُّ الغريب او مَنْ يـزورُ
أينَ آيُ القُـرآنِ تُتلى على الجَمْعِ
وأيْنَ التهليـلُ والتكبيـرُ ؟
أيْنَ آيُ الإنجيلِ ؟ فاحَ من الإنجيلِ
عـطـرٌ وضَـوَّأَ الـكـوْنَ نُـورُ
أيْنَ رومـا ؟ وجَـلَّ حَبْـرٌ برومـا
مَهْـدُ عيسى يشـكو ويشـكو البَخـورُ
أَلنصـارى والمسـلمـون أسـارَى
وحبيـبٌ الـى الأسيـرِ الأسيـرُ
صَلَـبَ الـرُوحَ مرَّتـينِ الـطـواغِيـتُ !
جِـراحٌ كمـا يضـوعُ العبيـرُ
يـا لَـذُلِّ الإسـلامِ والقُـدْسُ نَهْـبٌ
هُتِـكَتْ أرْضُـهُ فأيْـنَ الغَيـورُ
قـد تطـولُ الأعمـارُ لا مَجْـدَ فيهـا
ويَضُـمُّ الأمجـادَ يـومٌ قصيـرُ

***

(١) الحسين بن علي زعيم الثورة العربية مدفون في جوار الأقصى .

مَنْ عَذُولي على الدُمـوعِ؟ وفي المَرْوَةِ
والـرُكْـنِ والصَـفـا لـي عـذيـرُ
وحـرامٌ علـيَّ أن ينـزِلَ البشْـرُ
بقلبـي وأنْ يُلـمَّ الحبُـورُ
كُحِلَـتْ بالثـرى الخضيـبِ جُفـونٌ
وهفـتْ للثـرى الحبيـبِ ثُغـورُ

لا تُشَـقُّ الجيـوبُ في مِحْنَـةِ القُـدسِ
ولـكنَّهـا تُشَـقُّ الصُـدورُ
حُبِسـت أدْمُـعُ الأُبـاةِ من الخَوْفِ
ويبـكـي الشـذا وتبـكي الطيـورُ

أنـا حُـزنٌ شخـصٌ يـروحُ ويغـدو
ومسـائـي مع الأسـى والبُكـورُ
أنـا حـزنٌ يمـرُّ فـي كـل بـابٍ
سـائـلٌ مُثقَـلُ الخُـطـى مَنـهورُ

طَرَدَتْني الأكـواخ ، والبُـؤْسُ قُرْبى
وتعـالـتْ على شقـائي القُصـورُ
يحتـويني الهجيرُ حينـاً ، ولا يَرْحَمُ
أسْـمـالَ فَقْـرِيَ الزَمهَـريـرُ
وعلـى الجُـوعِ والضَـنـى والـرزايـا
فـي دُروبـي أسيـرُ ثُـمَّ أسيـرُ

نَقَلَتْني الصحراءُ حيناً ... وحيناً
نَقَلَتْني الى الشعوبِ البُحورُ
حامِلاً محنتي أُجَرِّرُ اقدامي
ويَوْمي سَمْحُ الغَمامِ مَطيرُ
حاملاً محنتي اوزعها فيَّ
كل دنيا وشرُها مُستطِيرُ
مِحْنتي الغَيْثُ إنْ أرادوا وإلاَّ
فهديرُ البُرْكانِ والتدميرُ
حامِلاً مِحْنةَ الخِيامِ ، فَتَزْوَرُّ
وجوهٌ عني وتُغْلَقُ دورُ !
أَلخِيامُ المُمزَّقاتُ وأُمٌ
في الزوايا وكِسْرةٌ وحَصيرُ
وفتاةٌ أذْهَلها العُرْيُ والجوعُ
ويلهو بالرَمْلِ طِفْلٌ صغيرُ
كُلما أنَّ في الخِيامِ شريدٌ
خَجِلَ القصرُ والفِراشُ الوثيرُ
خَجِلَ الحاكمونَ شَرْقاً وغَرْباً
ورئيسٌ مُسَيْطِرٌ ووزيرُ
هيئةٌ[1] للشُعوبِ تُمعِنُ في الذنْبِ
ولا تَوْبَةٌ ولا تكفيرُ

(١) هيئة الامم المتحدة المسؤولة عن نكبة فلسطين .

شاركَ القومُ كُلُّهُمْ في أذانا
ومن القَوْمِ غُيَّبٌ وحُضورُ
من قوانينها المُداراةُ للظُلْمِ
ومنها التغريبُ والتهجيرُ
ويُقامُ الدستورُ، اضحوكة الساخِرِ
مِنَّا ويُوأدُ الدُسْتُورُ
كلُّ عِلْمٍ يغزو النجومَ ويغزو
بالمَنايا الشعوبَ عِلْمٌ حقيرُ
والحضاراتُ بَعضُهُنَّ بشيرٌ
يتهادى وبَعْضُهُنَّ نذيرُ
نُعْمَياتُ الشعوبِ شَتَّى، فَنُعْمى
حمِدَتْ رَبَّها ونُعْمى كَفُورُ

***

لن يعيشَ الغازي وفي الأنْفُسِ
الحِقْدُ عليه، وفي النفوسِ السعيرُ
يحرقُ المدنَ، والعذارى سبايا
وصغيرٌ لذبحه وكبيرُ
دينُهُ الحَرْقُ والإبادَةُ والحقدُ
وشَتْمُ الأعراضِ والتشهيرُ
صوَّرته التوراةُ بالفتكِ والتدمير
حتى لَيفزَعَ التصويرُ

مِنْ طِبَاعِ الحُروبِ كَرٌّ وفَرٌّ
والمُجَلِّي هُوَ الشُجاعُ الصَبُورُ
ليس يُبْنَى على الفُجاءَاتِ فَتْحٌ
عَلَمِي في غَدٍ هُوَ المَنْشورُ
تنتخي للوغى سُيوفُ مَعَدٍّ
ويقومُ المَوْتى وتمشي القُبورُ
عربيٌّ فلا حِمايَ مُباحٌ
ـ عند حِقْدي ـ ولا دمي مهدورُ

***

نحنُ أسْرى ، وحين ضِيمَ حِمانا
كاد يَقْضي من حُزْنِهِ المَأسورُ
كُلُّ فَرْدٍ من الرعيةِ عَبْدٌ
ومِنَ الحُكْمِ كلُّ فَرْدٍ أميرُ
ومَعَ الأسْرِ نحن نستشرِفُ الأفلاكَ
والدائراتِ كَيْفَ تَدورُ
نحنُ مَوْتى ! وشَرُّ ما ابْتَدَعَ الطغيانُ
مَوْتى على الدروبِ تسيرُ
نحنُ موتى ! وإن غدونا ورُحْنا
والبيوتُ المُزَوَّقاتُ قُبورُ
نحن موتى . يُسِيرُّ جارٌ لجارٍ
مستريباً : متى يكونُ النشورُ

بَقِيتْ سُبَّةُ الزمانِ على الطاغي
ويبقى لنا العُلى والضميرُ

***

سألوا عن ضَنَايَ ، مَحْضَ تَشَفٍّ ،
هَلْ يَصِحُّ المُعَذَّبُ الموتورُ
أمِنَ العَدْلِ أيُّها الشاتِمُ التاريخَ
أنْ تَلْعَنَ العُصورَ العُصورُ ؟
أمِنَ النُبْلِ أيُّها الشاتِمُ الآباءَ
أنْ يَشْتُمَ الكبيرَ الصغيرُ
وإذا رفَّتِ الغصونُ اخْضِراراً
فالذي أبْدَعَ الغصونَ الجذُورُ
إشْتراكِيَّةٌ ؟! وكَنْزٌ من الدُرِّ
وزهْوٌ ومِنْبَرٌ وسريرُ
إشتراكيَّةٌ تعالِيمُها : الإثراءُ
والظُلْمُ والخَنا والفجورُ
إشتراكِيَّةٌ ! فإن مَرَّ طاغٍ
صُفَّ جُنْدٌ له ودَوَّى نَفِيرُ
كلُّ وغْدٍ مُصَعِّرِ الخَدِ لا سابورُ
في زهوهِ ولا أزدشِيرُ
يغضَبُ القاهِرُ المُسَلَّحُ بالنارِ
إذا أنَّ أو شكا المَقْهورُ

يُنْكِرُ الطَبْعُ فلسفاتِ عقولٍ
شأنهُنَّ التعقيدُ والتعسيرُ
كُلُّ شيءٍ مُتَمِّمٌ لِسواهُ
ليس فينا مستأجِرٌ وأجيرُ
باركَ اللهُ في الحنيفيةِ السمحاءِ
فيها التسهيلُ والتيسيرُ

***

ورقيبٍ على الخَيالِ .. فَهَلْ يَسْلَمُ
منه المسموعُ والمنْظورُ ؟
عازِفٍ عن حقائِقِ الأمْرِ لُؤْماً
وكفى أن يُلَفِّق التقرير
فَيُجافي أخُ أخاهُ ويشقَى
بالجواسيسِ زائِرٌ ومَزُورُ
لصِغارِ النفوس كانت صغيراتُ
الامانيِ وللخطيرِ الخطيرُ
يَنْدُرُ المَجْدُ ، والدروبُ الى المجدِ
صِعَابٌ ، ويكثُرُ التزويرُ
عَلِموا أنَّه عسيرٌ فهابوهُ
ولا بِدْعَ فالنفيسُ عسيرُ
مِحْنةُ الحاكِمينَ جَهْلٌ ودَعْوى
جُبْنٌ فاضِحٌ ومَجْدٌ عَثُورُ

نهبوا الشَعْبَ، واستباحَ حِمى المالِ
جنونُ النعيمِ والتبذيرُ
كيف يَغْشى الوغى ويظْفَرُ فيها
حاكِمٌ مُتْرَفٌ وشعْبٌ فقيرُ
مَزِّقوهُ، ولن يُمزَّقَ، فالشَعْبُ
عليمٌ بما أرادوا خبيرُ
حَكموهُ بالنارِ فالسيفُ مصقولٌ،
على الشَعْبِ حَدُّهُ مشهورُ
مِحْنَةُ العُرْبِ أُمَّةٌ لم تُهادِنْ
فاتحيها وحاكِمٌ مَأْجورُ

***

هتكوا حُرْمَةَ المساجِدِ لاجنكيزُ
باراهُمُ ولا تَيْمورُ
قحموها على المُصَلِّينَ بالنارِ
فشِلْوٌ يعلو وشِلْوٌ يغورُ
أمْعَنوا في مصَاحِفِ اللهِ تمزيقاً
ويبدو على الوجوهِ السرورُ
فُقِئَتْ أعْيُنُ المُصَلِّينَ تعذيباً
وديسَتْ مناكِبٌ وصُدورُ
ثم سيقوا الى السجونِ، ولا تسألْ،
فَسَجَّانُها عنيفٌ مريرُ

يُشْبِعُ السَوْطَ من لحُوم الضحايا
وتأبَى دُموعُهُمْ والزفيرُ

مُؤْمِنٌ بين آلتيْنِ من الفولاذِ
دامٍ ، مُمَزَّقٌ ، مَعصورُ

هتفوا باسْمِ أحْمَدٍ فعلى الأصواتِ
عطرٌ وفي الأساريرِ نُورُ

هتفوا باسْمِ أحْمَدٍ فالسياطُ الحُمْرُ
نُعْمَى وجَنَّةٌ وحريرُ

طَرْفُ اتباعِ أحمدٍ في السماواتِ
وطَرْفُ الطاغي كليلٌ حسيرُ

***

عِبْرَةٌ للطُغاةِ مَصْرَعُ طاغٍ
وانتقامٌ من عادلٍ لا يَجُورُ

أَلْمَصَلُّونَ في حِمى اللهِ يُرْدِيهِمْ
مُدِلٌّ بِجُنْدِهِ مخمورُ

جامِعٌ شاده على النُورِ فَحْلٌ
أَمَوِيٌّ مُعَرِّقٌ منصورُ

لم تُرَعْ فيه قبل حُكْمِ الطواغِيتـ
ـطيورٌ ولا استبيحتْ وُكُورُ

مُطْلِقُ النارِ فيه ، في الجُمْعَةِ الزهراء
شِلْوٌ دامٍ وعَظْمٌ كَسيرُ
والذي عذَّبَ الأُباةَ رأى التعذيبَ
حتى استجارَ مَنْ لا يجيرُ[1]
قدماه لم تحملاهُ الى الموتِ
فَزَحْفٌ على الثرى لا مسيرُ
وخَزَّتْهُ الحِرابُ وهْوَ مسوقٌ
لِرداهُ ، محُطَّمٌ مجرورُ
ويُجيلُ العيْنَيْنِ في إخْوَةِ الحُكْمِ
وأين الحاني وأين النصيرُ ؟
كلُّ فَرْدٍ منهم لِقَتْلِ أخِيهِ
يَصْدُرُ الرأيُ منه والتدبيرُ
وغداً يَذْبحُ الرفيقَ رفيقٌ
مِنْهُمُ والعشيرَ فيهم عشيرُ
يأكلُ الذِئْبَ ، حين يَرْدى ، أخوهُ
ويَعضُّ العقُورَ كَلْبٌ عقُورُ

***

إرجعوا للشُّعوبِ يا حاكميها
لَنْ يُفيدَ التهويلُ والتغريرُ

(١) الطاغية الذي اقترف الآثام انتهى به الامر الى ان يحاكم ويقتل .

صـــارحُـــوهـا ... فقـــد تبدَّلَـــتِ الدنيـا
وجـــدَّتْ بعـــد الأمـورِ أُمـورُ
لا يقـــودُ الشعـــوبَ ظُلْـمٌ وفَقْـــرٌ
وسِـــبـابٌ مُكَـــرَّرٌ مَسْعـــورُ
والإذاعـاتُ ! هل تخَلَّـعَـتِ العاهِـرُ ؟
أمْ هـل تَفيَّـأَ السِكِّيـرُ ؟!
صـارِحـوهـا .. ولا يُـغَـطِّ على الصِـدْقِ
ضـجيـجٌ مُـزَوَّرٌ وهـديـرُ
واتَّقـوا ساعَـةَ الحِسـابِ إذا دَقَّتْ
فيـوْمُ الحِسـاب يـومٌ عسيـرُ
يَقِـفُ المُتهمـانِ وجهـاً لِوجْـهٍ
حـاكـمٌ ظالـمٌ وشعـبٌ صبـورُ
كـلُّ حُكْـمٍ لـه - وإنْ طالـتِ
الايـامُ - يـومـان : أَوَّلٌ وأخيـرُ
كـلُّ طاغٍ - مهما اسْتَبَـدَّ - ضعيفُ
كلُّ شعْـبٍ - مهمـا استـكان - قديرُ
وهَـبَ اللـهُ بعْـضَ اسمائِـهِ
للشـعـب ، فهـو القـديـرُ وهْـوَ الغَفُـورُ

***

يُبْغِـضُ الظُلْـمُ ناصـحيهِ ، وإنِّـي
لَلَـومٌ فـي نُصْحِـكُمْ مَعْـذورُ !

يشْـهَـدُ الـلهُ ما بِقَلْبـيَ حقْـدُ
شـفَّ قلبـي كما يشـفُّ الغديـرُ
وجِـراحـي ينـطِفْـنَ شَـهْداً وعِطْـراً
أدْمُعـي رَحْمَـةٌ وشـعري شعـورُ
يُرْشـف النـورُ من بياني فـإنْ
غَنَّيْـتُ فهـو المُـدَلَّهُ المخمـورُ
وطبـاعـي ـ علـى ازدحـام الرزايـا ـ
لـم ينلهـا التبـديـلُ والتغييـرُ
مُسْـلِـمٌ .. كُلَّما سَجَـدْتُ لِرَبِّي
فـاحَ مِنْ سَجْدتـي الهُـدى والعبيرُ
ومَـعَ الشَيْبِ والكُهولَـةِ قلبي
ـ كَعُهـودِ الصِبـا ـ بَرِيءٌ غـريـرُ
لِـيَ حُـرِّيَّتـي وإيمانـيَ السَمْـحُ
فَحُلْمـي هـانٍ وجَفنـي قـريـرُ !
لم أُهـادِنْ ظُلْماً وتـدري الليالـي
فـي غـدٍ أيُّنـا هُـوَ الـمَدْحـورُ !

مصرع الشمس

تأبين الملك غازي عام ١٩٣٩

زَهْـوةُ الفَتْـحِ والشَـبـابِ النَجيـدِ ،
مَـنْ سَقَـى الفَجْـرَ مِنْ دِمـاءِ الشَهِيدِ !
خَضَـبَـتْ غُرَّةَ الصَـبـاح فَقَـدْ
نَـمَّ عَلَيْهـا بالعِـطْـرِ والتَوْريـدِ
قَـدَرٌ أَنْـزلَ الـكَمِـيَّ عن السَـرْجِ
وأَلْـوَى بالفـارِسِ المَغْـدُودِ
مَصْـرَعُ الشَـمْسِ فـي الضُحـى هَلْ يَنالُ
الشـمسَ في أُفِقْهـا عِثـارُ الجُـدودِ
دَمُ غَازي يا حُمْـرَةَ الفَجْـرِ فاسْقِـي
وارْشُفِـي مِنْ ضِيائِـهِ واستَـزِيـدِي
عُرُسٌ في الجِنـانِ فـالحُـورُ يَطْفُـرْنَ
على مَيْعَـةِ الضِيـاءِ البديـدِ
سِدْرَةُ المُنْتَـهـى نَعِيمٌ وأَفْيـاءٌ
وأغـرودةٌ علـى أُمْلـودِ
وَحَنَـتْ فاطِـمٌ تَضُـمُّ فَتاهَـا
لَهْفَـةَ الأُمِّ فُوجِئَـتْ بالوَحِيـدِ
مَنْ رأى رَوْعَـةَ الحَنـانِ أَطَلَّـتْ
مِـنْ عُيـونٍ ولأْلأَتْ فـي خُـدودِ

وهَفا بالنَعيمِ غازي لِبَغْدادَ
وللجُنْدِ والقَنا والبُنُودِ

* * *

إيه دُنْيا الرشيدِ تَفْنَى الحَضَاراتُ
وتَبْقى ، كالدهْرِ دُنْيا الرَشيدِ
صُوَرٌ للعُلى القَديم وضَاءٌ
زَوَّقَتْها رُؤى الخيَالِ الشرُودِ
صُوَرٌ للقَديمِ تَعْرِضُها الدُنْيا
ضِياءً ورَوْعةً في الجَديدِ
هَذِه دِجْلَةٌ وهذي البساتينُ
وشَدْوُ القُمْرِيَّةِ الغِرِّيدِ
والاماسِيُّ والنخيلُ ومَلاَّحٌ
طَروبُ الحُداءِ حُلْوُ النَشيدِ
والليالي القَمْراءُ في النَهْرِ
والانغامُ أصْداءُ زَوْرَةٍ وصُدودِ
والقِيانُ المِلاحُ يَخْطُرْنَ في
الشطِّ سُكارى مُرَنَّحاتِ القُدودِ
آهَةٌ بَعْدَ آهَةٍ من عَريبٍ[1]
تَخْلُقُ الظلَّ للضُحَى المَكْدُودِ

---

١) المغنية العباسية وقد خصص لها ابو الفرج الاصفهاني في كتابه العظيم (الاغاني) صفحات عديدة .

كُلَّما هَلْهَلَتْ صَبَاً أوْ حِجَازاً
ضَاعَ حُلْمُ المُتَوَّجِ المَحْسُودِ
وَجَوارٍ يَمْرَحْنَ في الزورق الساجي
ويضحكْنَ عن نديٍّ بَرودِ
رفَّ مِجْدافُهُ على الماءِ وانْسابَ
بأحْلى مَعاصمٍ وزُنُودِ
فانْتَشى من طُيوفِهِنَّ وجُنَّتْ
قطراتٌ عَلِقْنَ بين النُهودِ
والقُصورُ البَيضاءُ والحُلُمُ
اللذُّ جلاَهُ دُخانُ نَدٍّ وعُودِ
حَمَلَتْهُ هفْهافَةُ العِطْرِ نَشْوانَ
الى جَنَّةِ الخَيالِ البَعيدِ
هَمَدَتْ ثَوْرَةُ الشهيدِ وَقَرَّتْ
يا دَوِيَّاً مُجَلْجِلاً في الهُمودِ

* * *

إيهِ دُنْيا الرَشيدِ تَفْنَى الحَضَاراتُ
وَتَبْقَيْنَ من لِداتِ الخُلُودِ
قَصْرُ هارونَ ما عَهِدْتِ من اللأْلاءِ
والعِزِّ وازْدِحامِ الوُفودِ

حَمَلَ التاجَ مَفْرِقُ المَلِكِ الطِفْلِ
وما ناءَ بالجَليلِ الشَديدِ
تاجَ بَغْدادَ والشآمِ ولُبنانَ
وبَحْرٍ للرومِ طَاغٍ عَنيدِ
أيُّها البَحْرُ ! بَعْضَ تِيهِكَ واذْكُرْ
نَسَباً بيننا قَدِيمَ العُهودِ
لَسْتَ للرومِ أنْتَ للمَلِكِ الطِفْلِ
نُضارٌ في تاجِهِ المَعْقُودِ
أيُّها البَحْرُ ! أنْتَ مَهْما أفترقْنا
ملْكُ آبائِنا وملكُ الجُدودِ

* * *

وانْحَنى الكَوْنُ يَلْثِمُ المَلِكَ الطِفْـ
ـلَ وَيفْدِيهِ بالطريفِ التَلِيدِ

* * *

صاحِبَ التاجِ ! دَمْعَةٌ مِن دُموعِ
الشامِ ذَوَّبْتُ عِطْرَها في قَصيدي
وأنَا الشاعِرُ المُدِلُّ على الدنيا
بِغَيْبٍ في حُبِّكُم وشُهودِ
هاشِمِيٌّ الهَوى أحَبَّ فما دَارى
وعادَى على هواكُمْ وعُودي

حَلِيتْ في نَعيمِ جَدِّكَ اشْعاري
وغَنمْتُ في ذَراهُ عُقودِي
حاطَني بالحَنانِ صَقْرُ قُرَيْشٍ
وسَقى دَوْحَتي وَنَضَّرَ عُودي
لَكُمُ نِعْمَةٌ عليَّ وما كُنْتُ
لِنَعْماءِ بَيْتِكم بالجَحُودِ
فَيَئِ الشامَ باللِواءِ ونَضِّرْ
شاطِئَيْها بِظِلِّكَ المَمْدُودِ
لَيْسَ بَيْنَ العِراقِ والشامِ حَدٌّ
هَدَمَ اللهُ ما بَنَوْا مِنْ حُدودِ
بايَعَتْ جَدَّكَ الشآمُ فَسَلْهَا
تَتَحَدَّثْ عَنْ يَوْمِهِ المَشْهُودِ
بَيْعَةٌ في رِقابِنا لأَبي غَازي
ولِلابْنِ بَعْدَهُ والحَفيدِ

* * *

قُلْ كَما قالَ للغَمامَةِ هارونُ
وفي الجَوِّ زَمْزَماتُ الرُعودِ
قُلْ لها : أَيُّها الغَمامَةُ جُودي
شاطِئَيَ الرافِدَيْنِ أو لا تَجُودي
حَوِّمي ما أَرَدْتِ شَرْقاً وغَرْباً
في تُخُومِ الكَوْنِ الفسيحِ المَدِيدِ

سَتَـرِفُـينَ مُخْصِـبـــاً مِـنْ سُفُوحـــي
أَوْ تُرَوِّيـنَ ظامِـئـاً مـن نُجُـودي
أَمْـطـري حَيْـثُ شِئْـتِ فالـكَوْنُ مُلْكـي
وَبَنُـــوهُ قَبـائِلـــي وجُنُـــودي

***

لا تَسَـلْنِـي عَـنِ الشـأْمِ فَقَـدْ حَـزَّ
بِجيـدِ الشـأْمِ عَـــضُّ الحَـديدِ
لَوَّحُـوا بالقُيـودِ فابْتَـدرَ المَـوْتَ
أُبـــاةٌ تَنَمَّـــرُوا لِلْقُيـــودِ

رَوِّعُـوا الأُمَّهـاتِ فـي حَلَـكِ اللَيْـلِ
وراعُـوا صِغـارَهـا فـي المُهـودِ

فَتَنَمَّـرْ واغْضَـبْ لِقَـوْمِـكَ وارْجُـمْ
بالشِـهـابِ اللَّمَّـاحِ كُـلَّ مَـرِيـدِ

واغْـزُ بالجَيْـشِ قُبَّـةَ الفَلَـكِ الـدائِرِ
واقْحَـمْ بِـهِ عَريـنَ الأُسـودِ

جَيْشُـكَ الجَيْـشُ لَو تَنـكَّـرَ للنَـوْمِ
لَضـاقَـتْ بِـهِ جُفـونُ الرُقـودِ

فإذا هِجْتَـهُ تَرَنَّحَـتِ الأَعْـلامُ
وازَّيَّنَـتْ لِفَتْـحٍ جَديـدِ

وإذا هِجْتَــهُ تَلَفَّتَــتِ الدُنيــا
وَهَمَّــتْ أفــلاكُهــا بالسُجُــودَ

* * *

شَقِيَــتْ باليَهُــودِ أرْضُ فِلَسْطِيــنَ
وضــاقَــتْ رِحــابُهــا باليهــودِ
بِنَفَــايــا الــدُنْيــا ، على كــلِّ وَجْــهٍ
مِنْهُــمُ ، سُبَّــةُ اللَعيــنِ الطَرِيــدِ
أدَّبِ القَــوْمَ بالسِيــاطِ ونَــزِّهْ
سَيْــفَ هــارونَ عَنْ دِمــاءِ العَبِيــدِ

* * *

بِنْــتَ مَــرْوانَ لا تُــراعِــي وخَلِّــي
عَنْــكِ تَهْــويــلَ عُــدَّةٍ وعَدِيــدِ
أنْــتِ في ذِمَّــةِ الــوَصِــيِّ علــى التــاجِ
وفــي ذمــة المليــكِ الوَليــدِ
أنْــتِ في ذِمَّــةِ العِــراقِ وفــي
ذِمَّــةِ أنْجــادِهِ الأُبــاةِ الصِيــدِ

* * *

قِيــلَ مَــنْ للشَــآمِ ؟ قالَــتْ : أعَــزُّ
العُــرْبِ جــاراً وأوْمــأتْ « للسَعِيــدِ »

ـ هكذا كان اليهود من الذل والهوان يومئذ

آلآم ...[1]

في تأبين ابراهيم هنانو

أَلِفْتُ حَـرَّكِ لاَ شَكْوى وَلاَ سَهَـدُ
يـا جَمْـرَةً فِـي حَنَـايَـا الصَدْرِ تَتَّقِـدُ
مُـرِّي عَلـى كَبِـدِي حَمْـرَاءَ دَامِيَـةً
يَبْـقَـى الحَنِيـنُ إِذَا لَـمْ تَسْـلَـمِ الكَبِـدُ
وَمَـا أَضِيـقُ بِهَـمٍّ حِيـنَ يَطْرُقُنِـي
لَقَـدْ تَقَـاسَـمَ حُبِّـي البُـؤْسُ والـرَغَـدُ
إِنِّـي أُذَلِّـلُ آلاَمِـي وأَمْسَحُـهَـا
مَسْـحَ الشَـفِيـقِ وأَجْـلُـوهَـا وأَنْتَقِـدُ
حَتَّـى تُطِـلَّ عَلـى الـدُنْيَـا بِزِينَتِهَـا
حَسْـنَـاءَ تَبْـدُو عَلَيْهَـا نِعْمَـةٌ وَدَدُ
بَعْـضُ الخُـطُـوبِ ظَـلامٌ لاَ صَبَـاحَ لَـهُ
وَبَعْضُـهَـا الفَجْـرُ فِيهِ النُـورُ والـرَشَـدُ
تَفَجَّـرَ الخَيْـرُ مِنْـهُ رَوْضَـةً أُنُفَـاً
تَـدْعُـو إِلـى ظِلِّهَـا وَانِيـنَ قَـدْ جَهِـدُوا
إِذَا هُـمُ جَرَعُـوا مِـنْ مَائِـهَـا جُـرَعَـاً
تَـوَثَّبَـتْ عَـزَمَـاتٌ فِيهِـمُ جُـدُدُ

---

١) القيت هذه القصيدة في حفلة اقامتها الكتلة الوطنية في حلب لذكرى المغفور له هنانو سنة ١٩٤٢ وفي البلاد ثلاثة جيوش محتلة : الانكليز والاميركان والفرنسيون ، والحكم العرفي معلن وقد اقيمت هذه الحفلة يومئذ لاستئناف النشاط القومي العربي .

وَمُدْلِجِينَ أَضَاءَ الحُزْنُ لَيْلَهُمُ
حَتَّى إِذَا انْطَفَأَتْ أَحْزَانُهُمْ قَعَدُوا
حَادُوا عَنِ المِحْنَةِ الكُبْرَى وَلَوْ صَحِبُوا
نِيرانَهَا الحُمْرَ ما ضَلُّوا وَلاَ انْفَرَدُوا

فِيمَ التَنَكُّرُ للآلامِ قَاسِيَةً
إِذَا تَبَاعَدَ فِي مَيْدَانِهَا الأَمَدُ
أَلطَالِعُونَ عَلَى الدُنْيَا بِنَصرِهِمُ
لَوْلاَ الفَواجِعُ هَلْ شَدُّوا وَهَلْ نَهَدُوا

إِذَا وَنَوْا رَاحَ يُذْكِي مِنْ عَزائِمِهِمْ
حِقْدٌ هُوَ العُدَّةُ الشَهْبَاءُ والعَدَدُ
سَقَاهُمُ خَمْرَةَ الآلامِ فاضْطَرَمُوا
يَسْتَلْهِمُونَ مِنَ الآلامِ واحْتَشَدُوا

أَمَّا الشُعوبُ وَقَدْ ضَجَّتْ عَواصِفُهَا
فَصاحِبُ النَصْرِ فِيهَا الثاكِلُ الحَرِدُ
لَقَدْ تَلاقَى عَلَى الغَايَاتِ مَنْ ظَفِرُوا
بِالمُلْكِ فِي زَحْمَةِ الدُنْيَا وَمَنْ حَقَدُوا

إِنَّ الأُلَى أَنْكَرَ الأحزانَ سَامِرُهُمْ
لَغْوٌ مِنَ النَاسِ لا ذُمُّوا وَلاَ حُمِدُوا
إِذَا تَبَاكَوْا مِنَ البَلْوَى فَمَا عَرَفُوا
حُزْنَ المُحِبِّينَ فِي البَلْوَى وَلاَ وَجَدُوا

الظَّامِئُونَ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ ثَمِلُوا
والغَائِبُونَ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ شَهِدُوا

* * *

[1] لا يُبْعِدِ اللَّهُ أَحْبَاباً فُجِعْتُ بِهِمْ
وما عُلاَلَةُ قَلْبِي بَعْدَمَا بَعُدوا
النَاشِئُونَ عَلَى نَعْمَاءَ مُتْرَفَةٍ
تَقَيَّلُوا الرَمْلَ فِي الصَحْراءِ واتَّسَدُوا
تِلْكَ الجُسُومُ التي حَزَّ الحَرِيرُ بِهَا
حَرِيرُهَا فِي العَراءِ المُوحِشِ الزَرَدُ
صَادِينَ لِلْمَوْتِ إِيمَاناً وَمَوْجِدَةً
فَكُلَّمَا لاَحَ مِنْهُ مَنْهَلٌ وَرَدُوا
عَلَى الصَحاصِحِ [2] هَامَاتٌ مُعَطَّرَةٌ
وفِي الرِمَالِ بَنَانٌ أُفْرِدَتْ وَيَدُ
فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ قَبْرٌ تُلِمُّ بِهِ
هُوجُ الرِيَاحِ وَيَنْأَى الأَهْلُ والوَلَدُ
مُشَتَّتِينَ فَمِنْ أَجْسَادِهِمْ مِزَقٌ
عَلَى الأَدِيمِ وَمِنْ مُرَّانِهِمْ قِصَدُ
مَصَارِعُ بِعُطُورِ الحَقِّ زَاكِيَةٌ
كَأَنَّمَا سَكَبُوا فِيهَا الذِي اعْتَقَدُوا

---

١) شهداء الثورات السورية المتوالية .
٢) جمع الصَّحصاح وهو : ما استوى من الارض

حَنَا السَرابُ عَلَيْهَا وَهْيَ ظَامِئَةٌ
حَرَّى الجَوانِحِ لاَ غَمْرٌ وَلاَ ثَمَدُ
بُوحِشٍ مِنْ رِمالِ البِيدِ مُنْبَسِطٍ
يَضِلُّ فِي شَاطِئَيْهِ الصَبْرُ والجَلَدُ
مَسَحْتُ دَمْعِيَ مِنْ ذِكراهُمُ بِيَدٍ
وأَمْسَكَتْ كَبِدِي أَلاَّ تَذُوبَ يَدُ

***

يا خَمْرَةَ الحُزْنِ هَذِي الكَأْسُ مُتْرَعَةٌ
للشارِبين وهَذا الشَاعِرُ الغَرِدُ
إنَّ النَدامَى على عَهْدِ الحَبيبِ بِهِمْ
لا جَانَبُوا النَشْوَةَ الكبرى ولا زَهِدُوا
لاَ أَوْحَشَ اللهُ قلبي مِنْ مَواجِعِهِ
ولا تَحَوَّلَ عَنْ نَعْمائِها الحَسَدُ
ولا شَفَى اللهُ جُرْحاً في سَرِيرتِهِ
نديانَ يَنْطِفُ منه الخَمْرُ والشَهَدُ
فَجَّرْتُ قلبي رِثاءً ما وَفَيْنَ بِهِ
حقَّ الزعيمِ قَوافٍ كالضُحَى شُرُدُ
النَاقِلاتُ الى الأَجْيالِ ما ظَلَموا
من الأُباة وما راعُوا وما اضْطَهَدُوا
صَلَّى الالهُ على قَبْرٍ يَطُوفُ بِهِ
كَبَيْتِ مكةَ مَنْ حَجُّوا وَمَنْ قَصَدُوا

أغْفى أبُـو طارِقٍ[1] بَعْـدَ السُهـادِ بِهِ
وَخَلَّفَ الهَـمَّ والبَلْـوى لِمَـنْ سَهِـدُوا
ضَاوٍ مِـنَ السُـقْمِ ضَجَّتْ فـي شَمائِلِهِ
عـواصِفُ الحَـقِّ والأَمْـواجُ والزَبَـدُ[2]
إذَا أُثِيرَ نَضَـا عَنْـهُ مَـواجِعَـهُ
كمـا تَفَلَّـتَ مِـنْ أشْـراكِهِ الأَسَـدُ
يَـرُوعُ فـي مُقْلَتَيْـهِ بـارِقٌ عَجَـبٌ
وعـالَـمٌ عَبْقِـرِيٌّ السِـحْـرِ مُنْفَـرِدُ
يُغـالِـبُ البِشْـرُ أسْـقـامـاً نَزَلْـنَ بِهِ
يَأْبَـى لَهُ الكِبْـرُ أنْ يَـأْسَى لَهَـا أحَدُ
دَاءٌ مُلِـحٌّ ونَفْـسٌ لا تَذِلُّ لَـهُ
حَـرْبٌ تَكَافَـأَ فِيهـا البَـأْسُ والعُـدَدُ
تِلْكَ البَشـاشَـةُ أبْلـى الـدَاءُ نَضْـرَتَهـا
فَـراحَ يُلْمَـحُ فِي نَعْمـائِهـا الكَمَـدُ
كـالغَيْـمِ يَحْجُـبُ حُسْـنَ الشَـمْسِ طَالِعَـةً
ومـا تَحَـوَّلَ عَنْهـا الحُسْـنُ والـرَّأْدُ
نَعِمْـتُ مِنْـكَ بِسـاعَـاتٍ مُعَطَّـرَةٍ
كـأنـهـا الحُلْـمُ دانٍ وَهْـوَ مُبْتَعِـدُ

---

١) المغفور له ابراهيم هنانو .

٢) حل المرحوم اعباء الثورة والزعامة والكفاح ضد المستعمر ٢٠ عاماً وهو يعاني مرضاً هضالاً والشاعر يصف في هذه الابيات جبروت هنانو امام المرض والاستعمار معاً .

وَصُحْبَةٍ كَقديمِ الراحِ لَوْ جُلِيَتْ
لِليائِسينَ حُمَيَّا كَأْسِها سَعِدُوا

* * *

يا هُدْنَةً مِنْ قِراعِ الدَهْرِ دَامِيَةً
أَلا يُهَدْهِدُ مِنْ آلامِكِ الأَبَدُ
خَيْلُ الزَعيمِ تَنَزَّى في شَكائمِها
ما فاتَها قَنَصٌ في الحَيِّ أَوْ طَرَدُ
عَرِينَةُ الحَقِّ في الشَهْباءِ مُنْجِبَةٌ
يَرُوعُ أَنَّى الْتَفَتَّ الظُفْرُ واللُّبَدُ
اذا الزَعِيمُ تَولَّى عَنْ شُبولَتِها
حَمَى الشُبولَةَ إِخْوانٌ لَهُ نُجُدُ ...
أَمَّا الشَبابُ فَما خَانُوا رِسالَتَهُ
عِنْدَ الكِفاحِ ولا حَادُوا ولا جَحَدُوا
اذا دَجَتْ ظُلُماتُ اليأْسِ حالِكَةً
شَقَّ الدُجى كَوْكَبٌ مِنْ ذِكْرِهِ يَقِدُ
حَوْلَ الزَعَامَةِ فِتْيانٌ غَطارِفَةٌ
لاَ يَنْقُضُ الدَهْرُ ما شَدُّوا وما عَقَدُوا
الساخِرُونَ مِنَ الأَقْزامِ يُضْحِكُهُمْ
أَنْ رَاحَ يَلْبَسُ جِلْدَ الضَيْغَمِ النَقَدُ[1]

---

١) النقد:الفنم الهزيل والشاعر يشير بهذا البيت الى الحكومة الهزيلة التي اقامها الفرنسيون يومئذ لضرب القضية الوطنية

المُؤْمِنُـونَ إذا ما بَايَعُـوا صَدَقُـوا
والصابِـرون فإنْ جَـدَّ الـوَغـى صَمَـدُوا

* * *

سَقَتْهُـمُ كَـفُّ إبـراهيمَ صَافِيَـةً
مِـنْ خَمْـرَةِ الحَـقِّ تُـرْوِي كُلَّ مَنْ يَرِدُ
فَفِـي الدِمـاءِ سعِيـرٌ مِنْ سُـلافتهـا
عَجْـلانُ يَهْـدَأُ احْيـانـاً وَيَتَّئِـدُ
بَيْـنَ الجَـوانِـحِ إلاَّ أنَّـهُ أنَـفٌ
وفـي الشَمائِـلِ إلاَّ أنَّـهُ صَيَـدُ
أذْكـى أبُـو طَارِقٍ في الشَرْقِ جَمْـرتها
حَمْـراءَ تَلْتَهِـمُ الجُلَّـى وتَزْدَرِدُ
إذا وَنَـتْ وَهَتَفْنَـا باسْـمِهِ جَمَحَـتْ
تُعِيـدُ سِيـرتَهـا الأُولـى وتَطَّـرِدُ
فَـذِكْـرُهُ الأَمَـلُ الهـادِي إذَا انْتَبَهُـوا
وطَيْفُـهُ الحُلُـمُ الهَـانـي إذَا رَقَـدُوا
زَعـامَـةُ الحَـقِّ لا شَوْهـاءُ يَرْفَعُها
عَلى الـرِمـالِ الهَـوى والـزُورُ والفَنَـدُ

* * *

مـالِـي أرى الفَـرَسَ الشَـقْـراءَ عـارِيَـةً
علـى المَرابِـطِ لا تَطْغَـى فتَنْجَـرِدُ

آبَ المُغِيـرَونَ جُنَّـتْ خَيْلُهُـمْ مَـرَحَاً
وآنَ أنْ يستَـريـحَ الفـارِسُ النَجِـدُ

مَـنْ كسعـدٍ ؟

كان سعد الله الجابري دنيا من البطولة والوطنية والمروءة والصراحة والعفة والوفاء وكان بينه وبين الشاعر من الصداقة والود ما هو اقرب من كل قربى .

سَـأَلَ الصُـبْـحُ عَـنْ أَخِيـهِ المُفَـدَّى
أَيُّهـا الصُـبْـحُ لَـنْ تُشـاهِـدَ سَعْـدَا
غَيَّـبَ الـدَهْـرُ مِـنْ سُيـوفِ معَـدٍّ
مَشْـرَفِيّـاً حمَـى وَزانَ مَعَـدَّا
كُلَّمـا عَارَضُـوا الصَـوارِمَ فـيهِ
كـانَ امضـى شبـاً وأصْـفَـى فِرِنْـدَا

* * *

حاسَـنـوا غُـرَّةَ الصَـبـاحِ بِسَعْـدٍ
فَعَلِمْنـا أيَّ الصَبـاحَيْـنِ أَهْـدَى
طَلْعَـةٌ تُفْـرِحُ العُيـونَ وتَسْبيهـا
وَتَغـزو القُلـوبَ كِبْـراً ومَجْـدَا
وَحـديـثٌ كأنَّـهُ قِطَـعُ الرَوْضِ
تَنَـوَّعْـنَ أُقْحُـوانـاً وَوَرْدَا .....
بِدْعَـةُ الـظَـرْفِ والأَنَـاقَـةِ يُرْضِيـكَ
دُعـابـاً عَفّـاً ويُرْضِيـكَ جِـدَّا

تَنْهَـــلُ العَـينُ مِـنْ بِشـاشَـةِ سَعْـــدٍ
رِيَّهَـــا والعُيـــونُ تَرْوَى وتَصْـــدَى
الحَضـاراتُ فـي شَمـائِـلِ سَعْـــدٍ
فـإذَا سِمْتَـــهُ الهَـــوانَ تَبَـــدَّى

مُتْـــرَفٌ فـي رُجـولَـــةٍ واعْتِـــدادٍ
رَاعَ زِيّـــاً وَراعَ وَجْـهـاً وَقَـــدَّا
زَعَـمَ الخَصْـــمُ أَنَّـــهُ مُسْتَبِـــدٌّ
حَبَّـــذَا الحُـكْـــمُ عَادِلاً مُسْتَبِـــدَّا

إنَّ شَـــرَّ الأُمـورِ ظُلْـــمُ الجَماهيـــرِ
وَأَهْـــوِنْ بالـظُّلْـــمِ إنْ كَانَ فَـــرْدَا

* * *

مَـنْ كَسَـعْـــدٍ وللشَـبـــاب هَـــواهُ
قُـــدرةً تُتْعِـــبُ الخَيـالَ وَزُهْـــدَا
يا صَفِـيَّ الأَحْـــزانِ تَسْـــقـي البَـــرايـا
كأسَـهـــا مُرَّةً وَتَسْـقِيـــكَ شَهْـــدَا

رَضِيَـــتْ نَفْسُـــكَ الهُمـومَ رَفِيقـــاً
ارْيحِيّـــاً علَـى الشَـدائِـدِ جَلْـدَا
بُـــورِكَ الهَـمُّ عَبْقَـرِيّـــاً جَـــوادَاً
لا كَهَـــمٍّ أَعْـطـى قَلِيـلاً وَأَكْـــدَى

قُـلْ لِمَـنْ يَحْسُـدُ العَـظِيـمَ تَرَفَّـقْ
إنَّ خَلْـفَ الأَمْجَـادِ هَمّـاً وَسُهْـدَا

* * *

مَـنْ كَسَـعْـدٍ إذَا المَلاحِـمُ جُنَّـتْ
وَتَلَقَّـى حَـدٌّ مِـنَ الهَـوْلِ حَـدَّا
وَعَلـى رايَـةِ الشآمِ كَمِـيٌّ
يُقْحِـمُ الـدارِعيـنَ أَشْقَـرَ نَهْـدَا
هَتَـكُـوا حُرْمَـةَ العَـريـنِ فَهـاجُـوا
أَسَـداً دامِـيَ البَـراثـنِ وَرْدَا
حَشَـدُوا جُنْـدَهُـمْ وأَقْبَـلَ سَعْـدٌ
يَحْشُـدُ البَـأْسَ والعَقِيـدَةَ جُنْـدَا
ضـاحِـكَ الثَغْـرِ والضُـحَـى مُكْفَـهِرٌّ
رَوَّعُـوهُ قَصْـفـاً وبَـرْقـاً وَرَعْـدَا
والْتَقَيْنَـا فَلا وإيمـانِ سَعْـدٍ
مـا تَحَـدَّوْا بالمَوْتِ إلاَّ تَحَـدَّى
ضَـرَبَ الـظُّلْـمَ ضَرْبَـةً رَنَّحَتْـهُ
فَتَـدَاعـى مُزَمْجِـراً فَتَـرَدَّى
زَعَمُـوا أَنَّـهُ جَـلاءٌ وما كـانَ
جَـلاءً بَـلْ كانَ خِزْيـاً وَطَـرْدَا

مـا عَلـى العَبْـدِ أنْ يُسَـوَّدَ عَـارُ
بِـدُعَـةُ العَـارِ أنْ تَرَى الحُـرَّ عَبْـدَا

* * *

مَـنْ كَسَـعْـدٍ ولِـلنَـدِيِّ[1] احْتِـدامُ
جَـمْـرَةُ الحَـرْبِ عُنْفُـوانـاً وَوَقْـدَا
حُمَـمٌ كالجَحيـمِ مُسْتَعِـراتٌ
رَدَّهـا حِلْمُـهُ سَلامـاً وَبَـرْدَا
ما حَـمَلْـتَ الجِـراحَ دَاءً مُلِحّـاً
بَـلْ حَمَلْـتَ الجراحَ غَـدْراً وَصَـدَّا
حَزَّ في قَلْبِـكَ الـوَفِـيِّ صَديـقٌ
صَـارَ فـي النُـدْوَةِ الخَصِيـمَ الأَلَـدَّا

* * *

مَـنْ يَهُـزُّ النَـدِيَّ بَعْـدَكَ بالخُطْبَـة
عَصْـمَاءَ تَحْشُـدُ البَـأْسَ حَشْـدَا
مُلْهَـمٌ حـاضِـرُ البَـدِيهَـةِ تُغْـرِيـهِ
بِـأَحْلـى مِـمَّا اصْـطَفـى وأَعَـدَّا
مُتْـرَفُ الفِـكْـرِ والبَيـانِ غَنِـيٌّ
بـالـلآلِـي يَصُـوغُ عِقْـداً فَعِقْـدَا

---

١) مجلس النواب

يَجْمَعُ الحَقَّ والبَيانَ على الخَصْمِ
فَلَمَّا تَمَلَّكَ الامْرَ شَدَّا
يَطْعَنُ الطَعْنَةَ العَفِيفَةَ لا
تُدمي ولَكِنَّهُ أبادَ وأرْدَى

* * *

بَرَّأَ اللهُ قَلْبَ سَعْدٍ مِنَ الحِقْدِ
وفاءً لِلكِبْرِياءِ وَمَجْدَا
خَدَعَ الحِقْدُ أهْلَهُ فَهْوَ ذُلٌّ
نَكَّرُوا وَجْهَهُ وسَمَّوْهُ حِقْدا
وَبَناتُ الصُدورِ يُتْعِبُها الذُ
لُّ خَفاءً عَنِ العُيونِ وَوَأْدَا
والقَوِيُّ النَبِيلُ يَحْنو على الدُنْيا
وَيَسْمو بِها وَفاءً وَوُدَّا
حَنَّتِ الغُوطَةُ الرَؤُومُ لِسَعْدٍ
وَرَواحٍ لَهُ عَلَيْها وَمَغْدَى
طَالَما بَاكَرَ الرَياحِينَ فيها
وَسَقاها النَدى حَنِيناً وَوَجْدَا
وَشَكَى هَمَّهُ فَيا لَكِ شَكْوَى
نَوَّرَتْ في الرُبى أقاحاً وَرَنْدَا
قَال لي والرَبِيعُ غافٍ عَلى الزَهْرِ
يُذِيعُ الأَحْلامَ عِطْراً وَنَدَّا

والغُـروبُ النَـدْيانُ فـي الغُـوطَـةِ المِعْطـارِ
يَحْـنُـو عَـلى الـظِـلالِ فَتَنْـدَى

وقَـطِيـعٌ مِـنَ الشِيـاهِ وَرُعْيَـانٌ
وأُغْنِيَـةٌ تَـرِقُّ فَتَـرْدَى

مـا أَحَـبَّ الحَيـاةَ فِي غُوطَـةِ الشَامِ
وأَفْجِـع بالمَـوْتِ هَـجْـراً وَفَقْـدَا

أيُّ وِرْدٍ للحُـسْـنِ تَشْـتَفُّـهُ عَيْنِـي
وَيَبْقَـى بِقُـدْرَةِ اللـهِ وِرْدَا ..

هَـلْ رَأَتْ هَـذِهِ الخَمـائِلُ قَبْلِي
مَـنْ رَآهـا عَيْنـاً وَثَغْـراً وَخَـدَّا

هِـيَ عِنْـدِي شَمـائِلٌ وعُطـورُ
وَقُلـوبٌ تَهْـوَى وَدَلٌّ يُفَـدَّى

أَعْشَـقُ الحُسْـنَ دَوْحَـةً وَغـدِيـراً
وَبَيـانـاً سَمْحـاً وَفَجْـراً مُنَـدَّى

* * *

مـا رَأى السُـقْـمُ قَبْـلَ سَعْـدٍ حَنـانـاً
وَحَيـاءً مِـنَ السَـقـامِ وَرِفْـدَا

كَبَقـايَـا السَيْـفِ اطْمَـأَنَّـتْ إِلَى الجَفْـنِ
وَرَاحَـتْ تَبْلَـى الهُـوَيْنـى وَتَصْـدَا

رَوْعَـــةُ الشَمْـسِ في الغُـروبِ ولا أَعْشَقُ
للشَـمْـــسِ عُنْفُـــوانَـــاً وَرأْدَا

* * *

رَنَّـــحَ الشِـعْـــرَ والـكَـرِيمُ طَـرُوبُ
ذِكْـرُ سَعْـدٍ لا يُبْعِـدِ اللهُ سَعْـدَا
وَحَـدَوْنَـا بِـهِ المَعـانِـي فَحَـنَّـتْ
حَـــنَّـــةَ العِيْـسِ بالأَغَـارِيـدِ تُحْـدَى
مـا لِسَـعْـدٍ فـي المَـوْتِ يَزْدَادُ قُرْباً
مِـنْ فُـؤَادِي مـا ازْدادَ هَجْـراً وَبُعْدَا
وَإِذَا رَفَّ طَيْفُـهُ فـي خَيَالِـي
رَفَّ رَيْحَـانَـةً مِـنَ اللَّـهِ تُهْـدَى
أَنْـتَ فـي خاطِـري وَعَيْنِـي وَقَلْبِـي
وَعَلـى الهَجْـرِ لا أرى مِنْـكَ بُدَّا
صُـوَرٌ لَوْ يَنـالُ مِنْ حُسْـنِهـا النُـورُ
لَـكـانَـتْ بِنُـورِ عَيْنَـيَّ تُفْـدَى
وَأَصُـوْنُ الـطُيُـوفَ بَيْـنَ جُفُـونِـي
لَـوْ تُطِيـقُ الجُفُـونُ لِلـطَّيْـفِ رَدَّا
وأَنَـا الصَـاحِـبُ الـوَفِـيُّ فَمـا خُنْـتُ
حَبِيبـاً ولا تَنـاسَيْـتُ عَهْـدَا

* * *

لَـم يَـرُعْـكَ الـزَمـانُ فـي حالَتَيْـهِ
وَتَحَـدَّيْتَـهُ وَعِيـداً وَوَعْـدَا

مَـا وَفَيْنَـاكَ بَعْـضَ حَقِّكَ فاعْـذُرْ
إنَّ عُـذْرَ الـكَرِيـمِ أَسْـمَى وأَجْـدَى
إنَّ دَيْـنَ العَـظِيـمِ فِـي كُـلِّ شَعْـبٍ
لا يُوَفَّـى وَحَقَّـهُ لاَ يُـؤَدَّى ...
شُغِـلَ النَـاسُ بالعَـظِيـمِ وأَرْضَـوْا
نَـزَواتِ النُفـوسِ هَدْمَـاً وَنَقْـدا
حَسَـدُوهُ عَلـى المَـزايَـا فَكَـانَ الـ
مَـوْتُ بَيْـنَ الأَهْـواءِ والحَـقِّ حَـدَّا
إنَّ مَـنْ يُنْـكِرُونَـهُ وَهْـوَ حَـيٌّ
رُبَّـمَـا أَلَّـهُـوهُ رَمْـزاً وَلَـحْـدا

* * *

عَيَّـرُوا بالمَشِيـبِ إخْـوانِـيَ الصِيـدَ
سَـفَـاهَـاً وَهَـلْ عَـنِ الشَيْـبِ مَعْـدَى
أيُّ لَـوْمٍ عَلـى الـكُهـولِ وَخَـاضُـوا
غَمَـراتِ العُـلى شُبـولاً وَأُسْـدَا
مَـا لأَبْنَـا ئِنَـا تَجَنَّـوا عَلَيْنَـا
وَغَفَـرْنَـا مـا كَـان سَهْـواً وَعَمْـدَا
أَنْـكَـرُونـا عَلـى المَشِيـبِ كَـأَنَّـا
لَـمْ نَكُـنْ قَبْلَهُـمْ غَـرانِيـقَ مُـرْدَا

حَـاسَبُـونـا عَلـى هَنَـاتِ المَعَـالي
ثُـمَّ غَـالَـوْا بِهَـا حِسَـابـاً وَعَـــدَّا
نَحْـنُ رُوَّادُكُـمْ طَلَعْنَـــا الثَنَـــايـا
وَرَمَيْنَـــا الصِـعَـابَ غَـــوْراً ونَجْـــــدَا
وَبنينـــا لَكُـــمْ وَنَعْلَـمُ أَنَّـــــا
لَـنْ نُمَـلَّى بِـهِ بَقَـــاءً وَخُلْـــــدَا
أَيُّهَـــا النَـازلُ المُقِيـمُ تَعَهَّـدْ
بـالـرِضَـى والحَنَـانِ رَكْبَـاً مجُـدَّا

* * *

قُـــلْ لِشُكْـرِي العَـظِيـــمِ أَشْـرَقْـتَ فِـــي
السُـدَّةِ يُمْنَـاً وكبْـرِيَـــاءً وَرُشْـــــدَا
يـا أَبَـا الـدَوْلَـةِ الفَتِيَّـــةِ تَبْنِيهَـــا
وَيَلْقَـى البَـانِي عَنَـاءً وَجَهْـــــدَا
إِنْ حَضَـنْـتَ اسْتِقْـلالَهَـا وَهْـوَ فِـــــي
المَهْـدِ فَمَـا اخْتَـارَ غَيْـرَ نُعْمَـاكَ مَهْـــدَا
لاَ تَخَـفْ عَثْـرَةً عَلَيْـهِ وَوَهْنَـــاً
بَلَـغَ الـطِفْـــلُ فِـي حِمَـاكَ الأَشُـــدَّا
يـا وَرِيـثَ الشُمُـوسِ مِـنْ عَبْـدِ شَمْـــسٍ
مَلَـكُـوا العَـالَمَـيْنِ رُومـاً وَهِنْـــــدَا
بِفُتُـــوحٍ هُـنَّ المُلُـوكُ مِـنَ العِـــزِّ
وَبَعْـضُ الفُتُـوحِ غَـرْثَـى عِبِـــــدَّى

أسْلَمَ القُدْسَ مَنْ يَحُجُّ الى القُدْسِ
وَيَتْلو الإنْجِيلَ وِرْداً فَوِرْدَا
إنْ يَنَامُوا عَنْهَا فقد نبَّهَ الثَّأْرُ
عَلى الغُوطَتَيْنِ أرْوَعَ نَجْدَا
مُدُنُ القُدْسِ كالعَذَارَى سَبَوْهَا
وأرادُوا لِكُلِّ عَذْراءَ وَغْدَا
كالسَّبَايا لَطَمْنَ خَدّاً وَمَزَّقْنَ
شُفوفَ الحَرِيرِ بُرْداً فَبُرْدَا
ضَجَّ سُوقُ الرَّقِيقِ فِي نُدْوَةِ القَوْمِ (١)
وَنَخَّاسُهُ طَغَى واسْتَبَدَّا
يَعْرِضُونَ الشُّعُوبَ عَرْضَ الجَوارِي
عُرِّيَتْ للعُيونِ نَحْراً وَنَهْدَا
غَيْرَةَ اللَّهِ ! أيْنَ قَوْمِي وَعَهْدِي
بِهِمُ يَنْهَدُونَ للشَّرِّ نَهْدَا
نَعْشَقُ القَدَّ لِلْعَوالِي وأحْبَبْنَا
لِهِنْدِيَّةِ الصَوارِمِ هِنْدَا
وَدَفَنَّا الكُنوزَ يَوْمَ دَفَنَّا
فِي ثَراهَا الآباءَ جَدّاً فَجَدَّا

* * *

١) يشير الى جمعية الامم المتحدة واستبداد الدول القوية فيها بالشعوب الضعيفة .

رَضِـيَ اللَّـهُ عَـنْ أخٍ لَـكَ كالسَّيْـفِ
المُحَـلَّى يَـرُوعُ نَصْـلاً وَغِـمْـدَا
أيْـنَ سَعْـدٌ ؟ وَلاَ أُلُـومُ اللَّيَـالِـي
وَهَـبَ الـدَّهْـرُ غَالِيـاً واسْتَـرَدَّا
أيُّ بِـدْعٍ إذَا بَكَيْـتُ لِسَعْـدٍ
إنْ بَـكَى السَّيْـفُ حَـدَّهُ مـا تَعَـدَّى
لَـوْ رَأى هَـذِهِ الـدُمـوعَ الغَـوالِـي
لَبَـكَـى رَحْمَـةً وَحَيَّـا وَفَـدَّى
غَـابَ سَعْـدٌ عَـنِ العُيـونِ وَمَـا
غَـابَ ضِيَـاءً يَهْـدِي القُلوبَ فَتُهْـدَى
ثَـوْرَةٌ فِـي الحَيَـاةِ والمَـوْتِ جَـلَّتْ
ثَـوْرَةُ الحَـقِّ أنْ تَقَـرَّ وَتَهْـدَا

أين أين الرعيل من أهل بدرٍ ؟

في رثاء الزعيم رياض الصلح

لاَ تَسَلْهَا فَلَنْ تجِيبَ الطُّلُولُ
أَلْمَغَاوِيرُ مُثْخَنٌ أَوْ قَتِيلُ
مُوحِشَاتٌ يَطُوفُ فِي صَمْتِهَا
الدَهْرُ فَلِلدَّهْرِ وَحْشَةٌ وَذُهُولُ
غَابَ عِنْدَ الثَرى أَحِبَّاءُ قَلْبِي
فَالثَرى وَحْدَهُ الحَبِيبُ الخَلِيلُ

* * *

وَسَقَوْنِي على الفِراقِ دُمُوعِي
كَيْفَ يَرْوَى مِنَ الجَحِيمِ الغَلِيلُ
خَيَّمَتْ وَحْشَةُ الفَراغِ عَلَى
الأَحْيَاءِ فالقَبْرُ وَحْدَهُ المَأْهُولُ
فِي الثَرى مِنْ أَحِبَّتِي ولِداتِي
ظَفَرٌ أَبْلَجُ وَفَتْحٌ جَلِيلُ
نَزَلَتْ بالقُبُورِ أَسْمَى اللُّبَانَاتِ
وَطَافَ الرَجَاءُ والتَأْمِيلُ
وَتَهُبُّ القَبُولُ[1] تَحْمِلُ أَشْوَاقِي
فَهَلْ رَشَّتِ الطُّيُوبَ القَبُولُ

---

١) ريح الصبا

الـدِي نَـالَ جَبْهَـةَ اللَّيْـثِ فِي
غَمْـرِ الضُـحَـى نَالَـهُ جَبَـانٌ ذَلِيـلُ

يا أخـا الفَتْـكَـةِ الصُـراحِ كَـأنَّ
الشَـمْـسَ مِـنْ فَوْقِ فَـرْعِهـا إكْلِيـلُ

لَـمْ تُفـاجِـئْ بِهـا عَدُوّاً فَقَـدْ
أنـذرَ مِنْهـا زَمـاجِـرٌ وَصَهِيـلُ

وَزُحـوفٌ علـى العَـدُوِّ كَمـا تَخْبِـطُ
بالعـاصِـفِ المُـرِنِّ السُـيولُ

أَلْـفُ هَيْجـاءَ خُضْـتَهـا لَمْ تُجَدِّلْـكَ
أَحَقّـاً أَنْـتَ الصرِيـعُ الجَدِيـلُ

سَيْفُـكَ السيْـفُ لا يخُـاتِـلُ فـي
الـرَوْعِ وَزَكّـاهُ أَنَّـهُ المَخْتُـولُ

وإذَا النَصْـرُ كـانَ عـاراً فَأَرْضَـى
للمُـرُوءاتِ أَنَّـكَ المَخْـذُولُ

لِقِـطـافِ الـوَغَـى شَمَائِـلُ كالنَـاسِ
فَنَصْـرٌ وَغْـدٌ وَنَصْـرٌ نَبِيـلُ

هَتَـفَ الهَـاتِفُـونَ : أَيْـنَ رِيـاضٌ
فـانْتَخَـى فـي الثَـرى حُسـامٌ صَقِيـلُ

وَبَـكَـتْ أُمَّـةٌ وأَجْهَـشَ تَاريـخٌ
وَنَـاحَ القـرآنُ والإنْجيـلُ

يَـا لَسِتِّيـنَ فـي الـكِفـاحِ طِـوالٍ
حـالِيـاتٍ وكـلُّ جُـلِّ تَطُـولُ
مَـنْ راهُ يَخِـرُّ في فَجْـأَةِ الغَـدْرِ
رَأَى الـراسِيَـاتِ كَيْـفَ تَمِيـلُ
إنَّ مَـوْتَ العَـظيـمِ مِحْنَـةُ تَاريـخٍ
وَدُنْيَـا تَفْنَـى وَكَـوْنٌ يَـزُولُ

* * *

إنَّ سَيْفـاً أردَاكَ غَـدْراً وَحِقْـداً
لَهْـوَ بَيْـنَ الـظُّبَـى دَعِـيٌّ دَخِيـلُ
لَـمْ يَـذُدْ في الـوَغـى عَدُوّاً وَلَمْ
يَهْـزُزْهُ في الـرَوْعِ ساعِـدٌ مَفْتُـولُ
مُغْمَـدٌ فـي مَعـارِكِ الحَـقِّ نَـابٍ
وعلـى الحَـقِّ مُصْـلَـتٌ مَصْقُـولُ
شَـاهَـتِ العُـرْبُ تَحْـتَ كُـلِّ سَمـاءٍ
حِيـنَ أَغْضَـتْ وَشِـلْـوُكَ المَـأْكولُ
يا لَـذُلِّ العُلَـى فَهَـلْ هَجَـعَ الثَـأْرُ
وَطـاحَ الـدَمُ الـزَكـيُّ الطَلِيـلُ
عَقَـرَ اللـهُ بَعْـدَ فارِسِـهَـا الخَيْـلَ
ولا عَطَّـرَ الفُتـوحَ الصَهِيـلُ
يُنْـكِـرُ الشَـوْطُ نَفْسَـهُ حِـينَ تَجْـرِي
عَـارِيـاتٍ مِـنَ الـكُمـاةِ الخُيـولُ

ما لأمجادِنا وما لِعَبيدِ
ألأساطيرُ مَجْدُهُمْ والطُلولُ

بِئْسَ قَوْمِيَّةٌ يُؤَرِّخُهَا
الظَنُّ وَيَبْنِي أحْسابَهَا التَأْويلُ

كَيْفَ تَسْمُو بَيْنَ الشُعوبِ
ثُمالاتُ شُعوبٍ وعَابِرونَ فُلولُ

أبْغَضُونا على العُروبَةِ والفَتْـ
ـحِ وَيُقْلَى عِنْدَ الهجِينِ الأَصِيلُ

وَسَبايَا الفُتوحِ لا بِدْعَ إنْ
هَرَّ على الفَتْحِ حِقْدُهَا والذُحُولُ[1]

* * *

نَحْنُ كَوْنٌ لا كائِنَانِ ضَعِيفَانِ
أَلَحَّ الهَوى وَتَمَّ الوصول

سالِفُ الشَرْقِ مِلْكُ قَحْطَانَ
واليومُ لِقَحْطانَ والغَدُ المأمُولُ

وَلَهُ هَذِه الجِبالُ المُنيفاتُ
وَتِلكَ الرُبى وهَذِي السُهولُ

والسماواتُ والكَواكِبُ في الشَرْقِ
لِقَحْطانَ مَوْطِنٌ وقَبِيلُ

---

١) الذحول : العداوات والاحقاد

والنُبُـوَّاتُ والفُنـونُ وَمِلْـكُ
فـيْ شَبَـابِ الـدُنْيـا عَـريـضٌ طَـوِيـلُ
أَرْيَحِـيٌّ تَكـادُ تُـورِقُ بالنُعْمَـى
لأعـدائـهِ القَنَـا والنُصُـولُ
قَـدْ وَرِثْنـا البِحـارَ مِـنْ عَبْـدِ شَمْـسٍ
وَعَلَيْهـا الغُـزاةُ والأُسْطُـولُ
أَرْزُ لُبْنـانَ أَيْكَـةٌ فـي ذُرانَـا
والفُـراتـانِ مَـاؤُنَـا والنِيـلُ
ورَيَـاحِينُنَـا علَـى تُونـسَ الخَضْـراءِ
خَضْـراءُ أَيْـنَ مِنْهَـا الذُبُـولُ
ما شَكَـتْ جُرْحَهـا على البُعْـدِ إلاَّ
رَفَّ قَلْبِـي عَلـى الجِـراحِ يَسِيـلُ
وَلَثَمْـتُ الجِـراحَ فَهْـيَ ثُغُـورٌ
يَتَشَـهَّـى عُطُـورَهـا التَقْبِيـلُ
هـادِراتٌ بِخُـطْبَـةِ المَجْـدِ بَتْـراءَ
وَيُـؤْذِي البَـلاغَـةَ التَطْوِيـلُ
حَلَفَ القَيْـدُ أَنَّـهُ مِـنْ نُضـارٍ
كُـلُّ قَيْـدٍ على الـرِقَـابِ ثَقِيـلُ
يا صَدِيـدَ الجِـراحِ بُورِكْـتَ طِيبـاً
يَتَمَلَّـى رِيَّـاهُ جِيـلٌ فَجِـيلُ

* * *

كُـلُّ رَوْضٍ فـي الشَـرْقِ مِـنْ
دَمِ آبـائـي مُنَـدًّى مُعَـطَّـرُ مَطْلُـولُ
ولُبانَـاتُهُـمْ علـى كُـلِّ صَحْـراءَ
غَـدِيـرٌ صَافٍ وَظِـلٌّ ظَلِيـلُ
حَيْـثُ يَحْنُـو الصَـفْصَـافُ نُعْمَـى
علـى الـوَانـي وَيَبْكِـي على الشَـهِيدِ النَخِيلُ
كُـلُّ تَكْبِيـرَةٍ علـى الـرَمْـلِ نَفْـحٌ
وَعَبِيـرٌ سَكْـبٌ وَأَيْـكٌ بَلِيـلُ
ذُكِـرَ اللـهُ فالهَجِيـرُ شِفـاهٌ
قَـانِيَـاتٌ والليـلُ طَرْفٌ كَحِيـلُ

* * *

لَفِّنِـي والـدُجـى علـى هَـذِهِ الصَـحْـ
ـراءِ سِـحْـرٌ مُنَمْنَـمٌ مَجْهُـولُ
لَفِّنِـي والـدُجَـى فَـأَفْنَـتْ كِلَيْنَـا
سَـعَـةٌ مِـنْ جَـلالِـهِ وَشُمُـولُ
أَيّ سِـرٌّ نُرِيـدُ فـي الكَـوْنِ
والـكـونُ مُعَـنًّىً بِسِـرِّنـا مَشْغُـولُ
تِلْـكَ وَاحـاتُهـا الظَلِيلَـةُ
والـظِـلُّ غَرِيـبٌ علـى الـرِمَـالِ نَزِيـلُ
زَهَـراتُ السَـمـاءِ حَيَّـا بِهَـا
قَـوْمِـي مِـنَ الحُـورِ فـي السَـمـاءِ رَسُـولُ

فَعَلَـــى كُـــلِّ نَهْلَـــةٍ مِـنْ شَذاهَـا
شَـفَـةٌ عَنْـدَمٌ وَخَـــدٌّ أَسِيـــــلُ

وحَنِيـــنٌ إلـــى السَـمـــاءِ كَمـا حَـنَّ
إلـــى نِعْمَـــةِ الشِـفَـــاءِ العليـــلُ

رَبِّ روحـــي طَلِيـــقَـــةٌ فـي سَماواتِـك
والجِسْـمُ مُوْثَـــقٌ مَغْلُـــولُ

بَعُـــدَ الفـرْقُ بَيْـنَ رُوحِـــي وَجِسْمـــي
جَسَـــدِي آثِـــمٌ وَرُوحِـــيْ بَتُـــولُ

أَنْـــتَ يـا رَبِّ غايَـــةٌ وإلـــى
الغَـايَـــةِ أَنْـتَ الهُدَى وأَنْتَ السَبِيـلُ

لَـكَ حُبِّـي وَمِنْـكَ حُبِّـي فَهَـلْ
يُعْطَـــى مِـــنَ السائِـلِ الكَرِيـمُ المُنِيـلُ

لَـكَ حُبِّـي فَهَـلْ لِفَقْـــرِي إذَا
أَهْـدَى إلـى كَنْـزِكَ الغَنِـيِّ قُبـولُ

عَبـــراتـي عِبـادَةٌ وابْتِهَـــالٌ
وَشَهِيـــقـي التَـكْبِيـرُ والتَهْلِيـــلُ

وَصَـــــلاتِـي تَـأَمُّـــلٌ وَمُنَاجَـاتِـــي
خُشُـوعٌ وَرَفْـــرَتِـــي تَرْتِيـــلُ

وَبَـلائِـي أَنَّ النَعِيـمَ الـذِي
أَرْجُـو نَعِيـمٌ مُسَـوَّفٌ مَمْطُـــولُ

لَمْ يَضِعْ فِي الظَلامِ نُورُكَ عَنْ
قَلْبِي فَقَلْبِي إلَى سَنَاكَ الدَلِيلُ

مَعْدِنُ الخَيْرِ والجَمَالِ المُصَفَّى
وَجْهُكَ الخَيِّرُ الكَرِيمُ الجَمِيلُ
وأنا السَائِلُ المُلِحُّ وَيَجْلُو
وَحْشَةَ الذُلِّ أَنَّكَ المَسْؤُولُ

وَبِيُمْنَايَ أَلْفُ كَنْزٍ عَطَايَاكَ
وما فِي يَدَيَّ إلاَّ القَلِيلُ
رَبِّ ! نُعْمَاكَ أَنْ تُنَضِّرَ قَلْبِي
بِمُحَيَّاكَ فَهْوَ صَادٍ مَحِيلُ

رَبِّ ! قَلْبِي زَيَّنْتُهُ لِمُحَيَّاكَ
فَمُرْ تَنْسَكِبْ بِقَلْبِي الشَمُولُ
هُيِّئَتْ فِي سَرِيرَتِي لَكَ رَبِّي
سِدْرَةُ المُنْتَهَى وَطَابَ النُزولُ
جَوْهَرُ القَلْبِ وَهْوَ إبْداعُ كَفَّيْكَ
عَلَى مَا بِهِ كَرِيمٌ أَصِيلُ
وَبِقَلْبِي رِضْوانُ يَهْفُو لِمَرْآكَ
وَنَدَّى سَرِيرَتِي جِبْرِيلُ

يَالِدَاتِ الشَبَابِ لَوْ يَنْفَعُ الدَمْـ
ـعُ جَرَرْتُكُمْ مَدَامِعِي والعَوِيلُ

وَكُهولاً أَبْلَتْ شَبَابَهُمُ الجُلَّى
فَهُمْ فِي الصِبَا الوَسِيمِ كُهُولُ
رَوَّعَتْ سِرْبَنَا المَنَايَا وَأُمُّ
المَجْدِ فِي الغُوطَتَيْنِ أُمٌّ ثَكُولُ
رَاعَ قَلْبِي الرَحِيلُ حَتَّى تَوَلَّيْتُمُ
فَأَشْهَى المُنَى إِلَيَّ الرَحِيلُ
لَوْعَتِي - والشَرَى يُهَالُ عَلَيْكُمْ -
كَوَفَائِي ، مُقِيمَةٌ لاَ تَحُولُ
لَوْعَةُ الحُرِّ حِينَ أَفْرَدَهُ الدَّهْرُ
فَمَنْ يَتَّقِيهِ حِينَ يَصُولُ
وَأُناجِي قُبُورَكُمْ أَعْذَبَ النَجْ
وى وأَشْكو مُعَاتِبًا وأُطِيلُ
وَكَأَنَّ القُبُورَ تَسْمَعُ شَكْوايَ ..
وَتَدْرِي حَصْبَاؤُهَا ما أَقُولُ
عَيَّرُوا بالفُلُولِ بِيضَ ظُبَانَا
مِن قِرَاعِ الزَمَانِ هَذِي الفُلُولُ
وَإِذَا السَيْفُ كَلَّ مِنْ هَبْرِهِ الهَامَ
فَقَدْ شَرَّفَ السُيُوفَ الكَلِيلُ
الدُجَى عُذْرُ مُنْكِرِينَا وتَخْفَى
غُرَرُ الخَيْلِ فِي الدُجَى والحُجُولُ
ذَلَّ مَجْدٌ لَمْ يَنْتَسِبْ لِكِفَاحٍ
فَهْوَ مَجْدٌ رَثُّ المَعَالِي هَزِيلُ

* * *

غُـوطَـةَ الشَـامِ هَـلْ شَجَـاكِ بَيَـانُ
مِـنْ قَرِيضِـي كَأَنَّـهُ التَنْزِيـلُ
وَعِتَـابٌ كالجَمْـرِ صُنْتُـكِ عَنْـهُ
جَـزَعـاً أَنْ يَنَـالَ مِنْـكِ عَـذُولُ
كُـلُّ مَجْـدٍ يَفْنَـى وَيَبْقَـى لِشِعْـرِي
شَـرَفٌ بَـاذِخٌ وَمَجْـدٌ أَثِيـلُ

***

غُوطَةَ الشامِ مِنْكِ صَـدٌّ وَحِرْمـ
ـانٌ وَمِنَّـا العَـطَـاءُ والتَنْـوِيـلُ
أَلَـذِي شَـرَّدَتْـهُ عَنْـكِ المَعَـالِـي
آبَ وَهْـو المُكَفَّـنُ المَحْمُـولُ[1]
غُـرْبَـةٌ فِـي العُلَـى وَيَنْـأَى عَـنِ
الغِمْـدِ فَيَبْلَـى المُهَـنَّـدُ المَسْلُـولُ
مُثْخَـنٌ بالجِـراحِ يَهْفُـو إِلَـى
الأُمِّ فَأَيْـنَ التَـرْحِيـبُ والتَأْهِيـلُ
رُبَّ فَتْـحٍ تَرْوِيـهِ لِلدَّهْـرِ
أَشْـلاءُ قَنَـاةٍ وَصَـارِمٌ مَفْلُـولُ
ضَنَّـتِ الشَـامُ بالـوَفَـاءِ عَلَيْنَـا
طَلْعَـةٌ سَمْحَـةٌ وَوُدٌّ بَخِيـلُ

---

١) المرحوم عادل العظمة

أَيْسَرُ الجُهْدِ أَنْ تَضِجَّي وَتَشْكي
قَد يَرُجُّ الطُغْيانَ قالٌ وَقيلُ
واعذري الهَامِسينَ خَوْفاً فَما يَهْدِرُ
عِنْدَ الصِيالِ إلاَّ الفُحُولُ
لاَمَنا اللائمُونَ في حُبِّ حَسْنَاءَ
مَلُولٍ وَكُلُّ نُعْمَى مَلُولُ
لاَ تُحاسِبْ أخا هَوىً في هَواهُ
كُلُّ ثَغْرٍ على الهَوى مَعْسُولُ
أيُّ بِدْعٍ في ثَوْرَةٍ مِنْ مُحِبٍّ
قَدْ يَثُورُ المُقَيَّدُ المَكْبُولُ
لَكِ مِنِّي الهَوى كَما رَنَّحَ الفَجْرَ
نَسِيمٌ في غُوطَتَيْكِ عَلِيلُ

* * *

يَا رِفاقي بَكَيْتُ فِيكُمْ شَبابِي
كُلُّ عَيْشٍ بَعْدَ الشَبابِ فُضولُ
مَنْ تَمَلَّى بِقَلْبِهِ الضَاحِكِ الهَانِي
فَقَلْبِي المُمَزَّقُ المَتْبُولُ
أَيْنَ سَعْدٌ وَعادِلٌ وَرِياضٌ .[1]
ما لِرَكْبِ الرَدى المُجِدِّ قُفُولُ

---

١) سعد الله الجابري وعادل العظمة ورياض الصلح

وَنَجِيبٌ [1] وَأَيْنَ مِنِّي نَجِيبٌ
غَالَ قَوْمِي مِنَ المَنِيَّةِ غُولُ
كَيْفَ أَغْفَى أَبُو رِياضٍ [1] وَحَقِّي
فِي الشَّامِ المُضَيَّعُ المَخْذُولُ
وَتَلاقَيْتُمُ على البُعْدِ فِي قَلْبِي
فَلا رَوَّعَ اللِدَاتَ رَحِيلُ

* * *

حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ دُنْيايَ أَنِّي
بِكُمُ فِي سَرِيرَتِي مَشْغُولُ
وَأَرَاكُمْ حَتَّى لأَسْأَلُ نَفْسِي
أَيَقِينٌ رُؤايَ أَمْ تَخْيِيلُ
بُورِكَتْ نِعْمَةُ الخَيالِ وَيُرْضِينِي
خِداعُ الخَيالِ والتَعْلِيلُ
أَجْهَدَتْنَا الضُحَى على زَحْمَةِ الرَوْعِ
فَهَلْ يُسْعِدُ الطِلاحَ الأَصِيلُ
أَيْنَ أَيْنَ الرَعِيلُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ
طُوِيَ الفَتْحُ واسْتُبِيحَ الرَعِيلُ

* * *

(١٩٥٢/٥/٢٠)

---

١) نجيب الريس

غربة الروح

في رثاء الفقيد العظيم فارس الخوري

أتْرِعي الكَأْسَ أدْمُعاً وَرَحيقا
حَقُّ بَعْضِ الهُمومِ أنْ لا نُفيقَا
سَلِمَ الجَمْرُ لي وَعاشَ بِقَلْبي
أرْيحِيَّ اللهيبِ عَذْباً أنيقَا
يَا شَآمِي يا قِبْلَةَ اللهِ للدُنْيَا
ويا راحَها المُصَفَّى العَتيقَا
أتْرِعُ الكَأْسَ مِنْ هَواكِ لِتَرْوَى
كبِدي مِنْ هَواكِ لا لِتَذُوقَا
مَزِّقيها تَغْمُرْكِ طِيباً وَنُوراً
لا تَمَلَّي الطُيوبَ والتَمْزيقَا
لَمَلَمَ الفَجْرُ ذِكْرياتي دَماً سَكْباً
وَمَجْداً غَمْراً وَعَهْداً وَثيقَا
لَمَلَمَ الفَجْرُ ذِكْرَياتي فَما لَمَلَمَ
إلاَّ أقاحِياً وَشَقيقَا
كِبْرِيائي فَوْقَ النُجومِ وَلَوْلاها
لَما كُنْتُ بالنُجومِ خَليقَا
جلَّ شِعْري - أقِيهِ بالرُوحِ مِنْ كُلِّ
هَوانٍ - والشِعْرُ كالعِرْضِ يُوقَى

ما شَكَـوْتُ العَـدُوَّ كِبْـراً ولكِنِّـي
شَـكَـوْتُ المُبَـرَّأَ المَوْثُوقَـا
وأخـاً لِي سَقَيْتُـهُ الـوُدَّ صِـرْفاً
فَسَقَـانـي مِـنْ وُدِّهِ المَمْـذُوقَـا
طَبْعِـيَ الحُـبُّ والحَنـانُ فَما أَعْـرِفُ
لِلْمَجْـدِ غَيْـرَ حُبِّـي طَرِيقَـا
وَكُنـوزي ـ وَلَيْـسَ تَحْرِسُهـا الجِـنُّ
تُنـادِي المَحْـرُومَ والمَرْزُوقَـا
لَـمْ يَضِـقْ بالعَـدُوِّ حِلْمـيْ وغُفْرَانـي
وأَفْـدِي بِـمُقْلَتَـي الصـديقَـا
لا أُرِيـدُ الإنْسـانَ إلاَّ رحيمـاً
بـاخْتِـلافِ الهَـوى وإلاَّ شَفِيقَـا

* * *

لِي قُبـورٌ كَنَـزْتُ فِيهـا شَبابـي
وَصَبُـوحـي عَلـى المُنَـى والغَبُوقَـا
يا قُبـورَ اللِـداتِ : كُـلُّ شَقِيـقٍ
حـاضِـنٌ فِي الثـرى أخـاهُ الشَقِيـقا
وَسِـعَـتْ هَـذِهِ القُبـورُ فُـؤادي
كيـفَ تشـكو ـ وَهْـيَ السَـمـاوَاتُ ـ ضِيقَا
كَيْـفَ لا تُنْبِـتُ الرَيـاحِيـنَ والشَـوْقَ
وَقَلْبِـي علـى ثَـراهـا أُرِيقَـا

مُقْلَتِـي يَسْـتَحِـمُّ فِي دَمْعِهَـا الطَّيْـفُ
وتَحْنُـو فـلا يَمُـوتُ غَرِيقَـا
يَنْـزِلُ الجُـرْحُ مِنْ فُؤَادِي علـى الحُـبِّ
وَيَلْقَـى التَـدْلِيـلَ والتَشْوِيقَـا

* * *

شـامَـةَ الفَتْـحِ نامَ (فارسُـكِ) النَجْـدُ
وَحَـقُّ الـوَفـاءِ أنْ يَسْتَفِيقَـا
سَبَقَتْـهُ أحْبـابُـهُ للمَنـايَـا
فَـرَحِمْـتُ المُجَلِّـيَ المَسْـبُوقَـا

وَنَعَـمْ عُـدْتُ (للعَقيـقِ) ولكِـنْ
فـارَقَ الأَهْـلُ واللِـداتُ (العَقِيقـا)
أنـا كـالـطَيْـرِ ألْـفُ صَحْـراءَ لَفَّتْـهُ
مَهِيـضَ الجَنـاحِ شِلْـواً مَزِيقَـا

ماتَ أَيْكِـي ومَـات وِرْدِي فَـلا تَعْجِيـلَ
أُعْنَـى بـه ولا تَعْوِيقَـا
غُـرْبَتِـي قَـدْ سَئِمْـتُ غُرْبَـةَ روحـي
وَمَلَلْـتُ التَغْـرِيـبَ والتَشْـرِيقـا
غُرْبَتِـي غُرْبَتِـي عَلى النَـأْيِ والقُـرْبِ
أَرَانِـي إلـى دُجَـاهـا مَسُـوقَا

حِـدْتُ عَنْهـا غَرْبـاً وَشَرْقـاً وَطَوَّفْتُ
فَمـا اجْتَـزْتُ سَهْمَهَـا المَرْشُـوقا

***

(فـارِسُ) المَجْـدِ لَـمْ تُزَغْـرِدْ
عَـذارى المَجْـدِ إلاَّ انْتَخى وكان السَبُوقا

وَلَـهُ الـطُـرْفَـةُ المَلِيـحَـةُ تُغْنِـي
عَـنْ نِقـاشٍ وَتُسْـكِـتُ المِنْطِيقَـا

وَبيـانٌ تَخَـالُـهُ الـوَشْيَ والأطْيـا
بَ شَتَّـى واللـؤْلُـؤَ المَنْسُـوقَـا

فِيـه عُمْـقُ البِحـارِ تَزْخَـرُ بالـدُرِّ
وفيـــهِ مَتـــارِفُ المُـوسِيقَـا

وَضَـمِيـرٌ يكـادُ يُسْـرِفُ فـي الحِـسِّ
فَيَجْـزِي حتَّـى الخَفِـيَّ الـدَقِيقَـا

عـالِـمٌ يَسْكُـبُ العُـذوبَـةَ فـي العِلْـمِ
فَتَسـتـافُ عَنْبـراً مَسْحُـوقَـا

يَـا لَنَـسْرٍ تَقَـحَّـمَ الشَـمْـسَ حَـتَّى
مَـلَّ عِـزَّ الشُـمـوسِ والتَحْلِيـقَـا

حَـقُّ عِبْئَيْـنِ مِـنْ سِنِيـنَ ومَجْـدٍ
أنْ يَكُـفَّـا مِـنْ شَـأْوِهِ وَيَعُـوقَـا

يَهْـرَمُ النَسْـرُ فالـطـريـقُ عِثـارٌ
ذِكْـرَيـاتُ الصِبـا زَحَمْـنَ الطَـرِيقَـا

عَبَّ مِنْهـا النَسْـرُ الخَبِيسُ فَـرَدَّتْـهُ
لـدُنْيـا الشُـمـوسِ حُـرّاً طَلِيقَـا
غَمَـرتْ قَلْبَـهُ حَنِينـاً وأَشْـواقـاً
وَيُمْنـاهُ لُـؤْلُـؤاً وَعَقِيقَـا
عـالَـمُ الـذِكْـرياتِ نَمْنَمـهُ الخـالِـقُ
حَتَّـى يُـدَلِّـلَ المَخْلـوقـا
هُـوَ مِـنْ أَرْيحَيَّـةِ اللـهِ ما شِئْنـا
رَحِيقـاً صَفْـواً ومِسْـكـاً فَتِيـقَا

* * *

حـالَ بَيْـنـي وبَيْـنَ لُقْيـاكَ دَهْـرُ
سـامَنِي عِبْئَـهُ فَكُنْـتُ المُطِيقَـا
أَنْـزَلَتْنِـي عَـلى فَـرُوقَ رَزايَـاهُ
فَحَـيَّا عِطْـرُ السَـمـاءِ (فَرُوقَا)
ضَـاقَ لُبْنـانُ بِـي وكـانَ رَحِيبـاً
وَتَنَـزى حِقْـداً وكان رَفِيقَـا
مـا لِلُبْنـانَ رُحْـتُ أَسْـقِيـهِ حُبِّي
وَسَـقـانِـي مَـرارةً وعُقـوقَـا
أنـا أَغْلَيْتُـهُ بِـلُـؤْلُـؤِ أَشْعـارِي
وَطَـوَّقْـتُ جِيـدَهُ تَطْوِيقَـا
وَزَرَعْـتُ النُجـومَ فـي لَيْـلِ لُبْنـانَ
فَـرَفَّ الـدُجـى نَدِيَّـاً وَرِيقَـا

دَهْتَنِـي (سَـمْـراءُ لبْنـانَ) أطْيابـاً
وَقَـدّاً مُهَفْهَفـاً مَمْشُـوقَـا
وَجَمَـالاً غَـالـى بِـزِينَتِـهِ اللـهُ
وَتَـنَـنّـى وثَلّـثَ التَـدْقِيقَـا

وَعَفـافـاً ذَادَ الشِـفـاهَ وَخـلىً
لِلْعُيـونِ السُـلافَ والتَـحْـدِيقَـا
جُنَّ قَلْبُ الـدُجى بأهْدابِهـا الوُطْفِ
فَـأغْنَى جَفْنـاً وَكَحَّـلَ مُـوقَـا

* * *

قَـدْ أرادُوا لُبْنـانَ سَفْحـاً ذَلِيلاً
وَأرَدْنـاهُ شـامِخـاً مَـرمُوقَـا

وَعَمَـدْتُ الجُـلىَّ بِلُبْنَـانَ لَّـا
كَشَـفَـتْ لِـي اليَقِيـنَ والتَلْفيقَـا
إنْ عَتَبْنـا على الـكِنـانَـةِ إدْلالاً
فَقَـدْ يُعْتِـبُ الصَـديـقُ الصَـدِيقَـا

وَهَبَتْنـا فِـرْعَـوْنَهَـا وَوَهَبْنَـاهَـا
علـى العُسْـرِ يُـوسُـفَ الصِـدِّيقَـا
كَيْـفَ يشْـرِي العَبِيـدَ كـافـورُ
بـالمَـالِ وكافـورُ كَـان عَبْـداً رَقِيقَـا

أَرْزُ لُبْنانَ لَنْ يَكُونَ لِكَافُورَ
مَتاعاً ولِلأَرقَّاءِ سُوقَا

* * *

يا قُبوراً في الشامِ رُبَّ قُبورٍ
أَنْزَلَتْها النَوى مَكاناً سَحِيقَا

مُوحِشاتٍ : إلاَّ عَزِيفاً مِنَ الجِـ
ـنِّ يَرُجُّ الدُجَى وإلاَّ نَعِيقَا
هَائِماتٍ كالنُورِ طَارَتْ صَبَابَا
تِي إلَيْها فما اسْتَطَعْنَ اللُحُوقَا

غَرَّبَتْنَا العُلَى قُبوراً وأَحْياءَ
وعاثَتْ بِشَمِلِنا تَفْرِيقَا
واغْتِرابُ القُبورِ مِنْ حِيَلِ المَـ
ـوْتِ لِيُخْفِي كُنُوزَهُ والعُلُوقَا
تَسْمَعُ الرِيحُ حِين تُصْغِي حَنِيناً
مِنْ فُؤادي على الثَرى وشهيقا

ما لِقَوْمي غَالَ الحِمامُ فَرِيقاً
مِنْهُمُ والعُقُوقُ غَال فَرِيقَا
ظَلَمَ الكَنْزَ أَهْلُهُ فَتَمَنَّى
أَنْ يَكُونَ المُبَدَّدَ المَسْرُوقَا

فارَقُـونـي مُعَـطَّـرِينَ مِـنَ الفَتْـحِ
وَخَلَّـوا لِـيَ الأَسَـى والشَهِيقَـا
أظْمَأَتْنِـي وُجُـوهُهُـمْ حِيـنَ غابِـتْ
فَـأَدَرْتُ الـذِكْـرى سُـلافـاً وَرِيقَـا
عَهْـدُهَـا بالخُـلُـوقِ عَهْـدٌ قَدِيـمٌ
أَلِفَـتْ غُـرَّةُ المُجَلِّـي الخَلُوقَـا

* * *

يا لِـداتَ الفُتُـوحِ ، نَسْـقِـي مَنايَانَا
وَيسْـقِينَنَـا الهَـوى تَرْنِيقَـا
بَيْنَنَـا صُحْبَـةُ الآبـاءِ وعِـزٌّ
أُمَـوِيٌّ يُطـاوِلُ العَيُّـوقَـا[1]
وَكفـاحٌ كَعـاصِـفٍ ضَـجَّ في الدُنْيَـا
رُعـوداً هَـدَّارَةً وَبُـرُوقَـا
والمُـروءاتُ كالغَـرائِـرِ فـي الريـفِ
مِـلاحٌ لاَ تَعْـرِفُ التَزْوِيقَـا
وَعُقـودٌ مِـنَ السِنِيـنَ نَظَمْنَاهَـا
سُجُـونـاً وكبْـرِيـاءً وَضِيقَـا
نَحْـنُ كُـنَّـا الزِلْـزَالَ نَعْصِـفُ بالشَـرْقِ
نَـرُجُّ الشُـعـوبَ حَتَّـى تُفِيقَـا

---

١) العيوق : نجم مضيء في طرف المجرة .

فابْتَدَعْنا من ألرُّؤى واقِعَ الحَقِّ
وَمِنْ غَمْرَةِ الظَلامِ البَرِيقَا
نَقْحَمُ الغامِضَ الأشَمَّ مِنَ المَجْدِ
وَنأبَى المُمَهَّدَ المَطْرُوقَا
نَحنُ عِطْرُ السُجونِ عِطْرُ المَنايَا
نَحْمِلُ الجُرْحَ مُطْمَئِنّاً عَمِيقَا
نَحْنُ كالشَمْسِ جُرْحُهَا وَهَّجَ الدُنْيَا
غُروباً مُنَوَّرا وَشُروقَا

نَحْنُ والشَامُ والفُتوحاتُ والأحْزانُ
دُنْيَا تَزَيَّنَتْ لِتَرُوقَا
ما دَرَى الشَرْقُ قَبْلَنا سَكْرَةَ الحَقِّ
ولا خَمْرَها ولا الرَاوُوقَا
نَحْنُ عِشْقٌ للغُوطَتَيْنِ بَراهُ اللَّهُ
حَتَّى يُؤَلِّهَ المَعْشُوقَا

نَحْنُ في الكَأسِ نَغْمَةٌ ، نَحْنُ في النَغْمَةِ صَهْباءُ : صُفِّقَتْ تصْفيقا

خَمْرَةُ النُورِ خَمْرَةُ الثَأرِ والإيمانِ
طابَتْ بَرْداً وطابَتْ حَرِيقَا
يَعْرِفُ الحَقُّ قيمَةَ الجَوْهَرِ
الفَرْدِ ويُغْلي جَديدَهُ والعَتِيقَا

يُعْذَرُ الحُرُّ حِينَ لا يُخْطِئُ العَزْمَ
وإنْ كانَ اخْطأَ التَوْفِيقَا

يا رَئِيسي مِنْ أرْبَعِينَ زَحَمْناهَا
إباءً مُرّاً وبَأْساً حَنِيقَا

أنْتَ نَشَّأْتَنِي على الصَبْرِ والعِزِّ
كَما تُرْهِفُ الحُسامَ الذَلِيقَا (١)

مُنْتَدى الشَامِ والوِزارَةُ (٢) ضَمَّانا عَريقاً
يُصْفِي هَواهُ عَرِيقَا

وَهُمُومٌ كَأَنَّهُن الأَمانِيُّ جَمَالاً ونَشْوَةً وَسُمُوقا

مُتْرفاتٌ تَرعْرَعَتْ في فُؤادَيْنَا
وطابَتْ شَمائِلاً وعُروقَا

يَرِدُ الخَطْبُ مِنْكَ قَلْباً سَرِيّاً
وَبَياناً عَفّاً وَوَجْهاً طَلِيقَا

مَنْ يَعُلُّ النَدِيَّ بَعْدَكَ بالشَهْـ
ـدِ المُصَفَّى وَمَنْ يَسُدُّ الفُتُوقَا

هَدَرَتْ بالنَدِيِّ خُطْبَتُكَ الشَمَّاءُ
والرِيقُ لاَ يَبُلُّ الحُلُوقَا

أنْكَرْتَكَ الحَياةُ بالشَيْبِ والسُقْـ
ـمِ فَهَيِّءْ للفارِكِ (٣) التَطْلِيقَا

---

١) الذليق : الحاد .

٢) كان الشاعر وزيرا في وزارة الرئيس فارس الخوري

٣) المرأة تبغض زوجها .

حَمَـلَ المَـوْتُ مِن لِداتِـكَ شَـوْقاً
يَسْـتَحِـثُّ الخُـطَـى وَعتْبـاً رَقِيقَـا
وَكتـابـاً مِـنَ الهَـوى نَمَّقُـوهُ
فـأَجَـادُوا البَيـانَ والتَنْمِيقَـا
وَطُيـوفـاً تَبَـرَّجَـتْ لِكَـرى جَفْنَيْـكَ
حَـتَّـى يَـرْضَـى وَحَـتَّـى تَلِيقَـا

* * *

غَيَّـبَ القَبْـرُ مِنْـكَ شَمَّاءَ مَجْـدٍ
وَعُـرَةً تَزْحَـمُ النُجـومَ سَحُوقَـا
يَتَلَقَّـاكَ (هاشِـمٌ)[1] في رُبَـى عَدْنٍ
وَيَسْـتَقْبِـلُ المَشُـوقُ المَشُـوقَا
حَـيِّ عَـنِّـي سَعْـداً[2] وَقَبِّـلْ مُـحَيّاً
كـالضُـحَـى باهِـرَ السَـنـى مَـرْمُـوقَا
وَأَبَـا أَسْـعَـدٍ[3] سَقَتْـهُ دُمـوعي
وَسُلَيْمـانَ[4] (والنَدِيـمَ)[5] الصَـدُوقَـا

---

١) هاشم الاتاسي رئيس الكتلة الوطنية ، والآتون من اركان الكتلة الوطنيه الراحلين .
٢) سعدالله الجابري .
٣) ابو أسعد هارون : عبد الواحد هارون زعم اللاذقية
٤) سليمان المعصراني المجاهد المعروف
٥) ندم الموصلي الوطني المعروف

واسْقِ (قَدْرِي)[1] و (عادِلاً)[2] و (جَمِيلاً)[3]
مِـنْ حَنِينِـي طِيبَ الهَـوى والرَحِيقَـا
واشْـكُ حُزْنِـي (لِمَظْهَـرٍ)[4] (وَنَجِيـبٍ)[5]
رَاعَ دَهْـرٌ أَخَـاكُمـا فَأَفِيقَـا
لِي حُقُـوقٌ علـى القُبُـورِ الغَوالِـي
وَيُـوَفِّي قَبْـرُ الـكَرِيـمِ الحُقُوقَـا

* * *

١٩٦٢/١١/١٨

١) الدكتور احمد قدري من زعماء القضية العربية
٢) عادل العظمة
٣) جميل مردم بك : الزعيم الوطني الكبير
٤) مظهر رسلان
٥) نجيب الريس ـ صاحب جريدة القبس

الشهيد

في حفلة ذكرى هنانو عام ١٩٤٥

وفـاؤُكَ لا عُسْـرُ الحَيـاةِ ولا اليُسْـرُ
وَهَمُّـكَ لا الـدَاءُ المُلِـحُّ ولا العُمْـرُ
إذَا المَرْءُ لَـم يَمْلِـكْ وُثُوبـاً على الأذى
فَمِـنْ بَعْضِ أَسْماءِ الـرَدى الحَـقُّ والصَبْرُ
إذَا مَلَـكُـوا الـدُنْيـا على الحُـرِّ عُنْـوَةً
فَفـي نَفْسِـهِ دُنْيَـا هِيَ العِـزُّ والكِبْـرُ
وإنْ حَجَبُـوا عَنْ عَيْنِـهِ الـكَوْنَ ضَاحِكاً
أَضـاءَ لَهُ كَوْنٌ بَعِيـدٌ هُـوَ الفِكْـرُ
فَلَيْلَتُـهُ صُبْـحٌ وَعُسْرَتُـهُ غِنَـىً
وَأَحْـزانُـهُ نُعْمَـى وآهـاتُـهُ شِعْـرُ
أُنَـزِّهُ آلامـي عَـنِ الـدَمْـعِ والأسـى
فَتُؤْنِسُـهـا مِنِّـي الطَـلاقَـةُ والبِشْـرُ
وأَضْـحَـكُ سُخْـراً بالـطُغَـاةِ وَرَحْمَـةً
وَفـي كَبِـدِي جُرْحٌ وفـي أَضْـلُعِـي جَمْرُ
كِفَـاءٌ لِعَسْفِ الدَهْـرِ أَنِّـيَ مُؤْمِـنٌ
وَعَـدْلٌ لِطُغْيـانِ الـوَرى أَنَّني حُـرُّ
وَمـا ضَرَّنِـي أَسْرٌ وَنَفْسِـي طَلِيقَـةٌ
مُجَنَّحَـةٌ مـا كَفَّ مِـنْ شَأْوِهـا أَسْـرُ

أُهَدْهِدُ مِنْ أَحْزانِها كُلَّما وَنَتْ
وَيُسْلِسُ بَعْدَ المَرْيِ لِلْحالِبِ الدَرُّ
أُطِلُّ عَلى الدُنْيا عَزِيزاً : أَضَمَّنِي
إِلَيْهِ ظَلامُ السِجْنِ أَمْ ضَمَّنِي القَصْرُ

وما حَاجَتِي للنُورِ والنُورُ كامِنٌ
بِنَفْسِيَ لا ظِلٌّ عَلَيْهِ ولا سِتْرُ
وَما حَاجَتِي للأُفْقِ ضَحْيَانَ مُشرِقاً
وَنَفْسِي الضُحَى والأُفْقُ والشَمْسُ والبَدْرُ

وَما حَاجَتِي للكائِناتِ بِأَسْرِهَا
وَفِيْ نَفْسِيَ الدُنْيَا وَفِيْ نَفْسِيَ الدَهْرُ
يُرِيدُونَ أَسْرارِي وَلَلَّيْلِ سِرُّهُ
إِذَا نَقَّبُوا عَنْهُ وما لِلضُحى سِرُّ

لَعَمْرُكَ للضَعْفِ الخَفَاءُ وَكَيْدُهُ
وَلِلْقُوَّةِ الكُبْرى الصَرَاحَةُ والجَهْرُ
وَما أَكْبَرَتْ نفسي سِوَى الحَقِّ قُوَّةً
وَإِنْ كانَ في الدُنْيا لَها النَهْيُ والأَمْرُ

وَكُنْتُ إِذَا الطَاغِي رَمانِي رَمَيْتُهُ
فَلا نُصْرَتِي هَمْسٌ ولا غَضَبِي سِرُّ
وَأَحْمِلُ عَنْ إِخْوانِيَ العُسْرَ هانِئاً
وَيُبْعِدُنِي عَنْهُمْ إِذَا أَيْسَرُوا اليُسْرُ

فَلَيْتَ الذي عاطَيْتُهُ الوُدَّ صافِياً
تَجاوَزَني مِنْ كَأْسِهِ الآجِنُ المُرُّ
وأشْقَى إذَا أعْرَضْتُ عَمَّنْ أُحِبُّهُ
وَلكنْ دَواءُ الكِبْرِ عِنْدي هُوَ الكِبْرُ
ونَفْسِي لَوَ انَّ الجَمْرَ مَسَّ إبَاءَهَا
على بِشْرِهَا الرَّيَّانِ لاحْتَرَقَ الجَمْرُ
(١) ويا خيبة الطاغي يُدِلُّ بِنَصْرِهِ
وَمِنْ سَيْفِهِ لاَ رُوحِهِ انْبَثَقَ النَصْرُ
يُغَالِي بِدُنْياهُ ويَجْلُو فُتونَهَا
وَدُنْياهُ في عَيْنَيَّ مُوحِشَةٌ قَفْرُ
رَأَيْتُ بِزُهْدِي ما رَأى بِغُرورِهِ
فَأَعْوامُهُ ساعٌ وآمادُهُ فِتْرُ
شَكَا حُبَّهُ لِي وَهْوَ رَيَّانُ مِنْ دَمِي
وأنْيابُهُ حُمْرٌ وأظْفَارُهُ حُمْرُ
وصَانَعَ يَسْتَجْدِي الْوَلاءَ فيالَهُ
غِنىً مَلَكَ الدُنْيَا ومَعْدِنُهُ الفَقْرُ

* * *

تَلَفَّتُّ لا شَمْلِي جَمِيعٌ ولا الهَوى
قَرِيبٌ ولا فَرْعُ الصِبَى عَبِقٌ نَضْرُ

---

(١) يشير الشاعر بهذا البيت وما بعده الى انتصار الحلفاء في الحرب الاخيرة

وَيا سَامِـرَ الأَحْبـابِ مالَك مُوحِشـاً
مَعَـاذَ الهَـوى بَـلْ أَنْـتَ يُـؤْنِسُـكَ الذِكْـرُ
أديمُـكَ مِـنْ حَـبِّ القُـلـوبِ تَـمَـزَّقَـتْ
عَلَيْـهِ فَسـالَ الحُـبُّ والشَـوْقُ والطُهْـرُ
إِذَا ظَمِئَـتْ فـي قَطْعِهـا البِيـدَ نَسْمَـةٌ
أَلَـمَّـتْ بِهِ وَهْنـاً فَرَنَّحَهـا السُكْـر

فَيـا للصَّـبـا العَجْلَى إِذَا عَبَـرَتْ بِهِ
تَـأَنَّـتْ كَما يَرْتَـاحُ في الوَاحَـةِ السَّـفْرُ
تَمَنَّيْـتُ إِجْـلالاً لَـهُ وكَرامَةً
لَـو انَّ حَصـاهُ أَنْجُـمُ الفَلَكِ الزُهْرُ
وَأَجْـزَعُ إِنْ مَرَّتْ بِهِ الـرِيحُ زَعْزَعاً
وأَسْرَفَ حَـتَّـى جَـاوَزَ الغَـايَةَ القَطْرُ

فَلَيْتَ الـرَبِيعَ الـطَلْقَ عَاطَـاهُ كَأْسَـهُ
مَـدَى الـدَهْـرِ لا بَـرْدٌ عَلَيْـهِ وَلا حَرُّ
لَقَـدْ سَاءَنِـي غـادٍ عَلَيْـهِ وَرائِـحٌ
فَمِـنْ كَبِـدِي فَوْق الثَـرى قِطَـعٌ حُمْرُ

وَلَـوْ قَدَرَتْ صَانَتْـهُ عَيني كَـرامَـةً
كَما صِيـنَ فـي أَغْلـى خَزائِنِـهِ الـدُرُّ
تَطُـوفُ بِك الأَحْـلامُ سَكْـرى كَعَهْـدِهَـا
وَيَنْـطِـفُ مِـنْ أَفْيـائِـكَ الحُـبُّ والعِطْـرُ

وَيَضْحَكُ لي وَجْهُهُ نَدِيٌّ مُنَوَّرٌ
كأَنْ لَمْ يُغَيِّبْ مِنْ طَلاقَتِهِ القَبْرُ[1]
وَحَتَّى كَأَنْ لَمْ يَطْوِهِ عَنِّيَ الرَدَى
فَهَلْ بُعِثَ الأَمْواتُ أَمْ رَدَّهُ السِحْرُ
تُلِمُّ بِهِ الذِكرى فَيَحْيَا كَبارِقٍ
طَواهُ الدُجَى عَنِّي لَيُطْلِعَهُ الفَجْرُ
وَيَبْعَثُهُ حُبِّي وَفي كُلِّ خافِقٍ
صَحِيحِ الهَوى بَعْثُ الأَحِبَّةِ والنَشْرُ
فَيَا قَلْبُ فِيكَ الرَاحِلُونَ وإِنْ نَأَوْا
وَفِيكَ النَدامَى والرَيَاحِينُ والخَمْرُ
خَلَعْتَ على المَوتَى الحَياةَ وسِرُّها
وَطَالَعَهُمْ مِنْكَ القِيامَةُ والحَشْرُ
وَفاءٌ يَصُونُ الراحِلِينَ مِنَ الرَدى
إِذَا رَاحَ يُدْنِي مِنْ مَنايَاهُمُ الغَدْرُ
ويا سَامِرَ الأَحْبابِ طَيْفٌ ولا كَرىً
وَسُكْرٌ ولا راحٌ وَرَيَّا ولا زَهْرُ
كِلانا على ما كَلَّفَ النَفْسَ مِنْ رِضًى
أَضَرَّ بِهِ نَأْيُ الأَحِبَّةِ والهَجْرُ

***

أَبا طَارِقٍ[1] هَذِي سَرايَاكَ أَقْبَلَتْ
يَرِفُّ على أَعْلامِها العِزُّ والنَصْرُ

---

(١) المغفور له ابراهيم هنانو

لَقَدْ قُدْتَهـا حَيّاً ومَيْتـاً فَما ثَنَـى
شكيمتهـا عُنْـفٌ ولا هَـدَّهَـا ذُعْـرُ
فَمُرْ تَسْـمَعِ الـدُنْيا هَـواكَ وَيَنْطَلِقْ
إلى الفَتـحِ بَعْـدَ الفَتْـحِ عَسْـكَرُكَ المَجْرُ
وَمُـرْ يَتَمَـزقْ كُـلُّ قَيْـدٍ أَبَيْتَـهُ
وَيُسْـرِفْ على طُغْيَـانِـهِ الحَطْـمُ والكَسْـرُ
تبـرأْتَ [1] في دُنْيـاكَ مِنْ كُلِّ نَاكِثٍ
ذَلِيـلٍ فـلا عُرْفٌ لَدَيْـهِ ولا نُكْـرُ
وَمِـنْ زاهِـدٍ لَمّا رأى الصَّيْـدَ مُكْثِبـاً [2]
تَمَـزَّقَ عَنْـهُ الـزُهْـدُ وافْتَضَـحَ المَكْـرُ
وَمِمَّـنْ يَظُـنُّ الفَقْـرَ عُـذْراً لِكُفْـرِهِ
وَمـا أَقْنَـعَ الإيمَـانَ إلاَّ الـرَدى عُذْرُ
يُـدِلُّ بِمـاضِيهِ فَهَـلْ رَاحَ شَافِعـاً
بِـذِي رِدَّةٍ نُسْـكٌ تَقَـدَّمَ أَوْبِـرُّ
عِصـابَـةُ شَـرٍ راحَ يَبْـرَأُ مِنْهُـمُ
إلى اللّـهِ إبْقـاءً عَلى نفسـهِ الشَـرُّ
رُوَيْـدَكَ شَـرُّ الْـكـافِـريـنَ مُـوحِّـدٌ
أَلَـحَّ عَلَيْـهِ بَعْـدَ إيمـانِـهِ الكُفْـرُ
عَبـادِيـدُ شَتَّـى أَلَّـفَ الـوِزْرُ بَيْنَهُـمْ
فَـلا رَحِـمٌ إلاَّ الضَـراعَـةُ والـوِزْرُ

(١) يريد الشاعر بهذا البيت وما بعده الحكومات التي كانت تفرضها الحكومة الفرنسية ايام انتدابها
(٢) دانيا منه .

وَبَيْـنَ اللِئـام العـاثِـريـنَ وإنْ نَأتْ
مَنـاسِـبُهُمْ قُـرْبَـى السَـجِيَّـةِ والصِهْـرُ

* * *

تَمَنَّيْتُ أنَّ الغَيْبَ شَفَّ فَلَـمْ يَعُقْ
عَـنِ المَلإِ الأعْلى حِجـابٌ ولا سِتْرُ
وَلُحْـتَ لَنَـا في عالَـمِ الحَـقِّ والتُقَى
عَلى المَـوْعِـدِ الهـانِـي المُقِيمُـونَ والسَفْـرُ
فَقَـرَّتْ بِـما تَلْقَـاهُ عَيْنـاكَ وانْطَوَتْ
على النَشْـوَةِ الكُـبْـرى الجَـوانِـحُ والصَدْرُ
أتَعْـلَـمُ أنَّ الشـامَ فَكَّـتْ إسارَهَـا
فَـلا قَيْدَ بَعْـدَ اليَوْمِ فيهـا ولا أسْرُ
يُصَـرِّفُ أمْـرَ النَـاسِ فِيـهـا مُـوَفَّقـاً
مُعَـاوِيَـةُ الـدُنْيَـا وصَاحِبُـهُ عَمْـــرُو
وَأنَّ رِيَـاضَـاً[1] هَـزَّ لُبْنَـــانَ فَانْتَخَـتْ
شَمَـائِـلُ فِـي لُبْنَـانَ مَيْمُـونَـةٌ غُـرُّ
رَمـى كُـلَّ بُـرْدٍ أجْنَبِـيٍّ مُـزَوَّرٍ
وَعَـادَتْ لِقَحْـطَـانَ المَنـاسِـبُ والنَجْـرُ[2]
وَلَّـا شَكَـى لُبْنَـانُ ضَجَّـــتْ أُمَـيَّـــةٌ
وَجُنَّـتْ لَـهُ بَغْـدادُ والْتَهَبَـتْ مِصْـــرُ

(١) رياض الصلح .
(٢) النجر : الحسب .

أَنَــا طَــارِقٍ أَبْقَيْــتَ لِلْحَــقِّ سُنَّـــــــةً
هِــيَ العِــزَّةُ القَعْسَــاءُ والفَتْــكَــةُ البِكْـــرُ
بَنَيْــتَ عَلَيْهَــا كُتْلَــةً وَطَنِـيَّـــــةً
مِــنَ الصِيــدِ مــا خَــانُــوا هَــواكَ وَلاَ فَـــرُّوا
لَقَــدْ حَمَلُــوا عَنْــكَ الجِهَـــادَ ومــا وَنَـــى
وَحَقِّــكَ نَــابٌ للخُــطـــوبِ وَلاَ ظُفْـــرُ
فَإِنْ أَقْسَــمُــوا أَنْ يَفْتَــدُوا بِنُفُــوسِهِــمْ
أَمَــانَتَــكَ الــكُبْــرَى لَدَيْــهِــمْ فَقَد بَـــرُّوا
نَمَــاكَ وَسَيْــفَ الــدَوْلَــةِ الــدارُ والهَـــوى
وَغَنَّــاكُــمــا أَنْــدَى مَــلاَحِــمِــهِ الشِعْـــــرُ
وأُقْسِــمُ بالبَيْــتِ المُحَــرَّمِ مــا احْتَمَـــتْ
بِــأَمْنَــعَ مِــنْ كَفَّيْكُمَــا البِيــضُ والسُمْـــرُ
فَإِنْ تَفْخَـــرِ الشَهْبَــاءُ فالكَــوْنُ مُنْصِـــتٌ
وَحَــقَّ بِسَيْفَــيْ دَوْلَتَيْهَــا لهــا الفخْــرُ

* * *

أَحِبَّــايَ لَــوْ غَيْــرُ الــرَدَى حَــالَ بَيْنَنَـــا
دَنَــا البَــرُّ فــي عَيْنَــيَّ وانْــكَشَــفَ البَحْــرُ
بِأَسْمَاعِــكُمْ وَقْــرٌ وَقَــدْ رُحْتُ شَــاكِيَــاً
وَحَــاشَــا فَفِــي سَمْعِ الثَرى وَحْدَهُ الوَقْرُ
وَأَوْحَشْــتُــمُ الــدُنْيَــا كَأَن لَــمْ تَدُسْ بِكُــمْ
عَلَــى الهَــامِ فِي الــرَوْعِ المُحَجَّلَةُ الشُقْــرُ

وَحَتَّى كَأَنَّ الرَّمْلَ لَمْ يُرْوِهِ دَمٌ
كَرِيمُ المُصَفَّى لاَ أُجَاجٌ وَلاَ نَزْرُ
فَوارَحْمَتَا لِلنَّائِمِينَ عَلَى الطَّوَى
وَأُتْخِمَ مِنْ قَتْلاهُمُ الذِئْبُ والنَسْرُ
تَهُدُّهُمُ الصَحْراءُ هَدّاً وللرَّدَى
سِلاحَانِ فِي البِيدِ : الهَواجِرُ والقَرُّ
وَلاَ مَاءَ إلاَّ ما يُزَوِّرُهُ بِهَا
سَرابٌ نَدِيُّ اللَّمْحِ مُنْبَسِطٌ غَمْرُ
إذَا سَقَطُوا صَرْعَى الجِراحِ تَحَامَلُوا
عَلَى نَفْسِهِمْ واسْتُؤْنِفَ الكَرُّ والفَرُّ
وَلَوْ آثَرُوا الدُنْيَا لَقَدْ كَانَ جَاهُهَا
تَلِيداً لَدَيْهِمْ والقَسَامَةُ والوَفْرُ

* * *

فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي الشَبَابَ قصيدةً
يُحَلَّى بِهَا مُلْكٌ ويُحْمَى بِهَا ثَغْرُ
تُطَوِّفُ فِي الدُنْيَا الوَسَاعِ كَأَنَّمَا
هِيَ الخِضْرُ أَوْ يَرْوِي شَوارِدَهَا الخِضْرُ
هَزَزْتُ بِهَا نُوَّامَهُمْ مُتَرَفِّقَا
وَيُؤْذِي الشَبَابَ المُرْتَجَى اللَّوْمُ والزَجْرُ
إذَا كُنْتُ فِي نُصْحِي لَهُمْ غَيْرَ مُوجِعٍ
فَلِي بالذِي يُرْضِي شَمَائِلَهُمْ خُبْرُ

وَعِنْـدِيَ مِـنْ زَهْـوِ الشَـبَـابِ بَقِـيَّـةٌ
يَـرِفُّ الصِـبَـا فِيهَـا وأَفْيَاؤُهُ الخُضْـرُ
أَلِفْتُ بِيَ الأَيَـامُ خُمْـراً نُيوبُهَـا
فَمَـا شَـابَ لِـي قَلْـبٌ وَلاَ شَـابَ لِي شَعْـرُ
دُرُوبُ العُلَـى للسَالِـكِيـنَ عَدِيـدَةٌ
وأَقْـرَبُهَـا لِلْغَـايَـةِ المُوحِـشُ الـوَعْـرُ
فَـلا تَقْنَـطُـوا مِـنْ غَايَـةِ المَجْـدِ لاَ يَـرَى
لَهَـا العَقْـلُ إِمْكَانَـاً فَقَدْ يَنْبُعُ الصَخْـرُ

* * *

أُعِيـذُ مِـنَ اليَأْسِ المَـرِيرِ نُفُـوسَكُـمْ
تَـلاقَى عَلَـى إِعْنَـاتِهَـا الـظُلْمُ والقَـهْـرُ
إِذَا رَكَـدَتْ بَعْـدَ الهُـبُـوبِ فَإِنَّهَـا
لَـكَالْبَحْـرِ مِـنْ أَخْـلاقِـهِ المَـدُّ والجَـزْرُ
أَرَى العَفْـوَ والنِسْيَـانَ مِـنْ خُـلُقِ الصِبَـا
وَلَـمْ يُنْـسَ عِنْـدَ الشَيْبِ حِقْـدٌ وَلاَ ثَـأْرُ
وَمَـا أَكْـرَمَ النِسْيَـانَ والعَفْـوَ مِنْكُـمُ
إِذا لَـمْ يَضِـعْ حَـقٌ وَلَـمْ يُحْتَسَـبْ وِتْـرُ
وَأَنْتُـمْ عَـلى دَلِّ الشَـبَـابِ وَزَهْـوِهِ
وأَهْـوائِـهِ رُكْـنُ القَضِيَّـةِ والذُخْـرُ

وفاء القبور

الى ابنتي (جُهَيْنة) الوَرْدَةِ النَقِيَّةِ الندية التي استأثَرَ بِها اللهُ في ربيعِ صِباها فهي بين يَدَيْه في جَنَّةِ الخلود عُطورٌ ـ ونَغَمٌ ـ وَجَمال .

إنّي أُكَرِّمُ شِعْرِي في مَتارِفِهِ
كَمَا تُكَرَّمُ عِنْدَ المُؤْمِنِ السُوَرُ
هَدِيَّةُ اللهِ فِيها عِطْرُ جَنَّتِهِ
والخَمْرُ واللَّعَسُ النَشْوانُ والحَوَرُ
وَقَدْ أَحِنُّ الى حُسْنٍ يُدَلِّلُنِي
كما يَحِنُّ الى أَنْدائِهِ الزَهَرُ
وَبُلْبُلُ الدَوْحِ تُرْضِيهِ بِأَيْكَتِهِ
نُعْمَى الجَمالِ ويُرْضِي غَيْرَهُ الثَمَرُ
أُرِيدُ حُبّاً كَنارِ الحَقِّ مُلْتَهِباً
كَمُزْبِدِ المَوْجِ مِنْ شَمَّاءَ يَنْحَدِرُ
نَزْرُ الهَوى لَيْسَ يُرْضِي جَائِعاً شرِهاً
إلى الصَبابَةِ لا يُبْقِي وَلا يَذَرُ
والعَبْقَرِيُّ وإنْ جَلَّتْ مَواهِبُهُ
طِفْلُ السَّرِيرَةِ لا حِقْدٌ ولا حَذَرُ
طِفْلٌ فإنْ نَالَ ضَيْمٌ مِنْ كَرامَتِهِ
ما البَحْرُ يَزْأَرُ. ما البُرْكَانُ يَنْفَجِرُ
ذُنُوبُهُ خَفِراتٌ مِنْ بَراءَتِهِ
أَحْلى الغَوايَةِ ما يَنْدَى بِهِ الخَفَرُ

وما تَمَنَّى خيالي أنَّني مَلَكٌ
فَوْقَ المَلائِكِ زَهْواً أنَّني بَشَرُ
أُقِيمُ ما شِئْتُ في عَدْنٍ وَأتْرُكُها
وَأخْلَعُ الجِسْمَ أحْياناً وأتَّزِرُ
أُطِلُّ والشِعْرَ مِنْ عَصْمَاءَ باذِخَةٍ
وَفي السُفوحِ غُرورُ الحُكْمِ والبَطَرُ
نَحْنُ النسُورُ وَمِنْ نُعْمَى جَوانِحِنا
أنَّا رأيْنَا صِغاراً كُلَّ مَنْ كَبُرُوا
وَرُبَّ هَجْرٍ سَواءٌ في مَواجِعِهِ
أكبادُ مَنْ هُجِرُوا ظُلْماً وَمَنْ هَجَرُوا

* * *

أدْعُو قُبورَ أحِبَّائي لِتَسْمَعَنِي
وَهَلْ تُجِيبُ دُعاءَ الشَاكِلِ الحُفَرُ
قَبْرٌ بِضاحِيَةِ الشَهْباءِ[1] طافَ بِهِ
فَلَمْلَمَ الطِيبَ مِنْ حَصْبائِهِ السَحَرُ
واسْتُودِعَتْ حِمْصُ[2] قَبْراً لَوْ مَرَرْتُ بِهِ
لَهَشَّ لِي مِنْهُ حُبٌ مُتْرَفٌ عَطِرُ
وَلِي قُبورٌ عَلى الفَيْحاءِ[3] غافِيَةٌ
زُوَّارُهَا الطَيْرُ والأشْواق والقَمَرُ

---

١) سعد الله الجابري في حلب .
٢) مظهر رسلان من اقطاب الوطنية .
٣) نجيب الريس وعائل العظمة .

ظَمْأى وَيَنْدَى ثَراهَا لَوْعَةً وَهَوىً
إذَا أَلَمَّ بِهَا مِنْ غُرْبَتِي خَبَرُ
تِلْكَ المَصارِعُ رَدَّ المَوْتُ نَجْدَتَها
عَنِّي فَكادَ الأَدِيمُ السَمْحُ يَعْتَذِرُ
طَاحَ الزَمانُ بإِخْواني وَأَوْرَدَهُمْ
عَلى الحُتُوفِ فلا عَيْنٌ ولا أَثَرُ
أَصْبَحْتُ بَعْدَهُمُ حَيْرانَ مُنْفَرِداً
والرِيحُ مُعْوِلَةٌ واللَّيْلُ مُعْتَكِرُ
أَحْنُو على كُلِّ قَبْرٍ مِنْ قُبورِهِمُ
أَبْكِيهِ .. حَتَّى بَكَى مِنْ لَوْعَتِي الحَجَرُ
قد عَقَّنِي الصَحْبُ حَتَّى لا أُضِيقُ بِهِ
إنْ عَقَّنِي الأَقْرِبانِ السَمْعُ والبَصَرُ
أُلَوِّنُ الخَطْبَ أَضْواءً وَغالِيَةً
وأُبْدِعُ الفَقْرَ عِزّاً حِينَ أَفْتَقِرُ
وَما وفَى لِيَ مِمَّنْ كُنْتُ أُوثِرُهُمْ
إلاَّ القُبورُ والا الأَيْكُ والنَهَرُ

* * *

استنبول في ١٢ نيسان ١٩٥٨

خلع الحياة على البلى

في رثاء احمد شوقي

لا الأمْسُ يَسْلُبُـكَ الخُلـودَ ولا الغَـدُ
هَيْهـاتَ أنْـتَ على الـزَمـانِ مُخَـلَّدُ

تَتَجـدَّدُ الـدنيـا وَقَلْبُـكَ وَحْـدَهُ
دُنيـا تُعِيـدُ شَبَـابَـهـا وتُجَـدِّدُ

لَـكَ مِـنْ خَيـالِكَ عـالَـمٌ مُتَنـاسِقٌ
بِهَـجٌ تُعـاوِدُ خَلْقَـهُ وتُجَـوِّدُ

أمَّـا البَسيـطَـةُ فَهْـيَ فِيـهِ خَمِيـلةٌ
وَلِـعَ الـربيعُ بِهـا ورُحْـتَ تُغَـرِّدُ

وَسَـكَبْـتَ في الانْغَـامِ قَلْبَـكَ دَمْعَـةً
لا كالـدُمـوعِ وَرَحْمَـةً تَتَنَهَّـدُ

خَلَـعَ الحَيـاةَ على البِلى فكـأنَّـهُ
لِلْبَعْـثِ مِـنْ قَبْـلِ الأوَانِ يُمَـهِّدُ

قَيْـسٌ ولَيْلَـى بَعْـدَ طُولِ كَـراهُمـا
ثَغْـرٌ يَـرِفُّ ووجْنَـةٌ تَتَـوَرَّدُ

بُعِثَـا كَعَهْـدِهِمَـا القَـديم فَمَـنْ رَأى
تِلْـكَ العُيـونَ يَـرِفُّ فيهـا الإثْمِـدُ

فِـي كُـلِّ قَـافيـةٍ حَيـاةٌ تُجْتَلَـى
ومُنَـىً تَضـوعُ وزفْـرَةٌ تَتَـرَدَّدُ

صُـوَرُ الجَـزِيـرةِ ما جَلَـوْتَ مِنَ العُلى
والحُسْـنِ لا مـا أوْلَتْـهُ الحُسَّـدُ
الحُـبُّ والخِيَـمُ المُنيفَـةُ والقِـرى
ولُبـانـةٌ عنـد الغـديـرِ ومَوْعِـدُ
وَسَـكِينَـةُ الصَـحْـراءِ الا هـازِجـاً
مَـرِحـاً يُعِيـدُ حُـداءَهُ ويُـرَدِّدُ

* * *

يـا شـاعِـرَ الـدنيـا لَقَـدْ أسْكَـرْتَهـا
مـاذا تُغَنِّيـهـا وماذا تُنْشِـدُ
خَفَّـتْ بِزِينَتِـهـا إلَيْـكَ مَشُـوقَـةً
سَـكـرى تَعُـبُّ كـؤوسَـهـا وتُـعَرْبِـدُ
وَجَلَـتْ على الشُـعـراء قَبْلَكَ حُسْـنَهـا
لَـكِـنْ أرَاكَ شَهِـدْتَ ما لم يَشْهَـدُوا
الـزاهِـديـنَ بِهـا ولـو كَشَـفَـتْ لَهُـمْ
سِـرَّ الحيـاةِ المُجْتلـى لَـمْ يَـزْهَـدُوا
نَظَـرُوا الى خَيْـرِ الـوُجـودِ وحُسْنِهِ
شَـزْرا كمـا نَظَـرَ الضِيـاءَ الأرْمَـدُ
أطْـرَيْـتَ فِتْنَتَهـا فَـدَعْ فـي غَيِّـهِ
مَـنْ راحَ يَعْـذِلُ حُسْنَـهـا ويُفَنِّـدُ
العَبْقَـرِيَّـةُ شُعْلَـةٌ مـن نـارِهَـا
حَمْـراءُ نـاضِـرَةُ الَّلـظـى تَتَوقَّـدُ

والشِّعْرُ والنَغَمُ الشَجِيُّ وَرَحْمَةٌ
تَسَعُ الوُجودَ ونَقْمَةٌ تَتَوعَّدُ

***

يا فِتْنَةَ الدنيا يَذُمُّكِ مَعْشَرٌ
والحَقُّ كُلُّ الحَقِّ في أنْ يَحْمَدُوا
أهْلِبْ نُبوغَكَ في الحَياةِ وحُبِّها
وانا النَسَمينُ بأنَّهُ لا يَخْمَدُ
الكَنْزُ بين يَدَيْكَ فانْثُرْ دُرَّهُ
إنّي أراهُ يزيدُ حين يُبَدَّدُ
ظَلَمَ الجَمالَ أبا عَلِيٍّ مَنْ رَأى
أنَّ الجَمالَ غَوايَةٌ تَتَوَدَّدُ
وَسَمَوْتَ في صُوَرِ النَعيمِ تَعُدُّهَا
مِنْ نِعْمَةِ اللهِ التي لا تُجْحَدُ
الحَقُّ والإبداعُ مِنْ نَفَحاتِهَا
والخَيرُ مِنْ أسْمائِها والسُؤْدَدُ
حُبُّ الجَمالِ عِبادةٌ مقبولَةٌ
واللهُ يُلْمَحُ في الجمالِ ويُعْبَدُ

* * *

يا شاعِرَ الدُنيا نَدِيُّكَ حافِلٌ
والجَمْعُ مُصْغٍ والمَواكِبُ حُشَّدُ

يَتَنَظَّرُونَ السِحْرَ مِنْ جَبَّارِهِ
هَيْهَاتَ دُونَ السِحْرِ بابٌ مُوصَدُ
يُشْكَى إِلَيْكَ وأَنْتَ رَهْنُ مَنِيَّةٍ
وتُزارُ في عَنَتِ الخُطُوبِ وتُقْصَدُ
وَلَقَدْ يُرَجَّى السَيْفُ وهو مُثَلَّمٌ
ولَقَدْ يُهابُ الليثُ وَهْوَ مُصَفَّدُ
فاذْهَبْ كما ذَهَبَ الربيعُ على الرُبى
مِنْهُ يدٌ وعلى القلوبِ لَهُ يَدُ
وَلَكَ الإمارَةُ في البيانِ يُقِرُّهَا
أَمْسُ الزَمَانِ ولا يَضِيقُ بِهَا الغَدُ

* * *

دمعة على الشاعر عبد الحميد الرافعي

لا تُعِيدِي أَلْحَانَهُ لا تُعِيدِي
جَلَّ ذَاكَ الهَوى عَنِ التَقْلِيدِ
نَعِمَ البُلْبُلُ الاسِيرُ فَقَدْ عَادَ
إِلى أُفْقِهِ الفَسِيحِ المَدِيدِ
شَاعِرٌ لاَ يَحُدُّهُ الكَوْنُ مَلَّتْ
نَفْسُهُ ضِيقَ عَالَمٍ مَحْدُودِ
وَرَأَتْ جِسْمَهُ على كَرَمِ العُنْصُرِ
سَجَّانَ كَنْزِهَا المَرْصُودِ
فَهْيَ تَقْسُو عَلَيْهِ ، تُمْعِنُ فِي الهَدْمِ
وَتَأْسَى لِرُكْنِهِ المَهْدُودِ
فإِذَا هَدَّهَا الصِرَاعُ اطْمَأَنَّتْ
وَنَجَتْ فِي خَيَالِهَا المَصْفُودِ
لَمْ يَكُنْ مَوْتُهُ فِراقًا وَلَكِنْ
هَذِهِ أَوْبَةُ الخَيَالِ البَعِيدِ
عَادَ للفَنِّ ذَلِكَ النَغَمُ العَذْبُ
وآبَتْ حَنَّانَةُ التَغْرِيدِ
وانْطَوَى فِي شَذَى الرَبِيعِ وَقَدْ
ضَمَّ فُنُونَ العَبِيرِ عِطْرُ الوُرودِ

قُوَّةٌ مِنْ هَوىً وَسِحْرٍ رَمَتْهَا
رَبَّةُ الشِعْرِ في يَدَيْ (كُوبيدِ)
كُلَّما آذَنَ الفَنَاءُ تَنَادَتْ
بِوُجُودٍ يُطِلُّ خَلْفَ وُجُودِ
مُلْهَمَ الشِعْرِ مِنْ هَوى كُلِّ نَفْسٍ
وَلُبَانَاتِ كُلِّ قَلْبٍ عَمِيدِ:
يَتَمَتْ بَعْدَكَ القَوافي وَضَجَّتْ
بَاكِيَاتٍ بِيَوْمِكَ المَشْهُودِ
بَعْضَ نَجْوَاكَ لِلْمَشِيبِ وإنْ
نَزَّهْتَ نَجْوَاكَ عنْ أَذىً وَحُقُودِ
يَجْمَعُ الدَهْرُ مِنْ غَدائِرَ بِيضٍ
حِينَ يَسْطُو وَمِنْ غدائرَ سُودِ
وَلَعَلَّ الرَدَى أَحَنُّ عَلى الشِعْرِ
وأَحْنَى عَلى الصَرِيعِ الشَهِيدِ

* * *

رُزِيءَ الشِعْرُ فَيكَ عَبْدَ الحَمِيدِ
عَبْقَرِيَّ القَدِيمِ عَذْبَ الجَدِيدِ
غَزَلٌ يُسْكِرُ النُفوسَ وَيُدْنِي
ما نأى مِنْ خَيَالِهَا المَنْشُودِ
وَأَغَانٍ تُعِيدُ حُبّاً وَعِطْراً
ما رَوَتْهُ العُصُورُ عَنْ دَاوُودِ

فَتَرَشَّفْ مِنْهُنَّ خَمْرَ ثُغُورٍ
وَتَنَشَّقْ فِيهِنَّ عِطْرَ خُدُودِ
مِنْ قَوافٍ كَأَنَّهَا بَسَمَاتٌ
حَالِيَاتٌ عَلَى شِفَاهِ الغِيدِ
قُيِّدَتْ بِالرَّوِيِّ بَعْدَ انْطِلاقٍ
نَزَوَاتُ الحَنِينِ وَالتَغْرِيدِ
كُلَّمَا رَدَّدَ المُغَنُّونَ رَقَّتْ
وَهَفَا السَامِعُونَ لِلتَرْدِيدِ
وَأَطَلَّتْ مِنْهَا فُتُونُ ثُغُورٍ
وَلُبَاناتُ أَعْيُنٍ وَنُهُودِ
وَجِرَاحَاتُ كُلِّ قَلْبٍ ظَمِيءٍ
وَابْتِسَامَاتُ كُلِّ ثَغْرٍ بَرُودِ
وَالمُنَى العَارِيَاتُ أَلْهَبَهَا
الشَوْقُ فَجُنَّتْ وَلَوَّحَتْ بِالبُرُودِ
وَحَنَتْ تَنْشُدُ الخُلُودَ لِيَغْفُو
بَيْنَ أَحْضَانِهَا إِلَهُ الخُلُودِ
عُمَرٌ فِي القَصِيدِ مِنْ آلِ نُعْمٍ
وَسُلَيْمَانُ قَبْلَهُ فِي النَشِيدِ
وَالمُحِبُّونَ بَسْمَةٌ عِنْدَ ثَغْرٍ
يَتَمَلَّى وَمِعْصَمٌ عِنْدَ جِيدِ
طَالَ عَهْدِي بِالشِّعْرِ إِلاَّ لَمَامَاً
زَوْرَةَ الطَيْفِ بَعْدَ طُولِ الصُدُودِ

وأَنَـا شـاعِـرُ الشـبـابِ وَعِنْـدِي
مـا يَشـاؤُونَ مِـنْ مُنَـىً وَقَصِيـدِ
لَـمْ أَخُـنْ عَهْـدَهُـمْ فَحُبِّـي عَلـى مَـا
أَلِفُـوهُ وَذِمَّتِـي وعُـهُـودِي
والمَيامِيـنُ آلُ جَفْنَـةَ والتَّـاجُ
عَلَيْهِـمْ أُبُـوَّتِـي وجُـدودِي
لاَ تَغُـرَّنْكَ ضِحْـكَـةٌ مِـنْ حَزِيـنٍ
ضَحِكَـاتُ البُـروقِ سِـرُّ الرُعُـودِ

* * *

حَبَّـذا عَهْـدُنَـا علـى الغُوطَـةِ الخَضْـراءِ
والحُسْـنُ دائِـمُ التَجْدِيـدِ
ولَيَـالٍ لنَـا عَلـى الـرَبْـوةِ المُثْنَـافِ
سَـكْـرى نَعِيمِهـا المَـوعُودِ
نَتَهـادَى عَلـى عُيـونِ الأَقَـاحِـيِّ
وَنَغْفُـو عَلـى شِفَـاهِ الـوُرودِ
أُنْشِـدُ الشِـعْـرَ والشَـبـابُ سُكَـارَى
مِـنْ مُعِيـدٍ مِنْهُـمْ وَمِـنْ مُسْتَـزِيدِ
لا أُبَـالِي وَقَـدْ قَسَـوْتُ عَلـى الظَـالِـمِ
عَسْـفَ الـدُجَـى وَعَـضَّ الحَدِيـدِ
وَلَئِـنْ نَـالَنِـي الشَـبـابُ بِلَـوْمٍ
فَبِنُعْمَـى الشَبَـابِ أَوْرَقَ عُـودِي

الذكرى

رثى بهذه القصيدة ابن عمه المرحوم الشيخ علي محمد كامل . وقد كان في طليعة الزعماء الوطنيين في محافظة اللاذقية .

لَهِيبٌ مِنَ الذِكرى وَحَقِّكَ لا يَخْبُو
مَتَى يَتَلاقى بَعْدَ نَأْيِهِمُ الصَحْبُ
أَحِبَّةَ قَلْبِي إِنْ بَعُدْتُمْ فَما نَأى
عَنِ القَلْبِ لا الذِكْرُ المُلِحُّ ولا الحُبُّ
عَلى طَيْفِكُمْ أَغْمَضْتُ عَيْنِيَ والْتَقَى
صِياناً لَه في مُقْلَتِي الهُدْبُ والهُدْبُ
جَلَوْتُ القَذى عَنْها وَفاءً لِطَيْفِكُمْ
فَأَحْلامُها نُعْمى ومَدْمَعُها عَذْبُ
نَزَلْتُمْ مِنَ الذِكرى بِقَلْبِيَ مَنْزِلاً
يَرِفُّ عليه النُورُ والظِلُّ والخِصْبُ
أَراكُمْ على بُعْدِ المَزارِ فَيالَهُ
حَنِيناً تَلاقى عِنْدَهُ البُعْدُ والقُرْبُ
ويُدنيكُمُ مِنْهُ خَيالٌ مُجَنَّحٌ
هَرَاقَتْ عَلَيْهِ نُورَها الأَنْجُمُ الشُهْبُ
خَيالٌ يَجُوزُ الدهرَ والكَوْنَ والمُنى
وَيَطْوي الغُيوبَ النائياتِ ولا يَكْبُو
فَيا بُعْدَها مِنْ غايَةٍ لَمْ تُرَحْ بِها
مَطِيٌّ ولا حَطَّ الرِحَالَ بِها رَكْبُ

وللَّـــهِ مـا أوْفـــىَ الخيـالَ فَبيْنَنـا
وَبَيْنَـكُـمُ مِنْـهُ الرَسـائِـلُ والكُتُـبُ
يُلِـمُّ فَيلْقَـاكُـمْ ويَشْـكُـو اليكُـمُ
مِـنَ البُعْـدِ ما نَشْكـو ويَصْبُـو كَما نَصْبُـو
ونَـظْمَـأُ لَوْلا نَهْلَـةٌ مِـنْ رَحيقِـهِ
أُدِيَـرتْ فـلا السـاقِـي أفـاقَ ولا الشَـرْبُ
سُلافُ مِـنَ الـذِكْـرى أُدِيَـرتْ كُؤوسُهـا
فما شَـرِبَ النُـدْمـانُ لَكِنَّهُـمْ عَبُّوا
نُعِيتُـمْ فَلَـمْ يَخْلُـصْ الـى القَلْـبِ نَعْيُكُـمْ
وَلَـمْ تَتَقَبَّلْـهُ البَصِيـرَةُ واللُّـبُّ
إذَا مَـرَّ وَجْـهُ عابِـرٌ رُحْـتُ أجْتَلي
أسـارِيرَهُ بِشْـرٌ عَلَيْـهِـنَّ أمْ رُعْـبُ
لَعَـلَّ الـذِي يَنْعَـاكُـمُ كَانَ كاذِبـاً
فـيا نِعْمَـةً قَـدْ كـانَ يَحْمِلُهـا الكِذْبُ
يَجُـسُّ الـطَبِيبُ النَبْـضَ حَـيْرانَ ذاهِـلاً
وَهَيْهـاتَ لا يُغْنِـي الـطَبِيبُ ولا الطِـبُّ
ويَـرْجُـو على اليَأسِ المَريـرِ وَإنَّـهُ
خِـداعُ الأمـانِـي والتَعِلَّـةُ والحُـبُّ
ولِـلأَهْـلِ أبْصـارٌ روانٍ تَعَلَّقَـتْ
بِعَيْنَيْـهِ إيجـابٌ هُنـالِكَ أمْ سَلْبُ
وَصَـمْـتٌ مَريـرٌ دُونَ مـا فِيـهِ مـن أسـىً
بُـكـاءُ الثَـكالـى والتَفَجُّـعُ والنَـدْبُ

فوارَحْمَتا للنَّاهِلاتِ مِنَ الصِبَى
أَلَمْ يَتَهَيَّبْ مِنْ بَراءَتِها الخَطْبُ
غَرائِرُ مِنْ نُعْمَى الدَلالِ تَلَفَّتَتْ
فَأَعْوَزَها عَطْفُ الأُبُوَّةِ والحَدْبُ

فَيا لَلصِبَى الهانِي شَجانِيَ أَنَّهُ
حَزِينٌ وَمِنْ طَبْعِ الصِبَى اللَهْوُ واللَّعْبُ
فيا رَبِّ لا راعَ الطُفولَةَ رائِعٌ
ويا ربِّ لا أَلْوى بِنَعْمائِها كَرْبُ
ويا رَبِّ للاطْيارِ والفَجْرِ والنَدَى
إذا شِئْتَ لا لِلْعاصِفِ الغُصُنُ الرَطْبُ
إذا انْهَلَّ غَرْبُ[1] مِنْ صَغيرٍ جَرى لَهُ
مِنَ الملإِ الأَعْلى عَلى صَفْوِهِ غَرْبُ
إذا عَبَراتُ الطِفْلِ مَرَّتْ بِمُجْدِبٍ
مِنَ النَفْسِ رَوَّتْهُ فَفارَقَهُ الجَدْبُ
دُموعٌ كَعَفْوِ اللهِ لَوْ مَرَّ بَرْدُها
عَلى الرَمْلَةِ الحَرَّى لَنَضَّرَها العُشْبُ

ويا رَبِّ مُرْ تُصْبِحْ نَسيماً مُعَطِّراً
عَلى كُلِّ مَحْزُونٍ زَعازِعُها النُكْبُ
ويا رَبِّ عِنْدي مِنْ كُنوزِكَ حَفْنَةٌ
مِنَ الحُبِّ أُذْرِيها ولكِنَّها تَرْبُو

(١) الغربُ : الدمع

تَمَنَّيْتُ لَوْ فَاضَتْ حَنَانَاً وَرَحْمَةً
مِنَ الظالِمِينَ الخُنْزُوانَةُ[1] والعُجْبُ
فَلاَ يُعْوِزُ الإنْسانَ حُبٌّ ونِعْمَةٌ
ولا يُعْوِزُ الطَيْرَ الجَداوِلُ والحَبُّ
أرى الفَرْدَ لايَبْقَى وإنْ طَالَ حُكْمُهُ
وَيَبْقَى بَقَاءَ الحَقِّ والزَمَنِ الشَعْبُ
وأشْهَدُ أنَّ الظُلْمَ يُرْدِي فَلَوْطَغَى
على السَفْحِ هضْبٌ شَامِخٌ زُلْزِلَ الهَضْبُ
شَكَتْ جَبَرُوتَ الكُثْبِ حَبَّاتُ رَمْلِهَا
إلى اللهِ فانْهَارَتْ مع العاصِفِ الكُثْبُ

* * *

أبا أحْمَدٍ هَلْ يُرْفَعُ السِتْرُ مَرَّةً
عَنِ المَلإِ الأعْلَى وتَنْكَشِفُ الحُجْبُ
وَفُزْنَا مِنَ النُورِ المَصُونِ بِلَمْحَةٍ
تَقَرُّ بِها عَيْنٌ ويَنْدَى بِهَا قَلْبُ
وكُشِّفَ للأُخْرى صَفَاءٌ مُغَيَّبٌ
حَبِيبٌ إلى قَلْبِي ولكِنَّهُ صَعْبُ
وَلُحْتَ لَنا في عَالَمِ الحَقِّ بِدْعَةً
مِنَ النُورِ يَخْبُو كُلُّ حُسْنٍ وَلا تَخْبُو
فَرُحْنا نُحَيِّي مَنْ نُحِبُّ تَحِيَّةً
تَنَازَعَها الشَوْقُ المُبَرِّحُ والعَتْبُ

(١) الخُنْزُوانة : الكبر

أتَنْـأى فَهَـلاً وَقْفَـةٌ يَشْـتَفِـي بِهـا
خَلِيـلٌ وَيقْضِـي حَـقَّ لَـوْعَتِـهِ صَـبُّ
أتَنْـأى ومـا وَدَّعْـتَ أهْـلاً ولاَ حِمىً
فَـأيْنَ الحَنـانُ السَـمْـحُ والخُلُـقُ الرَحْبُ

* * *

أبـا أحْمَـدٍ هَـذِي المَواكِـبُ أقْبَلَتْ
يَضِيـقُ بِهـا شَـرْقُ المَنـازِلِ والغَـرْبُ
رَأتْ بِشْرَكَ المَزْمُـوقَ في وَجْـهِ أحْمَدٍ
فَلِلْعَيْـنِ مِـنْ نُعْمَـى طَلاقَتِـهِ شُـرْبُ
أبـا أحْمَـدٍ فـي ذِمَّـةِ اللـهِ صَارِمٌ
مِـنَ الحَـقِّ لاَ يَشْـكُو الضِرَابَ ولا يَنْبُـو
يَمـانٍ مُحَـلًّ فَهْـوَ في السِلْـمِ زينةٌ
وَتَـكْشِفُ عُنْفَ المَوْتِ في حَـدِّهِ الحَـرْبُ
سَقَـى اللـهُ بالـذِكْرى على غَيْـرِ حَاجَةٍ
ولاَ حَادَ عَنْ أطْيابِهـا الغَـدِقُ السَكْبُ
عُهُوداً لنـا كالنُـورِ أمَّـا نَعِيمُهـا
فَسَـمْـحٌ لِمَـنْ يَهْـوَى مَفـاتِنَـهُ نَهْبُ
لَبِسْـنَ الصِبَـى بُرْداً فلا خَـزُّ[1] فَارِسٍ
يُـدِلُّ ولا الـدِيبـاجُ والـوَشْيُ والعَصْبُ

(١) الخزُّ: الحرير

عُهـودٌ نَجِيبـاتُ الأصـائِـلِ والضُحَـى
وَإنْ قَلَّ في الإنْسـانِ والزَمَـنِ النُجْبُ

* * *

ولِـلَّـهِ مـا أحْلَـى مَرابِـعَ لَهْوِنَـا
يُنـادِمُ تِـرْبـاً في خَمـائِلِهَـا تِـرْبُ
يُنِيـخُ ذَوُو الحَـاجـاتِ فيهـا رِحَـالَـهُـمْ
وَنَصْـهَـلُ في أفْيـائِهـا الضُـمَّرُ القُـبُّ
أحِـنُّ اذا فارقْتَنِـي بَعْضَ سـاعَـةٍ
وَتُحْمَـدُ فـي الحُـبِّ اللَّجاجَـةُ لا الغِبُّ
شَبَبْنـا على مَحْضِ الـوَفـاءِ وَصَفْوِهِ
كـذلِكَ آبـائـي وآبـاؤُكـمْ شَبُّـوا
وَيَجْمَعُنـا نَجْـرٌ قَريبٌ سَمَتْ بِهِ
لِغَـسَّـانَ أقْيـالٌ غَطـارِفَـةٌ نُجْـبُ
وَحُـبٌ رَمَتْـهُ فـي اللَّهيـبِ لِصَهْـرِهِ
صُـروفُ الليـالـي والقَـطِيعَـةُ والـذَنْـبُ
وكـأسٍ تَسـاقَيْنـا ثَلاثِيـنَ حِجَّـةً
عُـذوبَتُهـا طَبْـعٌ وتَقْـطِيبُهـا كَسْـبُ
أشُـمُّ عَبِيـراً مِنْ تُـرابِـكَ عَاطِـراً
أمِنْـكَ اسْـتَعَـارَ العِـطْـرَ والنَضْـرَةَ التُـرْبُ
فَحَيَّتْ ثَراكَ المُزْنُ كَفُّـكَ لا الحَيَا
وَجَـادَتْـهُ بالسُّقيـا يَمِينُـكَ لا السُحْـبُ

* * *

خمرة الاحزان

في رثاء الشاعر شبلي الملاط

لاَ الحِقْدُ خَمْرَةُ أَحْزانِي وَلاَ الحَسَدُ
مِنْ جَوْهَرِ اللَّهِ صِيغَ الشَاعِرُ الغَرِدُ
سَقَيْتُ أَحْزانَ قَلْبِي مِنْ عَقِيدَتِهِ
فَأَسْكَرَ الحُزْنَ مَا أُغْلِي وأَعْتَقِدُ
واهَمُّ يَعْرِفُ كَيْفَ اخْتَارَهُ كَبِدي
وَكَيْفَ تُكْرِمُ جَمْرَ اللوْعَةِ الكَبِدُ
نِعْمَ العَطَاءُ وَحَسْبِي أَنَّهَا انْغَمَسَتْ
تُمَزِّقُ العِطْرَ مِنْ جُرْحِي يَدٌ وَيَدُ
يَا مَنْ أَلَحَّ عَلى قَلْبِي يُقَطِّعُهُ
أَلَحَّ مِنْهُ عَلَيْكَ الخَمْرُ والشَهَدُ
دامٍ وَيَعْبَقُ صَهْبَاءً وغَالِيَةً
سَجِيَّةٌ فِي الأَراكِ العِطْرُ والمَلَدُ
عِنْدِي الوَسِيمُ مِنَ الغُفْرانِ أَسْكُبُهُ
عِطْراً عَلى كُلِّ مَنْ آذَوْا وَمَنْ حَقَدُوا
أَكْبَرْتُ عَنْ أَدْمُعِي مَنْ كَانَ مُضْطَهَداً
وَرُحْتُ أَبْكِي لِمَنْ يَطْغَى وَيَضْطَهِدُ
الحَاصِدُونَ مِنَ الدُنْيَا شَمَاتَتَهَا
لَوْلا الذِي زَرَعُوا بالأَمْسِ ما حَصَدُوا

* * *

ظَمِئْتُ والشَمْسَ مِنْ كِبْرٍ وَمِنْ أَنَفٍ
وَرُحْتُ والشَمْسَ لا تَعْنُو وَلاَ تَرِدُ
أعُلُّهَا مِنْ فُؤَادِي بَعْضَ لَوْعَتِهِ
فَرنَّحَ الشَمْسَ ما أَشْكُو وما أَجِدُ
للشِعْرِ والشَمْسِ هَذا الكَوْنُ لاَ عَدَدٌ
يَطْغَى عَلى النُورِ فِي الدُنْيَا ولا عُدَدُ
لَقَدْ حَلَفْنَا عَلى الجُلَّى وَزَحْمَتِهَا
أَنْ لاَ يُفَارِقَنَا عِزٌّ وَلاَ صَيَدُ
قِرَى الخُطوبِ إذَا ضَجَّتْ زَعازِعُهَا
صَبْرُ الكَرِيمِ عَلى البَأْسَاءِ والجَلَدُ
وَضَاقَ قَوْمٌ بِأَشْعَارِي ومَوكِبِها
فِي مَوْكِبِ الشَمْسِ يَخْزَى الحِقْدُ والرَمَدُ

* * *

يُؤَنِّقُ الظُلْمُ مِنْ أَعْذارِهِ نَفَراً
كَأَنَّهُمْ مِنْ هَوانِ الذُلِّ ما وُجِدُوا
الشَّاتِمِينَ مِنَ الأَعْراضِ مَا مَدَحُوا
والثَالِبِينَ مِنَ الطُغْيَانِ ما حَمِدُوا
البَائِعِينَ لَدى الجُلَّى وَلِيَّهُمُ
والرَائِجِينَ وَلَوْلاَ ذُلُّهُمْ كَسَدُوا
إذَا المَغَانِمُ لاَحَتْ وَهْيَ آمِنَةٌ
هَبُّوا فَإِنْ حَمِيَتْ نَارُ الوَغَى هَمَدُوا

إذَا تَبَلَّجَ فَجْرُ النَصْرِ بَعْدَ دُجَىً
وَقَرَّ بَعْدَ الضِرابِ الصَارِمُ الفَرِدُ
طَوى الشُجَاعُ عَلى صَمْتٍ بُطولَتَهُ
وجَرْجَرَتْ نَاقَةٌ واسْتَأْسَدَتْ نَقَدُ

* * *

سَكَبْتُ فِي الكَأْسِ اشْجَانِي فَتِلْكَ يَدِي
مِنْ عِبْءِ مَا حَمَلَتْهُ الكَأْسُ تَرْتَعِدُ
أَيْنَ الذَوائِبُ مِنْ قَوْمِي وما اقْتَحَمُوا
مِنَ الفُتوحِ ومَا حَلُّوا وما عَقَدُوا
أَفْدِي القُبورَ التي طَافَ الرَجَاءُ بِهَا
يا لَلْقُبورِ غَدَتْ تُرْجَى وَتُفْتَقَدُ
وَلي قُبُورٌ على الصَحْراءِ مُوحِشَةٌ
فَلا تُزارُ وَلاَ يَدْرِي بِهَا أَحَدُ
الحَالِيَاتُ وَلاَ مَاءُ وَلاَ زَهَرٌ
والنَاكِلاتُ وَلاَ ثَأْرٌ وَلاَ قَوَدُ
طَوَتْ جُفونُ الرَدى بِيضاً غَطَارِفَةً
لَوْ أَنَّهُمْ ما جَدُوا شَمْسَ الضُحَى مَجَدُوا
لَمْ أَعْرِفِ الحِقْدَ إلاَّ فِي مَصَارِعِهِمْ
وَلَمْ أُجِزْ قَبْلَهَا أَعْذَارَ مَنْ حَقَدُوا
تِلْكَ القُبورُ وقَلْبِي لاَ يَضِيقُ بِهَا
ضَاقَتْ بِزَحْمَتِهَا الأَغْوارُ والنُجُدُ

مَصَـارِعُ الصِيـدِ مِـنْ قَـوْمِـي فَكُـلُّ ثَـرىً
بَـدْرٌ وكُـلُّ أَدِيـمٍ مُوحِـشٍ أُحُـدُ

لَـو كَـانَ يَعْلَـمُ سَعْـدُ اللّـهِ[1] مـا ابْتَدَعَـتْ
بِـيَ الخُـطوبُ تَنـزَّى الفَـارسُ النَجِـدُ

وَلَـوْ دَرَى هـاشِـمٌ[2] حُـزْنـي لَدَلَّنِـي
وَرَدَّ عَـنِّـي العَـوادِي الضَيْغَـمُ الحَـرِدُ
أَحِبَّتـي الصِيـدُ شَـلَّ المَوْتُ سَـرْحَهُمُ
وَقَـدْ حَنَنْـتُ الى الـوِرْدِ الـذي وَرَدُوا

ألسَّـالِـكُونَ مِـنَ العَلْيـاءِ أَخْشَنَهـا
والقـاحِمُـونَ وغَيْـرَ الشَـمْـسِ ما قَصَـدُوا
أُكَـذِّبُ المَـوْتَ فِيهِـمْ حُرْمَـةً وهَـوىً
وللأَمَـانِـي طَـرِيقٌ هَـيِّنٌ جَـدَدُ

لَعَلَّهُـمْ مَـنْ عَنـاءِ الفَتْـحِ قَدْ نَزَلُـوا
عَـنِ الصَـوافِـنِ فَوْقَ الـرَمْـلِ واتَّسَـدوا
لَعَلَّهـا غَفْـوَةُ الـوَانـي فَإِنْ رَوِيَـتْ
جُفُـونُهُـمْ مِـنْ لُبانَـاتِ الـكَـرى نَهَـدُوا
تَرَفَّقِـي يا خُطـوبَ الـدَهْـرِ واتَّئِـدي
لا تُجْفِلـي النَـوْمَ فِي أَجْفَـانِ مَنْ سَهِـدُوا

(١) سعد الله الجابري
(٢) الزنيس الزعيم هاشم الاتاسي

وَحــاذِري أنْ تُثِيــري مِــنْ مَواجِدِهِــمْ
لَــمْ يُصْرَعــوا بالــرَدى لكِنَّهُــمْ رَقَــدُوا

يَصُــونُهُــمْ مِنْ حُتــوفِ النــاسِ مَجْدُهُــمُ
كأَنَّهُــمْ مِــنْ جَــلالِ المَجْــدِ ما فُقِــدُوا

طــالَ انْتِــظــارُ المَذاكِــي فِي مَرابِطِهــا
ألا يَــرقُّ لَهــا فُرْسَــانُهــا النُجُــدُ

***

يا شــاعِــراً زَحَــمَ الــدُنْيــا بِمَنْكِبِــهِ
كالسَيْــلِ يَهْــدَأُ حِينــاً ثُــمَّ يَطَّــرِدُ

تَراقَصَــتْ في لَهَيــبٍ مِــنْ قَرِيحَتِــهِ
ثلــوجُ لبنــانَ والامــواجُ والزَبَــدُ

حُلْــوُ الشَمائــلِ لم يُجْهِــدْ بَشاشَتَهــا
عِــبْءُ السِــنيــنَ ولا أَزْرى بِهــا الكَمَــدُ

عَــرارُ نَجْــدٍ شَمِيــمٌ مِنْ سُــلافَتِهِ
والحُــورُ والــدَعَــجُ المَخْمُــورُ والغَيَــدُ

وللْهَــوى أَلْــفُ قَصْــرٍ في جَوانِحِــهِ
وَكُلُّ قَصْــرٍ لَــهُ مِنْ عَبْقَــرٍ رَصَــدُ

وَفي العَقِيــقِ علــى الــوادِي وَضَفَّتِــهِ
حَنَــتْ وَحَنَّــتْ قَوافٍ كالضُــحَــى شُــرُدُ

فَمِــنْ نَسيــبٍ كَما نَاحَــتْ مُطَوَّقَــةٌ
والفَجْــرُ يُسْــرِعُ والــظَلْمَــاءُ تَتَّئِــدُ

أَلْمُسْكِرُ القَدَّ حَتَّى كُلُّهُ هَيَفُ
والمُسْكِرُ الرِيقَ حَتَّى كُلُّهُ بَرَدُ
عَلى نُهُودِ العَذَارى مِنْ فَرائِدِهِ
عِطْرٌ وفي الجِيدِ مِنْ أَغْزالِهِ جَيَدُ
وَمِنْ حَماسٍ اذا رِيعَتْ عَرِينَتُهُ
كما يُزَمْجِرُ دُونَ الغَابَةِ الأَسَدُ
مِنْ كُلِّ مُبْرِقَةٍ بالحَقِّ مُرْعِدَةٍ
كالمَوْجِ في العاصِفِ المَجْنُونِ يَحْتَشِدُ
يُجَلْجِلُ الهَوْلُ فيها فالظُبَى مِزَقٌ
مِنَ الحَدِيدِ المُدَمَّى والقَنا قِصَدُ[1]
والصافِناتُ وقد ضَجَّتْ سَنابِكُهَا
وَضَجَّ فوق الجِيادِ الضُمَّرِ الزَرَدُ

* * *

أَبَا الكَواكِبِ مِنْ شِعْرٍ وَمِنْ وَلَدٍ
تَقاسَمَ النُورَ مِنْكَ الشِعْرُ والوَلَدُ
فَمِنْ قَوافٍ عَلى أَنْغامِها عَبَقٌ
وَمَنْ قَوافٍ عَلى غُرَّاتِها رَأَدُ
بَيْني وبَيْنَكَ عَهْدُ الأَوْفياءِ فَهَلْ
أَدَّى المُحِبُّونَ للأَحْبابِ ما وَعَدُوا

(١) مفرد قِصَدة : القطعة المتكسرة

عَهْـدٌ علـى إهْـدِنَ[1] الخَضْراءِ .. نَبْعَتُهـا
والشِـعْـرُ والبَـدْرُ حُفَّـاظٌ لِما شَهِـدُوا
بِتْنـا صَفِيَّيْـنِ لَـمْ نُسْـلِـفْ قَدِيمَ هَـوىً
بَشَـاشَـةُ النُـورِ تُغْـرِي كُـلَّ مَنْ يَرِدُ
أبـا الـكَواكِبِ عَهْـدِي أنْـتَ تَعْرِفُـهُ
لا يَنْـطَـوِي العَهْـدُ حَتَّـى يَنْـطَـوِي الأبَدُ

* * *

مَنْ شـاعِـرٌ رَنَّـحَ الـدُنْيَا فَمـا ازْدَهَـتْ
إلاَّ بِـهِ وَلَـهُ الأخْبـارُ والبُـرُدُ
غُضـونُ وَجْـهٍ .. سُطُـورٌ خَطَهَـا قَلَـمٌ
لاهٍ فَيُسْـرِفُ أحْيـانـاً وَيَقْتَصِـدُ
وقَـامَـةٌ تَحْمِـلُ التِسْـعِيـنَ لا وَهَـنٌ
فِيهـا علـى الـرِحْلَـةِ الـكُبْـرَى ولا أوَدُ
وَلِلْعُيـونِ بَرِيـقٌ كَـادَ يَحْسُـدُهُ
زَهْـوُ الشـبـابِ وأبْـرادُ الصِـبـا الجَـدَدُ
والعَبْقَـرِيُّ شَبَـابٌ عُمْـرُهُ وَهَـوىً
وَجُـذْوَةٌ فـي زَوايـا قَلْبِـهِ وَدَدُ
تِلْـكَ الـطيـوفُ كُنـوزٌ مِـنْ رُؤىً وَمُنَـىً
ألـروحُ مُشْـرِيَـةٌ والمُلْـقُ الجَسَـدُ

* * *

---

(١) مصيف في شمال لبنان

لُبْنـانُ يا حُلُـمَ الفِـرْدَوسِ أَبْدَعَـهُ
عَلـى غِـرارِ ذُراكَ الـوَاحِـدُ الصَمَـدُ

وزَاهِـديـن بِحُسْـنٍ أَنْـتَ غُرَّتُـهُ
لَـوْ آمَنُـوا بِجَمـالِ اللـهِ ما زَهِـدُوا

حُسْـنٌ أَتَـمَّ على لُبْنـانَ نِعْمَتَـهُ
مُحَسَّـدٌ وتَمـامُ النِعْمَةِ الحَسَـدُ

يـا جَنَّـةَ الفِـكْـرِ يَسْـمُـو كَيْـفَ شَـاءَ ولا
أُفْـقٌ يَحُـدُّ ولا شَـأْوٌ ولا أَحَـدُ

يـا مُكْـرِمَ النَجْـمِ فـي مَعْسُـولِ غُرْبَتِـهِ
لِـكُـلِّ نَجْـمٍ ذُراكَ الأَهْـلُ والبَلَـدُ

كَأَنَّمـا الشُـمُّ مِـنْ لُبْنـانَ فـي سَفَـرٍ
البَـدْرُ يَقْـرُبُ والغَبْـراءُ تَبْتَعِـدُ

أَرائِـكٌ لِنُجَيْمـاتٍ مُدَلَّلَـةٍ
يُنـازِعُ النَـوْمَ فـي أَجْفـانِهـا السَهَـدُ

كَأَنَّهـا مِـنْ مُلـوكِ الجِـنِّ قـد سُحِـرُوا
وَهُـمْ قِيـامٌ فمـا هَمُّـوا ولا قَعَـدُوا

كأنَّهـا هُجَّـدٌ طَـالَ الـوُقـوفُ بِهِـمْ
حَتـى انْجَلـى لِلْقُلـوبِ الـوَاحِـدُ الأَحَـدُ

كأَنَّهُـمْ مِـنْ جَـلالِ اللـه قـد شُـدِهُـوا
عِنْـدَ اللقـاء فمـا خَـرُّوا ولا سَجَـدُوا

أَلْحُسْنُ مُنْسَجِمٌ فيه وَمُخْتَلِفُ
والحُسْنُ مُجْتَمِعٌ فيه ومُنْفَرِدُ
جَرَى سَنَى البَدْرِ مَاءً في خَمَائِلِهِ
فَرُحْتُ بالمَوْجَةِ الزَهْراءِ أَبْتَرِدُ

* * *

صانَتْ مُسوحُكُمُ الفُصْحَى وكانَ لَها
مِنْكُمْ بِحَنْتَهَا الأَرْكَانُ والعُمُدُ
قَرَّتْ بِأَدْبِرَةِ الرُهْبانِ يَغْمُرُهَا
شَوْقُ البَنِينَ وَحُبٌّ مُتْرَفٌ رَغِدُ

الزَاحِمُونَ بِهَا الدُنْيا إِذَا انْتَبَهُوا
والزاحِمُونَ بِهَا الأُخْرَى إذا هَجَدُوا

أَلْمُنْزِلُوهَا على أَنْدَى سرائرِهِمْ
كأنَّهَا عِطْرُ ما صَلَّوْا وما عَبَدُوا

لَمْ يَخْذُلُوا لُغَةَ القرآنِ أُمَّهُمُ
وَكَيْفَ يَخْذُلُ قُرْبَى كَفِّهِ العَضُدُ

ولِلأَذانِ وللنَّاقُوسِ مِنْ قِدَمٍ
عَهْدٌ على الحُبِّ والغُفْرانِ يَنْعَقِدُ

تَعانَقَتْ مَرْيَمٌ فيهِ وَآمِنَةٌ
وَحَنَّ للرَشَدِ الإيمانُ والرَشَدُ

***

أَبَـا الكَواكِـبِ هَـلْ فـي الخُلْـدِ مَكْرُمَـةٌ
أَوْ نِعْمَـةٌ كُنْـتَ تَرْجُوهَـا وتَفْتَقِـدُ
تَنَحَّـتِ الحُـورُ إجْـلالاً لِشـاعِـرِهَـا
واسْـتَقْبَلَتْـكَ عَـذارَى شِعْـرِكَ الخُـرُدُ
مِـنْ كُـلِّ سَمْـراءَ مَعْسُـولٍ مَراشِفُهَـا
ولا تُلـوِّحُ بالسُّـقْيَـا وَلا تَعِـدُ
لا تُخْـطِـىءُ العَيْـنُ أنَّ الأَرْزَ مَنْبِتُهَـا
وَأَنَّ وَالِـدَهَـا قَحْـطَـانُ أَوْ أَدَدُ
وَنَسْـمَـةٌ مِـنْ صَبـا لُبْنَـانَ أَوْفَدَهـا
لَـكَ الأَحِبَّـةُ والأَبْنـاءُ والحَفَـدُ
هَـلْ في رُبَى الخُلْدِ ما يُنْسِيـكَ أَرْزَتَـهُ
والنُّـورُ والحُسْـنُ فـي أَفْيائِهَـا بَـدَدُ
أَحَـقٌّ بالشَـوْقِ للأَوْطـانِ مَـنْ نَزَحُـوا
وبـالحَنِيـنِ لِرَيَّاهَـا مَـنِ ابْتَعَـدُوا
يَـزيدُهـا أَلْـفَ حُسْـنٍ بَعْـدَ فُرْقَتِهَـا
قَلْـبٌ وَيَفْتَـنُّ فـي تلـوينِهـا خَلَـدُ
هَـلْ جَنَّـةُ اللـهِ عَـنْ لُبْنـانَ مُغْنِيَـةٌ
أَسْـتَغْفِـرُ اللَّـهَ لا كُفْـرٌ ولا فَنَـدُ

* * *

حَمَلْـتُ مِـنْ بَرَدى لِلأَرْزِ مُرْقِصَـةً
فِيهـا الصَبـابَـةُ والأَشْـواقُ تَحْتَشِـدُ

عُروبَـــةُ الشامِ يا لُبْنـانُ صافِيَـــةٌ
سَـمْحَـاءُ كالنُـورِ لا مَكْـرٌ ولا عُقَـــدُ

تُنَـزَّهَ الحُـــبُّ عَـنْ مَـنٍّ وَعَـنْ نَكَـدٍ
وَقَـــدْ يُنَغِّـــصُ حُسْـنَ النِعْمَـةِ النَكَـــدُ
نَحْـنُ المُحِبِّيـنَ نَهْـواكُـمْ وَنُؤْثِرُكُـمْ
هَـلْ كـان مَـنْ دَلَّلُـوا القُرْبـى كَمَـنْ وَأَدُوا
نَحْـنُ الـظِمـاءَ ونَسْـقِـي الحُـبَّ أَرْزَكُـمُ
أَلحُـبُّ فـي الشامِ لا نَزْرٌ ولا ثَمَـدُ

* * *

١٢ كانون الاول ١٩٦١.

ثُكل الأمومة

الى روح أخي كامل مروة صاحب جريدة « الحياة »

مـا لِلْمَنِيَّـةِ أدعـوهـا وتبتعِـدُ
أمَـرٌّ مِنْ كلِ حَتْفٍ بعضُ مـا أجِدُ
ظمـآنُ أشْـهَـدُ وِرْدَ المـوتِ عن كَثَـبٍ
والـوارِدونَ أحبَّـائـي ولا أرِدُ
عَلَّـلْـتُ بالصـبـر أحـزانـي فيـا لَأسـىً
بـالجَمْـرِ من نفحـاتِ الجَمْـرِ يَبتـرِدُ
دَعَـوْتُ خِـدْنَـيَّ مِـنْ دَمْـعٍ ومِـنْ جَلَـدٍ
فأسْـبَـفَ الـدَمْـعُ لكـنْ خاننـي الجَلَـدُ
أصْـبَحْـتُ أعْـزَلَ والهيجـاءُ دائـرةٌ
لا السيـفُ رَدَّ الأذى عَنِّـي ولا الزَرَدُ
أرُدُّ رشْـقَ الـظُبـى عن مُهْجَتـي بيـدٍ
وتَمْسَـحُ الدَمْـعَ مِنْ نَزْفِ الجِراحِ يَدُ

***

أبـا جميـلٍ[1] سـلامُ اللـه لا كُتُـبٌ
إليـكَ تَحْمِـلُ أشْـواقـي ولا بُـرُدُ
لَقيـتَ في الحـقِّ مـا لاقـى بـه نَفَـرٌ
مِـن الهُـداةِ ومـا عـانَـوْا ومـا جَهَـدُوا

(١) الشهيد كامل مروة صاحب جريدة « الحياة »

والعبقـريُّ غـريـبٌ فـي مَـواطِنِـهِ
يَـدورُ حيثُ يـدورُ الحِقْـدُ والحَسَـدُ
وحـامليـنَ رِسـالاتٍ مُقَـدَّسـةً
تَـوَحَّـدُوا بالجهـاد السـمْـح وانْفردوا
مُشَـتَّتيـنَ بِعَصْـفِ الـريـح لا وَطَنٌ
يَلُـمُّ اشْـتَـاتَ بَلْـواهُـمُ ولا بَلَـدُ
مَعـارِكُ الحـقِّ من أجْسـادِهـم مِزَقٌ
على ثَـراهـا ومِـنْ مُـرَّانِهِـمْ قِصَـدُ
ورُبَّ شـاكٍ فَسَادَ العصْـر يَظْلِمُـهُ
لَـمْ يَفْسُـدِ العَصْرُ لكنْ أَهْلُـهُ فَسَدُوا

***

أذاكِـرُ لـي على صَيْداءَ هـانِئَـةً
مِـنَ الـزمـانِ عليهـا نِعْمَـةٌ وَدَدُ[1]
يَمْشِـي بِـكَ المَجْدُ في أفياءَ وارفةٍ
مِـنَ الأمـانـيِّ لا تُلْـوي بمـا تَعِـدُ
فيهـا صِبـاكَ عطـورٌ عبقـرِيَّتُـهُ
ولـي شَبَـابٌ طـريـفُ العُمْـرِ مُتَّئِدُ
ونحـنُ بيـن الـدروب الحـالياتِ يَـدٌ
تَضُـمُّهـا فـي ظـلالِ البُرْتُقال يَـدُ
وأسْـتَعيـدُكَ شعْـري حيـنَ تُنْشِـدُهُ
حَتّـى يُقَـوَّمَ فـي إنشـادِهِ الأَوَدُ

(١) الدد : اللهو واللعب

حُـــبُّ أبـــوكَ تَـــولاَّهُ وَدَلَّـــلَـــهُ
وراحَ يُكْـرِمُ إرْثَ الـوالِـدِ الوَلَـدُ

***

يـــا مُبْـدِعَ السِـحْـرِ إلاّ أنـــه كَلِـمٌ
وســـاقـــيَ الـــرأي إلاّ أنَّـــه شَهَـدُ
يـــا نـاقِـداً ، حُبُّـهُ يُمْلِي فَـرائِـدَهُ
حَتَّى لَيَنْـدى حَنـانـاً حـين يَنْتَقِـدُ
يـا مانِـحَ النُـورِ من تـاهَـتْ دُروبُهُـمُ
ومـــانِـــحَ الحُـــبِ والغُفْـــرانِ مَـــنْ حَقَـــدوا
يَفْنَـــى المُزَوَّرُ مِـنْ مَجْـدٍ ومَـــنْ خُـدِعَتْ
بـــه الشـــعـوبُ وتَبْقـــى أنْـــتَ والأبَـــدُ
لَـــنْ يَعْـــدَمَ القَبْـرُ لاريـــاً ولا عَبقـاً
فَلـــي جفـــونٌ نَديَّـــاتٌ ولـي كَبِـــدُ
أحْنـو علـى دَمِـكَ المَطْلـولِ ألْثِمُـهُ
أزْكـــى من الـــوَرْدِ ما جـادتْ بـه الوُرُدُ[1]
دِمـــاءُ قَلْبِـــكَ إيمـــانٌ وغالِيَـــةٌ
فليـــس يُنْـكِـرُهـا بَـدْرٌ ولا أُحُـــدُ
دِمـــاءُ قَلْبِـــكَ ما مِنْ قَطْـرَةٍ نَزَفَتْ
إلاّ تَمَنَّـــتْ سَنـاهـا نجمـــةٌ تَقِـدُ

***

(١) الورد جمع الوريد

يـا مَـنْ نُحِبُّ ولولا الحُبُّ لا لَعَسُ
ولا لَسَى عَبِقُ السُقْيا ولا غَيَدُ
سَهِرْتُ في زَحْمَةِ الجُلَّى ومَزَّقَني
أنِّي شَهِدْتُهُمُ أغْفَوْا وما سَهِدُوا
وفي ضَنَايَ وفي أحْزانيَ ازْدَلَفُوا
يُحَرِّضونَ عليَّ الدَهْرَ واتَحَدُوا
حتى بكَتْ مِحْنَتي منْ ظُلْمِهِمْ وغَدتْ
بالدَمْعِ تَنْهَشُ مِنْ قلبي وتَزْدَرِدُ

***

أُمَّاهُ، دَمْعُكِ تَبْكي مِنْ مَواجِعِهِ
شُمُّ البَوادِخِ والأفْلاكُ تَرتَعِدُ
أُمَّاهُ لم يَبْقَ لي روحٌ فأُغْدِقَهُ
على أَساكِ ولا دَمْعٌ ولا كَبِدُ
تَطوفُ عَيْنُكِ في الزُوارِ سائِلَةً
عن الحبيبِ الذي وَلَّى وتَفْتَقِدُ
وطافَ ثُكْلُكِ في عَدْنٍ فَهَلْ سألَتْ
مَساحِبُ النور أين النُورُ والرغَدُ
ثُكْلُ الأمومَةِ في التسعينَ حين بكى
عند المَلائِكِ في جَنَّاتِهِمْ سجدوا
ثُكْلُ الأمومةِ عند اللهِ حُرْمَتُهُ
كَحُرْمَةِ الحقِّ لاسِتْرٌ ولا بُعُدُ

ثُكْلُ الأمومةِ عند اللهِ فاتحةٌ
مِنَ الكِتابِ وإيمانٌ ومُعْتَقَدُ
ثُكْلُ الأمومةِ حفَّ الانبياءُ بِه
يُهَدْهِدونَ مِنَ الآلامِ واحتشدوا
يدعو فَتُفْتَحُ أبوابُ السماء لهُ
ويَمْسَحُ الدَمْعَتَيْنِ الواحِدُ الأحدُ

***

وأنْتِ أُمَّ جميلٍ أيُّ نازلةٍ
لم تُبْقِ رِفْداً لِحُزْنٍ جاءَ يرتفِدُ
ما قَبْلَ يومكِ يَوْمٌ رُحْتُ أشْهَدُهُ
لَهُ لِواءٌ على الأحْزانِ مُنْعَقِدُ
لُبْنانُ أينَ ربيعٌ كُنْتُ أيْكَتَهُ
يُبْكَى الربيعُ إذا جافى ويُفْتَقَدُ
لا الشِمُّ كالعَهْدِ فيه لُهْفَةً وقِرىً
على النُسورِ ولا الأمواجُ والزَبَدُ
لا الأرْزُ بَعْدَ نوانا مائِسٌ عَطِرٌ
ولا الغصونُ عليها الطائِرُ الغَرِدُ
جيرانُكَ الأنْجُمُ الزهراءُ عاتِبَةٌ
وكُلُّ نَجْمٍ حَزِينٌ ثاكِلٌ حَرِدُ
يُطَلُّ فيكَ دَمٌ للنورِ بَعْدَ دَمٍ
ولا حُماةٌ ولا ثأرٌ ولا قَوَدُ

لِـي فِيـكَ شِعْـرٌ رَواهُ العِطْـرُ فازْدَحَمَتْ
مِنْـكَ السُـفـوحُ علـى رَيَّـاهُ والنُجُـدُ
لُبنـانُ فيـكَ قُبـورٌ للسيـوف حمِـىً
هـانٍ ففـي كُـلِّ قَبْـرٍ صـارِمٌ فَـرِدُ
تـأَلَّـقوا فـي سماءِ المَجْـدِ ما خَمَدَتْ
رَغْـمَ العَـواصِـفِ ذِكـراهـم ومـا خَمَـدُوا
حتى إذا ضَفَـرَتْ غـاراً لِمَـفْرِقِهِـمْ
أنـامِـلُ الخُـلْدِ زانَ الخُلْـدَ مَنْ خَلَـدوا

***

أبـا جميلٍ .. وقـرْبـىَ بَيْنَنـا اتَّصَـلَـتْ
إلـى الجِنـانِ .. فَـدَانٍ وهْـوَ مُبْتَعِـدُ
عَـدْنـانُ[1] عِنْـدَكَ فـي النُعْمـى ولـي كَبِدٌ
عَلَـيْهِ بالجَمْـرِ والأحْـزانِ يتَّقِـدُ
أحْبـابُنـا فـي جِنَـانِ الله قـد نَعَمُـوا
لقـد شَقينـا بِهِـمْ لكنَّهـم سَعِـدُوا
هَـشُّـوا إلـى ابْـنِ أخِيهِـمْ وَهْـوَ بَيْنَهُمُ
بحـالياتِ صِبـاهُ كَـوْكَـبٌ يَقِـدُ
يـالَلنُجـومِ قديمـاتِ السَـنـى نَزَلَـتْ
علـى قِـراهـا نُجـومٌ طُلَّـعٌ جُـدُدُ
حَمَّلْـتُ عَدْنـانَ أطْيـابَ الحنينِ فَهَـلْ
أدَّى أمـانَـةَ ما اشـكـو ومـا أجِـدُ

(١) ولد الشاعر وقد توفي في روتق صباه

لـم أرْثـه وَهْـوَ روحـي فارقَـتْ جَسَدي
وَكَيْـفَ يَبـكـي ويَـرْثـي روحَـهُ الجَسَـدُ
أُلِـمُّ بالقَبْـر أُغْلِيـهِ وأُلْثِمُـهُ
وحَـوْلِـيَ السـاخِـرانِ : الغَيْـبُ والأَبَـدُ
أَحِبَّتـي كُلَّما غـامَتْ طُيـوفُهُمُ
هَتَفْـتُ : لا تَبْعُـدوا عَنِّـي ، وقـد بَعُـدُوا

***

رُوحُ الشـهيدِ كنـور اللـهِ ما هَمـدَتْ
لَبَّـثْ قليـلاً تَـرَ الـظُـلَّامَ قـدْ هَمَدوا
حَرْبٌ علـى الـكُفْـر والـطُغْيـان يُضْـرِمُهـا
رَأْيٌ علـى الحُجَّـةِ الـزهـراءِ يَعْتَمِـدُ
رَمَـوْكَ غَـدْراً ولَـوْ صـالـوا مجُـابَهَـةً
لَـزَّقَ الصـائِـدِيـنَ الضَيْـغَـمُ الحـرِدُ
سِـلاحُـكَ الـنُـورُ والإسـلامُ وحْـدَهمـا
ومنْهمـا الـعَـوْنُ عنـد الفَتْـحِ والمَـدَدُ
رسـالـةٌ مِـنْ ابـي الـزهـراء خـالـدةٌ
عـديـدُكَ الفـاتِـحُ المَنْصـورُ والعُـددُ
حتـى اذا انهـزمَـتْ شَتـى فُلـولهـمُ
ومَـزَّعَ الجُبْـنَ زَهْـوُ الحـقِّ والصَيـدُ
أَشْـرَفْـتَ والـدمُ شمْـسٌ ــ راح يَحْجُبُهـا
بِـكفِّـهِ ويُـواري وَهْجَهـا الـرَمَـدُ

لا يَخْدَعَنَّكَ زَهْوُ الظالمينَ وإنْ
تاهتْ على الفَلَكِ الأبْراجُ والعَمَدُ
ثلاثةٌ لِهوانِ الدَهْرِ قَدْ خُلِقوا
أَلظالِمونَ وعَيْرُ الحَيِّ والوَتَدُ
تَكَبَّرَ الحقُّ أنْ تَلْقاهُ مُضْطَهَداً
أَلظُلْمُ في عُنْفُوانِ الظُلْمِ مُضْطَهَدُ

***

شمائِلُ الصِيدِ مِنْ قَوْمي مُعَطَّرَةٌ
بِمُتْرَفِ الحق لا غالَوْا ولا جَحَدوا
سَمْحاءُ لم تَدْرِ تهريجاً ولا عُقَداً
فَكَيْفَ شَوَّهَها التهريجُ والعُقَدُ
تَنكَّروا لقديمِ المجد وهو ضُحىً
يُؤْذِي العيونَ ولا يُؤْذي الضُحى الرَمَدُ
خُطوبُهُمْ لا خُطوبُ الدَهْرِ ضاريةٌ
على العُروبةِ إنْ حَلُّوا وإن عَقَدوا
أَلهائنونَ بِسِلْمٍ لا حُماةَ لَهُ
فِداءُ مَنْ زَحَمُوا الجُلَّى ومَنْ نَهَدوا
القُدْسُ مَلْحَمَةٌ مَيْدانُها ازْدَحَمَتْ
بِهِ الكُماةُ وخَيْلُ الحقِّ تَطَّرِدُ
ورَمْلُ سيناءَ لَحْدٌ هَبَّ مُنْتَفِضاً
بِكُلِّ مَنْ سَقَطوا غَدْراً وما لُحِدُوا

يَصيحُ أَلْفُ صدىً في الرَمْلِ مُنْتَظِراً
أن يَسْتَثِيرَ الصحارى فارسٌ نَجِدُ

***

أرى الأَذِلاَّءَ والهيجاءُ ساخِرَةٌ
توعَّدوا بالوغَى لكنَّهُمْ وَعَدُوا
رَدَّ الأُباةُ على الطُغْيانِ غارَتَهُ
ولم يَسُلُّوا ظُبىً لكنَّهُمْ حقَدوا
وكيف أَرْضَى بِقَوْمٍ أَلَّهُوا صَنماً
وَكَفَّروهُ وذَمُّوا بَعْدَ أن حَمِدُوا
حتى إذا راعَ قَصْفُ الرَعْدِ مَنْ سَمِعُوا
وراعَ بَرْقُ الدُجى أَحْلاَم منْ شَهِدوا
تكشَّفَ النَقْعُ عَنْ أشلاءِ طاغية
ورَاحَ يَخْطُرُ في غاباتِهِ الأَسَدُ

***

أبا جميلٍ أُناجي فيكَ حالِيةً
مِنَ الشمائلِ أُغْليها وأَفْتَقِدُ
تَحَوَّلَتْ أُفقاً غيرَ الذي عَرَفوا
وأَنْجُماً في الدُجى غَيْرَ التي رَصَدُوا
فَسَلَّمَ الفَلَكُ الأَسْمى على فَلَكٍ
فيه الكواكِبُ والأَسْحارُ والرَأَدُ

هـذي السَـمـاءُ كِتـابٌ مِنْ شتيـتِ رُؤىً
فَـكُلُّ نَجْـمٍ بهـا رأْيٌ ومُعْتَقَـدُ
لـي عالَـمٌ يغمُرُ الـدنيـا وتَغْمُرُهُ
وعـالـمٌ عَطِرُ الأسـرارِ مُنْفَـرِدُ
تخِـفُّ روحـي لحَـاقـاً فـي حُتـوفِكُـمُ
ويَحْـكُـمُ القَـدَرُ العـاتـي فَتَتَّئِدُ
أَلعَيْـشُ بَعْـدَكُمُ لَغْـوٌ فـلا طَـرَبٌ
فيـه ولا أَمَـلٌ هـانٍ ولا كَمَـدَ
فيـا شقـاءَ فتـىً آمـالُـهُ رجَعَـت
لأَمْسِـه وانـطـوى يـومٌ ومـات غَدُ

***

إيـهٍ حكيم الدهر !

قيلت في مهرجان المعري الالفي

حَلِـيَ النَـدِيُّ كَرامَـةً للـرَّاحِ
عَجَبـاً اتُسْـكِرُنـا وأَنْـتَ الصَاحِـي
لَـكَ في السرَائِـرِ بِدْعَـةٌ مَرْمُوقَـةٌ
أُنْـسُ المُقِيـمِ وَجَفْـوةُ النُـزَّاحِ
مَجْـدٌ كآفَـاقِ السَـمـاءِ اذا انْتَهَـتْ
مِنْـهُ نَـواحٍ بـادَهَـتْ بِنَواحِـي
الـدَهْـرُ مِلْـكُ العبقـريَّـةِ وَحْدَهَـا
لا مِلْـكُ جبـارٍ ولا سَفَّـاحِ
والـكَـوْنُ في أَسْـرارِهِ وكُنُـوزِهِ
لِلْفِـكْـرِ لا لِوَغـىً ولا لِسِـلاحِ
ذَرَتِ السِـنُـونَ الفـاتِحِيـنَ كأَنَّهُـمْ
رَمْـلٌ تَنـاوَلَـهُ مَهَـبُّ رِيـاحِ
لا تَصْـلُـحُ الـدُنْيـا وَيَصْـلُـحُ امْرُهَـا
إلا بِفِـكْـرٍ كالشُـعـاعِ صُـرَاحِ
مَـرِحٍ عَلـى كيد الحَيـاةِ وأَهْلِهـا
يَلْـقَى شَدائِـدَهَـا بِأَزْهَـرَ ضَـاحِ
خَيْـرُ العَقـائِـدِ فـي هَـوايَ عَقِيـدَةٌ
شَـمَّـاءُ ذاتُ تَوَثُّـبٍ وَجِمَـاحِ

تَبْنِـــي الحَيـــاةَ على هُـــدَى إيْمـــانِهـــا
والعَقْـــلُ مُثْبِـــتُ غَيْـــرِهـــا والمَـــاحِـــي
سَكْـــرى مِـــنَ الحَـــقِّ المُـــدِلِّ ورُبَّمـــا
لَقِـــيَ الحُتُـــوفَ فَحـــادَ عَنْهـــا الصَاحِـــي
سُكْـــرُ العَقِيـــدَةِ أيْـــنَ مِـــنْ آفَـــاقِـــهِ
سُـــكْـــرُ العُيـــونِ وأيْـــنَ سُكْـــرُ الرَاحِ
مَلَـــكَ الحَيـــاةَ فَخلْـــفَ كُـــلِّ ثَنِيَّـــةٍ
للبَـــأسِ يَكْمُـــنُ مِنْـــهُ أَلْـــفُ طِمَـــاحِ
شَـــرَفُ المَعـــارِكِ بالجِـــراحِ وبالـــرَدَى
فَبَـــدار قِسْـــطَـــكَ من أذىً وجِـــراحِ
واحْمِـــلْ بِكَفَيَّـــكَ الحيـــاة تَحَـــدِّياً
مِنْـــهـــا لآوَلِ مُعْتَـــــدٍ بالسَّـــــاحِ
أَلعُمْـــرُ مِـــنْ غَيْـــبِ القَضـــاءِ خَبيئَـــةٌ
فـــابْسُـــطْ مَصُـــونَ كُنـــوزِهِ بالـــرَّاحِ
لا تَشْـــكُ مِـــنْ قِصَـــرِ الحَيـــاةِ فرُبَّمـــا
أَغْنَـــتْ إشارَتُهـــا عَـنِ الإفْصـــاحِ
سِفْـــرُ الحَيـــاةِ إذا اكْتَفَيْـــتَ بِمَتنِـــهِ
أَغْنـــاكَ مُوجَـــزُهُ عَـــنِ الشُـــرَّاحِ
واخْتَـــرْ لِنَفْسِـــكَ مِيتَـــةً مَرْموقـــةً
بَيْـــنَ النُجـــومِ عَلـــى الأَدِيـــمِ الصَاحِي

لِلْمَـوْتِ فـي اللُجَـجِ العَمِيـقَـةِ رَهْبَـةُ
شَمَخَـــتْ بِسُؤْدَدِهـــا عَلـــى الضَحْضـــاحِ

حَوَّطْـــتُ باللـــهِ العَقِيـدَةَ مِـنْ أذَى
خَـرْقـاءَ فاجِـرَةِ اليَمِيـــنِ وَقَـاحِ[1]
سَكِـــرَتْ على كَرَمِ النـــدِيِّ وَعَرْبَـــدَتْ
فـاليَـوْمَ لا خَمْـــرِي ولاَ أقْداحِـــي

لَهْـوُ العُيـونِ ولا أقُـولُ قَـذاتُـها
وَكَحِـــلٌ تَكَلَّـــفَ زَهْـوَةَ المُجْتَـاحِ
مُتَـرَنِّـحُ العِـطْفَيْـنِ مِـنْ خُيَـلائِـهِ

مَـاذَا تَـرَكْـتَ لِغَـارَةٍ وَكفَـاحِ
اللَّـهُ يَعْلَـمُ مـا أرَدْتُ شَمـاتَـةً
بِمُصَـرَّعِيـنَ مِـنَ العَيـاءِ طِـلاحِ

تَـأْبَى الشَـمـاتَـةَ فـي الضعيـفِ شَمـــائلـي
وَتَعِـفُّ عَـنْ شِلْـوِ الجَـرِيـحِ صِفـاحِـي
وأنـا الـذِي وَسِـعَ الهُمُـومَ حَنَـانُـهُ
وَبَـكَـى لِكُـــلِّ مُعَـذَّبٍ مُلْتَـاحِ
أَشْـقَـى لِـمَـنْ حَمَـلَ الشَـقَـاءَ كَـأَنَّمَـا
أَتْـراحُ كُـلِّ أخِـي هَوىً أتْـراحِـي

---

(١) يريد الشاعر فرنسا وقد خرجت من الحرب مهزومة من الالمان ثم جاءت تعرض صولتها وعنفوانها على الشعب السوري الاعزل .

غَسَلَ الأَسَى قَلْبِي وَحَسْبُكَ بالأَسَى
مِنْ غاسِلٍ حِقْدَ القُلوبِ وَماحِي
وَوَدِدْتُ حِينَ هَوىَ جَناحُ حَمَامَةٍ
لَوْ حَلَّقَتْ مِنْ خَافِقِي بِجَناحِ
حُبٌّ قَدِ انْتَظَمَ الوُجودَ بأَسْرِهِ
أَسَدَ الشَرى وَحَمَامَةَ الأَدْوَاحِ

* * *

أَعْمى تَلَفَّتَتِ العُصورُ فَما رَأَتْ
عِنْدَ الشُموسِ كَنورِهِ اللمَّاحِ
نَفَذَتْ بَصِيرَتُهُ لأَسْرارِ الدُجَى
فَتَبَرجَتْ مِنْها بِأَلْفِ صَباحِ
مَنْ راحَ يَحْمِلُ في جَوانِحِهِ الضُحى
هانَتْ عَلَيْهِ أَشِعَّةُ المِصْباحِ

* * *

أَمُصَوِّرَ الدُنْيا جَحِيماً فَائِراً
يَرْمِي العُصورَ بِجَمْرِهِ اللَّفَّاحِ
هَوِّنْ عَلَيْكَ فَفِي النُفوسِ بَقِيَّةٌ
مِنْ رَحْمَةٍ ومُروءَةٍ وَسَمَاحِ
خَلْفَ الهَجيرِ وَعُنْفِهِ وَلَهِيبِه
ما شِئْتَ مِنْ ظِلٍّ وَطيبِ نِفَاحِ

ضَجَّتْ مَلائِكَةُ السَماءِ بِساخِرٍ
مُرٍّ الدُعابَةِ شاتِمٍ مَدَّاحِ
السُخْرُ فيهِ اذا أُخِذْتَ بِكُفْرِهِ
كالسُخْرِ حِينَ تَراهُ في النُصَّاحِ
نَكَبَ العَقائِدَ والطِباعَ فَيا لَها
فَتَكاتِ حَتْفٍ كالقَضاءِ مُتاحِ
وَغَدا على حَرَمِ السَماءِ فَيا لَهُ
فَتْحاً أَطَلَّ بِهِ عَلى الفَتَّاحِ
عَرَّى السَرائِرَ والنُفوسَ مُمَزِّقاً
عَنْهُنَّ كُلَّ غِلالَةٍ وَوِشاحِ
وَجَلا المَصُونَ مِنَ الضَمائِرِ فانْتَهى
هَمْسُ النُفوسِ لِضَجَّةٍ وَصِياحِ
إنْ يَقْسُ في نَقْدِ الطِباعِ فَلَمْ تَكُنْ
تُرْجَى لِرَحْمَتِهَا يَدُ الجَرَّاحِ

* * *

إيهٍ رَهِينَ المحبسين أَلَمْ يَئِنْ
إطْلاقُ مَأْسورٍ وَفَكُّ سَراحِ
ظَفِرَتْ بِرَحْمَتِكَ الحَياةُ وَصُنْتَها
عَنْ كُلِّ ناعِسَةِ الجُفونِ رَداحِ
أَتَضِيقُ بالأُنْثَى وَحُبُّكَ لَمْ يَضِقْ
بالوَحْشِ بَيْنَ سَباسِبٍ وَبِطَاحِ

يا ظَالِمَ التُّفَّاحِ في وَجَنَاتِها
لَوْ ذُقْتَ بَعْضَ شَمَائِلِ التُّفَّاحِ
عِطْرٌ أَحَبُّ مِنَ المُنى وَغِلالَةٌ
بِدْعٌ فَمِنْ وَهْجٍ وَمِنْ أَفْراحِ
هِيَ صُورَةٌ لِلَّهِ جَلَّ جَلالُهُ
عَزَّتْ نَظَائِرُهَا على الأَلْواحِ

* * *

مَنَحَتْ بِقُدْرَتِهِ النَعِيمَ وَلَوَّنَتْ
انْوارَهُ جَلَّتْ يَدُ المَنَّاحِ
لَيْتَ الهُمُومَ العَبْقَرِيَّةَ هُدْهِدَتْ
بِحَنانِ طَيِّبَةِ اللَّمَى مِمْراحِ
لَوْ أَنَّها نَزَلَتْ عَلى نُعْمَى الهَوى
نَزَلَتْ مُدَلَّلَةً بِأَكْرَمِ سَاحِ
حَرَمٌ عَلى عُسْرِ الزَمانِ وَيُسْرِهِ
وَحِمَى أَمِينِ السِرْبِ غَيْرُ مُبَاحِ
ما أَحْوَجَ العَقْلَ الحَكِيمَ وَهَمُّهُ
وَسِعَ الحَياةَ لِصَبْوَةٍ وَمِراحِ
وَلِئِنْ تُدَلِّلُهُ وَتُسْكِرُ رُوحَهُ
عِنْدَ الهَجِيرِ بِظِلِّها النَفَّاحِ
أُنْثَى إِذَا ضَاقَتْ سَرِيرَةُ نَفْسِهِ
طَلَعَتْ بِآفاقٍ عَلَيْهِ فِسَاحِ

تَسْـقِي الهُمُـومَ إذَا وَرَدْنَ حَنَـانَهَـا
بِمُعَـطَّـرٍ كـالسَّلْسَـبِيـلِ قَـرَاحِ
وَتَـرُدُّهُـنَّ عَـرائِسـاً مَجْلُـوَّةً
كَنَـدى الصَبـاحِ وَكُـنَّ غَيْـرَ صِبَاحِ
لِلْعَبْقَـرِيَّـةِ قَسْـوَةٌ لَـوْلا الهَـوى
عَصَـفَتْ بِكُـلِّ عقيـدةٍ وَصَـلاحِ
رَعْنَـاءُ إنْ تَـرَكَ الجَمَالُ عِنَانَهَـا
طَـاحَـتْ بِفَـارِسِ مَتْنِهَـا الجَحْجَـاحِ
مـا للشِـراعِ عَلـى العَـواصِفِ حِيلَـةٌ
إنْ لَـمْ تُصَـرِّفْـهُ يَـدُ المَـلاَّحِ

* * *

إيـهٍ حَكِيـمَ الـدَّهْـرِ أيُّ مَلِيحَـةٍ
ضَـمَّنْـتَ عَلَيْـكَ بِعِـطْـرِهَـا الفَـوَّاحِ
أَسْـكَنْتَهَـا القَلْـبَ الرَحِيـمَ فَـرابَـهـا
مـا فِيـهِ مِـنْ شَكْـوى وَرَجْـعِ نُـوَاحِ
جَـرَحَتْ إبَـاءَكَ والحَيَـاءَ فَأَقْفَـلاَ
بَـابَ المُنَـى وَرَمَيْـتَ بالمِفْتَـاحِ
لَـوْ أَنْصَـفَـتْ لَسَـقَتْـكَ خَمْـرَةَ رِيقِهَـا
سُـكْـرَ العُقـولِ وَفِتْنَـةَ الأَرْواحِ
ولأَسْـعَفَتْـكَ عَلـى الهَـوى بِمُعَـطَّـرٍ
بـالحُسْـنِ لا بِشَقَـائِـقٍ وَأَقَـاحِ

لاَ تُخْفِ حُبَّكَ بالضَغِينَةِ والأَذَى
الحُبُّ جَوْهَرُ حِقْدِكَ المِلْحَاحِ

وَأَطِلْ هِجَاءَكَ مَا تَشَاءُ فَخَلْفَهُ
غُرَرٌ مُنَضَّرَةٌ مِنَ الأَمْدَاحِ

العَبْقَرِيَّةُ والجَمَالُ تَحَدَّرا
مِنْ نَبْعَةٍ وَتَسَلْسَلاَ مِنْ رَاحِ

أَخَوانِ مَا طَلَعَ الضُحَى لَوْلاَهُمَا
إلاَّ عَلَى العَبَرَاتِ والأَتْرَاحِ

الظَّالِمَانِ المَالِكَانِ وَنِعْمَةٌ
مَا أَسْلَفَا مِنْ زَلَّةٍ وَجُنَاحِ

إنَّ التي حَرَمَتْكَ نِعْمَةَ حُبِّهَا
وَأَبِيكَ عَارُ كَواعِبٍ وَمِلاَحِ

لَوْ كَانَ فِي يَدِيَ الزَمَانُ وَسِرُّهُ
وَأَعِنَّةُ الإمْسَاءِ والإصْبَاحِ

فِي مَشْهَدٍ تَكْسُو الوُفُودُ رِحَابَهُ
وَيَغَصُّ بالغَادِينَ والرُّوَّاحِ

لَنَزَعْتُ فِتْنَتَهَا وَسِحْرَ جُفُونِهَا
وَمَحَوْتُ نُورَ جَبِينِهَا الوَضَّاحِ

وَنَشَرْتُ جَوْهَرَ ثَغْرِهَا مِنْ عِقْدِهِ
فَصِحَاحُهُ العَطِرَاتُ غَيْرُ صِحَاحِ

وَرَدَدْتُ للسَبْعِينَ رَيِّقَ عُمْرِهَا
والحَالِيَاتِ مِنَ الصِبَا المِمْرَاحِ
وَجَلَوْتُ مِرْآتِي .... فَنَدَّتْ صَرْخَةٌ
كَلْمَى وَغَطَّتْ خِزْيَهَا بالرَّاحِ
حَتَّى إذَا أَتْمَمْتُ ذَلِكَ كُلَّهُ
أَشْرَفْتُ انْظُرُ نَظْرَةَ المُرْتَاحِ
فَنَأَيْتُ مِنْ ظُلْمِ الجَمَالِ وَرُبَّمَا
شَمَتَتْ جِرَاحٌ فِي الثَرى وأَضَاحِ
وَإذَا رَأَيْتُكَ ضِقْتَ فِيهِ تَنَكَّرَتْ
للجِدِّ مِنْهُ دُعَابَتِي وَمُزَاحِي

* * *

الوَحْدَةُ الكُبْرى تَهَلَّلَ فَجْرُهَا
بِظِلَالِ أَبْلَجَ ذَائِدٍ نَفَّاحِ
هَذِي العُرُوبَةُ فِي حِمَاكَ مُدِلَّةٌ
رِيعَ العَدُوُّ بِهَا وَضَاقَ اللأَحِي
(١) الأَزْرَقُ الرَجْرَاجُ حَنَّ لِرَمْلَةٍ
فِي الدِجْلَتَيْنِ نَدِيَّةٍ مِسْمَاحِ
(٢) وأرى الكِنَانَةَ إنْ تُمَاجَدْ مَا جَدَتْ
بِالعَاصِ لا بِمَنًى وَلاَ بِفِتَاحِ

***

١) يريد الشاعر ان البحر في سورية يحن الى لقاء صحراء العراق .
٢) الكنانة مصر والمعنى ان مصر الآن اذا موجدت تماجد بالعاص اي عمرو بن العاص الذي فتحها واسس الحكم العربي فيها . لا بمنى ولا بفتاح . وهما فرعونان من فراعنة مصر .

سَمْعَـاً حَكِيـمَ الـدَّهْـرِ فَهْـيَ قَصِيـدَةٌ
وَأَبِيـكَ بِـدْعُ مُغَـرِّدٍ صَـدَّاحِ
عَصْـمَـاءُ إنْ شَهِـدَ النَـدِيُّ خَطِيبَهَـا
تَـرَكَـتْ فِصَـاحَ القَـوْمِ غَيْـرَ فِصَـاحِ
بَـدَهَـتْ شَـوارِدُهَـا العِـدَى بِكَتِيـبَـةٍ
خَضْـرَاءَ تَلْـمَعُ بالحَـدِيـدِ رَدَاحِ
هَـلْ فِـي ثَـرَاكَ عَلـى المَعَـرَّةِ مَـوْضِـعٌ
بَيْـنَ العُيُـونِ لِدَمْعِـيَ السَـحَّـاحِ
حَنَـتِ النُفُـوسُ عَلَيْـهِ تَسْكُـبُ حُبَّهَـا
فَجَلَـتْ بَـرَاحَ البِيـدِ غَيْـرَ بَـرَاحِ
مـا لِلْجِيَـادِ الأَعَـوَجِيَّـةِ حُسَّـرَاً
صَرْعَـى الهَجِيـرِ عَلـى المَـدَى الفَـيَّـاحِ
فَاعْـذِرْ إذَا لَـمْ أُوفِ مَجْـدَكَ حَقَّـهُ
لُجَـجُ الخِضَـمِّ طَغَـتْ عَلـى السَـبَّـاحِ

اطلَّ من حرم الرؤيا فعزاني

مَنازِلُ الخُلْدِ لا أرْباعُ لُبْنانِ
وَفِتْنَةُ السِحْرِ لا آياتُ فَنَّانِ
جِنَانُ لُبْنانَ حَسْبِي مِنْكِ وَارِفَةٌ
فِيها النَّدِيَّانِ مِنْ رَوْحٍ وَرَيْحانِ
شَبَّ النَبِيُّونَ في أفْيائِها وَحَبَتْ
فيها خَيالاتُ إنْجِيلٍ وقُرْآنِ
بَلِيلَةٌ بِدُموعِ اللهِ ما وَسِنَتْ
إلاَّ وَبيْنَ خوافِيها حَبِيبانِ
يَغْفُو بِها الفَجْرُ في أحْضانِ مُورِقَةٍ
مَديدَةِ الظِلِّ سَكْرى الآسِ والبَانِ
سَقَتْهُ مِنْ خَمْرِها قَبْلَ الكَرى عَلَلاً
فَبَعْضُ أحْلامِهِ أحْلامُ سَكْرانِ
وَدَغْدَغَتْهُ فَلِلأغْصانِ هَيْنَمَةٌ
كأنَّها بَثُّ غَيْرانٍ لِغَيْرانِ
وَما تَنَبَّهَ حَتى راعَهُ وَهَجٌ
والشَمْسُ حَلْيُ رُبَىً خُضْرٍ وَوِدْيانِ
صَحِبْتُ فِيكِ شَبابي والهَوَى ومُنًى
لُعْسَ الشِفاهِ وظِلاً غَيْرَ ضَحْيانِ

فَأَسْبِغِي نِعْمَةَ النِسْيانِ تَغْمُرُني
عَسَى يُخَفِّفُ مِنْ بَلْوايَ نِسْيانِي
أَمْسَيْتُ لا رِيقُها المعسولُ أسعدني
ولا الجُنونُ : جنونُ الحُبِّ واتَانِي

أَلَحَّ بِي السُقْمُ حتَّى لا يُفارِقُني
وَراحَ يَنْسِجُ قَبْلَ الشَيْبِ أَكْفَانِي
عَفَّى على نَزَواتِ النَفْسِ جامِحَةً
إلاَّ اهْتِزازَ خَلِيعِ الحُسْنِ نَشْوانِ

وَصَبْوَةً للعُيونِ النُجْلِ هانِئَةً
مِنَ الشَبابِ بِظِلِّ العَاطِفِ الحَانِي
يُثِيرُ بي كلُّ حُسْنٍ فِتْنَةً وهَوَىً
فَما أَمُرُّ بِماءٍ غَيْرَ صَدْيَانِ

ويا رُبَى الحُسْنِ في لُبْنانَ هَلْ عَرِيَتْ
مُخْضَلَّةُ الدَوْحِ مِنْ ظِلٍّ وأغْصَانِ
وَمِنْ لُبانَاتِيَ السَكْرى مُصَرَّعَةً
مِنَ الوَنى بَيْنَ أفْياءٍ وأفْنَانِ

ويا رُبى الحُسْنِ هَلْ مِنْ نَفْحَةٍ حَمَلَتْ
شَذَى النُهودِ لِصَادِي القَلْبِ حَرَّانِ
وَهَلْ صَباكِ نُمومُ العِطْرِ ناقِلَةٌ
بَعْدِي أحادِيثَ أذْيَالٍ وأرْدَانِ

ويـارُبَـى الحُسْـنِ فـي لُبْنـانَ هَلْ ثَمِلَتْ
بَعْـدي الرَياحِـينُ مِـنْ صَهْبـاءِ نَيْسـانِ
ويـا رُبَـى الحُسْـنِ فـي لُبْنـانَ لاَ انْبَسَطَـتْ
يُمْنـى الهَجِيـرِ عَلـى أفْيـاءِ لُبْنـانِ
مُدِّي ظِلاَلَـكِ يَنْعَـمْ فـي غَـلائِلِهَـا
صَرْعَـى الـرَدى مِـنْ أحِبَّـائِـي وأخْدانِـي
النَّـائِميـنَ بِظِـلِّ الارْزِ يُنْشِـدُهُـمْ
رِوايَةَ الـدَهْـرِ فـي نُعْمَـى سُلَيْمـانِ
أمَّـا البـلابِـلُ فَلْتُـؤْنِـسْ قُبورَهُـمُ
مِـنْ كُـلِّ سَاجِعَـةٍ فـي الـدَوْحِ مِزْنَـانِ
أُعِيـذ بالحُـبِّ والـذِكْـرى هَوَى نَفَـرٍ
بِيـضِ الـوُجـوهِ مِـنْ النَعْمـاءِ غُـرَّانِ

* * *

قَدْ صَوَّرَ الـوَحْـيُ ألْـوانَ النَعيمِ على
مِثـالِ ما فِيكَ مِنْ حُسْـنٍ وألْـوانِ
وزادَ فِيهـا خُلُـودا ما عَنِيـتُ بِهِ
أشْـهـى اللُبـانَـاتِ في حُكْمِ النُهـى الفَاني
لايَعْـذُبُ الـوَصْـلُ إلاَّ أنْ يُخـامِـرَهُ
خَـوْفُ المُحِبِّيـنَ مِنْ نـأيٍ وَهِجْـرانِ
ولا هَنـاءَ بِنُعْمـى لا تَخَـافُ لَهَـا
فقـداً ولا تُبْتَلـى مِنْهـا بِحِـرْمَـانِ

لَوْ يَعْلَمُونَ مَناجِي النَفْسِ ما خَلَعُوا
ثَوْبَ الخُلودِ على نُعْمى وأَحْزَانِ
فَأَصْبَحَ الكُونُ لَغْواً لا حَيَاةَ بِهِ
مِنْ رَغْبَةٍ في مَجَالِيهِ وغُنيانِ
ما للخُلُودِ وما للحُسْنِ يَزْعَمُهُ
هَيْهاتَ عُرِّيَ مِنْ حُسْنٍ وإتْقَانِ
يُضْفِي الجَمالَ على الايامِ مُقْتَدِرٌ
مِنَ (التَحَوُّلِ) ذُو عِزٍّ وسُلْطانِ
عَنا لَهُ الكَوْنُ مأْخُوذاً بِفِتْنَتِهِ
مِنْ أَنْجُمٍ ومَكانَاتٍ وأَزْمَانِ
وعاطِفَاتٍ وأَرْواحٍ وأَخْيِلَةٍ
تَغْزو الوُجودَ وآراءٍ وأَدْيانِ
وَرُبَّما فَقِهَتْ مِنْ أَمْرِهِ عَجَباً
قَبْلَ الهُداةِ عَصا مُوسَى بْنِ عِمْرانِ

* * *

لِيُؤْمِنِ الناسُ ما شَاؤُا بِرَبِّهِمُ
فَبِالتَحَوُّلِ بَعْدَ اللهِ إيْمانِي
تَسْمُو إلى أُفْقِهِ القُدْسِيِّ طاهِرَةً
طُهْرَ الدُموعِ تَسابِيحي وألْحانِي
كَفَرْتُ بالرُوحِ بَعْد الرَيْبِ آونَةً
وَكانَ زُلْفَى إلى نَجْواهُ كُفْرانِي

وَقَـرَّبَ النـاسُ مـا شَاؤُا لِمَذْبَحِـهِ
فمـا تَقَبَّـلَ مِنْهُـمْ غَيْـرَ قُـرْبـانِي
أعْلَنْـتُ حِيـنَ أَسَـرُّوا امْـرَهُـمْ فَـرقـاً
يـا بُعْـدَ مـا بَـيْنَ إسْـرارٍ وإعْـلانِ

* * *

إنَّ الخُلـودَ ومـا تَرْوِي مَـزاعِمُهُـمْ
عَـنِ السَّـعـادَةِ فـي الأُخْـرى نقيضـانِ
لا يَخْـدَعُ اللـهُ قَـوْمـاً يُـؤْمِنـونَ بِـهِ
فَتِلْكَ خُـدْعَـةُ إنْسـانٍ لإنْسـانِ
جِنَـانُ رَبِّـكَ في سِـرِّ الخُلـودِ غَدَتْ
وكـلُّ آوٍ اليهـــا رَازِحٌ وانِ
مَـلَّ المُقيمـونَ فِيهـا من هَنَاءَتِهِمْ
كمـا يَمَـلُّ السـقـامَ المُـدْنَفُ العَانِـي
تَمْضِـي العُصُـورُ عَلَيْهِـمْ وهْـيَ واحِـدةٌ
اليَوْمُ كالأَمْـسِ فيهـا ضـاحِـكٌ هـانِـي
تُـزْجِـي السَّآمَـةَ تَفـكيـراً وعاطِفَـةً
إلـى عُقـولٍ وأهـواءٍ وَوِجْـدانِ
لا يَـرْقُبـونَ جَـديداً فـي خُلـودِهِمُ
لَـرَثَّ مِـنْ قِـدَمِ العَهْـدِ الجَديدانِ
ولا يَحِبُّـونَ لَكِـنْ تِلْكَ طـائفـةٌ
مِـنْ مـاجِنـاتٍ خَليعـاتٍ ومُجَّـانِ

ولا يُناجُون في أحْلامِهِمْ أمَلاً
مُحَبَّباً بَيْنَ إنْكارٍ وإيقَانِ

ولا يحُسُّونَ لا حُزْناً ولا جَذلاً
فالقَوْمُ ما بَيْنَ مَشْدُوهٍ وسَهْوَانِ

يا شَقْوَةَ النَفْسِ تَخْلو بَعْدَ أنْ عَمِرَتْ
مِنْ حَسْرَةٍ ولُبانَاتٍ وأضْغَانِ

وضَيْعَةَ القَلْبِ لا تأوي اليهِ مُنىً
كالنَحْلِ تَأْخُذُ مِنْ رَوْضٍ وبُسْتَانِ

مِنْ كُلِّ مَنْ أبْلَتِ الأدْهارُ جِدَّتَهُ
فَمَا يُحَرِّكُهُ تَدْلِيلُ رِضْوانِ

يُنادِمُ الحُورَ لَكِنْ غَيْرَ مُغْتَبِطٍ
وَيَشْرَبُ الراحَ لَكِنْ غَيْرَ ظَمْآنِ

لَوَدَّ في كُلِّ ما يُجْرِيه مِنْ عَسَلٍ
ومِنْ خمورٍ ومِنْ دُرٍّ وَعِقْيانِ

هُنَيْهَةً مِنْ شَقَاءٍ يَطْمَئِنُّ بِها
إلى مُناجَاةِ آلامٍ وأشْجانِ

إذا تَذَكَّرَ دُنياهُ هَفَا وَلِعاً
إلى حَبيبٍ وَصَهْباءٍ ونُدْمانِ

وَراحَ يَبْحَثُ في المَجْهُولِ عَنْ أمَلٍ
وَعَنْ شَقاءٍ وَعَنْ أهْلٍ وَخُلاَّنِ

لَعَلَّ بَيْنَ زَوايا النَفْسِ قَدْ تُرِكَتْ
ثُمالَةٌ مِنْ صَبابَاتٍ وتَحْنَانِ

* * *

أمَّا الغَوانِي فَصَخْرٌ لا يُحَرِّكُها
نَجْوى مُحِبٍّ ولا تَدْلِيلُ وَلْهَانِ
لا تَعْرِفُ الحُبَّ إلاَّ مَحْضَ تَلْبِيَةٍ
لِعَابِرِينَ مِنَ الأبْرارِ فِتْيَانِ
وَلا تَحِنُّ إلى رُوحٍ وعَاطِفَةٍ
فالحُبُّ في مَلَكُوتِ اللهِ جُثْمانِي
مِنْ كُلِّ مُرْتَجَّةِ الأرْدَافِ حَالِيَةٍ
بالحُسْنِ أخَّاذَةٍ بالسِحْرِ مِفْتَانِ
خَبا لَهِيبُ المُنَى فِي رُوحِها فَغَدَتْ
وَحُسْنُهَا فِي جُلاهُ حُسْنُ أوْثَانِ
جَنَى الخُلودُ عَلَيْهَا فَهْيَ شَاكِيَةٌ
إلى الأُنُوثَةِ ذَاكَ الخَائِنَ الجَانِي

* * *

وللْخُلودِ عَلى أهْلِ الجَحِيمِ يَدٌ
تُجْزَى مَعَ الدَهْرِ إحْسَانَاً بِإحْسَانِ
الكافِرُونَ لِطُولِ العَهْدِ قَدْ أَلِفُوا
بِقَاعِهَا نُضْجَ أرْواحٍ وأبْدَانِ

وَقَـدْ تُـزَفُّ بِهَـا والحَفْـلُ مُحْتَشِـدُ
سَـجِيـنَـةٌ مِـنْ ضَحَـايَـاهَـا لِسَـجَّـانِ
فَـأَصْبَحَـتْ وَهْـيَ مِـنْ مَـاءٍ وَمِـنْ مَـدَرٍ
شيطـانَـةً تَتَصَـبَّـى كُـلَّ شَيْطَـانِ
وَرُبَّمَـا صَحِبُـوا فِيهـا زَبَـانِيَـةً
بَعْـدَ القِلى إِلْـفَ إِخْـوانٍ لإِخْـوانِ
لاَ يَأْلَـون وَلاَ تَشـكُـو جُسُـومُهُـمُ
مِـنَ اللَـظَـى فَهْيَ نِيرانٌ بِنِيـرانِ

* * *

مَلِيـحَـةَ الـدَلِّ مِـنْ غَسَّـانَ لا بَلِـيَتْ
شَـمَـائِـلُ الصِيـدِ مِـنْ أَقْيَـالِ غَسَّـانِ
أَتَـأْذَنِيـنَ بِإِنْشَـادٍ فَما جُلِيَـتْ
إِلاَّ لِحُسْـنِـكِ أَشْـعَـارِي وأَوْزَانِـي
طَـوَّفْتُ فِـي هَـذِه الـدُنْيَـا عَلى مَهَـلٍ
طَـوافَ أَشْعَـثَ مـاضِـي العَـزْمِ يَقْظَـانِ
تُظِلُّنِـي مِصْـرُ أَحْيَـانَـاً وآوِنَـةً
أَعَـاقِـرُ الخَمْـرَ فِـي جَنَّـاتِ بَغْـدانِ
وَقَـدْ صَحِبْـتُ شُعـوبَ الأَرْضِ مِـنْ عَرَبٍ
شُـمِّ الانُـوفِ إِلـى رُومٍ وَكِلْـدَانِ
مُفَتِّشَـاً عَـنْ عَزاءِ النَفْسِ لا لَعِبِـي
أَدًى إِلَيْـهِ ولا حِلْمـي وَعِرْفَـانِـي

مُسائِلاً عَنْهُ حَتَّى قَدْ عَيِيتُ بِهِ
إِرْثَ الفَلاسِفِ مِنْ هِنْدٍ وَيُونَانِ
فَما رأَيْتُ لَهُ عَيْنًا وَلا أَثَرًا
وَلا أَفَادَ طَوافِي غَيْرَ خِذْلانِي
إذا نَدَبْتُ جُهودِي وهْيَ ضَائِعَةٌ
أَطَلَّ مِنْ حَرَمِ الرُّؤْيَا . فَعَزَّانِي

* * *

ثُمَّ انْثَنَيْتُ وَرَكْبِي جِدُّ مُتَّئِدٍ
مِنَ الوَنَى وَرَفِيقِي جِدُّ حَيْرانِ
والبِيدُ أَوْسَعُ مِنْ صَدْرِ الحَلِيمِ مَدًى
وللسَّرَابِ بِها آلافُ غُدْرانِ
ظَمْأَى حَيَارَى وخَلْفَ الرَّكْبِ طَائِفَةٌ
حُمْرُ اللَّواحِظِ مِنْ أُسْدٍ وَذُؤْبَانِ
فَأَيْقَنَ القَوْمُ بالجُلِّ وَقَدْ صَمَتُوا
لِهَيْبَةِ المَوْتِ وهْوَ المُقْبِلُ الدَانِي
حَتَّى إذا اليَأْسُ لَمْ تَتْرُكْ مَرارَتُهُ
إلاَّ بَقِيَّةَ صَبْرٍ غَيْرِ خَزْيَانِ
لاَحَتْ خِيَامُكِ بالصَحْراءِ مُونِقَةً
أَبْهَى وأَزْيَنَ مِنْ عَرْشٍ وإِيوانِ
فَكَبَّرَ الرَّكْبُ مُرْتَاحاً الى أَمَلٍ
عَذْبِ المُجَاجَةِ حَالِي الوَشْيِ رَيَّانِ

مُبَادِراً للظِلالِ الخُضْرِ قَدْ كُسِيَتْ
نَثِيرَ وَرْدٍ وَنَّامٍ وَسَوْسَانِ
فَما فَتَحْتُ جُفوني وَهْيَ دَامِيَةٌ
مِنَ الرِمَالِ أعَانَ اللَّهُ أجْفَانِي
حَتَّى لَمَحْتُكِ خَلْفَ السِتْرِ ضَاحِكَةً
إلى جَوارٍ وَحُجَّابٍ وَغِلْمَانِ
فَقَرَّتِ النَفْسُ لا شَكْوَى ولا تَعَبٌ
ولا لَجَاجَةُ إيمَانٍ وَكُفْرَانِ
وَابْصَرَتْ بَعْدَ طُولِ البَحْثِ غَايَتها
فَاذْعَنَتْ لِهَواها أيَّ إذْعَانِ
رَأتْ بِعَيْنَيْكِ يا لَيْلى وَقَدْ يَئِسَتْ
عَزاءَهَا لا بِإنْجِيلٍ وَفُرْقَانِ
فَقُبِّلَتْ شَفَةٌ حَمْراءُ دَامِيَةٌ
واهْتَزَّ مِنْ نَشَواتِ اللَثْمِ نَهْدَانِ
سِرُّ السَعَادَةِ فِي الدُنْيَا وإنْ خَفِيَتْ
تَجْلُوهُ مِنْكِ على الأكْوانِ عَيْنَانِ
آمَنْتُ بالحُبِّ ما شَاءَتْ عُذوبَتُهُ
آمَنْتُ بالحُبِّ فَهْوَ الهَادِمُ البَانِي

ما شأن هذا الاشعث الجواب

هَـلْ عِنْـدَ أنجُمِـكَ الضَواحِـكِ مَا بـي
يا لَيْـلَ إشْـرَاكِي وَصُـبْـحَ مَتَابِـي
طَهَّـرْتُ آثـامِـي البَـريئَـةَ في لَظَـى
قُبَـلٍ كأَحْـلامِ النَعيـمِ عِـذابِ
فَـأَدِرْ علـيَّ سُـلافَ رِيقِـكَ واسْقِنِـي
واسْـقِ النـدِيـمَ سُـلافَـةَ الأَعْنـابِ
وإذَا عَتَبْـتُ علـى لَمَـاكَ فَرُبَّمَـا
سَـمَـحَ الحَبِيـبُ بِرَشْـفَـةِ الأَعْتَـابِ
وَسَّـدْتُـكَ اليُمْنـى لَعَـلَّـي في غَـدٍ
أَرِدُ الحِسـابَ وَوَجْنَتـاكَ كِتابِـي
وَنِعْمـتُ أَلْمَـحُ في جُفـونِـكَ رَغْبَـةً
خَجْلـى صرِيعَـةَ نَشْـوةٍ وَدُعَـابِ
لاَ تَغْـفُ تَحْلُـمْ بالنُجـومِ فَيَرْتَمِـي
منْهـا لِرَشْـفِ لَمَـاكَ أَلْفُ شِهَـابِ
لا تَغْـفُ وَأَثِـمْ في هَـواكَ ولا تَخَـفْ
نُسْـكِي أَمـانُـكَ في غَـدٍ وثَوابِـي
هَيْهَـاتَ وِزْرُكَ لا أَئُـوءُ بِحملـهِ
إنْ صَـحَّ أَمْـرُ قِيَامَـةٍ وحِسـابِ

* * *

يَا رَبِّ عَفْـوَكَ قَـدْ ثَمِلْـتُ فَخَلِّنِـي
لِغَـوايَتِـي وَتَهَتُّـكِـي وَشَرَابِـي
وَجنـونِ أَحْـلامِـي تَثُـورُ عَنيفَـةً
حَمْـرَاءَ بَيْـنَ مَعَـالِـمٍ وَقِبَـابِ

سَفَـكَـتْ دَمِـي وَأُلِـحُّ فِي إِرْضَائِهَـا
فَتَعَـافُـهُ وَتُلِـحُّ فِي إِغْضَابِـي
أَحْـلامُ جَبَّـارِ السمـاواتِ العُلَـى
نَـزَلَـتْ عَلَـيَّ وَضَـمَّهَـا جِلْبَابِـي

خَلَقَـتْ بِبَيْـدائِـي الـظَمِيئَـةِ جَنَّـةً
ثَـرْثَـارَةَ الأَلْـوانِ والأَطْيَـابِ
يَأْوِي إِلـى رَحَمَـاتِهَـا وَحَنَانِهَـا
قَلَـمُ الحَـكِيـمِ ومِنْجَـلُ الحَطَّـابِ

فإِذَا الحَيَـاةُ علـى جَـلالَـةِ قَدْرِهَـا
دَارِي وهَـذا الأُفْـقُ بَعْـضُ رِحابِـي
وَإِذَا الـكَواكِـبُ مِـنْ لِـدَاتِ طُفُولَتِـي
والـكَـوْنُ والأَجْيَـالُ مِـنْ أَصْحَـابِي

نَزَلَـتْ علـى فَقْـرِي وأَعْوَزهـا القِـرَى
هَـذا ذَمِـي ولُبَـانَتِـي وشَبَابِـي
وثُمَـالَـةٌ فِي الـكأْسِ أَغْفَلَهـا الهَـوى
لِمُصَـرَّعِـينَ غَطَـارِفٍ أَنْجَـابِ

صِـرْفـاً وَأَشْـفَـقَ مِنْ عَنيـفِ خُمارِهـا
سَـاقـي الـكُـؤوسِ فَشَـجَّهـا بِرُضَـابِ

* * *

ذاكَ البَيـانُ علـى مَرارَةِ كأْسِـهِ
سُـكْرُ العُقـولِ وفِتْنَـةُ الأَلْبـابِ
وتَخَـالُـهُ قِطَـعَ الـرِيـاضِ تَفَتَّحَـتْ
فِيهـا الخَمائِـلُ عن أَغَـرَّ عُجَـابِ
تَشْـوى بـأنـداءِ الصَبـاحِ يُديرُهـا
سَـاقِـي الـربيـعِ مُزْعفـرَ الجِلْبـابِ
والحِـكْمَـةُ الغَـرَّاءُ فـي كَلِمـاتِـهِ :
نُـورُ البَيـانِ وحِلْيَـةُ الآدابِ
أَفْضَـى الـى الأَخْـلاقِ وَهْـيَ مَصُونَـةٌ
أَتَـرَاهُ يَكْتُـمُ سِـرَّهـا ويُحابِـي
مالِي ولـلأَخْـلاقِ يَغْمُـرُ سِـرُّهَـا
عَنَـتَ الغَـبِـيَّ وخُـدْعَـةَ المُتَغابِـي
أَلغَـدْرُ فـي دَاوُدَ[1] بَعْـدَ مَشِيبه
ورِعَـايَـةُ الأَضْيـافِ مِـنْ رَاحـابِ[2]
ظَمْـأَى إِلَـى القُبَـلِ الأَثِيمَـةِ عَـذْبَـةً
كَالبـابِلِـيِّ مَـريـرةً كـالصَّـابِ

(١) ـ اشارة الى ما ذكرته التوارة من ارسال داود احد قواده للمعركة ليستأثر بامرأته .

(٢) ـ راحاب اسم بغي ورد ذكرها في التوارة وقد اخفت جاسوسين كانا عندها فلم تبح بأمرهما .

قَامَتْ بأعْبَاءِ الوَفَاءِ ولَمْ يَقُمْ
فِيهِ جَلالُ المُلْكِ والأحْسَابِ
وأبَتْ لِضَيْفَيْهَا الحَبَائِلَ بَعْدَمَا
وَرَدَا حَبَائِلَ عُرْيِهَا الجَذَّابِ ؟

* * *

مَرْحَى لِبَائِعَةِ السُرورِ ولا انْطَوَتْ
ذِكْرَاكِ مِنْ نَشْوى الدَّلالِ كَعَابِ
أزْرَى بِعِفَّتِكِ الجَمالُ وَخَلْفَهُ
سُكْرانِ سُكْرُ هَوىً وسُكْرُ شَبَابِ
مَرْحَى وإنْ عَصَرَ الشَقاءُ سُلافَةً
مِنْ وَجْنَتَيْكِ أثِيمَةَ الأكْوابِ
مَرْحَى وفي عَيْنَيْكِ مِنْ صُوَرِ الهَوى
ما لا يُعَدُّ ومِنْ رُؤَى الأحْبَابِ
مِحْرابُ حُسْنِكِ قَدْ وَقَفْتُ بِبابِهِ
وَسَجَدْتُ أعْبُدُ دُمْيَةَ المِحْرَابِ
وَلَمَحْتُ فيهِ جَلالَ حُسْنِكِ راقِداً
فَوْقَ الشِفَاهِ اللُّعْسِ والأهْدابِ
وَسَكِرْتُ مِنْ أحْلامِهِ بِسُلافَةٍ
عَجَبٍ وَمِنْ آهاتِهِ بِمَلابِ
جُبْتُ الظَلامَ فَلَمْ أدَعْ مِنْ دُجْنَةٍ
إلاَّ غَدائِرَ شَعْرِكِ المُنْجَابِ

وَلَقَدْ تَبَيَّنْتُ الهَوى لَمْ يُخْفِهِ
في مَخْدَعِ الشَهَواتِ أَلْفُ نِقابِ
فِي ذِمَّةِ الذِكْرى بَقَايَا لَيْلَةٍ
عُرْيانَةٍ مَجْنُونَةِ الآرابِ ...

* * *

وَيُرِيغُهُ عَنِّي النعيمُ فأَثْنَني
لأَراهُ في العَبَراتِ والأَوْصابِ
وَسَخِرْتُ بالأَوْهامِ عَصْرَ شَبيبَتِي
وَحَسِبْتُ فَيْضَ المَاءِ لَمْعَ سَرَابِ
فَاليَوْمَ تَخْشَعُ للخُرافَةِ حِكْمَتي
وَيَطُوفُ حَوْلَ قِبابِها إعْجابِي
وأَرَى به طَيْفَ الحَقيقَةِ كامِناً
خَلْفَ الحِجابِ ولاتَ حِينَ حِجَابِ
قَتَلَتْ هَوايَ وحِكْمَتي وتَجَارِبي
فأَنا الشَهِيدُ وهَذِهِ أَسْلابِي
حَسْنَاءُ تَلْتَفِعُ البُرودَ قَدِيمَةً
يا لَيْتَها رَضِيَتْ جَدِيدَ إهَابِي
فاخْشَعْ لِحالِيَةِ الشَبابِ وَرُبَّما
شَهِدَتْ وكان الدَهْرُ في الغُيَّابِ
تَفْنَى لِتَقْتَبِلَ الحَياةَ نَضِيرةً
سَمْجَاءَ بَعْدَ تَنازُعٍ وَغِلابِ

عُبِـدَتْ وسُـبِّتْ فَهْـيَ مُنْـذُ تَبَـرَّجَتْ
للـكَـوْنِ بَيْـنَ عِبادَةٍ وسِبـابِ
مَثَـلُ الحَقِيقَـةِ كـالجَمـالِ ورُبَّمـا
مَثَّـتْ إلَيْـهِ بـأَقْـرَبِ الأَسْبـابِ
لِلْمَشْـرِقِ الضـاحِـي الأَغَـرِّ قِلادَةٌ
مِنْـهُ وللشَـفَـقِ المَـريضِ الخَـابِي
الصُـبْـحُ مَـرْمـوقُ الضِياءِ مُنَـوَّرٌ
واللَيْـلُ ريَّـانُ المَلاحَـةِ سـابِي
سُبْحـانَ مَـنْ نَثَـرَ الحَقِيقَـةَ حَفْنَـةً
قُـدْسِيَّـةً مِـنْ حِكْـمَـةٍ وصَـوَابِ
تُـذْرِي الـرِيـاحُ بِهـا مَـدامِعَ رَحْمَـةٍ
بَيْـنَ العَقـائِـدِ أَوْ سِيـاطَ عَـذابِ

فـالمْـحْ نَثِيـرَ ضِيـائِهـا فِيما تَـرى
مِـنْ دَعْـوَةٍ وخُـرافَـةٍ وَكِتَـابِ
لَوْلا التُقَـى لَرَأَيْـتُ بَعْـضَ جَـلاَهِـا
وَجَمـاهِـا بِرِسَـالَةِ (الكَـذَّابِ)[1]

* * *

يـا سَيِّـدَ الصَـرْحِ المُـمَـرَّدِ دُونَـهُ
حُجُـبُ المَنـونِ وَقَسْـوَةُ الحُجَّـابِ

---

(١) مسيلمة الكذاب: رجل ادعى النبوة .

رَفَعَتْـهُ مِـنْ جِـنِّ السَّـمَـاءِ عِصَـابَـةٌ
فَبَـدا أَشَـمَّ عَلـى أَشَـمَّ عُقَـابِ

العَـدْلُ والتَـوحِيـدُ فِـي ذُرُواتِـهِ
وَعِبَـادَةُ الأَزْلَامِ والأَنْـصَـابِ

بَيْـتُ الحَقِيقَـةِ طَـافَ فِـي أَرْكَـانِـهِ
ذُلُّ العَبِيـدِ وَعِـزَّةُ الأَرْبَـابِ

وَعَلَـتْ مَـعَ الأَوْرادِ فِـي غَلَسِ الدُجَـى
أُغْنِـيَّةٌ لِلْحُـبِّ مِـنْ زِرْيَـابِ

وَتَعَـانَـقَ البُغَضَـاءُ حَـوْلَ قِبَـابِـهِ
يَتَـأَلَّـفُـونَ شَـوارِدَ الأَحْسَـابِ

وَحَنَـا اليَقِيـنُ عَلـى الجُحـودِ ومـا حَنَـا
إلاَّ عَلـى الخُـلَصَـاءِ والأَنْـرابِ

تَتَخَـايَـلُ الأَسْـرَارُ فِيـهِ وَتَخْتَفِـي
مَعَهـا طُيـوفُ السِـحْـرِ والإِغْـرابِ

وَتَـرَى عَلـى الشُـرُفَـاتِ أَشْـبَـاحَ الـرُؤَى
تُصْـغِـي وَيُنْشِـدُهَـا إلَـهُ الغَـابِ

وَتُحِـسُّ بالنَغَمَـاتِ تَعْتَنِـقُ الـدُجَـى
وَتُثِيـرُ مِـنْ وَجْـدٍ وَمِـنْ إطْـرابِ

نَغَـمُ الخَفَـاءِ تَجَـاوَبَـتْ أَصْـدَاؤُهُ
فِـي مُـوحِـشٍ غَمْـرِ الـرِمَـالِ يَبَـابِ

وَإِلَهَـةُ الـوادِي تَثُـورُ بِعُرْبِـهَـا
وَثْبَـاً لِلُجَّـةِ نَهْـرِهِ المُنْسَـابِ
فَيَضُـمُّـهَـا عُـرْيَـانَـةً مَقْـرورَةً
نَشْـوَى بِعُنْـفِ غَـرامِـهِ الصَخَّـابِ
لَـوْ أَنَّ خَـدَّيْهَـا إِلَيْـكَ وَثَغْرَهَـا
لَقَـطَفْـتَ مِـنْ وَرْدٍ وَمِـنْ عُـنَّـابِ

* * *

أَشْـرِقْ بِـلألاءِ اليَقِيـنِ وَسِـرِّهِ
فـالأَنْبِـيَـاءُ وَأُمُّـهُـمْ فِـي البَـابِ
عِيسَـى وَرَحْمَتُـهُ وَأَحْمَـدُ والـرُؤَى
والـوَحْـيُ نُـورُ مَفَـاوِزٍ وَشِعَـابِ
وَرَبِيـبُ مِصْـرَ تَطُـوفُ حَـوْلَ جَمَـالِـهِ
رِيَـبُ الغَيُـورِ وَخُـدْعَـةُ المُغْتَـابِ
يَـدْعُـو أَفَـانِينَ الهَـوى فَتُجِيـبُـهُ
وَدَعَـا هَـواكَ فَلَـمْ يَفُـزْ بِجَـوابِ
والفَـاتِحُـونَ مِـنَ المُـلـوكِ كَـأَنَّهُـمْ
عُقْبَـانُ جَـوٍّ أَوْ قَسَـاوِرُ غَـابِ
أَلـدُرَّةُ البَيْضَـاءُ دُونَ جَمَـالِهَـا
سُـودُ المَنُـونِ بِـزَخْـرَةٍ وَعُبَـابِ
حَمَـلُـوا الـلآلِـئَ والسُـلافَـةَ والمُنَـى
وَغَـرائِـبَ الأَلْـطَـافِ والأَجْـلاَبِ

وَحَمَلْتُ أَسْمالي إِلَيْكَ وشَافِعِي
لَهْوى فَتَاتِكَ غُرْبَتِي وعَذَابِي
فاسْخَرْ بِإِدْلالِي عَلَيْكَ وَقُلْ لَهَا :
مَا شَأْنُ هَذا الأَشْعَثِ الجَوَّابِ ؟

حيـرة النفـس

شَجَـاهـا مِنْ عُهـودِكَ مَـا شَجاهَـا
وَجَـنَّ اللَيْـلُ فادَّكَـرَتْ أسـاهَـا
هَفَـتْ لِشَبابِـهـا وَصَـبَـتْ إلَيْـهِ
وَرَقَّ لَهَـا النَصِيـحُ فَما لَحَاهَـا
وَهَيْهَـاتَ الشَـبـابُ وَأيْـنَ مِنْـهُ
مُنَـىً للنَفْـسِ تَعْثُـرُ فـي وَجَاهَـا
كَبـا وَركـائِـبُ الأعـوامِ فِيـهِ
مِـنَ العِشْـرِينَ لـم تَنْقُـلْ خُطَاهَـا
أيَـخْـذُلُنـي الشَـبـابُ ضَنـىً وسُقْمـاً
أُفـولَ الشَـمْسِ تَغْـرُبُ فـي ضُحَاهَـا
ومـا عُذْرُ الشَـبـابِ كَبُـرْتُ فِيـهِ
وَلـي نَفْسٌ فَتِيَّـاتٌ مُناهَـا
سَقَـاهـا مِـنْ سُلافَتِـه كُؤوسـاً
وَحَنَّـتْ للمَـزِيـدِ فَمـا سَقاهَـا
يُراخِـي بالعِنـانِ لَهَـا رويْـداً
فـإنْ وَثَبَـتْ لِغـايَتِهـا ثَناهَـا
وَتَدْعُـوهـا الفُتـونُ وَهُـنَّ سِحْرٌ
فَتُطْـرِقُ لا تُلَبِّـي مَـنْ دَعـاهَـا

تُـرِيدُ ولا يُرِيدُ وكـلُّ نَفْـسٍ
يُجارِيـهـا الشَـبَـابُ عَلـى هَواهَـا
يُرِيـهـا للمُنَـى صُوَراً مِـلاحـاً
فَمـا هَمَّتْ بِهَـا إلاَّ أباهَـا

فَيا ظِـلَّ الشَـبـابِ أُكـلُّ وانٍ
تُـفِـيءُ عَلَيْـهِ فـي الـدُنْـيا سِواهَـا
ويا ظِـلَّ الشَـبـابِ أتَتْـكَ غَـرْثَـى
فـكانَ أذَى القَـطِيعَـةِ مِنْ قِراهَـا

أطَلْـتَ هَوانَهَـا فاذْهَـبْ حَبِيبـاً
رَعَتْـهُ على المَغِيـبِ وَمـا رَعاهَـا
وَضُـمَّ إلَيْـكَ عِقْـدَكَ وَهْـوَ دُرٌّ
لأَزْيَـنُ مِـنْ سِـوارِكَ مِعْصَماهَـا

مُعَـذَّبَـةٌ إذا لَمَحَـتْ جَمَـالاً
هَفَـتْ وَجْـداً وعـاوَدها ضَنَـاهَـا
وَتَنْشُـدُ حُبَّـهـا الأَسْـمـى وَتـأوي
إذا عَيِـيَ السُـهـادُ إلـى كَراهَـا

فَتَلْمَـحُ فـي الـرُؤَى حُسْـنـاً طريفـاً
وَجَـلَّ الحُسْـنُ تَخْلُقُـهُ رُوءَاهـا
تَبَنَّتْـهُ فَجَـاءَ يَهُـزُّ عِطْفـاً
بِبُـرْدَتِهـا وَيَخْـطُـرُ فـي حُلاهَـا

وَكَـدْتُ وَسِـحْـرُهُ سِحْـرٌ خَفِـيٌّ
أَرَى فِيـهِ الْـحَـبَّـبَ مِـنْ صِباهَـا

* * *

هَـداهَـا اللّـهُ مِنْ حَـيْرَى أَضـاعَـتْ
لُبـانَتَهـا وبـارَكَ مَـنْ هَداهَـا
تُسـائِـلُ عَـنْ أَخِيهـا مَنْ تُلاقِـي
وكلُّ أُخَيَّـةٍ وَجَدَتْ أَخَـاهَـا
وَأَحْسَـبُ أَنَّـهُ أَغْفَـى كَـلالاً
وَمَـرَّتْ فـي الظَّـلامِ فَما رَآهَـا
أَأُخْـتَ الـدَّوْحِ حَسْـبُـكِ لا تُغَنِّـي
فَـأُخْـتُ السِّـرْبِ قَدْ فَقَـدَتْ طَـلاهَـا

* * *

ويا نَفْسِـي عَبَـدْتُـكِ عَـنْ يقِيـنٍ
وَحَسْبِـي قَـدْ عَبَـدْتُ بِكِ الإلهَـا
أُحِـبُّ الحُسْـنَ فـي الحَـدَقِ الـرَّوانـي
وفِـي ثَغْـرِ الفَتـاةِ وفـي لَمَاهَـا
وَفِـي عِطْـفٍ يُثِيـرُ هَـوىً مُلِحّـاً
إذا رَفَّـتْ عَلَـيْهِ ذُوابَتَـاهـا
وَفـي نَهْـدَيْ مُنَعَّمَـةٍ لَعُـوبٍ
وَفـي مـاءِ الخُـدودِ وفـي لَظَـاهـا

وَفي ضَحِكِ الطُفولَةِ وَهْوَ سِحْرُ
وفي مَرَحِ الصِغَارِ وفي دُماها
أُعانِقُ قامَةً فيهِ وغُصْناً
وَأَلْثِمُ فيه سالِفَةً وفاهَا
بَرِئْتُ الى الحَقِيقَةِ مِنْ غُواةٍ
تَفِرُّ مِنَ الصَباحِ الى دُجَاهَا
تُرِيدُ رِضاكَ تَقْييداً وَأَسْراً
وأَيْنَ رِضَاكَ رَبِّي مِنْ رِضَاها
وَأَنْكَرَ قُدْرَةَ الخَلاَّقِ رُوحٌ
رَأَى صُوَرَ الجَمَالِ وما اشْتَهاهَا
لِمَنْ جُلِيَتْ بِزِينَتِها عَروساً
وَفِيمَ أَحَبَّها وَلِمَنْ براهَا

* * *

عَبَدْتُكَ في الجَمَالِ ولا أُبالِي
ضَلالُ النَفْسِ ذَلِكَ أَمْ هُداهَا
فَفِي نَفْسِي جَحِيمُكَ مَنْ سَيَصْلَى
بِها لِشَقَائِهِ ومَنِ اصْطَلاهَا
وفِي نَفْسِي السَماءُ وَفَرْقَداهَا
وَمَنْ سَمَكَ السَمَاءَ وَمَنْ رَقَاهَا
وَهَلْ مِنْ أَنَةٍ خَفِيَتْ وَدَقَّتْ
أَسَىً إلاَّ وفِي نَفْسِي صَداهَا

فَيـا لَـكَ مِـنْ عَمَـىً وَسَـلِـمْتِ عَيْنَـاً
لَـوِ اخْتـارَتْ لَمـا تَـرَكَـتْ عَمَاهَـا
ويا لَـكِ حَيْـرَةً عَرَضَـتْ لِموسَـى
فَضَـلَّ سَبِيـلَ غَايتِهـا وتَاهَـا
أرادَ جَلاءَهـا نَفَـرٌ كَرِيـمٌ
فَجَلَّلَهـا الغُـمـوضُ ومـا جَـلاهَـا
فَتَحْـتُ سرِيرَتـي صَفَحَـاتِ نُـورٍ
وَقَـدْ خَبَـرَ الصَـحِيفَـةَ مَـنْ تَـلاهَـا
وَزَحْـزَحْـتُ الحِجَـابَ عَـنِ الخَفَـايـا
وَقُلْـنَـا شَقْـوَةٌ بَلَـغَـتْ مَـداهَـا

وانجلت نفسي في النور

أَيْن أَمْسي ؟ فَرَّ لا يُلوي بِهِ
مُجْتَلى بَدْرٍ ولا لألاءُ شَمْسِ
حازَهُ الدَهْرُ ومرَّتْ فَوْقَهُ
لُجَجٌ أَخْطأها عَدِّي وَحَدْسي

* * *

يَالِأَمْسي وَهْوَ يَجْتازُ المَدى
بَيْنَ أَشباحٍ مِنَ الأَيَّامِ خُرْسِ
مَرَّ في الآبادِ فاسْتَوْقَفَهُ
مِنْ لُيَيْلاتِ شَبابي أَلْفُ أَمْسِ
عَرَفَتْ فيهِ أَخاها آيِباً
مِنْ رُبوعٍ عافِياتِ الذِكْرِ دُرْسِ
وانْتَحَتْ فِيهِ مكاناً مُوحِشاً
هُوَ مَعْ وَحْشَتِهِ ذُرْوَةُ رَمْسِ

* * *

قَالَ أَمْسُ هاتِ عَنْ صاحِبِنا
وابْعَثِ الذِكْرى فَطُولُ العَهْدِ يُنْسِي
قَدْ تَمَلَّيْتُ بِهِ غَضَّ الصِّبى
زيْرَ حَسْناءَ وورقاءَ وَكَأْسِ

كَمَنَـــتْ للغِيـــدِ فـــي أَشْعـــارِهِ
زِينـــةُ الشَيْطـــانِ مِـنْ غَـــيٍّ وَرِجْـــسِ
خَالِعـاً بُرْدَيْ عَفـافٍ وَتُقَىً
سـادِراً يُصْبِـحُ فـي الغَـيِّ ويُمسي
يُقْـطَفُ الحســنُ على أوراقِهِ
مِـنْ شِـفـاءٍ عَـذْبَـةِ المَلْمَـسِ لُعْـسِ

* * *

قَال أمْسُ وأنـا عَهْـدي بِهِ
نِضْـوَ أوْرادٍ وتَسْـبِيحٍ وَدَرْسِ
يَعْبُـدُ اللـهَ فَـفـي محرابِهِ
كَعْبَـةٌ زَهْـراءُ مِنْ نُـورٍ وَقُدْسِ
رَضِيَ الصُوفَ فما يَعْرِفُهُ ...
ناعِـمُ الخَـزِّ ولا غالي الـدِمَقْسِ

* * *

ضحِـكَ الأَمْسُ فَـرَنَّـتْ فِي الدُجى
ضِحْـكَةُ الثَـاكِـلِ فِي لَيْلَـةِ عُـرْسِ
وانْثَنَـى يَخْطُـبُ فِيهِـمْ خُـطْبَـةً
أَبْلَـغُ المَـنْطِـقِ في أَعْـذَبِ جَرْسِ
أَيْـن ما تَروونَ عَنْ صاحِبِنا
عَـرِيَ الحَـقُّ فلا عُذْرَ لِلُبْسِ

أَتَقِـيٌّ وَهـوَ يَنْفِـي كُـلَّ مـا
لَـمْ يُؤَيِّـدْ بِيَقِيـنٍ أَوْ بِحِسِّ
أَخَلِيعٌ والضَـنـى يُسْلِمُـهُ
فِي رَبِيعِ العُمْرِ مِنْ بُـرْءٍ لِنُكْـسِ
هُـوَ - يَعْفُـو اللـهُ عَنْ آثامِهِ -
ساخِـرٌ صُوِّرَ مِـنْ سُقْمٍ وَيَأْسِ

* * *

مَـزَّقَ الحَـقُّ حِجـابـاً للدُجَـى
وانْجَلَتْ نَفْـسِـيَ فِي النُـورِ لِنَفْسِـي

الكآبة الخرساء

أُتْـرُكينِـي بِـوحْـدَتِـي وعَنَـائِـي
واهْـرُبِـي مِـنْ تَـأَوُّهِـي وَبُكَـائِـي
أَنْـتِ عَـذْراءُ . والنَعِيـمُ وَصَـفْـوُ الحُـبِّ
حَـقُّ المَـلِيحَـةِ العَـذْراءِ
مـا بِقَلبِـي غَيْـرُ الجِـراحِ وَهَـلْ يُرْضِيـكِ
مَـأْوَى مُـدَنَّـسٌ بالدِمَـاءِ
إنَّ هَـذا الـوَرَى بيـوتُ قَصِيـدٍ
أنـا فِيهـا يـا مَـيُّ بَيْـتُ الـرِثَـاءِ
لسْـتُ أَهْـواكِ فـازْدَرِينـيَ والخَـائِـنُ
أَهْـلٌ للهَجْـرِ والازْدِراءِ
كِذْبَـةٌ تَسْـعَـدِينَ فِيهـا وأَشْقَـى
أنـا فِـي كِذْبَتِـي مِـنَ الشُهَـدَاءِ
قَـدْ يَخُـطُّ القَضَـاءُ سَطْـراً وفِـي
تَضْـحِيَـةِ المَـرْءِ مَحْـوُ خَـطِّ القَضَـاءِ
يـا دَوائِـي مِـنَ الأَسَـى أنـا أَجْلَلْتُـكَ
عَـنْ قُـرْحَـةِ الأَذَى يـا دَوائِـي
بـاسِـمٌ والهُمـومُ تَحْفِـزُ دَمْعِـي
أنـا فِـي الابْتِسَـامِ عَيْـنُ المُـرائِـي
والكَآبـاتُ أَلْـفُ نَـوْعٍ ومـا
يَقْتُـلُ الكآبَـةِ الخَـرْسَـاءِ

فلسفة الحقيقة

أَهُنَيْهَـةً قَطَـعَ الضُـحَـى أَمْ جِيـلا
يَـوْمَ العُفَـاةِ لَقَـدْ خُلِقْـتَ طَـوِيـلا
مـا ضَـرَّ فَجْـرَكَ لَـوْ تَـلأْلأَ وانِيـاً
فَلَعَـلَّهـا تَغْفُـو العُيـونُ قَلِيـلا
عَـاجَلْـتَ أَحْـلامَ الـدُجَـى فَطَـوَيْتَهَـا
والـرُوحُ تَـرْشُـفُ ثَغْـرَهـا المَعْسـولا
مَـا كـانَ أَهْنَـأَهَـا يُـلَـوِّنُ سِحْـرُهَـا
صُـوَرَ المُنـى وَيَـرُفُّهـا[1] تَـذْلِيـلا
وَيُثِـيرُ فيـهِـنَّ الحَيـاةَ شَهِـيَّةً
والحُـبَّ أرعَـنَ والشَـبـابَ مُنِيـلا
رَاضَ الشِـفـاهَ الشامِسَـاتِ علـى الهَـوى
فَضَحِـكْـنَ يَهْمِسْـنَ الحِـوارَ عَلِيـلا
وَحَنـا علـى بُـؤْسِ العُفـاةِ فَمـا رَأَوْا
مِـنْ عَشْـرَةٍ إلاَّ رَأَوْهُ مُقِيـلا
خَلَـعَ النَضَـارَةَ والشَـبـابَ عَلَيْهِـمُ
والحُـبَّ والمِتَـعَ العِـذابَ الأُولـى
نِعَـمٌ وإنْ كانَـتْ تَحُـولُ عَلى الضُحَـى
أَيُّ المَبـاهِـجِ لَـمْ تَكُـنْ لِتَحُـولا

---

(١) يحضنها

تَحْنُـو على القَلْـبِ الجَـرِيحِ فَيَنْثَنِـي
رَيَّـانَ مِـنْ رَمَـاتِهـا مَطْلُـولا
وَتَـرُفُّ إنْ حَمِـيَ الهَجِيـرُ غَمـامَةً
وَنَـدىً وظِـلاًّ فـي الهَجِيرِ ظَلِيـلا
وَتُحَـوِّلُ البِيـدَ الـظِماءَ خَمَـائِـلاً
سَـكْـرى وَرَبْعـاً ضَـاحِـكـاً مَـأْهُـولا
فَكـأنَّهـا فِيمـا تُـزَخْـرِفُ مِـنْ مُنَـىً
آسٍ تُحَـاوِلُ كَفُّـهُ التَجْمِيـلا

* * *

إنَّ الـذي خَلَـقَ الحَقِيقَـة عَلْقَمـاً
خَلَـقَ المُنـى للـوارِديـنَ شَمُـولا[1]
تَتصـارَعـانِ ولا تَـرى إحْـداهُمـا
ظَفَـراً لِتَبْسُـطَ حُكْمَهـا وتَطُـولاَ
تَـدْعُـو المُنَـى زُمَـرَ القُلـوبِ وأُخْتُهـا
تَـدْعـو بَصـائِـرَ فـي الـوَغَـى وَعُقُـولاَ
والـكَـوْنُ بيـن الضُـرَّتَيْـنِ مُقَـسَّمٌ
فَـاشْـهَـدْ قَبِـيـلاً يَسْـتَبِيـحُ قَبِـيـلاَ
واعْـذُرْ عَلـى البَغْـيِ القُـلـوبَ فَـطـالمـا
قِيـدَتْ وذُلِّـلَ صَعْبُهـا تَذْلِيـلا

(١) الشمول : الخمرة

أمَّا الدُجى والفَجْرُ مِنْ أعْدائِهِ
فَلَقَدْ بَصُرْتُ بِهِ يَخُرُّ جَدِيلاَ

* * *

قُلْ لِلْحقيقةِ إنْ قَسَوْتِ فَرُبَّما
فَكَّ الزمانُ أسِيرَكِ المَكْبُولاَ
إنْ تُمْلِكي الدُنْيا وَسِرَّ كُنوزِها
لَمْ تُمْلِكي الأحْلامَ والتَأْمِيلاَ
أُفُقُ المُنى أحْنى وأرْحَبُ عالَماً
وأحَنُّ أفْياءً وأزْيَنُ سُولاَ
صُوني الكُنوزَ عَنِ العُفاةِ فلا تَرى
عَيْنٌ الى تِلْكَ الكُنوزِ سَبِيلاَ
وَتَخَيَّرِيها لِلقَوِيِّ سُلافَةً
وَغِنىً وَطَرْفاً نَاعِساً مَكْحُولاَ
و إذا شَكا العافِي فَسَوْطَكِ واسْمَعِي
نَغَمَ الأُلُوهَةِ زفْرةً وعَوِيلاَ
وَتَنَكَّرِي للنائِمينَ عَلى الطَّوى
اللهُ قَدْ خَلَقَ المُنى لِتُدِيلاَ
ما كَان جُودُكِ للسَعَادةِ ضامِناً
صِدْقا وبُخْلُكِ بالشَقاءِ كَفِيلا

* * *

هَـذي الحَيـاةُ عَنَـتْ لِبـأْسِـكِ رَهْبَـةً
فتَسَـمَّعِـي لجَبـاً بهـا وصَهِيـلا
وَزمـاجِـراً قامَـتْ علـى غَمَّائِهـا
مِـنْ حُكْمِـكِ العَاتـي القَـوِيِّ دَلِيـلا
مَلَـكَـتْ يَـداكِ هَواءَهـا وبِحَارَهـا
والـكَـوْنَ أجْمَـعَ عَرْضَـهُ والطُـولاَ
ألْعِلْـمُ يَحْـكُـمُ وَحْـدَهُ مُتَعَسِّفَـاً
لا قَلْـبَ فـي سُلْطـانِـهِ وَمُيُـولاَ
والعِلْـمُ إنْ مَلَـكَ القُـلـوبَ فَسَـمِّـهِ
وَحْشِيَّـةً وادْعُ الحَضـارَةَ غِيـلاَ
والعِلْـمُ إنْ مَلَـكَ القُلـوبَ فَسَمِّهـا
صَـخْـراً تَنُـوءُ بِعِبْئِـهِ مَحْمُـولا
لا تَبْـضَ ما خَفَقَـتْ بِـهِ لَكِنَّـهُ
صَـوْتُ الحَـدِيـدِ غَدا بِصِـلٌّ صَلِيـلا
أمَّـا الأُكُـفُّ فَخَـيْرُهـا ذُو جِنَّـةٍ
حَـطَـمَ الـرِّبـابَ وعـالَـجَ الإزْمِيـلاَ
ألْعِلْـمُ سَخَّـرَهَـا وَحَسْـبُ العِلْـمِ أنْ
تَـزِنَ الامـورَ جَمِيعَهـا وَتَكِيـلاَ
عَفَّـى عَلى حَـرَمِ الخَيـالِ وقُدْسِـهِ
أوَ مَا تَـرى حَـرَمَ الخَيـالِ أُزِيـلاَ

وَلَقَـدْ وَقَفْـتُ بِـهِ أُنـاشِـدُ غَائِبـاً
قَفَـلَ الخَلِيـطُ وَمـا أطـاقَ قُفُـولاَ
وَبَـكَيْتُ ـ أجْـزِيهِ ـ وَرُبَّ مَدامِـعٍ
خَفَّفْـنَ كَرْبـاً أوْ شَفَـيْنَ غَلِيـلاَ

* * *

عَهْـدِي بِهِ والشِـعـرُ فـي أدْواحِـهِ
نَـدًى القُلـوبَ أغـانِيـاً وَهَدِيـلاَ
خَضِـل العُـطـورِ تَرِفُّ أنْـداءُ المُنَـى
فِيـه السَـرائِـرَ بُكْـرَةً وأصِيـلاَ
وَجَـلا لَكَ الـدُنْيَـا عَلـى مَا تَشْتَهِـي
مِنْهَـا يُمَلِّـقُ حِسَّـكَ المَخْتُـولاَ
وَأعـادَ مَطْـوِيَّ العُـصـورِ وآدَمـاً
يَحْنـو بِأدْمُعِـهِ علـى هَابِيـلاَ
مُنِـحَ الخُلـودَ وَلا مُيـولَ ولاَ هَـوىً
فَـأبَـى وآثَـرَ غُرْبَـةً وَرَحِيـلاَ
غَـزِلٌ يُفَـارِقُ مَـنْ أحَـبَّ وَسَـرَّهُ
أنْ فَـارَقَ التَـكْبِيـرَ والتَهْلِيـلاَ
تَتَغَيَّـرُ الأَلْـوانُ تَغْمُـرُ نَفْسَـهُ
بـالحُسْـنِ لاَ نَزْراً ولا مَمْلُـولاَ
وَتَبَـدُّلُ الأَلْـوانِ نِعْمَـةُ خَالِـدٍ
لَـمْ يَـدْرِ فِي فِرْدَوْسِـهِ التَبْدِيـلاَ

***

وَتَـرى بِأَفْيـاءِ النَخِيـلِ بُثَيْنَـةً
تَحْنـو لِتَحْتَضِـنَ النُهـودُ جَمِيـلاَ

فَانْعَمْ بِرُؤْيَـةِ عَـاشِـقَيْـنِ تَلاقَيَـا
سَـحَـراً وَقَـدْ هَـوَتِ النُجُـومُ أُفُـولا

واعْـذُرْ جَمِيـلاً حِيـنَ جُـنَّ جُنُونُـهُ
فَسَـطَـا ولا غَـزَلاً وَلاَ تَأْهِيـلاَ

نَشْـوانَ يَهْصِرُهَـا إِلَيْـهِ وَلاَ يَـرَى
إِثْمـاً وَيُلْهِـبُ عُـرْيَهَـا تَقْبِيـلاَ

يَتَـرَشَّـفُ الثَغْـرَ الشَـهِـيَّ سُلاَفَـةً
وَيَرُفُّـهُ كالأُقْحُـوانِ بَلِيـلاَ

* * *

وَدُمَـىً وَرَدْنَ عَلـى الغَـدِيـرِ وما اتَّقَـتْ
حَسْـنَـاؤُهُـنَّ الشَـاعِـرَ الضِـلِّيلا[1]

حَتَّـى إِذا أَخْفَـى البُـرودَ وَسَـامَهَـا
أَمْـراً رَأَتْـهُ مِـنَ الحَيَـاءِ جَلِيـلاَ

عَطَفَـتْ تُنَـاشِـدُهُ العَفَـافَ وأَثْلَعَـتْ
جِيـداً كَلأْلاَءِ الصَّبـاحِ أَسِيـلاَ

فَأَبـى وتُسْـرِعُ نَحْـوَهُ عُرْيَـانَـةً
خَجْلَـى لَقَـدْ حُـبَّ الجَمـالُ خَجُـولاَ

* * *

(١) امرؤ القيس

وَتُطَالِعُ المَجْنُونَ فِي أَسْمَالِهِ
شِلْواً بِأَنْيَابِ السَّقَامِ أَكِيلاَ
خَذَلَتْهُ نَعْمَاءُ العُيونِ وَسَخَّرَتْ
لِلْعَبْقَرِيَّةِ ذَلِكَ المَخْذُولاَ
فَهَوى صَرِيعاً بالرِمَالِ مُكَفَّناً
بِمَدامِعِ الصُبْحِ البَلِيلِ غَسِيلا

* * *

وَفَتَى[1] قُرَيْشٍ وَهْوَ يَقْتُلُ طِرْفَهُ
لِيَرَى الثُرَيَّا والهِاً مَخْبُولاَ
عَبَثَتْ لِتَشْهَدَ مِنْهُ أَيَّةَ لَوْعَةٍ
تُجْزَى وأيَّ هَوَىً مُلِحٍّ تُولَى

* * *

وَسُكَيْنَةً والشِعْرُ ضَيْفُ نَدِيِّهَا
والحُسْنُ يَبْعَثُ شَجْوَهُ فَيَقُولاَ
تَشْوَى الدَلالِ تَعُبُّ مِنْ خَمْرِ الهَوى
سُكْراً وَيَمْنَعُهَا الحَيَاءُ قِيلاَ
مِلءُ العُيونِ مَفَاتِناً لَكِنَّهَا
مِلءُ القُلوبِ عُلاً أَعَزَّ أَثِيلاَ
وَقَفَ العَفَافُ يَذُودُ عَنْ ذَاكَ اللَّمَى
إلاَّ المُنَى شَرِسَ الذِيَادِ بَخِيلاَ

---

(١) عمر بن ابي ربيعة

وَتُـذِيعُ جُمَّتُهـا عَبِيـراً رُبَّمـا
أَخَـذَ الشَذَى القُـدْسِيَّ عَـنْ جِبْرِيـلاَ

* * *

وَأبـا نُـواسٍ فِـي مَجَـالِـسِ لَهْـوِهِ
قَسَـمَ اللَيَـالِي سَكْـرَةً وَذُهُـولاَ
حُلْـوَ الـدُعـابِ هَفَـا وَعَلَّـلَ ذَنْبَـهُ
لـلآثِمِيـنَ فَأَحْسَـنَ التَعْلِيـلاَ
حَسِـبَ الحَيَـاةَ سُـلافَـةً وَمُهَفْهَفَـاً
والبَـاقِيـاتِ مِـنَ الحَيَـاةِ فُضُـولاَ
لَـمْ يَهْوَ عِـزَّ الحُسْنِ فِـي خَفِـراتِهِ
وَأَحَبَّـهُ عِنـدَ القِيـانِ ذَلِيـلاَ
مِـنْ كُـلِّ نَـافِـرَةٍ فإنْ جَمَّشْتَهَـا[1]
أَلْفَيْـتَ عِقْـدَ نِطَاقِهَـا مَحْلُـولاَ
تَأْبَـى فَيَصرِفُـهُ المَلالُ وَلَـوْ حَنَـتْ
تَبْغِـي لُبَـانَتَـهُ لَكـانَ مَلُـولاَ

* * *

وَتَـرَى ابْـنَ بُـرْدٍ وَهـوَ فِـي نَزَوَاتِـهِ
ليثـاً تحامـاهُ الـورى معـزولا

---

(١) قرصتها ولاعبتها

هَتَكَ الفَضائِحَ بَعْدَ صَوْنٍ وانْتَضَى
لِلْمالِكينَ بَيانَهُ المَصْقُولاَ
قَرموْهُ بالإشْراكِ ثُمَّ تَلَمَّسُوا
مِنْ حاسِدِيهِ شاهِداً مَقْبُولاَ
حَتَّى إذَا عَزَّ الشُهودُ تَحَلَّوا
فَرَأَوْا شُهوداً في القَريضِ عُدُولاَ
زَعَمْتهُ أَهْواءُ السِياسَةِ كافِراً
تاللهِ ما بالكُفْرِ راحَ قَتِيلاَ

* * *

مُتَجاوِرِينَ تَرى بِكُلِّ خَمِيلَةٍ
عِنْدَ الغَديرِ خَلِيلَةً وَخَلِيلاَ
مُتَنادِمِينَ على السُلاَفَةِ أَنْشَدُوا
غُرَرَ النَسيبِ وَرَتَّلُوا التَنْزِيلاَ

* * *

سَقْياً لِنَعْماءِ الخَيالِ ولا رَأَتْ
عَيْنايَ رَبْعاً مِنْ هَواهُ مَحِيلاَ
أَثِمَتْ بِزينَتِهِ الحَضارَةُ واقْتَضَتْ
شَرَّ التقاضِي دَيْنَها المَمْطُولاَ
شَوْهاءُ تَحْلُمُ بالجَمالِ ولا تَرى
إلاَّ الأَسَى والثُكْلَ والتَرْمِيلاَ
وَيَعُدُّ مَنْطِقُها الضَجِيجَ تناسُقاً
والحُبَّ عِلْماً قَدْ أُعِدَّ فُصُولاَ

فاذَا أَرَدْتَ الحُبَّ فابْغِ أُمورَهُ
عِنْدَ الكِتابِ وحاذِرِ التَأْوِيلاَ
وَتَعَلَّمِ الحُرُقاتِ مِنْ صَفَحَاتِهِ
والدَمْعَ كَيْفَ تَرُوضُهُ فَيَسِيلاَ
وَاْحذَقْ مُعاتَبَةَ النُجومِ وَلَوْمَها
مُتَوجِّعاً وَتَعَمُّدِ التَطْوِيلاَ
فَمِنَ الكِياسَةِ فِي كِتابِكَ أَنْ تَرَى
بَيْنَ النُجومِ علَى هَواكَ عَذُولاَ

* * *

حَرَمَ الخَيالِ فِدى رُؤاكَ حَضَارَةٌ
قَدْ مَثَّلَتْكَ لِتُخْطِىءَ التَمْثِيلاَ
هَيْهاتِ حُسْنُكَ مِنْ جَمالٍ خَادِعٍ
غَشَّ العيونَ واحْكَمَ التَضْلِيلاَ
إنِّي لأَلْمَحُ فِي الغُيوبِ رِسالَةً
وأَرَى وَراءَ الغَيْبِ مِنْكَ رَسولا
وَكتابَ حَقٍّ لا يُبَالِي بالهَوى
إنْ خَالَفَ المَعْقُولَ والمَنْقُولاَ
إنْجِيلَ عِيسى في الحَنانِ وإنْ يَكُنْ
في غَيرِ ذَاكَ يُخالِفُ الإنْجِيلاَ
وَبيانَ أَحْمَدَ : قُوةً وعُذُوبَةً
وَنُهًى ورأْياً في الحَياةِ جَمِيلاَ

عَفَّـــى علـــى مَدَنِـــيَّةٍ صَخَّابَـــةٍ
يَـــذَرُ الخَلِـــيَّ ضَجِيجُهـــا مَشْغُـــولا
جَبَّـــارةٍ لاَ عَطْفَ فـــي أَقْدارِهَـــا
عَجْلَـــى ومـــا خُلِـــقَ الـــزَمَـــانُ عَجُولاَ
يُمْنَـــى تُعِـــدُّ لَـــكَ المَتـــاعَ وأُخْتُهـــا
تَلِـــدُ الشَـــقَـــاءَ وَتَخْلُـــقُ التَنْكِيـــلاَ
تَبْنِـــي وَتَهْـــدِمُ كالحَيـــاةِ وَرُبَّمَـــا
غَـــزَلَـــتْ لتَنْـــكِـــثَ خَيْطَهـــا المَغْـــزُولاَ
لا عَطْـــفَ يَخْفُـــقُ في الصُـــدور ولا هـــوىً
كَذَبَتْـــكَ عَيْنُـــكَ بـــلْ رأَيْـــتَ طُلـــولا
والعِلْـــمُ وَيْـــلَ العِلْـــمِ يَـــوْمَ حِسابِهِ
إنْ كـــانَ عَـــنْ نَزَواتِهـــا مَسْـــؤُولا

* * *

هَـــذا كِتَـــابُ الغَيْـــبِ فيهِ رَحْمَـــةٌ
تَسَـــعُ البـــرِيَّـــةَ مُتْـــرَفـــاً ومُعِيـــلا
غَسَـــلَ الـــوُجـــودَ مِـــنَ الضَغـــائِـــنِ والهَـــوى
لِتَحِـــلَّ رُوحُ اللـــهِ فيه حُلُـــولا
وَتـــأَلَّـــفَ الانْســـابَ يَغْمُـــرُ عَطْفُـــهُ
مِنْهـــا فُروعـــاً سَمْحَـــةً وأُصُـــولا

سَـاوَتْ بَسـاطَتُـهُ الشـعـوبَ فما تَـرى
فِيهـا هَجينـاً أوْ تَعُـدُّ أصيـلا
وَحَنَـتْ على النَفـس الأثيـم فابْصَـرَتْ
إثْـمَ النُفـوسِ على النفـوس دَخِيـلا
وَلَـدَتْـهُ أخْيِلَـةُ الشَـرائِـعِ فِكْـرةً
فَنَمَـا بِـأحْضـانِ الحَضَـارَةِ غُـولا
خَلَـقَـتْ لـهُ الاسـمـاءَ وهـو كِنَـايةٌ
وتَخَيَّـلَـتْ أَلْـوانَـهُ تَخْيِيـلا
وَرَمَـتْ بِـهِ الإنْسـانَ فـي نَعْمـائِـهِ
فَتَصيَّـدَتْـهُ مُكَـبَّـلاً مَغْلُـولا
لَـمْ تَـرْضَ تَعْذِيـبَ الحَيـاةِ فَسخَّـرَتْ
بَعْـدَ الـرَدى لِعِقَـابِـهِ المَجْهُـولا
فكأنَّمـا تلـكَ الشـرائِـعُ تَقْتَضِـي
عنـد النفـوس ضَغَـائِنـاً وذُحُـولا

الدميـــة المُحَطَّـمَة

أَيَـا دُمْيَـةً أَنْشَـأْتُهـا وَعَبَدْتُهـا
كما عَبَـدَ الغَـاوُونَ مَنْحُـوتَ أَحْجـارِ
سَكَبْـتُ بِهـا رُوحـي وأَهْـواءَ صَبْوَتـي
وأَلْـوانَ احْـلامـي وبِـدْعَـةَ اطْـوارِي
جَمَعْـتُ بِهـا الـدُّنْيـا فكانَـتْ سُـلافَتِي
وكأْسِـي ونُـدْمـانـي وأَهْلـي وسُمَّـارِي
وَنـامَـتْ علـى الحُلْـمِ المُريـحِ بِمُقْلَتِـي
وَهَدْهَـدَهـا عِطْـري وحُبِّـي وإِيثـارِي

* * *

وَيا دُمْيَـةً أَنْشـأْتُهـا ثُـمَّ حَطَّمَـتْ
يَـدايَ الـذي أَنْشَـأْتُ تَحْـطِيـمَ جَبَّـارِ
جَمَـالُكِ مِنْ سِـحْـري وعِـطْـرُكِ مِنْ دَمِـي
وفِتْنَتُـكِ الـكبـرى خَيالـي وأَشْـعَارِي
وثَغْـرُكِ مِنْ حَانـي فَيَا لِـمُنَـمْنَـمٍ
نَـدِيٍّ بأَنْفـاسِ الـرياحيـنِ مِعْطـارِ
أَلَـمَّ بِهِ إِثْمـي فَنَـدَّاهُ بالمُنـى
وَمَـرَّ بِهِ وَهْنـاً فَطَيَّبَـهُ عَـارِي
خَلَقْتُـكِ مِـنْ أَهْـواءِ نَفْسِـي وَنَوَّعَـتْ
بِـكِ الحُسْـنَ اهْوائِـي وحُبِّـي وأَوْطـارِي

فَمـا يُشْـتَهـى خَـدَّاكِ الا لأَنَّنـي
تَـرَكْـتُ على خَـدَّيْـكِ إثْمـي وأَوْزَارِي
ومـا أَسْـكَرَتْ عَيْنـاكِ الا لأَنَّنِـي
سَـكَبْـتُ بِجَفْنَيْـكِ الغَـوِيَّيْـنِ أَسْـراري

* * *

أَيُنْكِـرُنـي حُـسْـنٌ خَلَقْـتُ فُتونَـهُ
فَيَخْنُـقُنـي عِطـري وتَحْـرِقُنـي نـاري
وتُنْكِـرُنـي : يا غَضْـبَـةَ الشِـعْـرِ والهَـوى
ويا غَضْـبَـةَ الـدُّنْيـا ويا غَضْـبَـةَ البَـارِي

* * *

رَدَدْتُـكِ للـطـينِ الـوَضيـعِ ومـا حَـنا
على رَوْضِـكِ الهـانـي هُبـوبـي وإعْصاري
وفـارَقْـتُ اذ فارَقْتُـكِ الـطـينَ وَحْـدَهُ
وعـادَتْ الى نَفْسـي عُطـوري وأَنْـواري

* * *

الكعبة السمراء

نـائِيَـــةَ القُـطـــوفِ كُـــلُّ نَجْمَـــــةٍ
مِـــنْ شَفَتِـــي دَانِيَـــةُ القُطـــوفِ
ويـا رَبِيـعـاً مِـنْ فُتـونٍ وَهَـوىً
طَـافَ الـرَبِيـعُ بالهَـوى فطـــوفـي
زَارَتْ طُيـــوفٌ مِنْـكِ ثُـمَّ لَـمْ تَعُـدْ
إليْـكِ ، جَفْنِـــي شَـــرَكُ الطُيـــوفِ
وَيـا خُطـوبَ الـدَهْـــرِ لا تُهَـوِّلـــي
رَوَّضَـــكِ الحُـــبُّ فَلَـــنْ تخِيفِـــي
كُـــلُّ لُبانَـاتِـــي طُيـــوفٌ وَرُؤىً
كأنَّهُـــنَّ شَطَحـــاتُ صُـوفِـــي
تَحْمِلُـــنـي غَمـامَـةٌ مَسْحُـــورَةٌ
كالبَـــرْقِ عَبْـــرَ أُفُـــقٍ مَكْشُـــوفِ
خَمْـرِيَّـــةُ الحَـريـــرِ والشَـــذا مَعـــاً
تَعِـــجُّ مِنْ مُنـايَ بالأُلُـــوفِ
تُلَثِّـــمُ الأنْجُـمَ مِـنْ أحْلامِهَـــا
بـالأُرْجُـوانِ العَبِـقِ الشَفِيـــفِ
عَلـى غِنـاءٍ وَرُؤىً وَوَتَـــرٍ
تَـرَنَّحَـــتْ تَرَنُّـــحَ النَـزِيـــفِ[1]

---

(١) النزيف : السكران

وَلا تَتِيــهُ فـي الـدُجـى غَمامَتِـي
شَـوْقِـي دَلِيـلِي والضُـحَـى رَدِيفِـي

أسْـأَلُ عَنْـكِ كَوْكبـاً فَكَوْكبـاً
بِنَـزَقِ المُعَـذَّبِ المَلْهُـوفِ
أَلْفَـرْقَـدانِ أنْـزلاكِ مِنْهُمَـا
عَلى النَـدِيـمِ وَعَلـى الوَصِيـفِ

كَعْبَتِـيَ السَـمْـراءُ قَـدْ لَقِيتُهَـا
بَيْـنَ عَويـلِ الجِـنِّ والعَزِيـفِ
فَلَـنْ تحِـنَّ بَعْـدَهَـا لِوَثَـنٍ
عِبـادَتِـي الـوَهْـى وَلا عُكُوفِـي

أمُـرُّ فِيـهِ وَكأَنِّـي لَـمْ أَكُـنْ
أفْـدِيـهِ بالتَليـدِ والطَرِيـفِ
كَعْبَتِـيَ السَـمْـراءُ أنْـتِ قِبْلَتِـي
عَلى بَلِيـلٍ بالنَـدى وَرِيـفِ

حُسْـنُـكِ لَـمْ يُـؤْلَـفْ ولا أُلُومُـهُ
تَـكَبُّـرَ الحُسْـنُ عَلى المَأْلُـوفِ
تَبَـرَّجَـتْ لَـكِ الشُـفُـوفُ دُهْـماً
يـا مَـنْ رَأى تَبَـرُّجَ الشُـفوفِ

والأَيْـكُ حَـنَّ وانْحَنَـتْ وَسَلَّمَـتْ
غُصُـونُـهُ على القُـدودِ الهِيـفِ

تَحِيَّـــةَ القُـرْبـــى ومـا أَرَقَّهـــا ....
وَحَـنَّـــةَ الأُلُـوفِ لـلأُلُـــــوفِ
طـارَتْ إِلَـيْـــكِ كَبِـدي مَحْمُولَـــةً
عَلـى جَنـــاحِ الـرَجَـــزِ الخَفِيـــفِ
أَلْمُرْقِـــصِ السَـمـــاءَ فـي عُرْسِ الهَـوى
والحُـــورُ يَنْقُـــرْنَ علـى الدُفُـوفِ
النـاثِـــرِ الانْجُـــمَ فـــي فَرْحَتِـــهِ
دراهمـاً نهبـاً علـى الضيـــوف
وضَـــنَّ بالشَـمـــس فَضَمَّ يَـده
حِـرْصـا علـــى دِينـارِهـا المَشُـــوفِ
النَغَـــمُ النـاعِـــمُ فـي اخْتِصـــارِهِ
أَحْلَـــى مِنَ المُطَـــوَّلِ العَنِيـــفِ
وَرَنْـــوَةُ الحَـبِـــيِّ أَلْـــفُ قِصَّـــةٍ
عَـنِ الهَـــوى وَغَمْـــزَةُ العَفِيـــفِ

* * *

نائِبَـــةَ القُطـــوفِ ، كُـــلُّ نَجْمَـــةٍ
مِـــنْ شَفَتِـــي دَانِيَـــةُ القُطـــوفِ
الأُقْحُـــوانُ ثَغْـــرُكِ المُنَـــــدَّى
وَنَحْـــنُ بالعِـطْـــــرِ وبالرَفِيـــــفِ
دَعِـــي النَصِيـــف[1] وَأَطِلّـــي (جَنَّـةً)

(١) النصيف : الخمار ، وهو ما تغطي المرأة به رأسها

هـــل تســـتَـــرُ الجَنَّـــةُ بالنصيـــفِ
شَـــرِبْـــتُ أقـــداريَ فِي مُصَفًّـــى
شَهْـــدِكِ حَتَّـــى سَكِـــرَتْ حتوفِـــي
تَسْـــأَلُ كُـــلُّ أَيْكَـــةٍ جَارَتَهـــا
عَـــنْ قَدِّكِ المهَفْهَـــفِ النَحِيـــفِ
تَـــمَّ رَشِيـــقـــاً أَمْلَـــداً وَلَقِيَـــتْ
مِنْـــهُ الفُضـــولُ نَظْـــرَةَ العَيُـــوفِ
قَـــدُّكِ والضَـــمِيـــرُ مِـــنْ سَجِيَّـــةٍ
بُـــورِكَ بالـــرَهِيـــفِ والرهِيـــفِ
والنـــاهِـــدانِ وَثْبَـــا كَرَصَّـــدٍ
عَلَـــى الـــكُنُـــوزِ الحَـــالِـــاتِ يُوفِـــي
تَحَـــالَفَـــا تَصَـــوُّنـــاً وَعِـــزَّةً
وامْتَنَـــعَ الحَلِيـــفُ بالحَلِيـــفِ
مُضَـــمَّخَـــانِ خَمْـــرَةً وَشَهَـــداً
أهكَـــذا يُصْـــمَـــدُ للزُحُـــوفِ
أذْكـــي بِقَلْـــبـــي إنْ خَبَـــا لَهِيبُـــهُ
جَمْـــرَ الغَضَـــا أَوْ دَمْعَـــةَ اللَّهِيـــفِ
هَـــلْ يَسْمَـــحُ الضُحَـــى بِبَعْـــضِ ظِلِّـــهِ
قَـــدْ طَـــالَ فـي هَجِيـــرِهِ وُقُوفِـــي
أَحْمِـــلُ فـي مَجَـــامِـــرِي بَخُورَهَـــا
هَـــدِيَّـــةَ المُشَـــرَّدِ الضَعِيـــفِ

وَلُبْنـــاً مِـــنْ فِضَّـــةٍ وَلُبْنـــاً
مِـــنْ ذَهَـــبٍ لِقَصْـــرِكِ المُنِيـــفِ
تَعَـطَّـــرِي فَهـــذِهِ صَبابَتِـــي
واكْتَحِلِـــي فَهَـــذِهِ حُروفـــي

* * *

١٩٦٢/١٢/٨

العـذراء الخائنـة

أَحْبَبْتُهَـــا سَـاخِـرَةً كالـــرُؤَى
مُبْهَمَـةً غَامِضَـةً كالظُنـونْ
مَجْنُـونَـةً والحُسْنُ لَـمْ تَكْتَمِـلْ
فِتْنَتُـهُ إلاَّ بِبَعْـضِ الجُنُـونْ
طَرُوبَـةً ضَحَّـاكَـةً كالصِّبَـا
كَئِيبَـةً قَـاتِمَـةً كالمَنُـونْ
اليَـأْسُ فِـي أَجْفَـانِهـا والمُنَـى
والضِـحْـكُ فِـي أَلْحَـانِهَـا والأَنِيـنْ
وَخِفَّـةُ الأَيَّـام فِـي ثَغْـرِهَـا
لَـكِـنْ بِعَيْنَيْهَـا وَقَـارُ السِنِيـنْ
قَـدْ مَـزَّقَ الفَجْـرُ وَلَـمْ تَثْنِـهِ
شَفَـاعَـةُ الحُـبِّ وَنَجْـوى الفُتـونْ
غُلالَـةً شَفَّـافَـةً عَذْبَـةً
عَلـى لَـاهَـا مِنْ رُؤَى الحَالِمِيـنْ
تُثِيـرُ فِـي قَلْبِـي شُكُـوكَ الهَـوى
لاذِعَـةً ثُـمَّ تُرِيـدُ اليَقِيـــنْ
هَيْهَـاتَ قَلْبِـي قَـدْ غَـدَا كافِـراً
وَكانَ فِيهـا أَوَّلَ المُؤْمِنِيـنْ
يـا صُـورَةً أَبْـدَعَ تَكْوِينَهـا
فِـي مَطْلِـعِ الفَجْـرِ إلَـهُ الفُنـونْ

وَنَغْمَـةً مِـنْ بَعْـضِ أَلْحَانِهَـا
هَمْـسُ اللَّيَـالِي وارْتِعَاشُ الغُصُـونْ
وَنَفْحَـةً لِلَّـهِ عِـطْرِيَّـةً
نَـدِيَّـةً حَيَّـا بِهَـا البَـائِسِيـنْ
وَزَهْـرَةً أَخْشَـى عَلى حُسْنِهَـا
مِـنْ خَطْـرَةِ الفِـكْـرِ وَنَجْـوَى العُيـونْ
لاَ تَخْـدَعِينِـي إِنَّنِـي عَـالِـمٌ
بِمَـا تُبِينِيـنَ ومـا تَكْتُمِيـنْ
أَرَى عَلى خَـدَّيْـكِ فِيمـا أَرَى
بِـأَلْـفِ لَـوْنٍ قُبَـلَ العَاشِقِيـن
مِـنْ قُبْـلَـةٍ خَـائِنَـةٍ مُـرَّةٍ
وَقُبْلَـةٍ وادِعَـةٍ فِـي الجَبِيـنْ
وَقُبْلَـةٍ حَمْـرَاءَ مِثـل اللَّظَـى
وَقُبْلَـةٍ بَيْضَـاءَ مِثل اليَقِيـنْ
تَأْبَيْـنَ إِلاَّ مَحْـوَ آيَـاتِهَـا
وَهُـنَّ يـا لَيْـلايَ لاَ يَمَّحِيـنْ

* * *

لا تُنْـكِـرِي حُبَّـكِ لِـي إِنَّنِـي
أَسْتَشْـهِـدُ الـرَّيْحَـانَ واليَـاسَمِيـنْ
والنَهْـرَ إِذْ تَنْـظُـرُ أَمْـواجُـهُ
لا أَسْـتَحِـي مِنْهـا ولا تَخْجَلِيـنْ

والأَيْكَـــةَ الخَضْـــراءَ إذْ أَبْـصَـــرَتْ
تَبَـذُّلَ الحُسْـنِ الشَـهِـيِّ المَصُـــونْ
وَأَنَّـةً بُحْـتِ بِهِـــا للدُجَـى
فَعَـطَّـرَ اللَّيْـلَ عَبِيـرُ الأَنِيـنْ
دَامِـيَةً مُـــوجَعَـــةً وَقَّعَـتْ
أَلْحَـانَهَـا يُمْنَـى الـرَجِيـمِ اللَّعِيـنْ
سَأَسْـكُـبُ الـدَمْعَـةَ فِيهِـا الأَسَـى
والشِـعْـرُ والحُـبُّ الشَـجِـيُّ الحَزِيـنْ
لَعَلَّنِـي يَشْـفَـعُ بِـي عِنْدَهَـا
هَـذا الهَـوى البَـاكِي وَهَـذا الحَنِيـنْ
صُـورَةً أَبْدَعَ تَكْوِينَهَـا
فِـي مَطْلِـعِ الفَجْـرِ إِلـهُ الفُنـونْ

يـا جارتـي

يَـــا وَرْدَتِـي أيـنَ الشَـذَى والنَّـــدَى
يـا كَبِـدِي أيْـنَ الـهَـوَى والحَنِيـــنْ
يـا رُوحِـيَ الثَـكْلَـى أَلَمْ تَـأْخُـذِي
عَـنْ رَبَّـةِ الأَلْحَـانِ غَيْـرَ الأَنِيـنْ
يـا أُمَّ أَحْـلامِـي وأُمَّ المُنَـى
فِـي فَجْـرِهَـا أَيْـنَ قَبَرْتِ البَنِيـــنْ
لَمَحْتُ فِـي كَأْسِـي وَقَـدْ شَعْشَعَـــتْ
طَيْـفَ الأَمـانِـي والهَـوى والسِنِيـنْ
وَذِكْرَيَـاتِـي وَهْـيَ عُـرْيانَـةٌ
تَبْـدُو وَتَخْفَـى بَيْـنَ حِيـنٍ وَحِيـنْ
وَتِلْـكَ حَسْـنَـاءُ بِلَـوْنِ الضُحَـــى
وَتِلْـكَ شَوْهَـاءُ بِلَـوْنِ الدُجُـــونْ
يَقْفِـزْنَ فِـي كَأْسِـي فَـلاَ أَنْثَنِـي
عَـنْ خَمْـرَةِ الـكَـأْسِ وَلاَ يَنْثَنِيـــنْ
هَـذا جُنـونُ النَفْـسِ فِـي سُكْرِهَـا
والعَقْـلُ مِـنْ خُـدَّامِ هَـذا الجُنـونْ

***

جَـارَتِـيَ الحَسْـنَـاءُ ثَرْثَـارَةٌ
سَكْـرى الهَـوى نَشْـوى الصِـبَـى والفُتـونْ

رَأَيْتُ مِنْ أَحْزانِها ما اخْتَفَى
وَدَقَّ حَتَّى ما تَراهُ الظُنونْ
كُلُّ الأَسَى الصَاخِبِ يا جَارَتي
فِدَاءُ حُزْنٍ صَامِتٍ فَي العُيونْ
هَاتِي مِنَ الأَحْزَانِ ما شِئْتِهِ
لا يَفْهَمُ الأَحْزانَ غَيْرُ الحَزِينْ
يا جَارَتي الحَسْنَاءَ هَلْ تَعْلَمِينْ
يا جَارَتي لَيْتَكِ لا تَعْلَمِينْ

(فطال عليك الليل)

أُحِبُّـكِ حُبّـاً لا تَطوفُ بِهِ المُنَـى
عـرائِـسَ في حَلْـيِ المِـلاحِ العَـرائِـسِ
أُحِبُّـكِ عَـنْ يأسٍ وما حُـبُّ آمِـلٍ
بِـأَقْـرَبَ في نَجْـواهُ مِـنْ حُـبِّ يَائِـسِ
وَأَهْمِـسُ في سَمْـعِ النَسيـمِ رِسالـةً
فَهَـلْ دَغْـدَغَـتْ نَهْـدَيْـكِ مِنْ ثَغْـرِ هَامِسِ
رُوَيْدَكِ تَهْفُـو بي إلى الـكَـأْسِ خَطْـرَةٌ
مِـنَ الـذِكْـرِ مَـرَّتْ فـي خَيالاتِ هَاجِـسِ
تُعِيـدُ لِعَيْنـي كُـلَّ مَـا فَاتَ وانْطَـوى
وَتَـرْفَـعُ مِنْ بَالـي الـطُلُـولِ الدَوارِسِ
فَأَلْمَـحُ فـي الـذِكْـرى غَدِيراً تَرِفُّـهُ
مَـعَ البَـدْرِ أَثْـداءُ الـظِبـاءِ الأَوانِـسِ
وَنَهْـراً تَعَـرَّى البَـدْرُ فيـهِ كَرامـةً
لِبَعْـضِ القُـدودِ العَـاريـاتِ المَوائِـسِ
وأَلْمَـحُ فـي الـذِكْرى جُنُـونـاً وَسَـوْرَةً
مِـنَ الحُـبِّ فـي تِلْكَ الجُفـونِ النَواعِـسِ
فَيـالَـكَ كَنْـزاً راحَ يَسْـخَـرُ رَبُّـهُ
فَمَتَّـعَ مِنْ لأْلاَئِـهِ عَـيْنَ بَائِـسِ

* * *

لَقَـدْ خُنْـتِ حَتَّـى لاَ يَغـارُ أَخُـو هَـوىً
أَحَبَّـكِ مِنْ وَجْـدٍ طَرِيـفٍ مُلابِـسِ
فَفِـي كُلِّ غَـضٌّ مِنْـكِ آثـارُ قاطِـفٍ
وفِي كُـلِّ بَـضٌّ مِنْـكِ آثـارُ لامِـسِ
فَطـالَ عَلَيْـكِ الليلُ تَأْوِي مـع الدُجَـى
بِجَفْنَيْـكِ أَشْـبـاحُ الـرؤى والهَـواجِسِ

* * *

شقـراء

هَذْهِـدْ هُمومَـكَ عِنْـدِي
عَلـى حَيَـائِـي وَصَـدِّي
حُـورُ النَعِيـمِ تَمَنَّـتْ
نُعْمَـى هَـوايَ وَوَجْـدِي
هَـلْ عِنْـدَهُـنَّ رَحِيقِـي
وَهَـلْ لَدَيْهِـنَّ شَهْـدِي
يَـا سَـاكِـبَ الشِعْـرِ خَمْـراً
مِـنْ شِعْـرِ رَبِّـك خَـدِّي
وَمِـنْ مَعَـانِيـهِ عِطْـرِي
وَمِـنْ قَوَافِيـهِ وَرْدِي
تَأَنَّـقَ اللَّـهُ دَهْـراً
يُعِيـدُ فِـيَّ وَيُبْـدِي
حَتَّـى جَـلانِـيَ شِعْـراً
يَـا حَسْـرَةَ الشِعْـرِ بَعْـدِي !
خَيَـالُـهُ السَـمْـحُ نَـدَّى
ثَغْـرِي وَثَمَّـم عِقْـدِي
وَقَلْبُـهُ كَـانَ كَـأْسِـي
وَجَفْنُـهُ كَـانَ مَهْـدِي
وَالأَنْجُـمُ الـزُهْـرُ حَـوْلِـي
دُمَـىً لِلَهْـوِي وَعَـدِّي

فَغَـــارَتِ الحُـــورُ مِـــنِّـــي
وَكُـــلُّ زَهْـــوٍ وَمَجْـــدِ
وَهُـــبَّ فِـــي رَوْضِ عَـــدْنٍ
عَلَـــيَّ عَـــاصِـــفُ حِقْـــدِ
فَكَـــانَ لِلَّـــهِ حُكْـــمٌ
لِشَقْـوَتِـــي بَـــلْ لِسَعْـــدِي
واخْتَـــارَ بُعْـــدِيَ عَنْـــهُ
وَرَاحَ يَبْكِـــي لِبُعْـــدِي

* * *

دُنْيَـــايَ أَحْلَـــى وأَغْـلَـــى
مِـــنْ أَلْـــفِ جَنَّـــةِ خُلْـــدِ
أَنَـــا الـرَبِيـــعُ المُنَـــدَّى
قَـارُورَةُ العِطْـرِ نَهْـدِي
يَهِـيـمُ حُسْـنِـي بِحُسْنِـي
وَيَجْتَلِـــي وَيُفَـــدِّي
وَجُـــنَّ ثَغْـــرِي بِرِيـــقِـــي
وَحَـــنَّ جِيـــدِي لِزَنْـــدِي
وَكُـــلُّ وَشْـــيٍ حَـــرِيـــرٍ
يَـــوَدُّ لَـــوْ لَـــفَّ قَـــدِّي
وَكُـــلُّ عِطْـــرٍ تَشَهَّـــى
أَنْ أَسْفَـــحَ العِطْـــرَ وَحْـــدِي

شَقْـراءُ تَـحْلُـمُ شَمْـسُ الـ
ضُـحَـى بِخَـدِّي وَبُـرْدِي
رَفَّـتْ خُصَيْـلاتُ شَعْـرِي
بأشْقَـرِ النُـورِ جَـعْـدِ
سَكُـرانِ تِيـهٍ وَدَلٌ ....
مَخْمُـورِ وَهْـجٍ وَوَقْـدِ
يَا شَـاكِيَـاً زُوْرَ وَعْـدِي
أَحْلَـى مِـنَ الـوَصْـلِ وَعْـدِي
هِيَـامُنَـا يـا حَبِيبِـي
طُيُـوبُ خَمْـرٍ وَنَـدِّ
أُرِيـدُ طَيْفَـاً لِجفْنِـي
أُرِيـدُ حُلْمَـاً لِسُهْـدِي
كُـلُّ المُحِبِّيـنَ مُلْكِـي
وَأَنْـتَ وَحْـدَكَ نِـدِّي
وَكبْـرِيَـاءُ جَـمَـالِـي
تُـرِيـدُ مِنْـكَ التَحَـدِّي

* * *

شَقْـراءُ يـا لَـوْنَ حُسْـنٍ
مُحَبَّـبٍ مُسْتَبِـدِّ
وَيَـا جَمَـالاً غَـرِيبَـاً
عَلَـى ظِبَـاءِ مَعَـدِّ

لاَ وَسْمُ لَيْلايَ فِيهِ
وَلاَ مَلامِحُ هِنْدِي

وَلاَ اسْمِرارُ الغَريراتِ
بالعَقِيقِ وَنَجْدِ

ظَمْآنُ أَنْشُدُ وِرْداً
وَعِنْدَ عَيْنَيْكِ وِرْدِي

يا سَكْرَةً بَعْدَ صَحْوي
وَفِتْنَةً بَعْدَ رُشْدِي

يا رَغْبَةَ العَيْنِ والقَلْبِ
بَعْدَ يَأْسٍ وَزُهْدِ

بَيْنِي وَبَيْنَكِ حَرْبٌ
وَهَوْلُ أَخْذٍ وَرَدِّ

صِراعُ رُوحَيْنِ فِيهِ
عُنْفُ العَدُوِّ الأَلَدِّ

وَغَزْوُ قَلْبٍ لِقَلْبٍ
فَتْحٌ يُبِيدُ وَيُرْدِي

فَنَاءُ دُنْيَا بِدُنْيَا
وَطَيُّ بَنْدٍ بِبَنْدِ

الحُبُّ لا حُكْمُ شُورىَ
لَكِنَّهُ حُكْمُ فَرْدِ

فَهَيِّئِي فِتْنَةَ الحُسْنِ
كُلَّهَا واسْتَعِدِّي

جنيف (١٩٥٤/٥/١٢)

امَّـــا الشبـاب

أمَّـا الشَـبـابُ فَرُبَّمَـا نادَمْتُـهُ
رَيَّانَ مِـنْ حُبِّـي وَمِـنْ عَبَراتِـي
صَـاحَبْتُـهُ عِشْرِيـنَ أُذْنِـبُ فِـي الهَـوَى
دَلاً وَتَغْتَفِـرُ المِـلاحُ هَنَاتِـي
قَصُـرَتْ لَيَـالِيـهِ وَكُـلُّ قَصِيـرَةٍ
فِي الطَّيِّبَـاتِ عَرِيضَـةُ اللَّـذَّاتِ
فِـي ذِمَّـةِ الخَـدَقِ المِـراضِ عُهُـودُهُ
سَـكْـرَى المُنَـى قُـدسيَّـةَ النَّفَحَـاتِ
أَصْـبَحْـتُ لاَ لُعْـسُ الشِـفَـاهِ كَعَهْـدِهَـا
كَـأْسِي ولاَ حَدَقُ المَهـا مِرْآتِـي

* * *

يَـا مَـنْ يُلِـحُّ هَـوايَ فِـي اسْتِعْطَافِهـا
وَتُلِـحُّ فِـي ظُلْمِـي وَفِـي إِعْنَاتِـي
أَنْـكَرْتنـي بَعْـدَ الشَـبـابِ ومـا خَبَـسْتْ
نَـارٌ على شَفَتَيْـكِ مِـنْ قُبُلاتِـي
أَيَّـامَ أَرْشُـفُ مِـنْ لَمَاكِ سُـلافَتِـي
وَأَعُـلُّ مِـنْ آهـاتِـكِ العَطِـراتِ

وَأَمُـدُّ أَشْـراكَ الغَـوايـةِ والهَـوى
لأُثِيـرَ فِيـكِ كَـوامِـنَ الشَهَـواتِ
فَتَثُـورُ وَهْـيَ عَنِيفَـةٌ صَخَّـابَةٌ
هَـوْجَـاءُ بَعْدَ رَوِيَّـةٍ وأَنَـاةِ
هَيْهَـاتَ يُرْجِعُهَـا إِلـى اطْمِئْنَانِهَـا
إِلاَّ هَـوَىً شَـرِسُ الشَـمَـائِلِ عَـاتِ
وَحَلَفْـتُ ثَغْـرُكِ مـا تَقَبَّـلَ رَشْفَـةً
مِـنْ عابِـدِيكِ أَحَـبَّ مِـنْ رَشَفَـاتِي
وَنَعَـمْ تَنَكَّـرَ لِـي الشَـبـابُ وَفَاتَنِـي
مَـا فَـاتَ مِـنْ أَيَّـامِـهِ النَضِـرَاتِ
فَتَقَبَّلِـي ذِكْـرَى هَـوايَ بَقِـيَّـةً
مِنْـهُ تَـرِفُّ لَمَاكِ فِـي نَغَمَـاتِي

انني قدمت روحي في الضحايا

يـا صَبـايَـا طـالَ عَهْـدِي بالهَـوى
أوَ تَرْضَـيْنَ بِهَـذا يا صَبايَـا
إنَّ فـي قَلْبِـي زَوَايـا لِلْمُنَـى
هَـلْ يَثُـورُ الحُـبُّ مِنْ تِلْـكَ الزَوَايـا
أرْجِعِـي كَـأسِـيَ يا فاتِنَتِـي
إنَّ فـي كَأسِـي مِـنَ الخَمْـرِ بَقَايا
رَقَـدَتْ رُوحِـي علـى أُغْنِيَّـةٍ
لِخَيَـالاتِ الأمـانـي والمَنايَـا
فَتَـلاشَـتْ مَـعْ صَـدَى أُنْشـودَةٍ
فَـرِغَـتْ مِنْهـا إلاهـاتُ الخَطَايـا
يـا إلهـاتِ الهَـوى لا تَغْضَبِـي
إنَّنـي قَدَّمْـتُ رُوحِـي فـي الضَحايا

* * *

المعبد المسحور

أيُّها الضَّاحِكُ الطَّروبُ ألا تأسَى
لِهذِي الدُموعِ في عَيْنَيَّا
أنا أبْكِي وكَرَّمَ اللهُ والحُسْنُ
عَنِ الدَمْعِ خَدَّكَ الوَرْدِيَّا
شَوَّهَ العَاذِلُونَ عِنْدَكَ حُبِّي
لا عَلَيْهِمْ فَعَارُ حُبِّي عَلَيَّا
قَسَمُوهُ بَيْنَ البَراءَةِ والإثْمِ
وَوَحَّدْتُهُ أثِيماً بَرِيَّا

* * *

يا حَبِيبي دَعْنِي أُقَبِّلُ خَدَّيْكَ
وأشْتَفُّ ثَغْرَكَ اللُؤْلُؤِيَّا
وَتَبَذَّلْ للحُبِّ سُكْراً وعُرْياً
جَسَداً فاتِنا ورُوحاً غَوِيَّا
أهَوى جَنَّةٌ بِقَلْبِيَ والشَهْوَةُ
نارٌ حَمْراءُ في شَفَتَيَّا

* * *

مِهْرَجَانٌ لِتَعَةِ الجِسْمِ حَالٍ
يَرْحَمُ اللهُ حُبَّنا العُذْرِيَّا

* * *

طافَ بِي طائِفٌ مِنَ المَعْبَدِ المَسْحورِ
يَدْعو فقالَتِ النَفْسُ هَيَّا

يا حَبِيبي وسِحْرُ عَيْنَيْكَ يُغْنِيني
أشاهَدْتَ سِحْرَهُ البَابِلِيَّا

مَعْبَدٌ للهَوى الأَثِيمِ بَيْنَنا
الفَجْرَ فيهِ والمَشْرِقَ الذَهَبِيَّا

وأَقَمْنا على الكَهانَةِ فِيهِ
والعِبَادَاتِ شَاعِراً عَبْقَرِيَّا

يَتَغَنَّى سَكْرانَ بَيْنَ عَوارٍ
رَضِيَتْ عُرْيَها كِساً وحُلِيَّا

وإذا يَشْتَهي الأَغانِيَّ يَسْمَعْ
مَعْبَداً والغَرِيضَ والمَوْصِلِيَّا

وإذا حَنَّ للكَرى فَذِراعانِ
وَنَهْدانِ وابْتِسامٌ وَرِيَّا

حالِمٌ فالزَمانُ يَرْقُبُ أَمْرِي
والمُنَى الحالِياتُ طَوْعُ يَدَيَّا

والرُؤى عالَمٌ خَفِيٌّ أَراهُ
عالَماً ضاحِكَ السَنا مَرْئِيَّا

مَرَّ في مُجْدِبِ الحَياةِ خَيالي
فَجَرى نَفْحَةً وماءً وَفَيَّا

صَـوَّرَتْ قُـدْرَةُ الخَيـالِ مِنَ العَسْـجَدِ
والنـورِ كـأُسِـيَ الخَـزَفِيَّـا
رُبَّ حُلْـمٍ تَنـاقَلَتْـهُ اللَّيـالِـي
والخَيـالاتُ فاسْـتحـالَ نَبِيًّـا

* * *

الكنز المقدس

بِثَغْـرِكِ مِـنْ ذِكْـرَى شَبَـابِـي صَحِيـفَةٌ
مُـطَـرَّزَةٌ بالحُـبِّ والأمَـلِ السامِـي
وَفِـي لَحْظِكِ السَّاجِي مِنَ الشِعْـرِ والهَـوى
تَـرَكْتُ خَيَالاَتِـي وسُـكْرِي وأحْـلاَمِـي
وَلِي قُبُـلاَتٌ بَيْـنَ نَهْـدَيْكِ أوْدَعَـتْ
شَبَـابِـي وآمَـالِـي العِـذَابَ وَآلامِـي
فَلاَ يَمْتَهِـنْ نَهْـدَاكِ كَنْـزاً مُقَـدَّسَـاً
خَبَـأْتُ بِـهِ رُوحِي وَبَهْجَـةَ أيَّـامِـي
خُـذُوا فاغْسِـلُـوا يـا آثِمِيـنَ ذُنوبَكُـمْ
أَلَـمْ يَجْرِ دَمْـعُ اللَّـهِ مِـنْ قَلْبِـيَ الـدَامِـي

الحب والله

تَأَنَّــقَ الــدَوْحُ يُــرْضِــي بُلْبُــلاً غَــرِداً
مِــنْ جَنَّــةِ اللــهِ قَلْبَــانَــا جَناحَــاهُ
يَطِيــرُ ما انْسَــجَمــا حَتَّى إذَا اخْتَلَفــا
هَــوَى . وَلَــمْ تُغْــنِ عَــنْ يُسْــرَاهُ يُمْنَــاهُ
أَلْخَــافِقــانِ مَعــاً فالنَجْــمُ أَيْكُهُمَــا
وَسِــدْرَةُ الْمُنْتَهَــى والحُــبُّ : أَشْبَــاهُ
أَسْــمَى العِبــادَةِ رَبٌّ لِــي يُعَذِّبُنِــي
بِــلا رَجــاءٍ وَأَرْضَــاهُ وأَهْــــواهُ
وَأَيْــنَ مِــنْ ذِلَّــةِ الشَــكْــوَى وَنَشْوَتِهَــا
عِنْــدَ الْمُحِبِّيــنَ عِــزُّ الْمُلْــكِ والجَــاهُ
تَقَسَّــمَ النــاسُ دُنْياهُــمْ وَفِتْنَتَهــــا
وَقَــدْ تَفَــرَّدَ مَــنْ يَهْــوَى بِدُنْيَــاهُ
ما فَارق الــرِيُّ قَلْبــاً أَنْــتِ جُدْوَتُــهُ
ولا النَعِيــــمُ مُحِبّــاً أَنْــتِ بَلْــوَاهُ
غَمَــرْتِ قَلْبــي بِأَسْــرارٍ مُعَطَّــرَةٍ
والحُــبُّ أَمْلَــكُــهُ للــرُوحِ أَخْفَــــاهُ
ومــا امْتَحَنْــتُ خَفــايَــاهُ لأَجْلُوَهَــا
ولا تَمَنَّيْــــتُ أَنْ تُجْلَــى خَفايَــاهُ

الخَـافِقَـانِ ـ وَفَـوْقَ العَقْـلِ سِـرُّهُمَـا
كِلاَهُمَـا للغُيُـوبِ : الحُـبُّ واللـهُ

كِـلاهُمَـا انْسَـكَبَـتْ فيـه سرائِـرُنَـا
ومـا شهـدنـاهُ لكنَّـا عبـدنـاهُ

أرخصـتُ للـدمـع جفنـي ثم باكـرَهُ
فـي هَـدْأةِ الفَجْـرِ طَيْـفٌ مِنْـكِ أغْـلاهُ

وَأسْـكَرَتْنِـي دُمُـوعـي بَعْـدَ زَوْرَتِـهِ
أطَيْـفُ ثَغْـرِكِ سَاقَـاهـا حُمَيَّـاهُ

طَيْـفٌ لِشَقْـراءَ كَـاسٍ مِنْ مَتارِفِـهِ
لَـوْ لَمْ أصُـنْـهُ طَغَـى وَجْـدِي فعرَّاهُ

حُمْنَـا مَعَ العِـطْـرِ وُرَّاداً على شَفَـةٍ
فَلَـمْ نَغَـرْ مِنْـهُ لَكِنَّـا أغَرْنَـاهُ

تَهَـدَّلَـتْ بالجَنَـى المَعْسُـولِ واكْتَنَزَتْ
والثَغْـرُ أمْلَـوُّهُ للثَـغْـرِ أشْهَـاهُ

نَعُـبُّ مِنْـهُ بِلا رِفْـقٍ وَيُظْمِؤُنَـا
فَنَحْـنُ أصْـدَى إلَيْـهِ ما ارْتَشَفْنَـاهُ

فِـي مُقْلَتَيـكِ سمـاواتٌ يُهَدْهِدُهَـا
مِـنْ أشْـقَـرِ النُـورِ أصْـفـاهُ وَأحـلاهُ

وَرَنـوةٌ لَـكِ رَاحَ النَجْـمُ يَرْشُفُهَـا
حَتَّـى تَرَنَّـحَ سُكْـرٌ فـي مُحَيَّـاهُ

أَطَلَّ خَلْفَ الجُفُونِ الوُطْفِ مَوْطِنُهُ
بَعْدَ الفِراقِ فَحَيَّاهُ وَفَدَّاهُ

يَضِيعُ عَنِّي وَسِيمٌ مِنْ كَواكِبِهَا
فَحِينَ أَرْنُو إِلَى عَيْنَيْكِ أَلْقَاهُ
قَلْبِي وللشُفْرَةِ المِغْنَاجِ ـ لَهْفَتُهُ
لَيْتَ الحَنِينَ الذي أَضْنَاهُ أَفْنَاهُ

تُضَفِّرُ الحُورُ غاراً مِنْ مَواجِعِهِ
وَتَسْتَعِيرُ رُوءَاهَا مِنْ خَطايَاهُ
أَغْفَيْنَ فِيهِ لَماماً ثُمَّ عُدْنَ إِلَى
جَنَّاتِهِنَّ وَقَدْ لَلْمَنَ رَيَّاهُ

يَسْأَلْنَ باللَّهْفَةِ الغَيْرى عَلَى خَجَلٍ :
مَنْ فَجَّرَ العِطْرَ مِنْهُ حِينَ أَدْمَاهُ ؟
لَمْ تَعْرِفِ الحُورُ أَشْهَى مِنْ سُلافَتِنَا
رَفَّ الهجيرُ نَدىً لَّما سَقَيْنَاهُ

مُدَلَّهٌ فِيكِ ، ما فَجْرٌ وَنَجْمَتُهُ !
مُوَلَّهٌ فِيكِ ، ما قَيْسٌ وَلَيْلاَهُ !
مَنْ كَانَ يَسْكُبُ عَيْنَيْهِ وَنُورَهُمَا
لِتَسْتَحِمَّ رُوءاكِ الشُقْرَ لَوْلاهُ

سَما بِحُسْنِكِ عَنْ شَكْواهُ تَكْرِمَةً
وَراحَ يَسْمُو عَنِ الدُنْيَا بِشَكْواهُ

يُرِيـدُ بِدْعـاً مِـنَ الأَحْـزانِ مُؤْتَلِقـاً
وَمِـنْ شَقَـاءِ الهَـوى يَخْتَـارُ أَقْسَـاهُ
سَكَبْـتِ قَلْبَـكِ فـي وِجْـدَانِـهِ فَـرَأَتْ
يـا عَـزَّ ماشِئْـتِ لا ماشَـاءَ عَيْنَـاهُ
أَنْـتِ السَـرابُ عَـذابٌ وَقْـدُهُ وَرَدىً
وَتُـؤْنِـسُ العَيْـنَ أَفْيـاءٌ وأَمْـوَاهُ

اتسألين عن الخمسين ؟

أَتَسْـأَلِيـنَ عَـنِ الخَمْسِيـنَ مـا فَعَلَتْ
يَبْلَـى الشَـبـابُ ولا تَبْلَـى سَجـايَـاهُ
فـي القَلْـبِ كَنْـزُ شَبـابٍ لا تَفـادَ لَهُ
يُعطِـــي وَيَـزْدَادُ ما ازْدَادَتْ عَطايَاهُ
فَمـا انْطَـوى وَاحِـدٌ مِنْ زَهْـوِ صَبْوَتِهِ
إلاَّ تَفَجَّـرَ أَلْـفٌ فـي حَنـايَـاهُ
هَـلْ فـي زَوايَاهُ مِـنْ راحِ الصِبَـا عَبَقٌ
كُـلُّ الـرَحِيـقِ المُنَـدَّى فـي زَوايَـاهُ
يَبْقَـى الشَـبـابُ نَـدِيّـاً فـي شَمَائِلِـهِ
فَلَـمْ يَشِـبْ قَلْبُـهُ إنْ شَـابَ فَـوْدَاهُ
تَـزَيَّـنَ الـوَرْدُ أَلْـوانـاً لِيَفْتِنَنَـا
أَيَخْلِـفُ الـوَرْدُ أَنَّـا مـا فَتَنَّـاهُ
صـادِي الجَـوانِـحِ فـي مَطْلُـولِ أَيْكَتِـهِ
فَمـا ارْتَـوى بالنَـدى حَتَّـى قَطَفْنَـاهُ
هَـذا السُـلافُ أدامَ اللـهُ سَكْـرَتَهُ
مِـنَ الشِـفـاهِ البَخِيـلاتِ اعْتَصَرْنَـاهُ
جَـلَّ الـذِي خَلَـقَ الـدُنْيـا وَزَيَّنَهَـا
بالشِـعْـرِ أَصْـفَـى المُصَـفَّـى منْ مَزايَـاهُ

نَحْـنُ الـذَيـنَ اصْطَفَـانـا منْ أحِبَّتِـهِ
فَلَـوْ تُـدارُ الـطِلَـى كُنَّـا نَـدامَـاهُ
وَشَـرَّفَ الشِـعْـرَ لَمَّـا صَاغَـهُ تَـرَفاً
فَـكُنْـتِ نَغْمَتَـهُ النَشْـوى وَمَعْنَـاهُ
وراح يُنْشِـــدُنَـا عَصْـمَـاءَهُ شَفَـةً
وَمُقْـلَـةً وَجُنَّـا فاسْتَعَـدْنَـاهُ

* * *

رُوحِـي فِـدى وَثَـنٍ مـا كَـانَ أفْقَـرنَـا
إلَيْـهِ فـي عِـزَّةِ النُعْمَـى وأغْنَـاهُ
إنْ كَـانَ يَـذْكُرُ أوْيَنْسَـى فَلا سَلِمَـتْ
عَيْنِـي ولا كَبِـدِي إنْ كُنْـتُ أنْسَاهُ
يـا مَنْ سَقَـانَـا كُـؤوسَ الهَجْـرِ مُتْـرَعَةً
بَـكَـى بِسَـاطُ الهَـوى لمـا طَوَيْنَـاهُ

* * *

اللهب القدسي

يُحِبُّ قَلْبِي خَبايَاهُ وَيَعْبُدُهـا
إِذَا تَبَرَّأَ قَلْبٌ مِنْ خَبايَاهُ
طُفُولَةُ الرُوحِ أَغْلى ما أُدِلُّ بِهِ
والحُبُّ أَعْنَفُهُ عِنْدِي وَأَوْفَاهُ
قَلْبِي الذي لَوَّنَ الدُنْيا بِجُذْوَتِهِ
أَحْلى مِنَ النُورِ نُعْمَاهُ وَبُؤْسَاهُ
غِرٌّ وَأَرْفَعُ ما فِيهِ غَرارَتُهُ
وأَنْذَلُ الحُبِّ ـ جَلَّ الحُبُّ ـ أَدْهَاهُ
ما الحُسْنُ إِلاَّ لُبانَاتٌ مُنَمَّقَةٌ
لَكِنْ يُؤَلِّهُهُ أَنَّا عَشِقْنَاهُ
لَمْ يُرْدِهِ أَلْفُ جُرْحٍ مِنْ فَواجِعِهِ
حَتَّى أُصِيبَ بِسَهْمٍ مِنْكِ أَرْدَاهُ

* * *

آمَنْتُ بِاللَّهَبِ القُدْسِيِّ مُضْرِمُهُ
أَذْكى الأُلُوهَةِ فِينا حِينَ أَذْكَاهُ
تُزَيِّنُ الرُوحُ قُرْباناً لِفِتْنَتِهِ
وَقَدْ يَضِنُّ فَتُسْتَجْدَى مَنَايَاهُ

وَلَوْ أَقامَ الضَحايَا مِنْ مَصارِعِهَا
لآثَرَتْ مَوْتَهَا فِيهِ ضَحايَاهُ

أَلعَبْقَرِيَّاتُ وَهْجٌ مِنْ لَوافِحِهِ
والشَمْسُ مَجْلُوَّةً إِحْدَى هَدايَاهُ

وتائِهِينَ بِهَدْيٍ مِنْ عُقُولِهِمُ
لَوْ يَمَّمُوا اللَّهَبَ القُدْسِيَّ ما تَاهُوا

ما رَاعَنا الدَهْرُ بالبَلْوَى وَغَمْرَتِهَا
لَكِنَّنَا بالإباءِ المُرِّ رُعْنَاهُ

إِنْ نَحْمِلِ الحُزْنَ لا شَكْوَى ولا مَلَلٌ
غَدْرُ الأَحِبَّةِ حُزْنٌ ما احْتَمَلْنَاهُ

وَما رَعانا على عَصْفِ الخُطوبِ بِنَا
هَوى حَبِيبٍ رَعَيْنَاهُ وَنَرْعَاهُ

لَيْتَ الذينَ وَهَبْنَاهُمْ سَرائِرَنا
في زَحْمَةِ الخَطْبِ أَغْلَوا ما وَهَبْنَاهُ

وَلا وَفاءَ لِقَلْبٍ حِينَ نُؤْثِرُهُ
حتى تكونَ رَزَايانا رَزَايَاهُ

أَشامِتُ عِنْدَ جُلاَّنا وما نَزَلَتْ
إلاَّ على الحُبِّ والإيثارِ جُلاَّهُ

هَانٍ وَمِحْنَتِيَ العَصْماءُ دامِيَةٌ
رَاوٍ وَمِنْ لوعتي الشَمَّاءِ سُقْيَاهُ

ما ضَجَّ في قَلْبِهِ جُرْحٌ فكابَدَهُ
ولا أَلَمَّ بِهِ وَجْدٌ فعانَاهُ
تَضِنُّ باللَّهْفَةِ الحَرَّى جَوانِحُهُ
والقَلْبُ أَخْصَبُهُ بالنُورِ أَسْخَاهُ

فما تَرَشَّفْتُ إيماناً بِمَعْبَدِهِ
ولا شَمَمْتُ طُيوباً في مُصَلاَّهُ
ناءٍ عَنِ النارِ لَوْ طَافَ اللهِيبُ بِهِ
لَوَهَّجَتْ هذه الدُنْيا شَظَايَاهُ

قَد هَانَ حَتَّى سَمَتْ عَنْهُ ضَغِينَتُنَا
فما حَقَدْنَا عَلَيْهِ بَلْ رَحِمْنَاهُ
يُرْضِيهِ أَنْ يَتَشَفَّى مِنْ مَدامِعِنَا
لَمْ نَبْكِ مِنْهُ وَلكِنَّا بَكَيْنَاهُ

حَسْبُ الأَحِبَّةِ ذُلاً عارُ غَدْرِهِمُ
وَحَسْبُنَا عِزَّةً أَنَّا غَفَرْنَاهُ
يَهْنِيكَ أَنَّكَ في نُعْمَى لِمِحْنَتِهِ
وأَنَّ غَدْرَكَ قَبْلَ الدَهْرِ أَشْقَاهُ

جَاهُ خَلَقْنَاهُ مِنْ أَلْوانِ قُدْرَتِنَا
فَكَيْفَ يَكْفُرُ فِينا مَنْ خَلَقْنَاهُ
لَوْ رَفَّ حُبُّكَ في بَيْداءَ لاهِبَةٍ
على الظِمَاءِ رَحِيقاً ما وَرَدْنَاهُ

جَلَـوْتُ طَيْفَـكَ عَـنْ عَيْنِـي فَـأَسْلَمَـهُ
إلـى الـدُجـى وإلـى الإعْصــارِ مَأْوَاهُ
فَيـالَــكَنْـزٍ شَكَــتْ مِنْـهُ جَـواهِـرُهُ
وَضَــاعَ عَـنْ نَفْسِـهِ لَّــا أَضَعْنَــاهُ
صَحَــا الفُـؤادُ الـذي قَطَّعْتَـهُ مِـــزَقــاً
حَــرَّى الجِــراحِ وَلَلْمَنَــا بَقـايَــاهُ

* * *

١٩٥٦/١٢/٨

هواجس

هَـواجِسِـي فِيـكِ إيمَـانٌ وَغَـاليـةٌ
وَأنجُـمٌ وَفَـراشٌ تَعْبُـدُ اللَّهَبَـا
وَسَـالِفَـاتُ رُؤًى حِينَ اشْـتَهَيْـتِ لَنَـا
فِـي اليَـدِ خَيْمَتَهَـا السَـمْـرَاءَ والكُثُـبَـا
هَـواجِـسٌ أنْـتِ دُنْيَـاهَـا وَمَعْدِنُهَـا
فَـكَيْـفَ تُبْـدِعُ إلاَّ النُـورَ والطَرَبَـا
النَـازِلاتُ عَلَـى قَلْبِـي وَنِعْمَتِـهِ
حُـوراً مِـنَ الأُفُـقِ القُـدْسِـيِّ لا رِيبَـا
المُتْـرَفَـاتُ وأحْـلاهَـا وأمْلَحُهَـا
طَيْـفٌ مَـعَ الفَجْـرِ مِـنْ أهْـدَابِـكِ انْسَـرَبَـا
رَوَى لَنـا عَنْـكِ مـا نَـدًى سَرائِرَنَـا
مِـنَ المُنَـى السُـمْـرِ إنْ صِـدْقَـاً وإنْ كَذِبَـا
تَصَـوَّفَ القَلْـبُ تَدْلِيـلاً لِسَاكِنِـهِ
فَمـا شَكَـى عَنَـتَ البَلْـوَى ولاَ عَتَبَـا
وَكَيْـفَ يُوحِـشُ قَلْبِـي مِـنْ سُـلافَتِـهِ
وقَـدْ أدَرْتُ عَلَيْـهِ الحُـبَّ والأدَبَـا
يـا عَذْبَـةَ الثَغْـرِ.. لَـوْ طَـافَ الخَيَـالُ بِـهِ
قَـرَأْتُ فِـي وَجْهِـكِ الإشْـفَـاقَ والغَضَبَـا

إذَا تَمَنَّاكِ قَلْبٌ لا نُجُومَ بِهِ
تَمْلَلَ الفَلَكُ الغَيْرانُ واضْطَرَبَا
يَرُدُّ حُسْنُكِ أَهْواءَ النُفُوسِ تُقًى
وَيَسْكُبُ الخَيْرَ والأَطْيَابَ والشُهُبَا
كَأَنَّهُ الكَعْبَةُ الزَهْراءُ، ما اجْتَرَحَتْ
مُنَى الحَجِيجِ بِهَا إثْماً وَلاَ لَعِبَا

* * *

غَيْبٌ لِحُبِّكِ مِنْ نُعْمَى اليقِينِ بِهِ
كَأَنَّنِي كاشِفٌ عَنْ سِرِّهِ الحُجُبَا
بَيْنِي وَبَيْنَكِ أَنْسَابٌ مُوَثَّقَةٌ
هَذا اللَّهِيبُ بِقَلْبِي خَيْرُهَا سَبَبَا
فَلَوْ بَخِلْتِ بِنَعْمَاءِ العَذابِ لَمَا
نَشَدْتُ عِنْدَكِ إلاَّ جَمْرَهُ أَرَبَا
لَمْ يَشْهَدِ اللَّهَ قَلْبٌ لاَ لَهِيبَ بِهِ
وَيُشْرِقُ اللَّهُ فِي القَلْبِ الذِي الْتَهَبَا
أُعِيذُ مُؤْنِسَ، رُوحِي، بَعْدَ وَحْشَتِهَا
أَنْ يَسْتَرِدَّ مِنَ النَعْمَاءِ ما وَهَبَا
يا ضَيْعَةَ النَغَمِ الأَسْمَى وَلَوْعَتَهُ
إذَا مَحَى الخَالِقُ الفَنَّانُ ما كَتَبَا
شَفَّعْتُ غِنْدَكِ حُبِّي فِي مَواجِعِهِ
وَما تَمَزَّقَ مِنْ قَلْبِي وَمَا سُلِبَا

أَخْفَيْتُ ظُلْمَكِ عَنْ نَفْسِي لأَرْحَمَهَا
ثُمَّ ابْتَدَعْتُ لَهُ الأَعْذَارَ والسَّبَبَا

* * *

هَواكِ عِنْدِي مُقِيمٌ فِي مَواطِنِهِ
فَإِنْ تَحَوَّلَ عَنْ نَعْمَائِهَا اغْتَرَبَا
أُحِبُّكِ الحُبَّ تَأْلِيهاً خَلَعْتُ بِهِ
عَلَى تَدَلُّهِيَ الإِجْلالَ والرَّهَبَا

* * *

سَكَبْتُ فِي دَرْبِكِ الأَطْيابَ وَالهِمَّةَ
وَجَلَّ كَأْسُكِ عَنْ عِطْرِي الذِي انْسَكَبَا
لَعَلَّهُ ـ والخُطَى السَّمْراءُ تَسْلُكُهُ
يَعُلُّهَا مِنْ حَنِينِي بَعْضَ ما شرِبَا
أَغْلَيْتُ نُعْمَى الهَوى عِنْدِي وَمِحْنَتَهُ
فَحُبُّ ما مَرَّ مِنْهُ حُبُّ ما عَذُبَا
مَدامِعِي فِيكِ لَوْ أَكْرَمْتِ جَوْهَرَهَا
أَكْرَمْتِ فِيهَا الهَوى والشِّعْرَ والعَرَبَا
أُجِلُّ بَابَكِ عَنْ طُولِ الوُقوفِ بِهِ
فَقْرُ الكَرِيمِ تَجَلَّى صَمْتُهُ طَلَبَا

١٩٥٧/٤/٢٦

ظمأ الى السراب

يُرَافِقُـــنـي سَـــرابُـــكِ أَرْيَحِيّـــاً
فَـــأُغمَـــرُ بالـرَحِيـــقِ وبـالمَـــلاَبِ[1]
سَـــرابٌ أَسْـمَـــرُ القَسَـمـــاتِ هـــانٍ
نَـــدِيُّ اللمْـــحِ وَرْدِيُّ الحَبـــــابِ
يُزَوِّقُ لـــي الـرِمـالَ جَنـــيً وظِـــلاً
وَيَغْمِـــزُ بالـكؤوسِ وبالشَـــرابِ
وَقَـطَّـــفَ ما يُنَـوِّرُ مِـــنْ طُيـــوفٍ
عَلى أَجْفـانِ ناهِـــدَةٍ كَعـــابِ
وَعلَّـــلَ بالـرِجـــاءِ فَكَـــانَ أَحْنـــى
عَلَـــيَّ مِنَ الأَحِبَّـــةِ والصِحَـــابِ
مَحَـا حِقْـدَ الهَجِيـــرِ على الصَحـــارى
وَوَحْـدَتِـيَ المَرِيـــرَةَ واغْتِـــرابـــي
فَيـا نُعْمَـــى القُلـوبِ ولا أُدَاري
ويا نُعْمَـى العُيـونِ ولا أُحَابِـــي
سَرَابُـكِ رحْمَـةٌ ومُنـىً حِســـانٌ
سَـكَبْـــنَ طُيوبَهُـــنَّ على عَذابِـــي
أَحُـثُّ خُطَـايَ فـي اللَّهَـبِ المُدَمَّـى
إلـى أَفْيـائِـهِ الخُضْـرِ الرِطَـابِ

(١) الطيب بلون الزعفران

سَقَـى عَيْنِـي مَتارِفَـهُ وَرَوَّى
ظِمـاءَ الـرَمْـلِ بالنُـطَـفِ العِذَابِ
فَلَـوْ كَانَ الشَـبـابُ كما عَهِدْنَـا
وَهَبْـتُ جَـزَاءَ نِعْمَتِـهِ شَبابِـي

بَكَيْتُ مِـنَ السَـرابِ فحيـنَ وَلَّـى
وَأَوْحَـدَنِـي . بَكَيْـتُ على السَـرابِ
وأَشْقَـانـي اليَقِيـنُ فَياحَنِينـي
الى الخُـدَعِ المُنَضَّـرَةِ السَـوابِي

مَغـانٍ للسَـرابِ خَفِيـنَ إلاَّ
طُيـوفَ الجِـنِّ فـي السَـوْهَـجِ المُذابِ
أَتَمْحُـو يا سَرابُ خُطـاكَ .. هُوجُ
مَـواحٍ للمَعـالِـمِ والقِبـابِ

يَدُلُّ على خُطـاكَ شَـذاً وحُـبٌّ
فَـأَرْشُـفُ ما وَطِئْـنَ مـن التُـرابِ
سَقَـى اللـهُ السَرابَ وفَـاءَ قَلْبِـي
وَعِـطْـرَ سَرِيرَتـي وَصـبَـا رَبابِـي

وَنضَّـرَهُ بِأَنْـدى مِـنْ دُموعِـي
وَدَلَّلَـهُ بِأَنْعَـمَ مِـنْ عِتابِـي
بِمـا بَيْـنَ الجَوانِـحِ مِـنْ حَنِيـنٍ
مُلِـحٍّ فـي الشـهـودِ وفـي الغِيَـابِ

بِنَارِ تَدَلُّهِي ، بِرُؤَى جُنونِي
بِإِيمَانِي بِحُبِّكِ ، بارْتِيابِي
بِوَجْهِكِ وَهْوَ نُورٌ في صَلاتِي
بِهَمْسِكِ وَهْوَ وِرْدٌ في كِتابِي
بِعِزَّةِ لَوْعَتِي ، بِحَيَاءِ حُزْنِي
بِسُكْرِي عِنْدَ لَمْحِكِ واضْطِرابِي
بِأَنْدَاءِ الصَّبَاحِ مُنَمْنَمَاتٍ
بِمَا سَكَبَ الرَّبِيعُ على الرَوابِي
سَقَى اللهُ السرابَ مُنًى بِرُوحِي
على الحِرْمَانِ زَاخِرَةَ العُبَابِ
فَيُصْبِحُ وَهْمُ نِعْمَتِهِ يَقِيناً
وَتَسْتَغْنِي الرِمَالُ عَنِ السَحَابِ
وَتَلْثِمُ ما أُسَبِّحُ مِنْ شِفَاهٍ
وَتَرْشُفُ ما أُقَدِّسُ من رُضَابِ

* * *

هَوايَ سَجِيَّةٌ وَشَبابُ قَلْبٍ
وَجَلَّ صِبا القُلوبِ عَنِ التَصابِي
خَضَبْتُ بِلَوْنِ سُمْرَتِكِ المُصَفَّى
حَياتِي والمُحَبَّبَ مِنْ رِغابِي
وَلامَكِ عِنْدَنا قَوْمٌ وَعابُوا
يَجِلُّ النُورُ عَنْ لَوْمٍ وَعَابِ

وَأَنْـتِ النُـورُ فـي عَيْنِـي وَقَلْبِـي
عَلـى حالَيْـكِ مِـنْ شَهْـدٍ وَصَـابِ
سَرَيرتُـكِ الضِيـاءُ بـلا غُـروبٍ
وَعَيْنـاكِ الغُيـوبُ بِـلا حِجَابِ
وَقَفْـتُ بِبـابِ جاهِـكِ مُطْمَئِنّـاً
كأنَّ الـدَّهْـرَ والـدُنْيـا بِبَابِـي

* * *

١٩٥٦/٣/١٠

السراب المظلم

حَنَا السَرابُ على قَلْبِي يُخَادِعُهُ
بالوَهْمِ مِنْ نَشْوَةِ السُقْيَا وَيُغْرِيهِ
فَكَيْفَ رُحْتُ وَلِي عِلْمٌ بِباطِلِهِ
أَهْوَى السَرابَ وَأَرْجُوهُ وَأُغْلِيهِ
وَيْحَ السَرابِ على الصَحْراءِ تُسْلِمُهُ
رِمالُها السُمْرُ مِنْ تِيهٍ إلى تِيهِ
يُزَوِّرُ المَاءَ للسُقْيَا وَلَهْفَتُهُ
حَرَّى إلى مَنْهَلٍ يَحْنُو فَيسْقِيهِ
جَلا النَمِيرَ وما ابْتَلَّتْ جَوانِحُهُ
مِن النَمِيرِ ولا ابْتَلَّتْ مآقِيهِ
أَيَأْمُهُ خُدَعٌ للرَكْبِ ضاحِكَةٌ
سُخْراً وللعَدَمِ القَاسِي لَيالِيهِ
صَرْعاهُ لَوْ عَرَفُوا الأَسْرارَ ما جَزِعُوا
مِمَّا يُعَانُونَ بَلْ مِمَّا يُعَانِيهِ
ألا يَمَلُّ السَرابُ الغَمْرُ وَحْدَتَهُ
ألا يَحِنُّ الى نُعْمَى تُنَدِّيهِ
هَيْمانُ لَهْفَانُ لا مَأْوىً لِوَحْشَتِهِ
قَلْبِي الذِي وَسِعَ الأَكْوانَ يُؤْوِيهِ

أبْـكِـي لِبَلْـواهُ تَحْنَانـاً وَمغْفِـرةً
رُوحُ الأُلُـوهَـةِ رُوحـي حِيـنَ أبْكِيـهِ

اذا خُـدِعـتُ فقـد جـازَيْـتُ خُـدعَتَـهُ
بـالعُـذْرِ أبسُـطُـهُ والـذنـبِ أطـويـهِ

ادْعُـو السَـرابَ إلى رُوحـي فَقَـدْ حَلِيَتْ
بِهَـا اللُبَـانـاتُ تُرْضِيـه وَتُغْوِيـهِ
لَهْفـي عَلَيْـهِ أَسِيـراً في يَدَيْ قَـدَرٍ
يُمِيتُـهُ كُلَّ يَـوْمٍ ثُـمَّ يُحْيِيـهِ

يَغِيـضُ قَبْـلَ رَفِيـفِ الجَفْـنِ زَاخِـرُهُ
أَقَلْبُـهُ جَفَّ أَمْ جَفَّـتْ سَوَاقِيـهِ
مَاءٌ ولا رِيَّ ينـدىَ فـي شَمَائِلِـهِ
كَأَنَّـهُ القَـوْلُ فاتَتْـهُ مَعانِيـهِ
يُزَوِّقُ الحُسْـنَ أَلْـوانـاً ومـا عَصَفَـتْ
بِـرُوحِـهِ سَوْرَةٌ للحُسْـنِ تُصْبِيـهِ

هَـذي مَراعيـه عُطْـلٌ مِـنْ بَشاشَتِهـا
حَنَّـتْ لِشبَّـابَـةِ الـراعـي مَراعِيـهِ
لَوْ صَعَّـدَ القَصَـبُ الـوَهْـانُ زَفْرَتَـهُ
لَنَـوَّرَتْ بِيـدُهُ واخْضَـلَّ وَادِيـهِ
ما لِلسَّـرابِ دَنَـا حَتَّـى إذَا اكْتَحَلَـتْ
بِسِـحْـرِ دُنْيـاهُ عَيْنِـي شَطَّ دَانِيـهِ

أنْـتِ السَـرابُ ولـكنِّـي عَلَى ظَمَـأي
بِـأَنْهُـرِ الخَمْـرِ فـي الفِـرْدَوْسِ أفْدِيـهِ
مَحَـوْتُ مِنْ قَلْبِـيَ الـدنيـا فما سَلِمَـتْ
إلاَّ طُيـوفُ هَوانـا وَحْـدَهَـا فِيـهِ

* * *

النبع المسحور

بُرْدُكِ فَـوْقَ الخَصْـرِ جَارُ الرُؤَى
فَخَلْفَـهُ تَطْفِـرُ جِنِّـيَّتَـانْ
شَيْطَـانَتَـانِ اصْـطَفَتَـا جَـنَّـةً
قَـدْ تُؤْنِسُ الجَـنَّـةَ شَيْطَـانَتَـانْ
دَارَتْ عَلَـى الـظَـمْـأى حُمَيَّـاهُمَـا
فَـاللَّهْـوُ فِـي الجَنَّةِ طَلْقُ العِنَـانْ
يُدْنِيهِمَـا الشَـوْقُ وَلَـمْ تَـدْنُـوَا
فَهَـلْ هُمَـا نَهْـدَانِ أَمْ نَجْمَتَـانْ
تَمُـوجُ أَلْحَـانُ الصِـبَـا فِيهِمَـا
كَأَنَّمَـا نَهْـدَاكِ أُغْرودَتَـانْ
عُشَّـانِ لاَ لِلطَّيْـرِ بَـلْ لِلْهَـوى
عُشَّـانِ ، بَـلْ لِلْمِسْـكِ قَارُورَتَـانْ
عِنْـدِي طُيُـوبٌ لَـكِ أَعْدَدْتُهَـا
عِـطْـرُ لُبَـانَـاتِـي وَعِـطْـرُ البَيَـانْ
رَشَّـا عَلَـى حُسْـنِـكِ رَيَّـاهُمَـا
فَهَـلْ دَرَى عِطْـرَايَ مَـا يَفْعَـلاَنْ
حُسْـنُـكِ عِطْـرُ العِـطْـرِ فِـي جَنَّتِـي
عَلَـى غِنَـاهَـا وَلُبَـانُ اللُبَـانْ
فَاغْـدِي عَلَـى الرَمْـلِ وَرُوحِـي يَضُـعْ
وَرْدٌ وَيَفْـرُشْ طِيبَـهُ أُقْحُـوانْ

عَيْنَـاكِ بَحْـرٌ حِيـنَ أَغْفَـى انْحَنَـتْ
فَلَمْلَمَـتْ أَحْـلامَـهُ الضفَّتَـانْ

تَغْفُـو بِعَيْنَيْـكِ طُيُـوفُ المُنَـى
عَيْنَـاكِ للأَشْـواقِ أُرْجُـوحَتَـانْ
قَلْبِـي وَقُـرْطَـاكِ حَلِيفَـا ضَنَـىً
أَلَـمْ يَئِـنْ أَنْ يَتْعَـبَ الخَـافِقَـانْ

وَخُصْـلَتَـانِ ارْتَـاحَتَـا فِـي يَـدِي
مِـنَ الدُجَـى المَخْمُـورِ مسْكُـوبَتَـانْ
شَـذَاهُمَـا بَـاقٍ وإِنْ غَـابَتَـا
كَأَنَّمَـا فَـرْعَـاكِ رَيْحَـانَتَـانْ

تُغَـامِـزِيـنَ البَـدْرَ فِـي مَـوْعِـدٍ
فَغِـرْتُ لَمَّـا الْتَقَـتِ الغَمْـزَتَـانْ
يُنَمْنِـمُ الأَحْـلامَ فِضَّـيَّـةً
وَتَنْسُـجُ الشَـمْـسُ لَـكِ الأُرْجُـوانْ

وَمُلْـكُـكِ البَـدْرُ وَشَـمْـسُ الضُحَـى
وَمَـا يَصُـوغَـانِ وَمَـا يَغْـزِلانْ
قَـدْ بَـاحَ جَفْنَاكِ بِسِـرِ الدُجَـى
جَفْنَـاكِ مِـنْ سِـرِّ الـدُجَـى مُتْرَعَـانْ

تَضْـحَـكُ عَيْنَـاكِ وإِنْ جَـدَّتَـا
لاَ سِحْـرَ فِـي عَيْنَيْـنِ لاَ تَضْحَكَـانْ

تَنْطِقُ عَيْنَاكِ وَلَمْ تَنْطِقِي
وَقَدْ تُطِيلانِ وَقَدْ تُوجِزَانْ
وَلَمْ تَضِيقَا بِمَعَانِي الهَوى
أَلا تَلُومَانِ أَلا تَعْتَبَانْ

* * *

رَشِيقَةَ الأَحْزانِ وَالقَدِّ . هَلْ
يَنْبُتُ فِي جَمْرِ الغَضَا غُصْنُ بَانْ
نَزَلْتِ قَلْبِي سِدْرَةَ المُنْتَهَى
مَا أَرْزُ لُبْنَانَ وَمَا الغُوطَتَانْ
وَبَيْنَنَا قُرْبَى الشَذَى للشَذَى
أَلْحُسْنُ والشِعْرُ رَضِيعَا لِبَانْ
تَرْشُفُ مِنْ نَهْدَيْكِ إِغْفَاءَتِي
كَأَسْيَنِ قَدْ أُتْرِعَتَا بِنْتَ حَانْ
طَافَتْ بِكِ الكَأْسُ فَرَنَّحْتِهَا
وَجُنَّ لَمَّا شَمَّكِ الزَعْفَرانْ
نَبْعُ الصِبَا المَسْحُورُ[1] يَشْتَفُّهُ
قَلْبِيَ والسَمْرَاءُ والفَرْقَدَانْ
نَشْتَفُّهُ حَتَّى ثُمَّالاتِهِ
فَنَحْنُ لاَ نَفْنَى وَيَفْنَى الزَمَانْ
نَشْتَفُّهُ حَتَّى/ يَعُودَ الصِبَا
واللِّمَّةُ السَوْدَاءُ والعُنْفُوانْ

---

١) اشارة الى ما ورد في الاساطير عن وجود نبع يكفل للشارب منه خلود الشباب .

وَبَيْتُنَـــا فِـــي رَبْـــوَةٍ سَمْـــحَـــةٍ
حُـــلْـــوُ السُـــفـــوحِ الخضْـرِ ، حُـــلْـــوُ الرِعَـــانْ
وَغَـــابَـــةٌ يَغْفُـــو الضُـــحَـــى عِنْدَهَـــا
وَشَمْسُـــهَـــا تَغْـــرُبُ قَبْـــلَ الأَوَانْ
قُبُـــورُنَـــا فِيهَـــا بِـــلا وَحْشَـــةٍ
يُؤْنِسُـــهَـــا فِـــي الـــوَحْـــدَةِ السِنْدِيَـــانْ
وَقُبَّـــةٌ[1] تَحْـــرِسُ كَنْـــزَ الدُجَـــى
كَأَنَّهَـــا فِـــي الغَابَـــةِ الدَيْدَبَـــانْ
والنَبْـــعُ والقُبَّـــةُ فـــي هَـــدْأَةٍ
يُسْـــرِعُ دَهْـــرٌ وَهُمـــا وَانِيَـــانْ
مـا هَـزَّتِ الـدُنْيـا أَنَاتَيْهِمـا
فَتُغْـرِبُ الـدُنْيـا ولا يَدْهَشَـانْ
ولَـوَّحَـتْ مـن بَعْـضِ أَفْيائِنَـا
كَفَّـانِ بالحِنَّـاءِ مَخْضُوبَتَـانْ
حَضَنْـتُ فـي السَمْـراءِ دُنْيَـا المُنَـى
حِيـنَ النقينـا كَبَّـرَ العَالَمَـانْ
جُزْنَـا حُدودَ الـكَـوْنِ ، لا مَشْرِقَـانْ
فـي جَلْـوَةِ النُـور ، ولا مَغْرِبَـانْ
جُزْنَـا حُـدودَ المكَـوْنِ ، حتَّـى الْتَقَـى
كـلُّ مَغِيـبٍ عِنْـدَنـا بالعِيَـانْ

---

١) قبة قديمة لاحد الأولياء في مسقط راس الشاعر .

وعـادَ للأَنْجُـمِ ما ضـاعَ مِـنْ
أَضْـوائِهَـا واعْتَنَـق الأَزْهَـرانْ
واخْتَصَـر الـدُنْيـا شـذاً مُسْكِـرٌ
أَوْ لَهْفَـةٌ عَذْراءُ أو قُبْلَتـانْ
بُحْـتُ بأَسْـراري فَعُبُّـوا الشَـذى
فُضَّـتْ عَـنِ الرَاحِ العَتِيـقِ الدِنَـانْ
ما غـابَ عَـنْ أَعْراسِـنَـا أَهْلُنَـا
أَلشَـمْـسُ والأَنْجُـمُ فـي المِهْرَجَـانْ
والنـاسُ لا تَعْـرِفُ أَحْزَانَنـا
يَرْثِـي لَنـا الشَـوْقُ وَيَبْكِـي الحَنـانْ
يَرْفَعُنـي المَوْجُ إِلَـى شَـاهِـقٍ
وَحَـطَّنِـي .. لا تَهْـدَأُ الـكِفَّتَـانْ
زَلْـزَلَـتِ الأَمْـواجُ زِلْـزَالَهَـا
واحْتَضَنَتْنِـهـا دُجُنَّـةٌ مِـنْ دُخَـانْ
قـد رَجَّهـا العـاصِـفُ حتـى طَغَى
لُـؤْلُـؤُهَـا ـ طَوْعَ يَـدِي والجُمـانْ
وَمِحْنَـةٌ طالَـتْ وأَكْرَمْتُهَـا
بالصَـبْـرِ حَتَّـى مَـلَّ دَهْـرٌ فَـلاَنْ
لا يَقْنَـطُ الحُـرُّ ولا يَشْتَكِـي
لِـكُـلِّ بَحْـرٍ هائِـجٍ شَاطِئَـانْ

فَتَّشْتُ عَنْ خَوْفِي فَلَمْ أُلْفِهِ
كَيْفَ أَرَى الخَوْفَ وَأَنْتِ الأَمَانْ

* * *

قَرَّبَنَا اللهُ فَفَوْقَ الزَمَانْ
نَحْنُ مَعَ النُورِ وَفَوْقَ المَكَانْ
يُضَوِّىءُ الظُلْمَةَ إيمَانُنَا
وَيُسْكِرُ الفَجْرَ رَحِيقُ الأَذَانْ
نَحْنُ وَقَلْبَانَا وأَسْرَارُنَا
شَوْقٌ الى اللهِ وأُغْنِيَّتَانْ
أَوَجْهُهَا أَمْ بَيْتُهُ قِبْلَتِي
أَسْتَغْفِرُ اللهَ فَلِي قِبْلَتَانْ
نُرِيدُ جَمْراً لِبَخُورِ الهَوَى
في النَارِ هذا الجَمْرُ لا في الجِنَانْ
صَلاتُنَا النُورُ فَمِنْ وَهْجِهَا
شَعَّ الضُحَى وأُتَلِقَ النَيِّرَانْ
مِنْ وِرْدِنَا الأَفلاكُ تَسْبِيحَةٌ
والصُبْحُ والنَجْمَةُ تَكْبِيرَتَانْ
تَغْمِزُنِي الشَمْسُ عِنَاقَ الهَوى
فَلَفَّنِي مِنْ فَرْعِهَا خُصْلَتَانْ
وَجْهِي - وَلَمْ تَخْدَعْ أَسَارِيرُهُ -
والقَلْبُ مِرْآتَانِ مَجْلُوَّتَانْ

كَتَبْتُ (بِسْمِ اللهِ) فالطِرْسُ مِنْ
عَدْنٍ (وَبِسْمِ اللهِ) حُورِيَّتَانْ
لَمْ يَعْنِنِي عُسْرٌ ولا شِدَّةٌ
اللهُ والسمراءُ لِيْ المُسْتَعَانْ
عَرَّيْتُ فَقْرِي عِنْدَ بابَيْهِمَا
وَتَعْذُبُ الشَكْوى وَيَحْلُو الهَوانْ

* * *

١٩٦٢/١٢/٢١

أيها المعرض عني

أيُّـــا المُعْـــرِضُ عَنِّـــي مـــا الـذي رَابَـــكَ مِنِّـــي
أنْـــتَ حُلْـوٌ فـي الـرِضَـــى السَمْـحِ وَحَلْـوٌ فـــي التَجَنِّـــي
دَعْ يَقِينـي ـ وَهُـوَ الجَمـــرُ ـ إلى أفْيـاءِ ظَنِّـي
لِـي كَنُـوزُ الحُـبِّ، يَسْـتَغْنِـي بِهـا قَلْـبِـي وَيُغْنِـي
والمُنَـى ضَاعَـتْ فَهَبْنِي مِنْـكَ نَعْمَـاءَ التَمَنِّـي
تَعْـدِلُ الـدُنْيَـا طُيـوفٌ عَلِقَـتْ مِنْـكَ بِجَفْنِـي
وَأنَـا البُلْبُـلُ فـي الأيْكِ وفـي الأسْـرِ يُغَنِّـي
تَـرَفُ الإحْسانِ أنْ أُضْـفِي على دُنْيـايَ حُسْنِـي
قَـدْ جَـلانِي اللـهُ مِنْ نُعْمـاهُ إشْـرَاقَـةَ يُمْـنِ
أنـا والأنْجُـمُ أغْفَيْنَـا على مَهْـدٍ وَحِضْـنِ
وابْتَـدَعْنَـا أَلْـفَ دُنْيَـا وَخَلَقْنَـا ألـف فَـنِّ
أنَـا والأنْجُـمُ لاَنَفْنَـى على الـدهْـرِ... ونُفْنِـي
أنَـا إنْ أدْنُ مِـنَ اللـهِ فَـإنَّ الشَـوْقَ يُـدْنِـي
نـاعِـمُ النُـورِ غَـانِـي والأعـاصِـيرُ تَمْتِنِـي
يَظْمَـأُ العَقْـلُ فَـأَسْـقِي العَقْـلَ أُسْـطُورَةَ جِـنِّ
لَـمْ يَضِـقْ حُـبِّـي بِمـا أَلْقـاهُ مِـنْ حِقْـدٍ وغِبْـنِ
أُنْـزِلُ الآثـامَ أضْيـافـاً على جَنَّـةِ عَـدْنِـي

* * *

خالقه

مِنْ نُعْمَياتِكِ لِي أَلْفُ مُنَوَّعَةٌ
وَكُلُّ وَاحِدَةٍ دُنْيَا مِنَ النُّورِ
رَفَعْتِنِي بِجَنَاحَيْ قُدْرَةٍ وَهَوىً
لِعَالَمٍ مِنْ رُؤَى عَيْنَيْكِ مَسْحُورِ
تَعُبُّ مِنْ حُسْنِهِ عَيْنِي فَإِنْ سَكِرَتْ
أَغْفَتْ على سُنْدُسِيٍّ مِنْ أساطِيرِ
أُخَادِعُ النَوْمَ إشْفاقاً على حُلُمٍ
حَانٍ على الشَفَةِ اللمْياءِ مَخْمُورِ
وَزَارَ طيفُكِ أجْفَانِي فَعَطَّرَها
يا لَلطُيوفِ الغَرِيراتِ المَعاطِيرِ
طُيوبُهَا فِي زِيارَاتِ الرُؤَى نَزَلَتْ
مِنْ مُقْلَتَيَّ عَلى أصْفَى القَوارِيرِ
كَأَنَّ هَمْسَكِ فِي رَيَّاهُ وَشوَشَةٌ
دَارَ النَسِيمُ بِهَا بَيْنَ الأَزَاهِيرِ
تَنْدى البَراءَةُ فِيهِ فَهْوَ مُنْسَكِبٌ
مِنْ لَغْوِ طِفْلٍ وَمِنْ تَغْرِيدِ عُصْفُورِ
رَشَفْتُ صوتَكِ فِي قَلْبِي مُعَتَّقَةً
لَمْ تُعْتَصَر وَضِيءاً غَيْرَ مَنْظُورِ
لَوْ كُنْتِ فِي جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ وَاحِدَةً
مِنْ حُورِها لتَجَلَّى اللهُ لِلْحُورِ

خَلَقْتِنِـي مِنْ صَبَابَاتٍ مُـدَلَّهَةٍ
ظَمْـأى الحَنِيـنِ إلـى دَلٍّ وَتَغْرِيرِ
فَكَيْـفَ اغْفَلْـتِ قَلْبِي مِنْ تَجَلُّدِهِ
لَمَّـا تَـوَلَّيْتِ إبْـدَاعِي وتَصْوِيـرِي ؟
وَكَيْـفَ تَشْـكِينَ مِنْ حُبِّـي غَـوايَتَـهُ
وَأَنْـتِ كَـوَّنْتِ تَفْـكِيرِي وَتَعْبِيـرِي
وَهَـلْ تُـرِيـدِينَ رُوحِي هَـدْأَةً وَوَنًـى
فَـكَيْـفَ أَنْشَـأْتِ رُوحِي مِنْ أعـاصِيـرِ ؟
أَلِـفْـتُ نَفْسِي علـى مـا صُغْتِ جَوْهَرَهَـا
يـا غُـرْبَتِـي عِنْـدَ تَحْـوِيـرِي وَتَغْيِيـرِي !

* * *

كَبَّـرْتُ للـطَّلْعَـةِ النَشْـوى أُسَبِّحُهـا
أكـانَ لِلَّـهِ أمْ للحُـسْـن تَنْبِيـرِي
يـاطِفْلَـةَ الـرُوحِ : حَبَّـاتُ القُلـوبِ فِدَى
ذَنْـبٍ لِجُسْـنِكِ عِنْـدَ اللـهِ مَغْفُـورِ
آثـامُـكِ الخَفِـراتُ البِيـضُ لَـوْ جُلِـيَتْ
لِـطُـورِ مُـوسى لَنَـدَّتْ ذُرْوَةَ الطُـورِ
كـأنَّهـا أُقْحُـوانَـاتٌ مُنَضَّـرَةٌ
بِمُخْصِـبٍ عَبِـقِ الرَيْحَـانِ مَمْطُـورِ
يـانَجْمَـةً تَخْتَفِـي حِينـاً وتُشْـرِقُ لـي
حِيـنـاً أفـانِيـنَ تَـعْـرِيـفٍ وتَنْكِيـرِ

لَقَـدْ هَجَـرْتِ أخـاكِ الفَجْـرَ وانْتَبَهَـتْ
شَـمْسُ الصَـباحِ على أَنَـاتِ مَهْجُـورِ
مِـنْ مَـوْطِنِ النُـورِ هذا الحُسْـنُ أَعْرِفُهُ
حُلْـوَ الشَـمائِلِ قُـدْسِيَّ الأسـارِيـرِ
فَفِـي السـمـاءِ على مَطْلُولِ زُرْقَتِهَـا
أرىَ مَسـاحِـبَ ذَيْـلٍ مِنْـكِ مَجْـرُورِ

* * *

لاتَجْـزَعـي مِـنْ مَقـاديـرٍ مُخَبَّـأَةٍ
حَنَـا يُـدَلِّلُنَـا ظُـلْـمُ المَقـادِيـرِ
عِنْـدِي كُنُـوزُ حَنَـانٍ لا نَفـادَ لَهَـا
أَنْهَبْتُهَـا كُـلَّ مَظْلُـومٍ وَمَقْهُـورِ
أُعْـطِـي بِـذِلَّـةِ مَحْـرُومٍ فَـوا لَهْفِي
لِسـائِـلٍ يُغْـدِقُ النَعْمَـاءَ مَنْهُـورِ
جَـواهِـري فـي العبيـرِ السَـكْـبِ مُغْفِيـةٌ
مِـنَ الـوَنَـى بَعْـدَ تَغْلِيـسٍ وَتَهْجِيـرِ
تـاهَـتْ عَـنِ العُنُـقِ الهَـانـي فَأَرْشَـدَهَـا
إلـى سَنَـاهُ حَنِيـنُ النُـورِ للنُـورِ

* * *

الى استاذي مصطفى الغلاييني

قيلت في حفل تكريمي له

أَتَسْمَعُ إِنَّهُ صَوْتُ الشَبابِ
فَدَتْهُ النَفْسُ مِنْ داعٍ مُجابِ
وما غَيْرُ الشَبابِ حِمىً عَزِيزٌ
يُرَجَّى للثَوابِ وللعِقابِ
أَبا النَشْءِ الجَديدِ بَنَيْتَ نَشْأً
مِنَ الأَخْلاقِ والأَدَبِ اللُّبابِ
هَنِيئاً ما أَصَابَكَ مِنْ خُطوبٍ
وَما لاقَيْتَ مِنْ مِحَنٍ صِعابِ
وما غَالَبْتَ مِنْ زَمَنٍ وَناسٍ
وأَنْتَ اللَيْثُ يَنْهَدُ للغِلابِ
وَأَعْوامُ الشَبيبَةِ وَهْيَ تُطْوى
عَلَى شَمْلٍ شَتيتٍ واغْتِرابِ
تُجاهِرُ بالحَقيقَةِ لاتُدارِي
وَتَصْدَعُ بالنَصيحَةِ لا تُحابِي
تَعَهَّدْتَ الشَبابَ فَمِنْ قَصيدٍ
سقَيْتَ بِهِ البَيانَ إلى كتابِ
دَعَوْتَهُمُ إلى الفُصْحَى فَلَبَّوْا
وَبُورِكَ في الدُعاءِ المُسْتَجابِ

جَلَـوْتَ فُتونَهـا فَهَـفـوْا إلَيْهـا
وفُـلَّـتْ حِـدَّةُ النَّفَـرِ الغِضَـابِ
ومـا اخْتَلَفُوا على الأنْسابِ إلاَّ
هَدَيْتَهُـمُ الـى النَسَـبِ القُـرابِ
تُـؤَلِّـفُ بَيْنَهُـمْ وَتَـذُودُ عَنْهُـمْ
ذِيـادَ اللَيْثِ عَـنْ أشْـبـالِ غَـابِ

* * *

أتَـذْكُـرُ فـي الشـآمِ لَنـا عُهُـوداً
مُعَـطَّـرَةً كـأنْفـاسِ الكَعـابِ
بِـدُمَّـرَ لا السُـفـوحُ مُعَطَّـلاتٌ
مِـنَ الغَـزَلِ النَـدِيِّ ولا الرَوابِـي
وَهَـلْ عِنْـدَ الخَمـائِـلِ مـا قَطَفْنـا
مِـن الفِتَـنِ المُنَـوَّرَةِ العِـذَابِ
نُطَـوِّفُ مـا نُطَـوِّفُ ثُـمَّ نَـأوي
إلى أفْنـانِـهـا النُضْـرِ الـرِطَـابِ
ونُنْشِـدُهـا النسِيـبَ علـى ذُبُـولٍ
فَيُغْنِيهـا النَسيـبُ عَـنِ الرَبَـابِ
وُرودُ الشَـامِ تُسْـكِـرُهـا القَـوافِـي
وَتَهْـفُـو للتَـوَجُّـعِ والعِتَـابِ
وَتَـطْـرَبُ للنَـدِيِّ مِـنَ المَعـانِـي
فَتَجْـزِي بالـظِـلاَلِ وبـالمَـلابِ

لِئَـنْ نَضُـرَتْ خَمَـائِلُهـا فـإنِّـي
خَلَعْـتُ على خَمَـائِلِهـا شَبَـابِـي
وَوَدَّعْـتُ الصِـبـى فِيهـا حَمِيـداً
وَرُحْـتُ أغُـشُّ قَلْبِـي بالتَّصـابِـي
أحِـنُّ إلـى شَبَـابِـي حِيـنَ أهْفُـو
إلى تِلْـكَ المَعـالِـمِ والقِبـابِ
وَمَـنْ يَنْعَـمْ بِصُـحْبَتِـهِ فـإنِّـي
جَـنَـى مُـرُّ الإبـاءِ على صِحـابِـي
لِـداتُ طُفـولَتِـي ذَهَبُـوا تَبـاعـاً
وَعَـاقَتْنِـي الخُـطـوبُ عَـنِ الذَهـابِ
أُسـائِـلُ عَنْهُـمُ فَـأرى وُجُـومـاً
فَـأُغْضِـي . قَـدْ عَثَـرْتُ على الجَـوابِ
وَأسْـمَـعُ للقُبـورِ صـدىً وَجيعـاً
حَنِيـنَ الغـائِبِيـنَ إلـى الإيَـابِ
سَقَـى تِلْكَ القُبـورَ دَمِـي وَدَمْعِـي
وَجَـلّ القَبْـرُ عَـنْ سُقْيـا السَحَـابِ
وَمَـنْ فَـوْقَ التُـرابِ فِـدى بُـدورٍ
خَبَـا لأُلآوْهـا تَحْـتَ التُـرابِ

* * *

أتَعْـذِلُنـي وَقَلْبِـي فـي وَجيـبٍ
مِـنَ الـذِكْـرى وَدَمْعِـي فـي انسكـاب

فَـدَيْتُـكَ إنْ بَكَيْـتُ أسـىً وذِكْـرَى
فَـهَـذا الـدَمْـعُ لَمْ يَكُ في حِسابي
وَعيـدُكَ بَهْجَـةُ الـدُنْيـا عَلَيْـهِ
رُواءٌ مِـنْ شَمـائِلِكَ الـسوابِـي
صَحِبْتُـكَ فـي - الشآم وكُنْـتَ بَـرّاً
تُخَـاطِبُنـي وَتَلْـطُـفُ في خِطَـابِـي
تُعَلِّمُنِـي الـسَـوَسِيـمَ مِـنَ القَوافِـي
وَتَهْـدِينـي القَـوِيـمَ مِـنَ الشِّعَـــابِ
وَتُـكْـرِمُ مَشْـهَـدي وَتَـذُودُ عَنِّـي
إذَا الحُسَّـادُ أنْـطَقَهـا غِيـابِـي
فَتَـاكَ وإنْ تَـأَوَّلَـتِ الأَعَـادي
وَلَجَّـتْ فـي أذايَ وفي اغْتِيـابِي
وَغَسَّـانُ العُلـى قَـوْمِـي ولَكِـنْ
إلـى آدابِـكَ الغُـرِّ انتِسـابِـي

* * *

ايكما الرّبيع ؟

الى الامير مصطفى الشهابي
وقد زار اللاذقية والشاعر يشكو التواء في قدمه
فلم يستطع استقباله

ثَنـانِـي عَـنْ لِقـائِـكَ يا أَميـري
عِثـارُ الجَـدِّ والقَـدَمُ الوَجِيـعُ
فَخَفَّ مَـعَ الجُمـوعِ إِلَيْـكَ قَلْبـي
يُـرافِقُهـا ومـا دَرَتِ الجُمُـوعُ
وَمَـزَّقَـهُ الحَنِيـنُ فَكُـلُّ جُـرْحٍ
هَـوىً يَشْـكو وغـالِيَـةٌ تَضُـوعُ

* * *

أَمـيرِي والعُلَـى حَسَـبٌ رَفِيـعٌ
يُمِـكِّـنُ مَجْـدَهُ أَدَبٌ رَفِيـعُ
جَمَعْـتَ كِلَيْهِمـا فـزَكَـتْ أُصـولُ
عَلَـى نَعْمَائِـهـا وَزَكَـتْ فُـرُوعُ
تَحِـنُّ لَكَ الـرُبـوعُ وَلَسْـتُ أَدْري
لِمَـنْ تَشْـكـو مُصِيبَتَهـا الرُبـوعُ
تَنَمَّـرَ كُـلُّ خَـوَّانٍ لئيـمٍ
وَتـاهَ النَـذْلُ واخْتَـالَ الوَضِيـعُ

وَنَـالَـتْ مِـنْ حَرائِـرِنـا بَغِـيٌّ
لِـكُـلِّ هَـوىً مُسَـخَّـرَةٌ تَبُـوعُ

وَرُبَّـةَ حُـرَّةٍ جَاعَـتْ وَتغْنـى
بِثَـدْيَيْهَـا البَغِـيُّ فَـلا تَجُـوعُ

رَأَيْـتُ الـكُفْـرَ يَكْتُمُـهُ ذَوُوهُ
وَكُفْـرُ القَـوْمِ عُرْيَـانٌ خَلِيـعُ

وَأَوْصَـدَتِ الشـآمُ السَـمْـعَ عَنَّـا
فَما فِـي الشَـامِ للبَلْـوىَ سَمِيـعُ

عَنَـوْا للخَـائِنيـنَ وَدلَّـلُوهُـمْ
وما بالـوا بأرْحـامٍ تَضِيـعُ

ومـا صَرَعُـوا عَدُوَّهُـمُ بِنُعْمَـى
ولـكِـنَّ الـوَفـاءَ هُـوَ الصرِيـعُ

فَلَـوْ دَرَتِ الضُـلـوعُ صنيـعَ قَلْبِـي
لَـمـا غَفَـرَتْ جَرِيـرَتَـهُ الضُلـوعُ

يُطِيـعُ أَحِبَّـةً جَـارُوا عَلَيْـهِ
ويَأْمُـرُهُ الـزَمـانُ فـلا يُطِيـعُ

تَشَـفَّـعَ فـي ذُنـوبِهِـمُ وَفائِـي
فَفـازَ الحُـبُّ وانْتَصَـر الشَفِيـعُ

* * *

أميـري هَـذه شَكْـوى أَلَحَّـتْ
فضـاقَ بِجَمْـرِهـا الصَـدْرُ الوَسِيـعُ

وَعِنْـدَكَ مِثْلُهـا ولَـدى كلَيْنَـا
لأَسْـرارِ العُلـى حَـرَمٌ مَنِيـعُ
وَأَهْـلاً بالاميـرِ فَكُـلُّ قَلْـبٍ
إلـى لُقْيَـاكَ خَفَّـاقٌ نَـزُوعُ
نَزَلْـتَ مَعَ الـرَبيـعِ عَلـى رُبَانـا
فَقـالَ النـاسُ : أَيُّكُمـا الـرَبيـعُ

* * *

بين الامير والشاعر

أيا شاعرَ العُرْب الذي سارَ شِعْرُهُ
يُدَوِّي فلا يَثْنيهِ بَرٌّ ولا بَحْرُ
تذَكَّرْ بِثَغْرِ اللاذِقِيةِ صاحباً
اذا دَبَّ فيه اليأسُ أنعشَهُ الذِكْرُ

الامير مصطفى الشهابي

أميرَ الندى والاريحيَّةِ والعُلى
أَحَبُّ من النُعْمى شمائِلُكَ الغُرُّ
بيانُكَ لا عِطْر الجِنانِ وسِحْرُها
وطَبْعُكَ لا الشَهْدُ المُصفَّى ولا الخَمْرُ
صَحِبْتُكَ من عشرينَ تَجْمَعُ بَيْنَنا
من الأدبِ الأعلى الشمائِلُ والفِكْرُ
وأنّا تحدَّيْنا الطُغاةَ فلم يَضِقْ
بِطُغْيانِهِمْ مِنّا كِفاحٌ ولا صَبْرُ
وأنّا اناخَ الدهْرُ حِيناً بِعَسْفِهِ
علينا فلم يُسْلِسْ شكائِمَنا الدهْرُ
وأنّا تقاسمنا الإمارة بيننا
لكَ النثرُ في آفاقها ولِيَ الشِعْرُ
أقاربُ لا من أُسْرَةٍ أو عشيرةٍ
فمن صُور القُرْبى الشمائلُ والنَجْرُ

وأهْـلُ علـى بُعْـدِ الجـدودِ وإنمـا
أخـو الحُـرِّ في الـدنيا هو الماجِـدُ الحُرُّ
فدلّـلْ وفـائـي ما قَدَرْتَ فـإنّه
وحَقِّكَ نِعْـمَ الـذُخْـرُ إنْ فُقِـدَ الذُخْـر

سَكْب المروءات

الى أخي اكرم زعيتر

لـي أخٌ سَكْـبُ المـروّاتِ اذا الـداعي دعـاهُ
اريحـيٌّ اليَـدِ والفـكْـرِ، وللفـكـرِ نَـداهُ
مـاحـكـاه الهنـدوانـيُّ ولا أغنـى غِنـاهُ
أكـرمُ الـوُدِّ تفيـأنـا على الجُـلّىَ حِمـاهُ
صـاغـه الخيـرُ من الخيـر لُبـاباً واصطفـاهُ
مُعْـرِقُ الأمجـاد والأنسـابِ، طـابـت نَبْعتـاهُ
فـاذا عُـدَّت غطـاريـفُ العلـى فاذكـر أبـاهُ[1]
واذا عُـدَّتْ أسـاطيـنُ النُّهـى فاذكـر أخـاهُ[2]
واذا الميـدان جلّـى الـشـوطُ كـان ابـنَ جَـلاهُ
ضـاحـكٌ ما شئـت تُخْـفـي عـزّة الـكِـبْـر أسـاهُ
عبـقـريٌّ القلـب والعقـل تـرشّـفنـا سنـاهُ

٥ ـ ١١ ـ ٥٧

(١) المرحوم الشيخ عمر زعيتر الزعيم الفلسطيني الكبير
(٢) المرحوم العلاّمة عادل زعيتر

أخـا الجُلَّـى ..

إلى أخي الاعز الاغلى اكرم زعيتر

أأكـرم حبُّنـا أصـفـى وأسمـى
على عنَتِ الخطـوب من العتـاب
ومـا عـزَّيْـتُ حيـن ألَـمَّ خطـبُ
مصـابـك فـي جـلالتـه مصـابي[1]
أخـا الجُلَّـى : ورب أخ تعـرَّى
لـدى الجـلَّـى عـن الحسـب القُـراب
أُحِبُّـكَ للنبيـل مـن المعـالـي
وللعَـطِـرِ السَّـريِّ مـن الرغـاب
وأنـت اذا تحـدتـك الـرزايـا
ضيـاءُ الشـمـس يسـخـر بالسحـاب
تحـنُّ اليـك عنـد البعـد روحـي
حنيـن الـورد للنُّـطَـفِ العِـذاب
وحبُّـكَ نعمـة الـدنيـا وأحلـى
مـن النُّعمـى شمـائِلُـكَ السـوابي

(١) على اثر وفاة شقيقه المرحوم نبيه زعيتر

صهرت من الخطوب

أأكـــرمُ مـــا تضـــوَّعـــت الغـــوالـــي
بأعـــطـــر منـــك مأثـــرة وَعَرْفـــا
صُهِـــرْتَ مـــن الخـــطـــوب فـــزدت قـــدراً
وَتِلْـــكَ سجـــيةُ الـــذَّهَـــبِ المُصـــــفّـــى

بغداد سنة ١٩٣٩

إلى صديقي الدكتور ايمن الكزبري

أيـمـن الكـــزبـــــريُّ دنيـا من العـلم
ودنيـــــا مـــــروءةٍ ووفـــاءِ
زانـــهُ اللـــه بالعـــظيـــمِ من الطب
وجَلَّـــــتْ سَجِـــيَّـــةُ العظمـــاءِ

سيذكـرني

سَـيَـذْكـرنـي بَـعْـدَ الفـراقِ أحبتـي
وَيَبْقَـى مِـنَ المرء الاحـاديـثُ والذكـرُ
ورودُ الـرُّبـى بَـعْـدَ الـربيـعِ بعيـدةٌ
ويُـدنيـك منهـا فـي قـواريـره العطـرُ

١٩٧٨

البـــواكيـــر

الاهداء

الى مثال البطولة العربية الى الشهيد الراقد في ميسلون ، الى تلك الروح الكبيرة التي تمردت على العبودية وعلى الحياة .

مرابع الاحباب

مرَّ الشاعر بعد ميسلون بدار الملك فالفاها مقفرة .

أَمَرابِـعَ الاحْبَـابِ فِي قلبـي لِـمَنْ ظَعَنُـوا مَرابِـعْ
فَسَلِي الاضَالِعَ عَـنْ هَواهُ .. فَسِـرُّهُ عِنْـدَ الأَضَالِعْ
أَتْبَعْتُـهُ رَكْـبَ الحَبِيـبِ مُيَمِّمـاً ذاتَ الأَجَـارِعْ
وَسَـأَلْـتُ عَنْـهُ الـراجِعِيـنَ فَقِيـل قَلْبُـكَ غَيْـرُ راجِـعْ

* * *

بَعُـدَ الـذِيـنَ أُحِبُّهُـمْ والـوَجْـدُ يُذْكِيـهِ البِعـادْ
وَيْـلَ الجِيادِ فقد نَـأَتْ بأحِبَّتـي تِلْك الجِيَـادْ
بَعَثُـوا خيالَـهُـمُ وَكَيْـفَ بِـهِ لِمَـنْ حُـرِمَ الـرُّقَـادْ
أَتُـراهُـمُ عَلِمـوا بِمَـنْ أَصْفَـاهُـمُ صِـدْقَ الـوِدادْ

* * *

يا سَـاكِنِي القَصـرِ المَهِيـبِ عَفَـتْ ، وحقَّكُـمُ ، القُصُـورْ
وَتَغَيَّـرَ الـزَمَـنُ الخَـؤونُ فَمَـا وَفَى لَكُـمُ عَشِيـرْ
نُقِضَـتْ عُهُـودُكُـمُ وخَانَـكُـمُ المُقَـرَّبُ والسَمِيـرْ
وَتَنَـكَّـرَ الإِخْـوانُ حِيـنَ تَنَـكَّـرَ الـدَهْـرُ الغَـدُورْ

* * *

أَبْوابُـكُـمْ هُجِـرَتْ فَـلاَ نُـورٌ هُنَـاكَ ولا ازْدِحـامْ
قَـدْ كـان يُؤنِسُهـا الضِيَـاءُ فَصَـارَ يُوحِشُـهـا الظَـلامْ

واحَسْرَتَـا ! لُـمْـتُ الخُـطُـوبَ فَما انتَفَعْـتُ مِـنَ المَـلامْ
جَـدٌّ تَنَبَّـهَ ثُـمَّ أَدْرَكَـهُ الـكَـرى طِفْـلاً فَنَـامْ

* * *

أَحْبَـابَنَـا أَيْـنَ الأُلَـى نَظَمُـوا بَمَدْحِـكُـمُ الجَواهِـرْ
أَيْـنَ القَصـائِـدُ تَزْدَهِـي مُتَبَـاهِيـاتٍ كالضَرَائِـرْ
أَيْـنَ المُغَنِّـي والنَـدِيـمُ وَأَيْـنَ ذو الغُـرَرِ السَوائِـرْ
صَمَـتَ الجَمِيعُ وَلَـمْ يَفُـهْ غَيْـرِي مِنَ الشُعَـراءِ شَاعِـرْ

* * *

غَنَّيْـتُ مـا شـاء القَـرِيـض لَدَيْكُـمُ مُتَرَنِّـمَـا
وَنَطَـقْـتُ عَـنْ سِـرِّ القُلُـوبِ مُعَبِّـراً وَمُتَرْجِمَـا
حَتَّـى اذا نَزَلَ القَضَـاءُ مُعَبِّسـاً مُتَجَهِّمَـا
رَدَّدْتُ شِعْـرِي فـي حِمـاكُـمْ باكِيـاً مُتَأَلِّمَـا

* * *

أَنَـا لا يُغَـيِّرُنِـي الصُـدودُ ولا الجَفَـاءُ ولا النَـوَى
وَلِـعٌ بِسُـكَّانِ اللِـوى مَرْحَـى لِسُـكَّـانِ اللِّـوى
واللـهِ قَلْبِـي مـا تَنَـكَّـبَ عَـنْ هَـواهُ ولا ارْعَـوى
لا خَـانَ عَهْـدَكُمُ الـوَثِيـقَ علـى البِعَـادِ ولا نَـوى

* * *

بَسَماتُ شِعْري حَوَّلَتْها الفاجِعاتُ الى دُمُوعْ
فإذا بكَيْتُ على الرُبُوعِ فإنَّ ذا حَقُّ الرُبُوعْ
الفَاخِراتُ على الزَمَانِ التائِهَاتُ على الرَّبِيعْ
سَلَبَ الزَمَانُ جَلالَهَا وَجَمَالَ فَرْقَدِهَا الرَفِيعْ

* * *

أحْبَابَنَا لا تَضْعُفوا فالضُعْفُ داعِيَةَ الفَنَاءْ
وَتَعَلَّموا أنَّ الحَيَاةَ وَصَفْوَهَا للأقْوِيَاءْ
النَّاهِدِينَ الى النِزالِ الصابِرِينَ على البَلاءْ
القَاحِمِينَ على الخُطُوبِ عَرِينَها وعلى القَضَاءْ

* * *

أيْنَ الشَرائِعُ ؟ لَمْ يَعُدْ في الارْضِ ظِلٌّ للشَرائِعْ
دَرَسَتْ وقَامَ بِنا على أنْقَاضِها دينُ المَطَامِعْ
الصِدْقُ ما نَطَقَتْ بِهِ في الناسِ أفْواهُ المَدافِعْ
والحَقُّ ما قَامَتْ تُؤَيِّدُهُ الظُبَى البِيضُ القَواطِعْ

* * *

ضَلَّ الذي زَعَمَ الأنامَ عَنِ القَدِيمِ تَقَدَّمُوا
الناسُ في كُلِّ العُصورِ كَما عَلِمْتَ هُمُ هُمُ
يَشْقَى الضَعيفُ وَيَسْتَبِدُّ بِهِ الكَمِيُّ المُعْلَمُ
وتُحَلَّلُ الأطْمَاعُ ما تَخْتَارُهُ وَتُحَرَّمُ

* * *

دُوَلٌ تَـدُولُ وَغَيْـرُهـا نُبْنَـى علـى أَنْقاضِهَـا
وَمَـالِـكٌ مَرِضَـتْ فَحَـارَ الـطِـبُ فـي أَمْراضِهَـا
قُصَّـتْ قَوادِمُهـا فَمَـنْ يَحْنُـو عَلـىٰ مُنْها ضِها
ترمـي الليـالي بالخـطـوبِ ونحـنُ من أَغـراضهـا
(١٩٢٠)

الى الحبيبة الصغيرة

أنـا إنْ بَعُـدْتُ عَنِ الـديـارِ فإنَّني
يـا مَـيُّ قَلْبِـي في ديارِكِ بَاقِـي
حُبِّـي وإنْ شَـطَّ النَوى بِمَـزارِكُـمْ
حُبِّـي وأشْـواقِـي لَكُـمْ أشْواقِـي
لا تَـرْقُبُـوا مِنِّـي تَنـاسِي عَهْـدِكُـمْ
إنَّ الـوَفَـاء المَحْضَ مِنْ أخْلاقِـي
أنـا لَسْـتُ أُخْلِـفُ بالنـوى ميثـاقكم
أو تُخْلِفُـونَ علـى النـوى ميثاقـي
وَيُـريقُ أدْمُعِـيَ الصُـدودُ وإنْ يَكُـنْ
دَمْعِـي هَـوْلِ المـوْتِ غَيْـرَ مُـراقِ
أنـا كـالحُسـامِ اذا جَـلاهُ صـاقِـلٌ
يَـزْدَادُ إشْـراقـاً علـى إشْـراقِ

* * *

(١٩٢٠)

الشاعر والبؤس

خُلِـقَ الشـاعِـرُ والبُـؤْسُ مَعَـاً
فَهُمـا خِـلاَّنِ لَـمْ يَفْتَـرِقَـا

* * *

ذَهَـبَ العُمْـرُ ولَـمْ تُمْسِكْ بَـدِي
بَيْـنَ أتْـرابِـي صَفِيَّـاً أوْ خَلِيـلاَ

أنَـا فِي الـكَـوْنِ شَقِـيٌّ حائِرٌ
لا أرى نُوراً ولا أُهْـدَى سبيـلاَ
أنَـا طَيْـرٌ لَمْ يُغَـرِّدْ فاسْمَعُوا
بـالـدُجَى مِنْـهُ نُـواحـاً وعـويـلاَ
أنـا إنْسـانُ غَـرِيـبٌ أمْـرُهُ
شَـرِبَ السُـمَّ وعـافَ السَـلسـبيلا
أنـا رُوحٌ حُـرَّةٌ طائِـرَةٌ
رَضِيَـتْ بَيْـنَ الـدَرارِيِّ مقيـلاَ
تَـرْمُـقُ الـدُنيـا فَتَبْـكـي جَزَعـاً
وتُـناجِـي أهْلَهـا جِيـلاً فَجِيـلاَ
شَـارَكَـتْ فِي الحُـزْنِ مَنْ ذَاقَ الأسَـى
وَأبَـتْ مِثْلَهُـمُ الصَـبْـرَ الجَمِيـلاَ
وَشَـكَتْ حَـرَّ الهَـوى حِـينَ شَكَوْا
وَبَـكَتْ حـينَ نَـوى الإلْـفُ الـرَحِيـلاَ

بُـورِكَ الحُـبُّ ومـا أَعْـدَلَـهُ
مَلَكَ الـرُوحَ وَلَـمْ يَنْسَ الهَيُـولى

* * *

قَدْ سَرَى في الـكَوْنِ حتَّـى لَمْ يَدَعْ
فـي قُلوبِ النـاسِ قَلْباً مُغْلَقـا
هُوَ حُزْنٌ هـادِىءٌ في غِبْطَـةٍ
وَهْـوَ لَوْ ذُقـت نَعِيمٌ في شَقَـا

* * *

إيْـهِ يا مَوْجُ سَلاماً هَكَـذا
يُرْسِلُ الصَبُّ مَعَ المَـوْجِ سَلامَهْ
أَنَـا مَظْلـومٌ فَمَـنْ هَذا الذي
يَـرْفَعُ الغُمَّـةَ عَنِّـي والظُـلاَمَـهْ ؟
مَـرَّ بِـي الـدَهْـرُ فَأَدْمـى مُقْلَتِي
بَعْـدَ أَنْ اثْبَـتَ في قَلْبِـيْ سِهامَهْ
لَمْ يُغَيِّـرْنـي سَقَـامـاً وهَـوىً
إنْ يَكُـنْ غَيَّـرَنـي وَجْهـاً وقَامَـهْ
هَاتِ حَدِّثْنِـي عَـنِ العَهْـدِ الذي
كَانَ فِي ثَغْـرِ لَيَالِـيَّ ابْتِسـامَهْ
لا أرى مِنْ بَعْـدِ عِشْرِينَ مَضَـتْ
عَجَبـاً إنْ عَـاوَدَ القَلْـبُ غَـرامَهْ

ذَكَرَ الشامَ سَقاهَا صَيِّبٌ
طاهِرُ المُزْنِ وحَيَّتْهَا غَمامَهْ
لا تَلُمْهُ حِينَ يُصفِيهَا الهَوى
إنَّما الشَامُ بوَجْهِ الدَّهْرِ شَامَهْ

***

كَيْفَ لَمْ أقضِ حَنِيناً وأسىً
يَوْمَ فارَقْتُ بِرَغْمِي جِلِّقَا
لِلَّقا : قَالَتْ : وَمَنْ أعْلَمَهَا
أَنْسِي أَحْيا إلَى يَوْمِ اللِّقَا

* * *

أُنشُقي أَزْهَارَ شِعْرِي غَضَّةً
إنِّي أَلْقَيْتُهَا بَيْنَ يَدَيْكِ
واعْذُرِيني حِينَ أَبْكِي واذْرِفي
دَمْعَةً طَاهِرَةً مِنْ مُقْلَتَيْكِ
حِرْتُ في الحُبِّ إلى أنْ لاَحَ لِي
سِرُّهُ مُحْتَجِباً في ناظِرَيْكِ
قُوَّةٌ قاهِرَةٌ تَجْذِبُنِي
حَيْثُما يَمَّمْتُ مُضْطَرّاً إلَيْكِ
هَذِهِ المَوْجَةُ فَرَّتْ بَعْدَمَا
قَبَّلَتْ بالسِرِّ إحْدى قَدَمَيْكِ

لا تَلومِيهـا فَمَا فِـي قُبْلَـةٍ
طَهُـرَتْ إِثْـمٌ عَلَيْهـا أَوْ عَلَيْـكِ
ونَسِـيمُ الصُـبْـحِ مَا أَسْعَـدَهُ
حِيْـنَ تَـرْوِيـهِ حُمَيَّـا شَفَتَيْـكِ
وَيْـحَ شِنْفَيْـكِ قَدِ اهْتَـزَّا هـوىً
حِينَمـا شَمَّـا الشَـذَى مِنْ وَجْنَتَيْكِ
كُلُّ ما في الـكَوْنِ يَهْـواكِ فَهَلْ
حِلْيَـةُ الـزَنْـدَيْنِ تَهْـوَى مِعْصَمَيْـكِ

* * *

إنَّ فـي نَهْـدَيْـكِ طِيباً عَبِقَـاً
أَنْشِـقِـي الشَـاعِـرَ هَـذا العَبَقَـا
واذْكُـرِي الشَـاعِـرَ والبُـؤْسَ مَعَـاً
فَهُمـا خِـلاَّنِ لَـمْ يَفْتَـرِقَـا

* * *

(١٩٢١)

حَيَاةُ أَسيرِ القَيْدِ لَفْظٌ بِلا مَعْـنى

الانتداب الفرنسي في عنفوانه . وفي الفورة من طغيانه . وقد جزأ الوطن شر تجزئة . وأقام دويلات في اللاذقية وحلب وجبل الدروز وقطع كل صلة بين هذه الاجزاء وبين الأم الرؤوم الخالدة دمشق واشتد تنكيله بالاحرار الذين ينادون ـ بالوحدة في الوطن الواحد .

أتُغْنِـي ومـا أجْـدى الحُسـامُ ولا أغْنَـى
قَـوافٍ مِنَ الأشْعَـارِ تَبْقَـى ولا تَفْنَـى
أدَرْتُ على الأسـماعِ مِنهـا سُـلافَـةً
وأرْضَيْتُ فيها اللهَ والعُرْبَ والفَنَّـا
تُحَـذِّرُنـي قَرْضَ القَـريضِ مُهَـذَّبـاً
عِصابَـةُ شَـرٍ لا تُقِيمُ لَـهُ وَزْنَـا
وَهَـدَّدَنِي بالسِـجْنِ قَـوْمٌ سَفَاهَـةً
فَتى العَـرَبِ الأَنْجـادِ لا يَرْهَـبُ السِجْنَـا
سَأَبْعَـثُ مـن شِعْـري جِيـاداً مُغِيرَةً
عَلَيْهـا كُـمَاةٌ تُحْسِـنُ الضَرْبَ والطَعْنَـا
وَأُذْري علـى الاطْـلال أطْـلالِ يعـرب
مَـدامِـعَ حُـرٍّ تَسْـتَحيلُ قَنَـاً لُدْنَـا
هَـلِ الشِعْـرُ الا بَسْـمَـةٌ تُمْنَـحُ الفَتَـى
هَـنَـاءَ المُنَـى أَوْ دَمْعَـةٌ تَبْعَـثُ الحُـزْنَـا
يَظُنُّـونَ أنَّ الشِـعْـرَ وَزْنٌ وطَـالَمَـا
قَـرَأْتُ مِـنَ الأشْـعـارِ مـا خَالَـفَ الـوَزْنَـا

مِنَ الشِعْـرِ - أَصْفـى الشِعْـرِ - بَيْتٌ مُنَمْنَمٌ
تَسِيرُ الصَبَـا فـيه لِتُنْشِـدَهُ الغُصْنَـا

مِنَ الشِعْـرِ - أَحْلى الشِعْـرِ - ثغـرٌ مُقَبَّلٌ
رَشَفْـتُ بِـهِ السَّلْـوى ولَـمْ أُحْـرَمِ المُنَّـا

وفي عَـيْـنِ سَلْـمـى قد تَلَـوْتُ قصيدةً
مِـنَ الشِـعْـرِ لم تَتْـرُكْ لِضَرَّاتِـهـا حُسْنـا

وللشِـعْـرِ آيٌ فـي النُـهـودِ قَـرأْتُـها
وفـي الشَـفَـةِ اللَمْيـاءِ والمُقْلَـةِ الوَسْنَـى

نَـأَيْـتُ عَنِ الفَيْحـاءِ - لا عَـنْ مَلالَـةٍ
وَحيـداً ودمعـي يَـوْمَ فُـرْقَتِهـا مَثْنَـى

فَلِلَّـهِ مَغْنَـى الغُـوطَتَيْـنِ ولا سَـقَتْ
على البُعْـدِ الا أَدْمُعـي ذلـك المَغْنـى

يَقُـولـونَ : غَـنَّ الغُـوطَتَيْـنِ وَهَـلْ رَأَوْا
مُحِـبّـاً علـى مَثْـوى حَبيبتـهِ غَـنَّـى

فَيـا جَنَّـةَ الفِرْدَوْسِ لَـو لَمْ يَعِـثْ بِهـا
شياطيـنُ إنْـسٍ رَوَّعُـوا الإنْـسَ والجِنَّـا

ويـا جَنَّـةَ الفِـرْدَوْسِ ، لَـكِنْ قُطُـوفُـها
بِغَيْـرِ أَكُفِّ الصيـدِ مِنْ أَهْلِـهـا تُجْنَى

حَنَنْـتُ الى رَيَّـاكِ والسَيْـفُ مُصْلَـتٌ
وَقَـدْ يُعْـذَرُ النـائـي الغَـريـبُ إذا حَنَّـا

وذكّرني رَيّاكِ رَوْحٌ شَمَمْتُهُ
كَأنَّ شَذاهُ مِنْ خَمائِلِكِ الغَنّا

فَياوارِدي ماءَ الشآمِ رَوِيتُمُ
فَلِلّهِ ما أصْفَى ولله ما أهْنى

ويا ناظِري غيدَ الشآمِ نَعِمْتُمُ
فَلِلّهِ ما أبْهَى ولِلّهِ ما أسْنَى

ويا عُصْبَةً في الغُوطَتَيْنِ ، فَتاهُمُ
اذا جادَ لَمْ يُتْبِعْ عَطِيَّتَهُ مَنّا

أرى أنَّ هَذا الأمْرَ قد جَدَّ جِدُّهُ
فَكُونوا لنا حِصْناً نَكُنْ لَكُمُ حِصْنا

ولا تَثْنَ مِنْ هَذي الأعِنَّةِ قُوَّةٌ
فإنَّ عِنانَ اليَعْرُبِيّينَ لا يُثْنى

ولا تَقْنَطُوا مِنْ بَارِقِ الفَوْزِ إنَّني
أرى الفَوْزَ مِنْكُمْ قَابَ قَوْسَيْنِ أوْ أدْنى

لَقَدْ زَعَمَ الواشُونَ أنّي نَسِيتُكُمْ
شُروطُ الهَوى : أنْ لا تُعِيروهُمُ أُذْنا

يُريدونَ هذا البُعْدَ بَيْني وبَيْنَكُمْ
فَلا نَعِمُوا بالاً ولا صَحِبُوا يُمْنا

هُمُ حَجَبُوا عَنّا نَسيمَ حِمَاكُمُ
وَهُمْ نَقَلُوا زُورَ الحَديثِ لَكُمْ عَنّا

أسِئْيوا بِهِمْ ظَنّاً وإنْ لاَنَ مَسُّهُمْ
فَوَاللهِ وَدُّوا أَنْ تُسيئوا بِنَا ظَنّا
وإنّا عَلى جَوْرِ الخُطوبِ وعُنْفِهَا
وَحَقِّ هَواكُمْ ما غَدَرْنَا ولا خُنّا
لِسِرٍّ مِنَ الأَسْرارِ لا تَجْهَلُونَهُ
تَخَلَّتْ عَنِ اليُسْرى شَقيقَتُها اليُمْنَى

* * *

لَئِنْ خَانَ عَهْدَ الغُوطَتَيْنِ عِصَابَةٌ
رَأَوْا بَيْعَهُمْ رِبْحاً وأَلْفَيْتُهُ غَبْنا
فَفِي الجَبَلِ النَائي لِعُصْبَةِ جِلِّقٍ
مِنَ الْقَوْمِ خِدْنٌ لَمْ يَخُنْ فِي الهَوى خِدْنَا
أَمِينٌ على عَهْدِ الشآمِ كَأَنَّهُ
يَرى وهو قَيْسُ الحُبِ في جِلَقٍ لُبْنَى
إذا هَمَّ أَمْضَى هَمَّهُ غَيْرَ جَازِعٍ
وَراحَ ولم يَقْرَعْ لِفِعْلَتِهِ سِنّا
نَمَتْهُ إلى أَبْناءِ جَفْنَةَ فِتْيَةٌ
مَيامِينُ لَمْ تَأْلَفْ سيوفُهُمُ جَفْنَا
إذا طَرَقُوا بابَ المُلوكِ فإنَّهُمْ
بِغَيْرِ العَوالِي السُمْرِ لَمْ يَسْأَلُوا إذْنَا

* * *

خُـذُوا حِذْرَكُـمْ يا ناقِمِيـن مَـعَ العِـدَى
عَلى النَفَـرِ الأَدْنَـيْنَ مِنْ أَهْلِكُمْ جُبْنَا
خذُوا حِذْرَكُـمْ يا دافِنِـي رَأْيِ قَوْمِهِـمْ
فلِلشَـمْسِ نُـورٌ لَنْ تُطِيقُـوا لَهُ دَفْنَـا
دَعُـونـا وَهَـذا الأَمْـرَ نَنْـهَضْ بِعِبْئِـهِ
فَمَـا نَحْـنُ مِنْـكُمْ لا ولا أَنْتُـمُ مِنَّـا
رَقَـدْتُـمْ ومَـا نِمْنَـا غِـراراً على الأَذَى
وَدِنْتُـمْ لأَعْـداءِ الشآمِ ومـا دِنَّـا
إِذَا أَغْمَضُـوا جَفْنَـاً عَنِ الشرّ رُحْتُـمُ
تَـوَدُّونَ أَنَّ القَـوْمَ لَمْ يُغْمِضُـوا جَفْنَـا
فَـلا تُكْبِـروا نُعْمَى الهَـوانِ فـإِنَّـما
حَيَـاةُ أَسـيرِ القَيْدِ لَفْـظٌ بِلا مَعْنَـى
ولا تُكْبِـروا هَـذي البُـرودَ نَواعِماً
وإِنْ فُوِّفَـتْ ذَيْلاً وإِنْ وُسِّـعَـتْ رُدْنَـا
فَلَيْسَتْ تَزِينُ الـمَـرْءَ حُـلَّـةُ سَيِّـدٍ
إِذَا كَانَ عَبْـداً فـي شَمَائِلِـهِ قِنَّـا
لأَهْنَـأُ مِـنْ رَبِّ القُصـورِ مُقَـيَّداً
طَلِيـقٌ مِـنَ الأَطْيَـارِ أَبْقَـوا لَـهُ وَكْنَـا

* * *

أَدِيرِي عَلَـيَّ الـكَأْسَ صِرْفَـاً وَعَلِّلِـي
فَتَـاكِ فَـقَـدْ أَفْنَـى الهَـوى مِنْـهُ ما أَفْـنَـى

وَغَنِّـي عَلَىٰ لَحْـنِ الشَبَـابِ فإنَّـنِي
لأَعْشَـقُ هـذا الثَغْـرَ والنَـايَ واللَّحْنَـا
لَئِـنْ أُطْفِئَـتْ يا مَـيُّ نِـيرانُ يَعْـرُبٍ ١
هَـوانـاً فـإنَّـا سَـوْفَ نُضرِمُـهَـا إنَّـا
وَلا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ أَغَـرَّ مُحَجَّـلٍ
تَـطِيـرُ الجِبَـالُ الـراسِيَاتُ بِـهِ عِهْنَـا
يُصـافِـحُ فِيهِ قائِـمَ السَيفِ خَـالِـدٌ
فَيَضْـرِب حَتَّـى يُكسَـرَ السَيْـفُ أَوْ يُحْنَـى
وَكَمْ فـي بُـطونِ الْيَعْـرُبِيَّـاتِ خَالِـدٌ
سَـيُرْجِعُ ظَهْـرَ الأَرْضِ مِـنْ حَنَـقٍ بَطْنَـا

(١٩٢١)

ماك سويني

ماك سويني هو محافظ مدينة كورك الارلندية اعتقله الانكليز بقضية وطنية فأضرب عن الطعام احتجاجا على طغيانهم حتى وافته المنية .

أَحَقًّا ما رَوَتْ عَنْكَ الرُّواةُ
تُرى أَمْ في حَدِيثِهِمُ هَنَاتُ
وَهَلْ نَبَأٌ رَواهُ البَرْقُ صِدْقٌ
أَمِ الأَسْلاكُ فيه كاذِباتُ
غَلَبْتَ المَوْتَ فِيهِ وذَاكَ أَمْرٌ
سَتُكْبِرُهُ القُرونُ الآتِياتُ
وَهَوَّنْتَ المَنُونَ لِشارِبِيهَا
فَلا أَلَمٌ هُناكَ ولا شَكاةُ
سَلَكْتَ صِعابَهَا مافُلَّ حَدٌّ
لِعَزْمِكَ لا ولا غُمِزَتْ قَنَاةُ
وأَرْخَصْتَ الحَياةَ فَيا لَكَنْزٍ
أَزالَتْهُ المَقادِيمُ الأُباةُ
بَسَطْتَ يَدَيْكَ بَسْطَةَ أَرْيَحِيٍّ
فَكانَتْ مِنْ عَطَايَاكَ الحَياةُ
وكُنْتَ هُناكَ أَجْرأَهُمْ جَناناً
إِذا طاشَتْ مِنَ القَوْمِ الحَصَاةُ

وأَثْبَتَهُمْ لدى الجُلَّى فُؤاداً
إذا ما أَعْوَزَ القَوْمَ الثَباتُ

* * *

بَلَغْتَ مِنَ العِدى بالمَوْتِ مالَمْ
تُبَلِّغْهُ السُيوفُ المُرْهَفاتُ
لَقَدْ وَقَفوا لَدَيْكَ وَهُمْ حَيارَى
فَراعَهُمُ سُكونُكَ والأَناةُ
رَأَوْكَ تَهِشُّ في وَجْهِ المَنايا
وَحَوْلَكَ في الحَياةِ الطَّيباتُ
وَتَبْسِمُ لِلْمَنُونِ وَقَدْ تَسَنَّتْ
لَوِ اخْتَرْتَ النَجَاةَ لَكَ النَجاةُ
وَتَقْتَبِلُ الرَدى ظمأً وَجُوعاً
ليذْكُو الغَرْسُ بَعْدَكَ والنَباتُ
فَأَكْبَرَكَ العُداةُ ورُبَّ حُرٍّ
تَغَنَّتْ في بُطولَتِهِ العُداةْ

* * *

عَصَيْتَ العَاطِفاتِ فَمُتَّ جُوعاً
وَمِنْ بَعْضِ القُيودِ العاطِفاتُ
وَلَمْ تَبْخَلْ بِنَفْسِكَ وهْيَ كَنْزٌ
مَتَى بَخِلَتْ بِأَنْفُسِهَا الكُماةْ

لَقَـدْ حَـرَّرْتَهـا فَسَـمَتْ صُعُـوداً
كَمَا سَمَتِ النُجـومُ النَيِّـرَاتُ
عَلَـوْتَ بِـهـا عنِ الأَعْـراضِ حَتَّـى
تَسـاوَى المَوْتُ عِنْـدَكَ والحَيـاةُ

* * *

(١٩٢١)

أي أمر ساءها ؟

إنّي اسْتَعَرْتُ مِنَ الكَواكِبِ في الدُّجى لألاءَها
وَمِنَ الغَزالَةِ وَهْيَ تَرْكَعُ في السَماءِ ضِياءَها
ومِنَ الحَمائِمِ فِي الغُصُونِ نُواحَها وغِناءَها
وأخَذْتُ مِنْ نُجُلِ العُيونِ فُتورَها وصَفاءَها
وَمِنَ الخَمائِلِ حِينَ باكَرَها الحَيا أنْداءَها
وَسَرَقْتُ مِنْ لُعْسِ الشِفاهِ على الهوى صَهْباءَها
وَمِنَ الوُرودِ عَبيرَها وَمِنَ العُقُودِ سَناءَها
لأصُوغَ مِنْها حِلْيَةً وَقَفَتْ عَلَيْكِ رُواءَها
تُغْضِي العُيونُ لِحُسْنِها أوَ لَمْ تَرَيْ إغْضاءَها
وتَوَدُّ تِيجَانُ المُلوكِ لَوِ اغْتَدَيْنَ إماءَها

* * *

واحَسْرَتاهُ فإنَّني لَمْ أسْتَطِعْ إرْضاءَها
صَدَّتْ وَكَيْفَ يُطِيقُ قَلْبِي صَدَّها وَجَفاءَها
وَرَمَتْ بِحِلْيَتِيَ النفيسَةِ : أيُّ أمْرٍ ساءَها

* * *

مِنْ رَنَّةِ العِيدانِ وَهْيَ جَوامِدٌ تَتَكَلَّمُ
مِنْ ضِحْكَةِ الأطْفالِ وَهْيَ بِنُطْقِهَا تَتَلَعْثَمُ

مِـنْ شَـدْوِ وَرْقـاءٍ تَنُـوحُ وبُلْبُـلٍ يَتَرَنَّـمُ
وَمِـنَ النَسِيمِ العَـذْبِ يَهْمِـسُ بُكْـرَةً ويُتَمْتِمُ
أَلَفْـتُ أَلْحـانِي لأُسْـعِـدَ أَنْفُسـاً تَتَأَلَّـمُ
وَرَفَعْتُهـا لَـكِ وَهْـيَ أَنْفَسُ مـا لَدَيَّ وَأَوْسَمُ
أَهْـدَيْتُهَـا لَـكِ رُبَّمَا أَهْدَى المُقِـلُّ المُعْـدِمُ
هِـيَ لِلْقُلُـوبِ الـدامِيـاتِ وَحَـقِّ حُسْـنِـكِ مَرْهَـمُ
يَسْلُـو الحَـزِيـنُ بِهـا ويَـرْتَـاحُ الـكَئِيـبُ المُغْـرَمُ
وَيَعُـودُ لِلقَلْـبِ الشَـبـابُ وعَصْـرُهُ المُتَقَـدِّمُ

* * *

وَاحَسْـرَتَـاهُ فـإِنَّنِـي لَـمْ أَسْتَـطِـعْ إِرْضَـاءَهَـا
صَـدَّتْ وَكَيْـفَ يُطِيـقُ قَلْبِـي صَـدَّهَـا وَجَفَـاءَهَـا
وَرَمَـتْ بِـأَلْحـانِي الـرَفِيعَـةِ : أَيُّ أَمْـرٍ سَـاءَهَـا

***

أَلـذُلُّ لَسْـتُ أُطِيقُـهُ أَتُـرى سِـوايَ يُطِيـقُـهُ
مـاذُقْتُـهُ قَبْـلَ الهَـوَى لكِنَّنِـي سـأَذُوقُـهُ
قَلْبِـي بِحُبِّـكِ خَـافِـقٌ فَمَتَـى يَقَـرُّ خُفُـوقُـهُ
شُـرِّدْتُ عَنْـكَ وَضَـمَّنِـي نـائِي المَـزارِ سَحِيقُـهُ
فَـأَرَقْـتُ دَمْـعَ أَخِـي هَـوىً فِي الخَـطْبِ قَـلَّ صَـدِيقُـهُ
إِنْ كُنْـتِ لَـمْ تَـرْضَـيْ بِهِ هَـذا دَمِـي سَـأُرِيقُـهُ
أَعَلِمْـتِ أَنِّـي شَـاعِـرٌ حُـرُّ البَيـانِ طَلِيـقُـهُ
يُـوحَـى إِلَـيَّ مِـنِ القَـرِيـضِ بَـدِيعُـهُ رَقِيقُـهُ

هَـــذي قَـلائِـدُهُ وذَا يـاقـوتُـهُ وَعَقِيـــقُـــهُ
فَتَقَبَّـــلِيـــهـا واسْـــمَعِـــي شِعْـــراً يُـدارُ رَحِيقُـــهُ

* * *

واحَسْـــرَتَـاهُ . فـإنَّنـي لَـمْ أَسْتَـطِـعْ إرْضَـاءَهَـا
صَـدَّتْ وَكَيْـفَ يُطِيـقُ قَلْبِـي صَـدَّهـا وَجَفـاءهَـا
وَرَمَـتْ بـأَشْـعَـارِي النَفِيـسَةِ : أيُّ أَمْـــرٍ سَـاءهَـا

* * *

(١٩٢١)

يا قمر

هـاتِ حَـدِّثْنِـي فَقَـدْ طَـابَ السَمَـرْ
وأَنِـرْ ظُلْمَـةَ نَفْسِـي يـاقَمـرْ
سُـوَرُ الحُسْـنِ فـلا تَبْخَـلْ بِـهَا
إنَّ للشـاعِـرِ أَلْحَـانَ السُـوَرْ

* * *

أنـا نَشْـوانُ وَمِـنْ خَمْـرِ الهَـوى
قَـدْ تَرشَّفْـتُ رَحيقـاً بـابِلِيًّـا
سَكْـرَةٌ للحُـبِّ فـي عَهْـدِ الصِبَـا
كَيْـفَ لا يُعْـذَرُ مَنْ كَـانَ صَبِيًّـا
فِـي ظِـلالِ الـوَرْدِ أَحْـسُـو خَمْرَتِي
مُشْـرِكـاً فِي كـأْسِـيَ الـزَهْـرَ النَـدِيًّـا
نَهْلَـةٌ مِـنِّـي و مِنْـهُ نَهْلَـةٌ
هَـكَـذا نَرْتَشِـفُ الـكَـأْسَ هَنِيًّـا
لامَنِـي النَـاسُ على حُـبِّ الطِلَـى
فـاعـذِرِ الشـاعِـرَ فيهـا يـا قَمَـرْ

* * *

آهِ للأَزْهـارِ مِـنْ شَـاعِـرَةٍ
تَجْهَـلُ الأَوْزانَ والشِـعْـرُ شُعـورْ

آهِ للأَزْهـارِ فـي أَوْراقِهَـا
كَتَـبَ الـدَهْـرُ رِوَايـاتِ العُصُـورْ
هـذِهِ الأَغْصـانُ هَـزَّتْهـا الصَّبـا
نَضـراتٍ ، كُـنَّ فـي الأَمْـسِ خُصـورْ
وَثُغـورُ الـوَرْدِ في أَكمـامِـهِ
كُـنَّ لِلْغيـدِ المَعَـاطِيـرِ ثُغـورْ
هَـذِهِ أَسْـرارُ جَنَّـاتِ الرُبَـى
فـاسْـمَـعِ السِـرَّ وَصُـنْـهُ يا قَمَـرْ

* * *

يـا قُـلُـوبـاً غَيَّـرَتْ أَشْكَالَهَـا
أَيَّ تَغْيِيـرٍ نَـوامِيـسُ الطَبِيعَـةْ
حَـوَّلَتْهـا وَهْـي لَحْـمٌ وَدَمْ
زَهَـراً يُـذْرِي علـى الأَمْـسِ دُمُـوعَـهْ
أَنـا مَظْلُـومٌ شَقِـيٌّ فاهْمِسـي
بِحـديثِ الـدَهْـرِ ، إِنِّـي لَنْ أُذِيعَـهْ
طَـالَ يـا ظمـأى بِأَقْـداحِ الطِلَـى
عَهْـدُكِ النـائـي : أَتَهْـوَيْـنَ رُجـوعَهْ
فـارشُـفِـي خَمْـرَةَ كَـأْسِـي ، واذْكُـرِي
أَدْمُعِـي واشْـهَـدْ عَلَيْهـا يـا قَمَـرْ

* * *

مـي في وطنهـا

زارت الكاتبة الخالدة لبنـان سنـة ١٩٢١ فزارت فيه الارز وبعلبك ثم زارت دمشق والشاعر يصور خواطره هنا عن الامكنة الثلاثة التي زارتها . ويعاتبها لأنها لم تزر اللاذقية .

يـا أَرْزَ لُبْنَـــانَ وَقَـدْ أَقْبَـلَـتْ
مَـيٌّ وَسِـرْبُ الغَـانِيَـاتِ المِـــلاحْ
وانْحَنَـتِ الهَـامـاتُ مِـنْ هَـيْبَـةٍ
لِمَـجْـدِكَ البَـادِي بِتِـلْـكَ البِطَـاحْ
أَمَـا قَـرأْتَ الحُـبَّ فـي سُـورَةٍ
خُـطَّـتْ على تِلْـكَ الـوُجوهِ الصِـبَـاحْ
كـافَحْـتَ إعْصَـارَ الـرَدَى ظَـافِـراً
فَمَـنْ مَحَـا آثَـارَ ذَاكَ الكِفَـاحْ
وَجَـرَّدَ الـدَهْـرُ عَلَيْـكَ الظُبَـى
فانْخَـذَلَ الـدَهْـرُ وَفُـلَّ السِـلاحْ
غَـالَبْتَـهُ تَسْخَـرُ مِـنْ صَـرْفِـهِ
كِبْـراً ولا تَخْشَـى القَضَـاءَ المُتَـاحْ
مـا نَـالَ مِنْـكَ الدَهْـرُ إلاَّ الـذِي
نَـالَـتْ مِـنَ الصَـخْـرِ الأَصَـمِّ الرِيَـاحْ
أَيْـنَ سُلَيْمَـانُ وَبَلْـقِيسُـهُ
أُخْـتُ هِـلالِ الأُفْـقِ بِنْـتُ الصَبَـاحْ

وَأَيْـنَ ذَاكَ الهَيْـكَـلُ المُـرْتَجَـى
هِيْضَـتْ خَـوافِيـهِ وَقُـصَّ الجَنَـاحْ
فاثْـلُ عَلـى مَـسِيَّ أحـادِيثَـهُ
مِـنْ يَـوْمَ شـادُوهُ الـى يَـوْمَ طَـاحْ

* * *

يـا بَـرَدَى الشَـامِ وَقَـدْ أقْبَلَـتْ
مَـسِيُّ الفَتَـاةُ الغَـادَةُ الشَـاعِـرَهْ
لا تُنْـكِـرِ الشَّـوْقَ فَقَـدْ صَفَّقَـتْ
مِـنْ وَجْـدِهَـا أمْـواهُـكَ الطَـاهِـرَهْ
تَـلاَ عَلَيْهـا بَرَدَى مـا جَـرَى
عَلَيْـهِ فِـي أيَّـامِـهِ الغَـابِـرَهْ
فاسْـتَعْبَـرَتْ تَـذْكُـرُ آلامَـهُ
يـا حَبَّـذَا المَحْبُـوبَـةُ الذَاكِـرَهْ
خَـاطَبَهَـا المَـاءُ ولا بِـدْعَـةً
فـإنَّهـا يـا بَـرَدَى سَـاحِـرَهْ
حَـدِّثْ عَـنِ المَـاضِـي وَأعْـراسِـهِ
وَعَـنْ صُـرُوفِ الـزَمَـنِ الغَـادِرَهْ
وَعَـنْ جُـدودٍ فِيـكَ مَيْمُـونَـةٍ
وَعَـنْ جُدودٍ بَعْـدَهَـا عَـاثِـرَهْ

وَعَنْ عُروشٍ حَسَدَتْ مَجْدَهَا

فِي الأُفْقِ هَذِي الأَنْجُمُ الزَاهِرَهْ
واتْلُ على مَسْمَعِ رِواياتِهِمْ
فإنَّهَا مُبْكِيَةٌ زَاجِرَهْ

* * *

يا بَعْلَبَكُ ابْتَسِمِي إنَّهَا
مَيُّ وَسِرْبُ الغَانِيَاتِ الدُمَى
واسْتَقْبِلِي الوَحْيَ فَوَحْيُ النُهَى
سَلَّمَ فَي السِرْبِ الذِي سَلَّمَا
بُنْيَانُكِ الخَالِدُ ما بَالُهُ
أَصْبَحَ لَغْزاً غَامِضاً مُبْهَمَا
هَلْ شَادَهُ أَهْلُ الثَرى مُعْجِزاً
أَمْ شَادَهُ فِي الأَرْضِ أَهْلُ السَمَا
لَمْ يَدْرِ هَذا العَصْرُ مِنْ سِرِّهِ
شَيْئاً فَمَا أَبْهَى وما أَعْظَمَا
واخْجَلَ الإنْسَانِ فِي كِبْرِهِ
لا كَرَّمَ الخَالِقَ ولا كُرِّمَا
لَقَدْ سَمَا الأَجْدَادُ مِنْ قَبْلِهِ
كَمَا سَمَا أَوْ فَوْقَ مَا قَدْ سَمَا
هَلْ عِنْدَهُ مَنْ يَبْتَنِي تَدْمُراً
أَمْغْرَماً فِي الفَنِّ أَوْ مُرْغَمَا

فَقَدِّسِي مُبْدِعَها مَالِكاً
لا يَنْقُضُ الأَمْرَ إذا صَمَّمَا
واتْلِي على مَيَّ أعاجِيبَهُ
فالمَرْءُ مَذْكُورٌ بِما قَدَّمَا

* * *

يا مَيُّ ، والأَرْزَاقُ مَقْسُومَةٌ
سُبْحَانَ مَنْ قَسَّمَهَا فِي الأَنَامْ
مِنْ مِصْرَ لَبَّيْتِ نِدَاءَ الهَوى
فَزُرْتِ لُبْنَانَ وَزُرْتِ الشَآمْ
ثُمَّ تَهَادَيْتِ على سَابِحٍ
مُمْتَنِعِ الجَانِبِ عِنْدَ الصِدَامْ
تَبْغِينَ أَرْضَ النِيلِ مُشْتَاقَةً
لِنَهْلٍ عَذْبٍ وأَهْلٍ كِرامْ
قَبْرُ « التَنُوخِيِّ »[1] الطَهُورِ الثَرَى
ما ضَرَّ لَوْ حَيَّيْتِهِ بالسَلاَمْ
ما أَحْوَجَ القَبْرَ إلى دَمْعَةٍ
مِنْ جَفْنِ مَيٍّ لا جُفُونِ الغَمَامْ
فابْكِي على القَبْرِ الذِي ضَيَّعَتْ
أَمْجَادَهُ الفُرْقَةُ والإنْقِسَامْ

(١) الأمير التنوخي امير اللاذقية الذي رثاه المتنبي .

وَاتْلِـــــي عَلَـــى القَـــوْمِ أحَـــادِيثَـــــــهُ
فَـــإنَّ فِيهـــــا عِبْـــرَةً للأَنَـــــــــامْ

(١٩٢١)

وذرني حتى أحيِّي الصباحا

شَبَحَ الموت : ما يخِيفُ البَرايا
مِنْ حُتوفٍ تُعانِقُ الأَرْواحَا
وَجَدَ الناسُ في كُؤوسِكَ سُمّاً
غَيْرَ أَنّي وَجَدْتُ فِيهِنَّ رَاحَا
فاسْقِنِيها قَدْ طَالَ صَحْوِي وَمكْثي
وَتَمَنَّيْتُ سَكْرَةً ورَواحَا
لا تُبادِرْ بِها وقَدْ نَصَلَ اللَّيلُ
وَذَرْني حَتّى أُحَيِّي الصَباحَا
وَتَمَهَّلْ حتّى أُوَدِّعَ نُورَ الشَمْسِ
إذْ هَمَّ أنْ يَلُوحَ فَلاحَا
ثُمَّ خُذْني إلَيْكَ يا مَوْتُ جَذْلانَ
طَرُوباً إلى الرَدى مُرْتَاحَا
ذاكَ مِصْباحُ صَبْوتي وَشَبَابِي
فَتَعَجَّلْ وأَطْفِىءِ المصْباحَا

* * *

(١٩٢١)

يا شاعر التاج

وجه الشاعر هذه القصيدة الى الشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي في زيارته دمشق سنة ١٩٢٢ .

يـا شاعِـرَ التـاجِ المُضِـيءِ على جَبيـنِ أَغَـرَّ فَـاتِـحْ
وَفَتـى القَـريحَـةِ أُعْـطِيَـتْ عَـرْشَ الإمـارَةِ فِـي القَـرائِـحْ
طِيْـبُ العِـراقِ وإنَّـهُ ... لَلْمِسْـكُ مِنْ بُرْدَيْـكَ فَائِـحْ
نُـحْ مـا تَشـاءُ على العِـراقِ فَـإنَّنِـي بالشَـامِ نَائِـحْ
واسْـفَـحْ دُمُـوعَـكَ إنَّهـا أَخَـواتُ أَدْمُعِـيَ السـوافِـحْ
لا الخَطْـبُ قَـلَّ عَنِ البُـكاءِ ولا مَعِـينُ الـدَمْـعِ نِـازِحْ
هـذا النَـظـيمُ مِـنَ المَدامِـعِ ذَوْبُ أَكْبـادٍ قَـرائِـحْ

* * *

حَمِـيَ الـوطيـسُ فَمَـنْ يُجَـالِـدُ عَنْ هَواهُ وَمَـنْ يُنَافِحْ
شُـمُّ الأُنـوفِ تَفَـرَّقُـوا ما بَيْـنَ مُنْعَفِـرٍ ونَـازِحْ
أَلشـامِخُـونَ إذَا الهَـوانُ بـدا بأَعْنـاقٍ قَـوامِـحْ
رقـدوا رُقَـادَهُـمُ الاخيـرَ وأُغْمِـدَتْ بِيـضُ الصَفائِـح
وَيْـحَ المَطـاوِحِ . عُطِّـرَتْ بِشَـذا جِراحِهِـمُ المَطـاوِحْ
فَلْتُـكْسِرِ البيـضُ الـرِقـاقُ وتُعْقَـرِ الشُـقْـرُ السَوابِـحْ
وَسَـلِ الأَبـاطِحَ عَـنْ دِمـاءِ القَـوْمِ تُنْبِئُـكَ الأَبـاطِـحْ
رَوِيَـتْ بـأَكْنـافِ العـراقِ وجِلِّـقٍ ظَمْـأى الصَحـاصِـحْ
هَـوَت الجحـاجِـحُ فاسْتَفِـقْ .. يا ثـأْرُ . قـد هَوَتِ الجَحـاجِـحْ

* * *

أَهْوَى العراقَ وإنْ تَكُنْ طَاحَتْ بِسُؤْدَدِهِ الطَوائِحْ
وأُحِبُّ جَنَّاتِ العِراقِ وطيبُها غَادٍ وَرائِحْ
وعُيُونُ آرام الفُراتِ على شواطِئِهِ سَوارِحْ
جَرحَتْ قُلوبَ العاشِقِين : كذاك تَصطادُ الجَوارِحْ
مَرْضى صَحائِحُ ، والقَريضُ صَنيعَةُ المَرضى الصَحائِحْ

* * *

حَدِّثْ فقدْ طَابَ الحَديثُ ونامَ عَنْ نَجْواكَ كاشِحْ
واذْكُرْ لَنا عِبَرَ الحَياة فَأَنْتَ مَأْمُونُ النَصائِحْ
هَذي الحَياةُ لِمَنْ مَضَى كالليثِ مَرْهَوبَ الجَوانِحْ
والعَيْشُ مَعْنَاهُ الكِفاحُ فَهالِكٌ مَنْ لَمْ يُكافِحْ
عَرْشٌ يَطوحُ ، فَتَعْتَلي شُرُفَاتُ عَرْشٍ غَيرِ طائِحْ
ومَمالِكٌ طارَتْ لِغايَتِها فَخَانَتْها الجَوانِحْ
وَمُسَيْطِرٌ يَنْهى ويَأْمُرُ في الجَزيرةِ باسْ ناصِحْ
باسْم الحَضارَةِ جَاء يَزْرَعُ ما يَشاءُ مِنَ الفَضائِحْ
لُغَةُ القَوِيِّ فَهَلْ لِما فِيها من الاسْرارِ شَارِحْ
لُغَةٌ تُوارِبُ في الحَديثِ فَلَيْتَها كانَتْ تُصارِحْ
جَادَتْ بِأَسْماءِ المَحاسِنِ كُلِّهِنَّ على القَبائِحْ

* * *

لاَ تَبْطَرِ الأُمَمُ القَوِيَّةُ فالعَواقِبُ بالفَواتِحْ
إنْ تَهْنَ في سَعْدِ السُعودِ فَلَمْ يَفُتْها سَعْدُ ذَابِحْ

وَهُوَ الزَمانُ سَوانِحٌ تَمضي فَتَخْلِفُها بَوارِحْ
ولِكُلِّ ناطِحَةٍ سَيَصْمُدُ مِنْ نِتاجِ الدَهْرِ ناطِحْ
وَلَرُبَّ أَعْزَلَ في الحَياةِ أُدِيلَ مِنْ بَطَلٍ مُشايِحْ
وَلَرُبَّما شَمَسَ الذَلُولُ فراح يأْرَنُ وَهوَ جَامِحْ
كَمَنَتْ عَزائِمُ يَعْرُب فَمَتَى يُثِيرُ النَارَ قادِحْ

* * *

(١٩٢٢)

نغمات عودي

يلجأ الشاعر الى عوده فيناغيه ويناجيه وسيرى القارىء في هذه الابيات كيف كانت تسيطر الفكرة القومية في تلك الفترة من الزمن على نفوس الشباب حتى في بدوات لهوهم ومرحهم .

نَغَمـــاتُ عُـــودِي لاتُمَـــلُّ لأنَّهـــا
شِـعْـــرٌ يَفيـضُ عَـــواطِفَـــاً وشُـــعُورا

نَغَمـــاتُ عُـــودِي لاتُمَـــلُّ لأنَّـــها
لُغَـــةُ المَلائِـــكِ إذْ تُنَـــاجِي الحُـــورا

هَمَسَتْ بِهَـا الأرواحُ فـي مَلَكُوتِـــها
شَـــدْواً أرَقَّ مِـنَ الصَّـبـــا وَنَسِيـرا

يُدْنِـي إلَيَّ مِـنَ الخَيَالِ شَـــوارِداً
وَيَـــهُـــزُّ أعْـــطَـــافِـــي هَـــوىً وَسُـــرورا

فِـي ظُلْمَـةِ الأحْـزانِ مِنْ نَغَمَاتِـه
نَفْسِـي الحَـــزِينَـةُ تَسْـــتَعِيرُ النُـــورا

أحْنُـو عَلَيْه مُعَانِـــقـــاً مُتَنَهِـــداً
فَـــكأنَّنـي أُمٌّ تَضُـمُّ صَغِيـــرا

وأبُثُـــــهُ شَكْـوَى الهَـوى فَإخَـــالُـهُ
يَبْـكِي عَلَـيَّ مُتَيَّمـــاً مَهْـــجُـــورا

سَلْـــهُ عَـــنِ الـــزَمَـــنِ الخَـــؤُونِ وأهْلِهِ
تَـــرَهُ عَلِـــيماً بالـــزَمَـانِ خَبيـــرا

شَهِـدَ العُصـورَ السـالفـاتِ وَهَدْهَـدَتْ
أوْتَـارُهُ الـسَّـفَّـاحَ والمَنْـصُورا

وَرَأى حَضَـارَةَ جِـلِّـقٍ وَجَلاهَـا
والمُلْـكَ فـي تِلْكَ الرُّبُـوعِ كَبِيـرا
إذْ مَـاءُ جِلِّـقَ كالـرَحِيـقِ عُـذُوبَةً
وَظِبـاءُ جِلِّـقَ كالشُـمـوسِ سُفُـورا

سَلَـبَ الـزَمَـانُ بِهـا مُلُـوكَ أُمَـيَّةٍ
تَـاجـاً يَشِـعُّ ضِيـاؤُهُ وَسَـرِيرا
يـا لاثِماً فيهـا الثَـرى مِنْ حُبِّـهِ
أعَلِمْـتَ أنَّـكَ تَلْـثِـمُ الكافُـورَا

ومُعانِـقـاً أغْصَـانَهَـا مِنْ وَجْـدِهِ
دَلِّـلْ هَـواكَ فَقَـدْ ضَمَمْـتَ خُصُـورَا
هـذا صَلاحُ الـدِينِ فاخْشَـعْ إنَّـهُ
مَلِـكُ المُـلـوكِ مُسـالِماً ومُغِيـرا

طَـافَ الجَـلالُ بِـهِ مَلِيـكاً فـاتِحَـاً
حَـيَّـاً وَطَـافَ بِلَحْـدِهِ مَقْـبُورا
فالْثَـمْ ثَـراهُ فَقَـدْ لَثَمْـتَ خَمِيـلَةً
للمَـكْرُمَـاتِ وَقَـدْ شَمَمْـتَ عَبِيـرا
واهْتِـفْ لَـدى القَبْـرِ النَـديِّ مُـرَدِّدَا
بِفِنَـائِـهِ التَهْلِيـلَ والتَكْبِيـرا

لَيْثُ المَعَامِعِ وَهْوَ أَوَّلُ آسِرٍ
صِيْدَ الفَوارِسِ كَيْفَ صَارَ أَسِيرا

(١٩٢٢)

لبنان والغوطتان

من قصيدة القيت في جونية اللبنانية لمناسبة تكريم شاعر القطرين خليل مطران .

لي مَوْطِنٌ في رُبَى لُبْنانَ مُمْتَنِعُ
ولي بَنُو العَمِّ مِنْ أَبْنائِهِ النُجُبِ
إنْ فَاتَهُمْ مَعْقِلٌ يَوْمَ الوَغَى أَشِبُ
بَنَوْا مِنَ السُمْرِ صَرْحَ المَعْقِلِ الأَشِبِ
وَلَوْ مَشى المَوتُ في شَهْبَاءَ مُعْلَمَةٍ
مَشَوْا إلى المَوْتِ في الهِنْدِيَّةِ القُضُبِ
لُبنانُ والغُوطَةُ الخَضْراءُ ضَمَّهُمَا
ما شِئْتَ مِنْ أَدَبٍ عَالٍ ومِنْ نَسَبِ
ما في اتِّحَادِهِمَا تالله مِنْ عَجَبٍ
هَذا الفِراقُ لَعَمْري مُنْتَهى العَجَبِ
للخُلْف في الناسِ أَنْواعٌ وأغربها
خُلْفُ الشَقِيقَيْنِ من قومي بلا سَبَبِ
كُلُّ الربوعِ ربوعِ العُرْبِ لي وَطَنٌ
ما بَيْنَ مُبْتَعِدٍ مِنْها وَمُقْتَرِبِ
للضَّادِ تَرْجِعُ أَنْسابٌ مُفَرَّقَةٌ
فالضادُ أَفْضَلُ أُمٍّ بَرَّةٍ وأَبِ
تَفْنَى العُصورُ وتَبْقَى الضادُ خالِدةً
شَجًى بِحَلْقِ غريبِ الدارِ مُغْتَصِبِ

* * *

مَـنْ مُبْلِـغٌ فِتْيَـةَ الحَيَّيْـنِ مـأْلُكَـةً
كـالسَّـهْمِ رِيشَ فـإنْ سَـدَّدْتَـهُ يُصِـبِ
فِـيَم التَخـاذُلُ لا فُـلَّـتْ جُـموعُكُـمُ
والـدَهْـرُ يَـزْحَـفُ بَالأَرْزَاءِ والنُـوَبِ
مـالِي وللنـاسِ جَـدَّ النـاسُ كُلُّهُـمُ
وضَـاعَ قَـوْمِـيَ بَيْـنَ الجِـدِّ واللَعِـبِ
هَلْ لابْـنِ دِجْلَـةَ حَقٌّ غَيْـرُ مُغْتَصَـبٍ
أَمْ لابْـنِ جِلِّـقَ إِرْثٌ غَيْـرُ مُنْتَهَـبِ
أَيْنَ الشَـبابُ وفِتْيـانٌ غَطـارِفَـةٌ
كـالأُسْـدِ في الغِيـلِ ما واثَبْتَهـا تَثِبِ
اليَعْـرُبِيُّـونَ لا حِقْـدٌ ولا غَضَـبٌ
قَـدْ يُسْلَـبُ الحَـقُّ بَـيْنَ الحِقْـدِ والغَضَبِ

* * *

غَنَّيْـتُ قَـوْمِـيَ بالاشْـعـارِ أُطْـرِبُهُـمْ
لـو يَسْمَـعُ القَـوْمُ شَدْوَ الشاعِـرِ الطَـرِبِ
وأَحْـزَنُ الشِـعْـرِ بَيْـتٌ راحَ يُنْشِدُهُ
دَمْـعٌ تَحَـدَّرَ مِنْ أَجْفـانِ مُكْتَئِـبِ
خَيْـرُ القَصـائِـدِ ما أَوْحَتْـهُ عـاطِفَـةٌ
فَسـارَ في كـلِّ دُنْيا غَـيْرَ مُغْتَـرِبِ
وللـطبيعَـةِ شِعْـرٌ راحَ يُسْكِـرُنـي
فَهَـلْ جَرَتْ فـي قـوافِيـهِ ابْنَـةُ العِنَـبِ

قَـرَأْتُـهُ فـي النُجـومِ الـزُهْـرِ عِنْ كَثَبٍ
وفي صَفَـاءِ العُيـونِ النُجْـلِ عنْ كَثَبِ

* * *

قَدْ كَانَ لـيْ أَرَبٌ طاحَ الزمـانُ بِهِ
فَيَـا شَقَـاءَ فتـىً يَحْيـا بِـلاَ أَرَبِ
وَكَانَ لِي مِقْـوَلٌ كالسَيْـفِ مُنْصَلِتـاً
فَحَـطَّـمَ الـظُلْـمُ حَـدَّ المِقْـولِ الـذَّرِبِ
لأَرْحَلَـنَّ فَلِـيْ فِي الارْضِ مُتَّسـعٌ
إنْ ضـاقَ بي صَـدْرُ هـذا المَوْطِـنِ الرَحِبِ

* * *

(١٩٢٢)

نشوة اليأس

غَيِّـــضَ الـــدَهْـــرُ أدْمُعِـي واحَنينـــي إلى البُكـــاءْ
شُـــقَّ قَلْبِـي وَلَـمْ تَسِـــلْ مِـــنْ جِـــراحَاتِـــهِ الـدِمـــاءْ
أيُّهـــا المُبْـــغِـــضُ الشَـــقـــاءَ أنـــا أعْشَـــقُ الشَقَـــاءْ
شـــاعِـــرُ الحُـزْنِ أيْـــنَ مِـــنْ سِحْـــرِهِ شـاعِـرُ الهَنَـــاءْ
إنَّ لِلْيـــأسِ نَشْـــوَةً ضَـــلَّ عَـنْ مِثْلِهَـا الرجـاءْ

* * *

أنـــا لَـــمْ أدْرِ قِيمـــةَ الـــدَمْعِ حَـــتَّـــى فَقَـــدْتُـــهُ
هُـوَ كَنْـزٌ عَرَفْـتُ ما فِيـهِ لَـــمَّا أضَعْتُـهُ
وَإلَـــهٌ مِـــنْ بَـعْـدِ كُفْـرِي بِهِ قَـــدْ عَبَـــدْتُهُ
أرْجِعِـــي يـــا خُطُـوبُ مِـــنْ أدْمُعِـــي ما سَكَبْتُـــهُ
وَخُـــذِي الإبْتِســـامَ مِـــنِّـي فـــإنِّـــي مَلِلْتُـــهُ

* * *

لاَ تَلُمْـهُ علـى الحَنيـــنِ فَقَـدْ أقْـوَتِ الرُبـوعْ
جَـفَّ مـا فِي عُيـونـهِ وَذَكَـــتْ جَمْـرَةُ الضُلُـوعْ
وإذا جَفَّـــتِ الأُصـــولُ فَمـا تُـورِقُ الفُـــروعْ
مـــا أنـــا الشـــاعِـرُ الـــذي وَشْيُـهُ بَسْـمَـــةُ الرَبيـعْ
شَـــاعِـــراً كُنْـــتُ عِنْـــدَمَـا كـــان فـي مُقْلَتِـي دُمُـوعْ

* * *

(١٩٢٢)

الروح الثائرة

أَمَلَّتْ ضَجِيجَ الحَيَاةِ فَفَرَّتْ
تُرِيدُ الحَيَاةَ بِظِلِّ السُكُونْ
تَعَافُ القُصورَ وجَنَّاتِهَا
وَتَأْوِي إلى دَوْحَةِ الزَيْزَفُونْ
فَتَشْرَبُ مَاءَ الغَدِيرِ نَقِيًّاً
وَتَسْكَرُ مِنْ أَرَجِ الياسَمِينْ
وَتَسْمَعُ لَحْنَ الطُيورِ شَجِيًّاً
رَقِيقَاً على مَائِسَاتِ الغُصُونْ
فَتَذْكُرُ عَالَمَ قُدْسٍ نَمَتْ
بِهِ حُرَّةً بَيْنَ حُورٍ وَعِينْ
هُيُولَى تَفِيضُ ضِيَاءً مُبِينَاً
طَلِيقَاً تَرَاهُ جَمِيعُ العُيُونْ
وَتَذْكُرُهُ عَالَمَا طَاهِراً
قَضَتْ فِي رُبَاهُ أُلُوفَ السِنِينْ
تَحِنُّ إِلَيْهِ وماذا يُفِيدُ
بُعَيْدَ الأَحِبَّةِ طُولُ الحَنِينْ
لَقَدْ ذَكَرَتْهُ فَمَا كَفْكَفَتْ
بِيُمْنَى يَدَيْهَا عُقُودَ الشُؤونْ

بَكَـــتْ وَهـيَ فـي سِجْنِهَـا حُـرَّة
ولا عَجَـبٌ مِـنْ بُكَـاءِ السَجِيـــنْ

* * *

حَنَـوْتُ عَلَـيْهـا وَقَـدْ بَـكَّـرَتْ
لِتَتْلُـو كِتَـابَ الحَيـاةِ القَـدِيـــمْ
فَقُـلْـتُ لَهَـا : مَـزِّقِيـهِ كِتـابَـاً
يُثِيـرُ الشُـجـونَ وَيُذْكِـي الهُـمُـومْ
فإنَّ الشَـقِـيَّ يَـزيـدُ شَقَـــاءً
إذا راحَ يَذْكُـرُ عَـهْـدَ النَعِيـــمْ
مُقَـيَّـدَةٌ أَنْـتِ صَـاغَ القُيـــودَ
لِيُمْنَـــاكِ كَـفُّ القَضَـــاءِ الأَثِيـــمْ
تُرِيدِيـنَ مِـنِّي النَسِيـمَ عَلِيـــلاً
وَهَيْهَـاتَ عَـزَّ عَلَـيْنَـا النَسِيـــمْ
تُـرِيديـنَ مِنِّـي نَسِيـمَ الجِنَـــانِ
نَـقِـيَّـاً .. وهـذا نَسِيـمُ الجَحِيـــمْ
فـلا تَنْشَقِيـهْ فَفِيـهِ سَمُـومِ الهَجِيـرِ
وَمَـنْ ذا يُطِيـقُ السَـــمُـــومْ

***

عَـذَرْتُـكِ فِـرِّي مِـنَ الأرضِ وابْغِـي
هُنَـاكَ المَقَـامَ الـرَفِيـعَ الكَـريـمْ

بِقُـــرْبِ النُجـــومِ فـــإنَّ الحَيَـــاةَ
مُعَـــطَّـــرَةُ الـــدَنَّ بَـــيْـــنَ النُجُـــومْ
وَلا تَرْحَمِـــي الجِسْـــمَ فَهْـــوَ تُـــرابُ
يَعُـــودُ لِمَعْـــدِنِهِ بَعْـــدَ حِيـــنْ

* * *

غَـداً هُـوَ بَيْـنَ الـرُبَـى زَهْـــرَةُ
كَسَـتْهَـا الـطَبِيعَـةُ لَـوْنَ الشُـروقْ
يُقَبِّلُهَـا الصُـبْـحُ فـي ثَغْرِهَـــا
وَيَلْـثِـمُ فـي شَفَتَيْهَـا العَـقِيـــقْ
وَتَـسري الصَّـبَـا مِـنْ بَعِيـدٍ إلَيْهـا
وَقَـدْ هَـوَّنَ الحُـبُّ حَـزْنَ الطَـريـقْ
إلـى أنْ تُمَـرَّ عَلَيْهـا فَتَـاةٌ
فَتَنْـزَعَهَـــا نَـــزْعَ بَـــرٍّ رَفِيـــقْ
وَتُنْـزِلَهَـــا مَنْـــزِلاً هَـــانِئَـــاً
علـى النُـورِ لا يُشْـتَـكى فِيـهِ ضِيـقْ
فَحِيـنـاً تُقَـبِّـلُ نَهْـداً وَحِينَـــاً
تُقَبِّـــلُ خَـدّاً بِـلَـوْنِ الشَقِيـــقْ
وَتَبْعَثُهَـــا بَعْـدَ ذَاك رَسُـــــولاً
يُـؤَدِّي رِسَـــالَـةَ صَـبٍّ مَشُـــوقْ
فَنِعْـمَ الرِسَـالَـةُ بَيْـنَ العَشِيقَـةِ
ذاتِ الـدَلالِ وَبَيْـــنَ العَـشِيـــقْ

فَيـا رُوحُ مِـنْ بَيْـنِ تِلْـكَ النُجـــــومِ
أَطِـــــلِّي عَلَيْهـا ولا تُنْكِـــرينـــي

* * *

أَطِـلِّـي عَلَيْهَـا وَقَـدْ أَشْـرَقَـــتْ
عَلـى صَـدْرِ خَـوْدٍ عَـرُوسٍ وِسَـامَـــا
أَطِـــلِّـي عَلَيْهَـا وَقَـدْ أُلْقِيَـتْ
بقـايا شَـذاً ثُـمَّ عَـادَتْ رَغَـامـــا
أَطِـــلِّـي عَلَيْهَـا رفِيقَـاً قَدِيمَـاً
وقُـولِي سَـلامَاً تَـرُدُّ السَـلامَـــا
أَلا واذْكُـرِي عَهْـدَنـا واذْكُـــرِي
زَمَـانَـكِ فـي الارْضِ عامَـــاً فَعَـامـا
أَأَنْـكَـرْتِ شَكْـلاً جَـدِيـداً لِجِـسْـمٍ
غَـــدَا لَـكِ قَبْـلَ الفَنَـاءِ مَقَـامَـــا
وَأَنْـكَـرْتِ أَلْـوَانَهَـــا جَـمَّـــةً
وعِطْـــراً نَـدِيَّـاً كَعِطْـرِ الخُـزَامَـــى
فَـلا تَعْجَبِـي إنَّ هَـذا الذُبُـولَ
بـأَوْراقِهـا كَـان فِـيَّ سَقَـــامـا
وذَا الاحْمِـرارَ احْـمـرارُ دُموعِـــي
وَهَـــذا الشَـــذا كـان فِـيَّ غَـرامَـــا
وَأَفْنَـانِـيَ الـدَهْـرُ إلا شَـقَـــاءً
تَـأَبَّـى عَلَيْـهِ وإلا هِيـامَـــا

تَـلاَشَيْـتُ فـي هَـذِهِ الكَـائِنَـاتِ
وَلَـمْ يَتَـلاشَ اليْـكِ حَنِـينِـي

(١٩٢٢)

البلبل الصريع

بُلْبُلِي مَاتَ حَبِيساً بِاكِيَا
لَوْعَةَ الشِعْرِ عَلى ذَاكَ الحَبِيسْ
فَقَدَ الصُبْحُ أَنَاشِيدَ الهَوى
بَعْدَهُ وانْفَرَطَ العِقْدُ النَفِيسْ
عَطِّلُوا المَجْلِسَ يا سُمَّارَهُ
وأَرِيقُوا يا نَدامَايَ الكُؤُوسْ
قَدْ قَضَى اليَوْمَ جَلِيسِي وَمَضَى
لا تَطِيبُ الخَمْرُ مِنْ غَيْرِ جَلِيسْ
ما لأَغْصَانِ الرُبَى مِنْ بَعْدِهِ
تَتَهَادَى عَارِيَاتٍ وَتَمِيسْ
وَعَرُوسُ الزَهْرِ هَلْ يُضْحِكُهَا
مَشْرِقُ الشَمْسِ وَقَدْ مَاتَ العَرِيسْ
وَيْلَ أُمِّ الظُلْمِ تَكْلَى دَائِمَاً
فَنِيَتْ طَسْمٌ وَلَمْ تَبْقَ جَدِيسْ
إِنَّمَا الدُّنْيَا لِمَنْ كَافَحَهَا
وَمَشَى مُسْتَلْئِمَاً وَسْطَ الخَمِيسْ
بُلْبُلِي مَاتَ وَلَمْ تَنْجَعْ بِهِ
وَصْفَةُ « الرَازِي » ولا طِبُّ « الرَئِيسْ »

كَفِّنُوهُ بِأَزَاهِيرِ الرُّبَى
واغْسِلُوهُ بِالمُدامِ الخَنْدَرِيسْ
واصْرِفُوا عَنِّي لَمِيساً ما الذِي
أَبْقَتِ الأَحْزَانُ مِنِّي لِلَمِيسْ

* * *

عَاشَ ما عَاشَ طَلِيقاً بِالرُّبَى
والرُّبَى حُسْنٌ وَلَوْنٌ وعَبِيرْ
يَتَغَنَّى بِأَنَاشِيدِ الهَوى
نَاعِماً بِالعُمْرِ والعُمْرُ قَصِيرْ
يُرْسِلُ الأَشْعَارَ فِي الأَيْكِ كَمَا
أَرْسَلَ الشِعْرَ حَبِيبٌ وجَرِيرْ
فَغَدا اليَوْمَ أَسِيراً بَعْدَمَا
كَانَ حُرّاً بَيْنَ رَوْضٍ وَغَدِيرْ
إِرْحَمُوهُ واعْطِفُوا ما شِئْتُمُ
فَأَحَقُّ النَاسِ بِالعَطْفِ الأَسِيرْ
هُوَ يَبْكِي وأَنَا أَبْكِي أَسَىً
وَكِلانَا ذُو شُجُونٍ وَشُعُورْ
مِنْ لُبَابِ البُرِّ قَدْ أَطْعَمْتُهُ
ولَقَدْ أَرْشَفْتُهُ المَاءَ النَمِيرْ
وَكَسَوْتُ القَفَصَ الرَحْبَ الذُرَى
بِالقُبَاطِيِّ المُوشَّى والحَرِيرْ

غَيْـــرَ أَنَّ الـطَّيْـــرَ فَاضَـــتْ رُوحُـــــهُ
بَيْـنَ حُـزْنٍ وَشَهِيـــقٍ وَزَفِيـــرْ

* * *

بُلْبُلِـــي مَـاتَ وَلَـمْ تَنْجَـعْ بِـــهِ
وَصْـفَـةُ الـرَازِي ولا طِـبُّ الرَئِيـسْ
كَفَّنُـــوهُ بِـأَزَاهِيـرِ الـــرُبَـــى
واغْسِـلُـوهُ بالمـدام الخنـدريـسْ
واصرفـوا عنـي لميـساً مـا الذي
ابقـت الاحـزانُ مـنـي للميـسْ

***

أَيُّهَـا الصَيَّـادُ لا تَنْصِبْ لَـهُ
شَرَكَـاً واسْـمَـحْ بِتَقْـطِيعِ الشَـرَكْ
أَيُّهَـا الصَيَّادُ مـا أَعْجَـزَهُ
أَيُّهَـا الصَيَّادُ بَـلْ مـا أَقْـدَرَكْ
دَعْـهُ حُـراً واسْـتَمِـعْ تَغْرِيـدَهُ
هَلَّـةَ الصُـبْـحِ وقُـلْ : مـا أَشْعَـرَكْ
دَعْـهُ حُـراً فَلَقَـدْ صَـوَّرَهُ
خَـالِـقُ الـكَـوْنِ الـذِي قَدْ صَوَّرَكْ
جَـارُكَ الأَدْنَـى دَعَـاهُ ظَمَـأٌ
وَهَجِيـرٌ فَتَفَيَّـا شَجَـرَكْ

أَنْتَ سَكْرانُ وَلَمْ تَشْرَبْ طِلاَّ
إِنَّما البَغْيُ الذِي قَدْ أَسْكَرَكْ
تَعِسَ الصَيَّادُ مِنْ ذِي قَسْوَةٍ
جَرَّبَ الدُنْيا طَوِيلاً وَعَرَكْ
مُذْ رَأى البُلْبُلَ في غَفْلَتِهِ
صَوَّبَ السَهْمَ إِلَيْهِ وَبَرَكْ
فارْتَمَى الطَيْرُ صَرِيعاً وَهَوى
تَارِكاً أَفْرَاخَهُ فِيمَا تَرَكْ

* * *

بُلْبُلِي مَاتَ وَلَمْ تَنْجَعْ بِهِ
وَصْفَةُ الرازِي ولا طِبُّ الرَئِيسْ
كَفِّنُوهُ بِأَزَاهِيرِ الرُبَى
واغْسِلُوهُ بِالمُدامِ الخَنْدَرِيسْ
واصْرِفُوا عَنِّي لَيِسَاً ما الذِي
أَبْقَتِ الأَحْزَانُ مِنِّي لِلَمِيسْ

(١٩٢٢)

يا نديمي

يـا نَدِيمِـي إلـى مَتَـى الإغْفَـاءُ
بَسَـمَ الـكَـوْنُ حِيـنَ حَيَّتْ ذُكَـاءُ

لا تَـمِـلْ بِـي إلـى الـرَجَـاءِ فَقَـدْ
أَوْدَى بِنَفْسِـي طُمُـوحُهـا والـرَجَـاءُ

وَدَعِ اليَـأْسَ يَنْتَحِينـي فَفِـي الـ
ـيَأْسِ لِـدَاءِ النَفْـسِ الـطَمُـوحِ دَوَاءُ

قَدْ رَضِيـتُ الأَكْـوَاخَ وَهْـيَ نَعِيـمٌ
وَهَجَـرْتُ القُصـورَ وَهْـيَ شَقَـاءُ

وَمِـنَ الهُـونِ أَنْ يُقِيـمَ كَـرِيـمٌ
فِـي مَكَـانٍ هَـانَـتْ بِـهِ الكُـرَمَـاءُ.

* * *

أَتْـرِعِ الـكَأْسَ واسْـقِنِي بِمَكَـانٍ
ضَـلَّ عَنْـهُ الـوُشَـاةُ والرُقَبَـاءُ

حَبَّـذَا كُوخِـيَ النَـدِيُّ وإِنْ لَـمْ
يَكْتَنِفْـهُ الإعْـجَـابُ والخُـيَـلاءُ

لَـمْ يَشِـنْـهُ فـي ناظِـرِي أَنْ عَـدَاهُ
رُخْـرُفٌ فـي بِنَـائِـهِ وَرُواءُ

أَنَـا حُـرٌّ بِـهِ ... ومـا بَـعْـدَ هَـذا
عِنْدَ بـاغِـي سِـرِّ الحَيـاةِ هَبَـاءُ

* * *

يـا نَدِيمِـي لا تَأْسَ باللـهِ واشْـرَبْ
لَـذَّةُ العَيْـشِ هَـذه الصَـهْبَـاءُ
وَتَمَتَّـعْ بالنُـورِ إِذْ رُبَّ قَـوْمٍ
مُنِـعَ الـكَـأْسُ عَنْهُـمُ والضِيَـاءُ
واسْـتَمِـعْ : هَـذِهِ البَـلابِـلُ غَنَّـتْ
فـأَثَـارَ الشُـجـونَ ذَاكَ الغِنَـاءُ
لا تَخَـافُ الصَيَّـادَ ، إِذْ عَصَمَتْهَـا
مِـنْ - دَواهِيـهِ هَـذِهِ الصَـحْـراءُ
ذَكَّـرَتْـكَ الـدِيَـارَ جَـرَّ عَلَيْهَـا
ذَيْـلَـهُ بَعْـدَ قاطِنِيهـا العَفَـاءُ
وَحُمَـاةَ الـدِيـارِ وَهْـي عَـبِيـدٌ
وَغـوانِـي الدِيـارِ وَهْـيَ إِمَـاءُ

* * *

يا نَدِيمِـي تَعَـزَّ واسْـلُ فَقَـبْـلاً
قَـدْ عَفَـتْ بَعْـدَ أَهْلِهـا الحَمْـرَاءُ

وَعَفَتْ مِنْ ظِبَاءِ صَقْرِ قُرَيْشٍ
وأَغَانِي قِيَانِهِ الزَهْرَاءُ
وَتَنَاسَتْ قَسَاوِرَ العُرْبِ في
المِرْيَةِ تِلْكَ الخَمَائِلُ الخَضْرَاءُ
وَتَعَزَّتْ عَنِ ابْنِ عَبَّادَ رَوْضٌ
وَقُصورٌ في باحَةٍ قَوْراءُ
بَعْدَ أَنْ كانَ في رُباهَا من العَنْبَرِ والزَعْفَرانِ طِينٌ وماءُ

* * *

يا نَدِيمِي إِلَيَّ نَبْكِي فَقَدْ يُسْعِدُ
قَلْبَ النائِي الحَزِينِ البُكاءُ
أَنْتَ أَوْفَى مِنِّي وأَوْثَقُ عَهْداً
يا نَدِيمِي وأَيْنَ أَيْنَ الوَفَاءُ
فَوْقَ شِعْرِي بَلاغَةً وبَياناً
مِنْكَ هَذِي المَدامِعُ الحَمْراءُ
تَرْجَمَتْ عَنْ أَساكَ فَهْيَ قَصِيدٌ
لَمْ يَفُتْهُ البَيانُ والانتِقاءُ
إِنَّما الحُزْنُ مُرْسِلُ الشِعْرِ شِعْراً
والحَزانَى هُمُ هُمُ الشُعَراءُ

(١٩٢٣)

تحية الملك

حيا الشاعر بهذه القصيدة المغفور له الملك الحسين بن علي عند
زيارته عمان سنة ١٩٢٣

أَلْـفَ أَهْـلاً بـأَميـرِ المُؤْمنيـنْ
سَـيِّدِ البَـطْحَـاءِ والبَيْـتِ الأَمِيـنْ
مـرْحبـاً بالتـاجِ مَـرْمُـوقَ السَنـى
وَبِـرَبِّ التـاجِ والعَـرْشِ المَكِيـنْ
بِـرَبِيـبِ المَـرْوَتَيْـنِ المُنْتَقَـى
وَفَتـى زَمْـزَمَ والـرُّكـنِ الرَكيـنْ
خَـادِمِ الـكَعْبَـةِ إِرْثـاً طـاهِـراً
عَـنْ أَبيـهِ والجُـدودِ الأَوَّلِيـنْ
قـائِـدِ الأَبـطـالِ شُـوساً لِلْـوغَـى
حـامِـلِ الأَعبـاءِ والله المُعيـنْ
بـابْـنِ أَقمـارِ العُلى مِنْ هَاشِمٍ
وأَبِـي البِيـضِ المُلـوكِ الفاتحِيـنْ
أَلْبَهـالِيـلِ الصَـنـاديـدِ الأُلـى
رَفَعُـوا رَايَـةَ فِهْـرٍ باليَمِيـنْ
يَعْـرِفُ البَيْـتُ اذا طافَ بِـهِ
أَنَّـهُ ابْـنُ الـطَـائِفيـنَ العَاكِفيـنْ

يَعْرِفُ البيْتُ اذا مَرَّ بِهِ
أَنَّهُ ابْنُ الطَّيِّبِينَ الطاهِرِينْ
تَعْرِفُ الاستارُ إذْ يَلْثِمُها
أَنَّهُ ابْنُ الساجِدِينَ الرَاكِعِينْ
تَعْرِفُ البيضُ وما أغْمدَهَا
أَنَّهُ ابْنُ الطَّاعِنِينَ الضارِبِينْ

* * *

لِنِ المَوْكبُ جِبْريلُ بِهِ
مِنْ جُنودِ اللهِ يَمْشِي في مِئِينْ
وَمَنِ المُقْبِلُ يَعْلُوهُ سَناً
مِنْ سَناءِ الخُلَفاءِ الرَاشِدِينْ
شَيْبَةَ الحَمْدِ أرى أمْ هَاشِماً
أمْ عَلِيَّ الطُّهْرِ زَيْنَ العَابِدِينْ
أمْ أرى سَيِّدَ غَمْدانَ مَشَى
في ظِلالِ البِيْضِ وَضَّاحَ الجَبِينْ
حَوَّطُوا المَوْكبَ باسْمِ المُصْطَفى
وَبَنِيهِ مِنْ عُيونِ الحَاسِدِينْ
وافْرُشُوا الأكْبادَ يَمْشِي فَوْقَها
واتْرُكوا الوَرْدَ وخَلُّوا اليَاسَمِينْ
وانْثُروا الدَمْعَ علىَ مَوْكبِهِ
ودَعُوا المِسْكَ لِحُورٍ وَلِعِينْ

أدْمُـعُ البِشْـرِ وَقَـدْ يَبْـكِي الفَتَـى
سَـرَّهُ الـدَّهْرُ كما يَبْـكي الحـزيـنْ
وأذَنُـوا لِلْعِيـدِ أنْ تَشْهَـدَهُ
سـافِـرَاتٍ فـي صُفـوفِ الشـاهِـديـنْ
سَيِّـدُ البَـطْحـاءِ فـي أبْنـائِـهِ
أَلـفَ أهْـلاً بالمُلـوكِ القَـادميـنْ
تَتَهـادَى الأعْـوجِيَّـاتُ بِهِـمْ
إنَّهـا تَعْـرِفُ قَـدْرَ الـرَّاكبيـنْ
ذَكَـرَتْ إذْ مَسَـحُـوا أعْـرافَهَـا
بِـأكُـفٍّ الـكُـرَمـاءِ المُنْعِمِـيـنْ
هـاشِـمـاً والبِيْـضَ مِـنْ أبْنـائِـهِ
أَلْمَطَـاعِيـنَ الـطِـوالِ المُطْعميـنْ
* * *
أيُّهـا الآتـي إلَيْنـا مِنْ ذُرىً
طَـالَمَـا عَطَّـرهَـا الـرُوحُ الأمِيـنْ
بَيْتُـكَ الشـامُ وفيـهِ نُخْبَـةٌ
مِـنْ بَنِيـكَ الأوْفِيـاءِ الصَـادِقِيـنْ
بَـرَدى حـنَّ غَـراماً وهَـوىً
لـلأحِبَّـاءِ الـكِـرامِ الهَـاجِـريـنْ
وَرُبَـى الفَيْحَـاءِ أنَّـتْ وَشَكَـتْ
فُـرْقَـةَ الأحْبـابِ لَوْ يُغْنِـي الأنِينْ
* * *

صاحِبَ التاجِ أجِبْنِي هَلْ أتَى
عَرْشَكَ العَالِي حَدِيثُ الكَاذِبِينْ
الأُلَى أهْدَوا الى التاجِ الأذَى
وأرَادوا أن يُضِلُّوا المُهْتَدِينْ
حَدَّثُوا عَنْكَ كِذاباً وافْتَرَوْا
لا يُحِبُّ اللهُ سَعْيَ المُفْتَرِينْ
وَأتَوْا بالغِشِّ لَكِنْ أقْسَمُوا
أنَّهُمْ جَاءُوا إلَيْنا نَاصِحِينْ
زَعَمُوا أنَّكَ تَهْوى لُنْدُناً
وَتُحِبُّ النَفَرَ المُسْتَعْمِرِينْ
وَتُطِيعُ القَوْمَ فيما أمَرُوا
وَهُمُ تاللَّهِ شَرُّ الآمِرِينْ
نَحْنُ نَهْواكَ على رَغْمِ العِدى
ونُجِلُّ التَاجَ رَغْمَ المُبْغِضِينْ
يَدُكَ البَيْضاءُ لا نُنْكِرُهَا
سَوَّدَ اللهُ وُجوهَ المُنْكِرِينْ

* * *

لُحْ عَلى عَمَّانَ بَدْراً نُورُهُ
يَكْشِفُ اللَّيْلَ ويَهْدِي التَائِهِينْ
وَعَلى الغُوطَةِ أقْبِلْ يُوسُفاً
حُسْنُهُ يَجْلُو عُيونَ النَاظِرِينْ

وَعلى بَغْـدادَ أَشْـرِقْ رَحْمَـةً
تُسْـعِـدُ المَـأمـونَ فيهـا والأَمِيـنْ
وَحِّـدِ العُـرْبَ وأَسْـعِـدْ أُمَّـةً
سـادَتِ العَـالَـمَ فـي ماضي السِنِينْ
وأَعِـدْ أَيَّـامَ هـارُونَ وقَـدْ
مَـلأَ الـدُنْيـا رِجـالاً وسَفِيـنْ
بَـرَدى جَـفَّ ومـا فِـي دِجْلَـةٍ
نُغْبَـةٌ تَـرْوِي الـظِمَـاءَ الوارِديـنْ

* * *

كُلَّمـا هَـبَّ نَسِيـمٌ مِـنْ مِنَـىً
أَيْقَـظَ الأَشْـواقَ والـوَجْـدَ الدَفِيـنْ
لَمْ أَلِـنْ للـدَّهْـرِ لَكِنْ زَعَمَتْ
عَـادِيـاتُ الـدَهْـرِ أَنِّـي سَـأَلِيـنْ
لَمْ أَخُـنْ « لا والصَّـفَـا » عَهْدَكُـمُ
أَيُّ خَيْـرٍ فـي وُجـوهِ الخَائِنِيـنْ
أنـا بالـرُوحِ جَـوادٌ فاغْفِـرُوا
زَلَّتِـي إِنْ رُحْـتُ بالـدَمْعِ ضَنِيـنْ
لا تَـرى الاعْـداءُ دَمْعـي جَارِيـاً
إِنَّنِـي أُبْغِـضُ عَطْـفَ الشامِتِيـنْ
وأَنَـا شـاعِـرُكُمْ فـي مَـوْطِـنٍ
مـالِـنْ والاكُـمُ فِيـهِ خَـدِيـنْ

نـاطِـقٌ فيـكُمْ ولَـوْ أنَّ الظُبَـى
جُـــرِّدَتْ فَـوْقَ رِقـابِ النَاطِقِيـنْ
فَتَقَبَّلْهـــا عَـــرُوســاً واسْتَمِـــعْ
مـــا يُثِيـرُ الشَـوْقَ والحُـبَّ الكَمِيـــنْ
صُنْتُهـــا عَـنْ خـاطِبِيهـا غَـــــادةً
لِفَتَـــى البَيْـــتِ إمـــامِ المُسْلِميـــنْ

* * *

(١٩٢٣)

لا تحبيني

لا تُحِبِّيني فَفِي حُبِّي الشَقَاءْ ... يا فَتَاةْ
واطْرُدِيني تَطْرُدِي عَنْكِ البَلاءْ ... في الحَيَاةْ

* * *

قَلْبُكِ القَلْبُ الذي يَخْفُقُ لِيْ ... وَحْدَهُ
دَمْعُكِ الدَمْعُ الذي يَنْهَلُّ لي ... عِقْدُهُ
أنْتِ مَنْ يَرثِي لِدَمْعِ البُؤَسَاءْ ... يا فَتَاةْ
أنتِ مَنْ يَشْقَى لِحُزْنِ الأشْقِياءْ ... فِي الحَياةْ

* * *

قَدْ تَناسَانِيَ أُمِّي وأَبِي ... والشَقِيقْ
وَصَدِيقي قَدْ جَفانِي يا لَهُ ... مِنْ صَدِيقْ
إنَّما الشاعِرُ في هَذا الأَسَى ... لَخَلِيقْ
غَيْرَ أنِّي وأَمامِي والوَراءْ ... ظُلُماتْ
شِمْتُ في عَيْنَيْكِ أنوارَ الوَفَاءْ ... يا فَتَاةْ

***

كَفْكَفَتْ دَمْعِيَ حُبّاً وَهَوىً ... راحَتَاهَا
آهِ ما أحْلَى الذي فاهَتْ بِهِ ... شَفَتَاهَا

كَلِمٌ تَشْفَى بِها نَفْس الفَتى مِنْ أساهَا
لا أرى بَيْنَ عَطايا الكُرَماءْ والهِبَاتْ
ما يُوازِي مَسْحَ دَمْعِ البُؤَسَاءْ والبُكاةْ

* * *

رَبِّ في الكَوْنِ نُفوسٌ جَمَّةٌ تَتَأَلَّمْ
تَحْمِلُ البُؤْسَ حَزِينَاتٍ وَلاَ تَتَكَلَّمْ
هِيَ مِنْ جَوْرِ البَرايا فاحِمُهَا تَتَظَلَّمْ
عَزَّ يا ربِّ لِجِرْحَاها الدَوَاءْ والأُسَاةْ
رَبِّ عَدْلاً ما المُطِيعونَ سَواءْ والعُصَاةْ

* * *

مَنَعُوها كُلَّ ما عِنْدَ البَشَرْ مِنْ نَعيمْ
لَوْ أطاقُوا مَنَعُوا عَنْها المَطَرْ والنَسِيمْ
وَلَكَانُوا حَجَبُوا شَمْسَ الضُحى والنُجومْ
رَاقِبُوا رَبَّكُمُ يا أَقْوِيَاءْ يا قُسَاةْ
وارْحَمُونا نَحْنُ حِزْبُ الضُعَفَاءْ والعُفَاةْ

* * *

مِنْ نَثيرِ الدَمْعِ ذا الشِعْرُ النَظيمْ فاقرأيهْ

رَنَّـــةُ الثَـكْلـــى وأَنَّـــاتُ السَليـــمْ فـاسْمَعِيـهْ
هـا هُـوَ البُـؤْسُ بِشَـخْصـي مـاثِـلُ فالْـمَسِـيـهْ
لا تُـحِبينـــي فَفِـي حُبِّـــي الشَقَـــاءْ يـــا فَتَـــاةْ
واطْـرُديـنـي تَطْـرُدي عَنْـكِ البَـلاءْ فـــي الحَيـــاةْ

* * *

(١٩٢٣)

عاطفتي

عَـاطِفَتِـي حُـزْنٌ طَوِيـلٌ عَـلى
مَـاضٍ مِـنَ العُمْـرِ ومُسْتَقْبَـلِ
عَاطِفَتِـي أَنَّـةُ مُضْنـىً بَكَـى
عَـلى زَمَـانٍ للصِـبَـا أَوَّلِ
عَاطِفَتِـي لَحْـنٌ يُثِيـرُ الأَسَـى
وَيَخْلُـقُ الهَـمَّ بِقَلْـبِ الخَلِـي
عَاطِفَتِـي حُبٌّ بَعِيـدُ المَـدى
أَصـابَ فِـي رَمْيَتِـهِ مَقْتَلِـي
عَاطِفَتِـي زَفْـرَةُ حُـرٍّ كَلِيـم
ثَـارَ عـلى الـدَهْـرِ وَلَـمْ يَخْفِـلِ
مَـنْ يَشْـتَـري عاطِفَتِـي مِنْكُـمُ
بِغَيْـرِهَـا مِـنْ هَـذه العَاطِفَـات

* * *

لا تَعْذِلُـونِـي حِيـنَ أَبْـكِـي أَسَـىً
العَـدْلُ كُـلُّ العَـدْلِ أَنْ أُعْـذَرَا
سَبَّـبَ لِـي هـذا الشُـعُـورُ الأَسَـى
مُصِيبَـةُ الإِنْسـانِ أَنْ يَشْعُـرَا
مَـنْ يَشْتَـرِيهِ مِنْـكُـمُ خاسِـراً
أَوْلـى بِشَـارِي الـدَمْـعِ أَنْ يَخْسَـرَا

قَضَى عَلَيَّ الدَهْرُ واشقَوْتَني
بالدَّهْرِ- أَنْ أَبْكِي وَأَنْ أَسْهَرَا
مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي عُقودَ النَظِيمْ
بِبَسْمَةٍ تُسْلِمُنِي لِلْكَرَى
مَنْ يَشْتَرِي الشِعْرَ وأَلْحَانَهُ
بِبَسْمَةٍ واحدةٍ في الحياة

***

عاطفتي .. مَرْحَمَةً واذهبي
لَمْ يَبْقَ مِنْ عُمْرِيَ غَيْرُ القَلِيلْ
أَبْلَيْتِ مِنْ جِدَّةِ عَهْدِ الصِبَا
ظُلْماً وَعَجَّلْتِ أَوانَ الرَحِيل
أنا عَلِيلٌ بَائِسٌ فاهْرُبِي
لا خَيْرَ في صُحْبَةِ نِضْوٍ عَلِيلْ
مَاذا الذِي تَرْجَيْنَهُ مِنْ قِرىً
لِلْهَمِّ فِي جِسْمِي الضَعِيفِ النَحِيلْ
قَدْ جَادَ يا عاطِفَتِي . والكَرِيمْ
يَضِنُّ عِنْدَ الفَقْرِ ضَنَّ البَخِيلْ
لَمْ يَبْقَ فِيهِ وَيْحَهُ مِنْ قِرىً
يُرْضِي صُروفَ الدَهْرِ والعَادِيَاتْ

* * *

سَـأَلْـتِ قُرْبـانَـاً فَقَـدَّمْتُـهُ
لِلْهَـيْكَـلِ الأَقْـدَسِ قُرْبَـانَـا
وَفَـوْقَ ذَا المَـذْبَـحِ ضَحَّيْتُـهُ
ومـا دَرَى النَـاسُ بِبَلْوانَـا
وَيحْـي تَـلاشَـتْ فِيـكِ أَجْـزَاؤُهُ
كَـأَنَّـهُ بالأمـسِ مـا كـانَـا
أَعْـطَـاكِ مـا شِئْـتِ وأَعْطَيْتِـهِ
مـا لَـمْ يَـشَـأْ هَمّـاً وَأَحْـزَانَـا
أَهَـكَـذا يُجْـرى المُحِـبُّ القَدِيـمْ
وَيُـوسَعُ الآمِـلُ حِـرْمانَـا
أَفْنَيْتِـهِ ظَـالِمَـةً فارْقُبِـي
غَـداً عِقَـابَ اللّـهِ للظَـالِمـاتْ

* * *

أُكَـلَّمـا أَنَّ أَخُـو لَـوْعَـةٍ
كَلَّفْتِنِـي الحُـزْنَ وطُـولَ الأَنِيـنْ
أُكَلَّمـا نَـاحَ مُحِـبٌّ أسـىً
حَشَـرْتِنِـي فـي زُمْـرَةِ النَائِحِيـنْ
أُكَلَّمـا مَـرَّتْ علـى خَاطِـري
صُـورةُ بُـؤسٍ رُحْـتُ فـي البَائِسِـينْ
أَشْـقَـى مَـع الأَيْتـامِ مُسْتَعْبِـراً
وأَسْـهَـرُ اللّيْـلَ مَـع العاشِقِـينْ

كَتَبْتُ آياتِ العَذابِ الأليمْ
غُضُونَ هَمٍّ فَوْقَ هَذا الجَبِينْ
تُتْلَى ولا يُخْطِئُها قَارِىءٌ
فَيَا لَآياتِ الأسَى البَيِّنَاتْ

* * *

عاطِفَتي رُحْمَاكِ واسْتَبْدِلي
بِجِسْمِيَ الناحِلِ جِسْماً صَحِيحْ
جِسْمَ فَتىً لَمْ يَدْرِ مَعْنى الأَسَى
ولا مَشَى يَوْماً بِقَلْبٍ جَرِيحْ
وَلا حَبَتْهُ بالأَسَى مُقْلَةٌ
دَعْجَاءُ أَوْ وَجْهٌ بَهِيٌّ صَبِيحْ
دَعِيهِ يَحْيَا بَعْضَ سَاعاتِهِ
بِمُهْجَةٍ حَرَّى وجَفْنٍ قَرِيحْ
جَرَّرَ ما شَاءَ ذُيولَ النَعِيمْ
وَلَمْ يُطِعْ بالكَأسِ نُصْحَ النَصيحْ
فَعَلِّمِيهِ كَيْفَ يَشْقَى الفَتَى
وكَيفَ تَرْعَى سَرْحَهُ النَائِبَاتْ

* * *

رَأَيْتُها صُبْحاً وَقَدْ أَرْسَلَتْ
ذُكَاءُ في الأُفْقِ تَثِيرَ الذَهَبْ
وَهَبَّ في الرَوْضِ نَسِيمُ الصَبَا
مُحَمَّلاً طِيبَ الرُبى حِينَ هَبْ

وللـرَياحِيـنِ شـذاً مُسْكِـرٌ
يَفْعَـلُ ما تَفْعَـلُ بِنْـتُ العِنَـبْ

عَـرُوسَـةُ الأحْـلامِ أحْبَبْتُهـا
وَهَـلْ يُـلامُ المَـرْءُ في مَـنْ أحَـبْ

أحْبَبْتُهـا جَهْـراً علـى مُهْجَتِـي
وللْهَـوى فـي النـاسِ شَـأْنٌ عَجَـبْ

وَهِمْـتُ فِيهـا وأنـا ذَرَّةٌ
هـائِمَـةٌ فـي هَـذِهِ الكائِنَـاتْ

* * *

أَلصَّـبْـرُ مَحْمُـودٌ ولكِنَّنِـي
لَـمْ يَـرْضَـنِـي الصَـبْـرُ وَلَـم أَرْضَـهْ

أَهْـوَى نَعَـمْ أَهْـوَى وَلِـي نَاظِـرٌ
فـارَقَ مُـذْ فَارَقْتُـهُ غُمْضَـهْ

ضَعِـي علـى حَرِّ فُـؤادِي يَـداً
كـأنَّهـا مِـنْ خَالِـصِ الفِضَّـهْ

وابْتَسِـمِـي عَـنْ لُؤْلُـوءٍ واسْفِـرِي
عَـنْ بِشْـرَةٍ نَاعِمَـةٍ بَضَّـهْ

فِـي خَـدِّكِ القـانِـي الشَـهِـيِّ الوَسيمْ
تُفـاحَـةٌ مُتْـرَفَـةٌ غَضَّـهْ

حَكّمَـكِ الحُسْـنُ بِأَهْـلِ الهَـوَى
حَسْـبِـي الهَـوى يا أَظلَـمَ الحَاكِمـاتْ

* * *

(١٩٢٣)

لا تذكري الماضي

هَلْ نَسِيَتْ هِنْدُ زَمَانَ الصِبَا
لِلَّهِ ما أَحْلَى زَمانَ الصِبَا
إذْ نَحْنُ كالأَطْيارِ في شَدْوِها
طِفْلانِ يَخْتالانِ بَيْنَ الرُبى
نَلْعَبُ في الكَرْمِ ولا بِدْعَةٌ
سَعادَةُ الطِفْلَيْنِ أَنْ يَلْعَبا
أَحْذَرُ أَنْ تَغْضَبَ مِنْ هَفْوَةٍ
وتَحْذَرُ الحَسْناءُ أَنْ أَغْضَبَا
يا هِنْدُ عَفْواً واغْفِري زَلَّتي
إنْ أَنا هَيَّجْتُ هَيِباً خَبَا
إنْ كانَتِ الذِكْرى تُثِيرُ الأَسَى
لا تَذْكُري الماضي ولا تَحْزَني

* * *

الكَرْمُ هَلْ أَطْيارُهُ لَمْ تَزَلْ
تَشْدُو على أَغْصانِهِ النَاعِمَةْ
والرَوْضُ هَلْ أزهارُهُ لَمْ تَزَلْ
تُعْبِقُ مُفْتَرَّةً باسِمَةْ
صَفْصَافَةُ الجَدْوَلِ هَلْ مَسَّها
دَاعِي الرَدى أَمْ لَمْ تَزَلْ قَائِمَةْ

...

يا طَالَمَا غَنَّى بِأَلْحَانِهِ
وأَنْتِ فِي أَفْيَائِهَا نَائِمَةْ
لا تَنْفُرِي مِنِّي ولا تَغْضَبِي
ولا تَكُونِي فِي الهَوى ظَالِمَةْ
إنْ كَانَتِ الذِكْرى تُثِيرُ الأَسَى
لا تَذْكُرِي الماضِي ولا تَحْزَنِي

* * *

مَرَرْتُ بِالغَابَةِ مُسْتَعِبِراً
والليلُ قد أَرْخَى سُدولَ الظَلامْ
فَقُلْتُ والذِكْرى أَثَارَتْ هَوىً
خَبَا بِقَلْبِي مُنْذُ عَامٍ وَعَامْ
هُنَا تَسَاقَيْنَا كُؤوسَ الهَوى
هُنَا تَعَانَقْنَا عِنَاقَ الغَرامْ
هُنَا تَلاقَيْنَا هُنَا وَدَّعَتْ
هُنَا أَشَارَتْ كَفُّهَا بالسَلامْ
مَالِي أَرَى دَمْعَكِ واحَسْرَتِي
مُنْسَجِماً يا هِنْدُ أَيَّ انْسِجَامْ
إنْ كَانَتِ الذِكْرِي تُثِيرُ الأَسَى
لا تَذْكُرِي الماضِي ولا تَحْزَنِي

* * *

مِنْ أَيْنَ هَذَا القُـرطُ قَدْ نِلْتِهِ
وذَلِـكَ العِقـدُ البهـيُّ الفَرِيـدْ
مَـنْ ذَا الـذي قَبَّلْتُـهُ أَثَّـرتْ
بَـورْدِ خَـدَّيْـكِ فَـدَتْـهُ الوُرُودْ
إسْـتقْبـلـي يـا هِنْـدُ فَـتَّانـةً
ضـاحِـكةً عَهْـدَ غـرامٍ جَديـدْ
أنـا شقـيٌّ فـي الهَـوى فابْسمي
بَسْـمـةَ عَطْـفٍ لمُحـبٍ سَعيـدْ
وذَلِكَ الحُـبُّ القَديـمُ الـذي
مـاتَ تنـاسَيْـه ، وتلْـكَ العُهـودْ
انْ كانَـت الـذِكرى تُثِيـرُ الأسى
لا تَذْكـري الماضِـي ولا تَحْـزنـي

* * *

يـا هَنْـدُ والمَـوْتُ مشَـى مُسْـرعـاً
الى شَبـابـي مُـؤْذِنـاً بالفِـراقْ
قَضَـى عَـلى جِسْـمِـيَ يا لَيْتَهُ
قَضَى عَـلى اللَّـوْعَـةِ والإشْتِيـاقْ
حِيـنَ تَسمُـدِّيـنَ يَـداً بَضَّـةً
نـاعِمَـةً مُتْـرَفَـةً للعِنَـاقْ
فَيَلْتَـقِـي الثَغْـرانِ فـي قُبْلَـةٍ
تُسْـكِـرُ كـالخَمْـرِ نَـدِيِّ المَـذَاقْ

إنْ كـانَتِ الـذِكـرى تُثِيـرُ الأسَـى
لا تَـذْكِـرِي الماضِـي ولا تَحْزَنـي

* * *

وَحِـينَ تُمْشِـين الهُوَيْنـا وقَـدْ
أقْبَلَـتِ الشَـمْـسُ تُـرِيدُ المَغِيـبْ
بَيْـنَ وُرودٍ ضَحِـكَـتْ للنَـدَى
ثُغـورُهـا نَشْـوى اخْضِـلالٍ وَطِيـبْ
لا تَدْخُلِـي الغَـابَـة لا تَدْخُلِي
فـإنَّ فـي الغَـابَـةِ قَبْـرَ الغَـرِيـبْ
قَبْـرَ حَبِيـبٍ قَـدْ تَنـاسَيْتِـهِ
أهـكـذا يَنْسَى الحَبِيبُ الحبيـبْ
واجْتَنِـبـي الغَـابَـةَ لا تَخْرُقِـي
حُـرْمَـةَ ذَيَّـاكَ السُكونِ المَهِيـبْ
فـإنَّمـا الـذِكـرى تُثِيـرُ الأسَـى
لا تَذْكِـرِي الماضِـي ولا تَحْزَنـي

* * *

(١٩٢٣)

اغنية البردوني

ارتجل الشاعر هذه الاغنية في جلسة طرب على ضفاف البردوني .

يا شاعِرَ الأَزْهارْ وشاعِرَ الأَقمارْ
مِنْ غِيدِ لُبْنانْ
تُعِيدُ أُغْنِيَّهْ للحُبِّ سِحْرِيَّهْ
فَتَرْقُصُ الأَغْصانْ
أَدَرْتَ أَقْداحَكْ تَزُفُّ لي راحَكْ
فَرُحْتُ سَكْرانْ
تَهُزُّ أعطافي في ظِلِّكَ الضَّافي
للحُسْنِ أَلْوانْ
الرَّوْضَةُ المِئْنافْ والحَوْرُ والصَفْصافْ
وَهَذِهِ الغُزْلانْ
مِنْ خَمْرَةِ الثَغْرِ وَخَمْرَةِ النَهْرِ
أَصْبَحْتُ نَشْوانْ
آمَنْتُ بالوَادي ونَهْرِهِ الشَّادِي
وَرِيمِهِ الفَتَّانْ
الشِعْرُ مَسْدولُ والثَغْرُ مَعْسُولُ
والغُصْنُ رَيَّانْ
وَرُوحِيَ النَشْوى لا تَقْبَلُ الصَحْوَا
لِلصَّحْوِ أَحْيانْ

غـافلْـتُ جُـلاَّسِي مُفَـرِّغَـاً كَاسِـي
لِيَشْـرَبَ الـرَيحْانْ
أَنَحْتَـسِي الخَمْـرَا ونَـرْتَـوِي سُكْـرَا
والـوَرْدُ ظَمْـآنْ
أُضَـفِّـرُ الآسَـا وأَرْشُـفُ الكاسَـا
والكـأْسُ مَـلآنْ
بِحضْـنِ جِنِّيَّـةْ هَيْفَـاءَ حُـورِيَّةْ
أَضـاعَهـا رِضْـوانْ
قَبَّلْـتُ خَـدَّيْـها دَغْـدَغْـتُ نَهْدَيْـها
فالبَـدْرُ غَـيرانْ
والـرَوْضُ يُخْفِينَـا عَـنْ عَـينِ واشِينَا
يـا رَبِّ لاَكَـانْ
وأَنْـتَ يا هدَّارْ تُـرَدِّدُ الاشْعـارْ
رَقِيقَـةَ الأَلْحَـانْ

* * *

(١٩٢٣)

تلك الاقانيم الثلاثة ...

ألقى الشاعر هذه القصيدة في الحفلة التي اقامها المجمع العلمي في الشام لتأبين المنفلوطي (مصر) والألوسي (بغداد) والشاعر في القصيدة يرسم خطوط الوحدة العربية ويتحدى سياسة السياسيين التي تتنكر لهذه الوحدة كما يتحدى الدول الغربية التي تنكر حق العرب وتغتصبه ويتنبأ لها بحرب طاحنة تطيح بسلمها المزيف .

اَللَّيْلُ بَعْدَ الرَاحِلِينَ طَوِيلُ
أَو مَالِصِبْغِكَ يا ظَلامُ نُصُولُ
يَطْوِي الزَمانُ النابغِينَ فَتَنْطَوِي
لِذَهابِهِمْ أُمَمٌ وَيَهْلَكُ جِيلُ
وَلَرُبَّ نَعْشٍ غابَ في طَيَّاتِهِ
فَتْحٌ أَغَرُّ وَمَوْطِنٌ وَقَبِيلُ
والنَاسُ أَسْيافٌ فَمِنْهَا مُغْمَدٌ
صَدِئٌ وَمِنْهَا الصارِمُ المَسْلُولُ
والخَطْبُ خَطْبُ النابغِينَ فَحَقُّهُ
بِالمَشْرِقَيْنِ تَفَجُّعٌ و عَوِيلُ

* * *

في كُلِّ يومٍ لِلعُروبَةِ كَوْكَبٌ
يَهْوِي وسَيْفٌ يَعْتَرِيهِ فُلولُ
قَبْرٌ بِعاصِمَةِ الرشيدِ وآخَرٌ
في مِصْرَ حَقُّ ستُورِهِ التَقْبِيلُ

بَـدْرانِ قَـدْ بَكَرَ الأُفـولُ عَلَيْهمـا
ولَـكُـلِّ بَـدْرٍ مَشْـرِقٌ وأُفـولُ

وَمُشَيَّعـانِ الـى الثَـرى بِمـواكِـبٍ
يَـرْتَـدُّ عَنَهـا الـطَـرْفُ وَهْـوَ كَلِيـلُ

فِيـهـا رَعِيـلٌ مِـنْ مَـلائِـكَةِ العُلـى
وَمِـنَ الجُـدودِ الأَكْـرمِيـنَ رَعِـيـلُ

عِيْسـى وأَحْمَـدُ والـكَلِيـمُ وعُصْبَـةٌ
فِيـهـا الأَمِيـنُ المُنْتَقـى جِبْـرِيـلُ

يـا لَلْعُـروبَـةِ : أَيْـنَ نُـوُر نبوغِهـا
أَلَـزيْـتُ جَـفَّ وأُطْفِـىءَ القِنْـديـلُ

بَغْـدادُ شـاكِيَـةٌ ومِصْـرُ مُـرِنَّـةٌ
والشَـامُ حـاسِـرَةُ القِنـاعِ ثَكُـولُ

تلـكَ الاقـانِيـمُ الثَـلاثَـةَ واحِـدٌ
بَـرَدى الشـآمِ ودِجْلَـةٌ والنِيـلُ

قـالُـوا : السيـاسَـةُ قُلْـتُ : رَغْـمَ دُهـاتِهـا
ظِـلُّ العُـروبَـةِ في الـربـوعِ ظَلِيـلُ

نَسَـبٌ أَغَـرُّ وَذُرْوَةٌ مُضَـرِيَّـةٌ
نَبْـتُ الـرَبيـعِ بِهـا قَنَـاً ونُصُـولُ

وَعَقِيـدَةٌ وَطَنِـيَّةٌ عَرَبِيَّـةٌ
فِيهـا نَصُـولُ على العِدى ونَطُـولُ

هَـذا هُـوَ الحَـقُّ الصُـراحُ فَحَسْبُكُمْ
قَـوْلُ السِيـاسَـةِ كُلُّـهُ تَـدْجيـلُ

* * *

يـا غـاصـبـي حَـقَّ العُـروبـة حَسْبُكُـمْ
مِـنَّـا فُـروعٌ للعُـلاَ وأُصُـولُ
أَسْـهَبْتُـمُ بِـوُعُودِكُـمْ وأَطَلْتُـمُ
ضِـدّ البَـلاغَـةِ ذلـكَ التَطْـويـلُ
وَرَفَعْتُـمُ المِنْـديـلَ وَهْـيَ خَـدِيـعَةٌ
هُـزِمَ السَـلامُ ومُـزِّقَ المِنْـديـلُ
قَدْ ضَـاعَ فِي التـأويـلِ صِدْقُ عُهُودِكُمْ
أَلِـكُـلِّ عَهْـدٍ عِنْـدَكُـمْ تَأْوِيـلُ
لا تُنْـكِـروا حَـقَّ الحَيَـاةِ لأُمَّـةٍ
فيـهـا النبـوغُ على الحيـاةِ دَلِيـلُ
وَتَـدارَكُـوا هـذا السَـلامَ بِطِبِّـكُـمْ
ودَوائِـكُـمْ إنَّ السَـلامَ عَلِـيـلُ
طَعَنَتْـهُ أَطْمـاعُ السِيـاسَـةِ طَعْنَـةً
نَفَـذَتْ فَـراحَ السِلْـمُ وَهْـوَ قَتِيـلُ
وَلَقَـدْ جَـزِعْـتُ مِنَ السِيـاسَـةِ، إنَّـها
غُـولٌ وَهَـلْ تَلِـدُ السَلاَمَـةَ غُـولُ
دِيْـنُ السِيـاسَـةِ، جَـاء فيـه مُبَشِّـراً
بالمَشْـرِقَيْـنِ : الجَيْـشُ والأُسْطُـولُ

قُـولوا لِمَنْ غَصَبَ القَـويَّ حُقُـوقَـهُ :
أَلسَيْـفُ بـاسْـتِـرْدَادِهِـنَّ كَفِيـلُ
وإذَا تَكَلَّمَـتِ الصَـوارِمُ والقَنـا
سَـكَـتَ الضَـعِيـفُ ولَجْلَـجَ المَكْبُـولُ
وإذا عَـلا صَـوْتُ الضَـعِيـفِ فَـرُبَّـما
أَخْفَـى صَـداهُ زَمـاجِـرٌ وصَهِيـلُ
وأرى القَـوِيَّ يُطـاعُ غَيْـرَ مُخَالَفٍ
وَيُخَـالَـفُ القـرآنُ والإنْجيـلُ
أَلشَـرْعُ مـا سَـنَّ القَـوِيُّ بِسَيْفِـهِ
فَلِسَيْـفِـهِ التَحْـرِيـمُ والتَحْلِيـلُ
إنْ قَـالَ ، صَـدَّقَـهُ الـزَمـانُ فَقَوْلُـهُ
وَحـيٌ وَزُورُ حَـدِيثِـهِ تَنْزِيـلُ
والـدَهْـرُ أَعْـدَلُ مَـنْ عَـرفْت حُكومةً
والشـاهِـدُونَ على الـزَمـانِ عُـدولُ
دُوَلٌ تَـدُولُ ولا مَـرَدَّ لأَمْـرِهِ
يُحْمَـى الـكِنـاسُ ويُسْـتَبـاحُ الغِيـلُ
وَلَـرُبَّمـا هَـزَّ اللِـواءَ مُظَـفَّرٌ
مـاضِـي العَـزِيمَـةِ أَصْيَـدٌ بُهْلُـولُ
مِـنْ آلِ يَعْـرُبَ لا تَلِيـنُ قَناتُـهُ
أَنُـفٌ أَشَـمُّ وسـاعِـدٌ مَفْتُـولُ

(١٩٢٤) * * *

على اطلال الجزيرة العربية

يبكي الشاعر على اطلال الجزيرة ويستنجد لها بالشام وبغداد ولكن الشام وبغداد من بلائها في شغل ثم يخاطب عصبة الامم التي فرضت انتدابها على ديار العرب فيهدد ويتوعد .

عَفَتِ الدِيَارُ وأَنْكَرَتْ قُصَّادَهَا
حَيَّا الحَيا تِلْكَ الدِيَارَ وَجَادَهَا
أَبْلَتْ بَشَاشَتَهَا الخُطوبُ وأَقْصَدَتْ
فُرْسَانَهَا وَتَخَرَّمَتْ أَجْوادَهَا
وَأَبادَ فِتْيَتَهَا الزَمانُ وطَالَمَا
مَرَّ الزَمانُ بِفِتْيَةٍ فَأَبادَهَا
هِيَ حَسْرَةٌ فازْدَدْ وَأَنْتَ أَخو هَوَىً
حَقُّ الوَفَاءِ عَلَيْكَ أَنْ تَزْدَادَهَا
حَيَّيْتَهُنَّ مَنَازِلاً مَهْجُورَةً
سَبَتِ المَنِيَّةُ هِنْدَهَا وسُعادَهَا
وَحَبَسْتَ فِيهِنَّ المَطِيَّ مُسائِلاً
عَنْ أَهْلِ وُدِّكَ نُؤْيَهَا وَثِمَادَهَا
وَسَكَبْتَ مَا شَاءَ الهَوَى بِطُلُولِها
حُمْرَ الدُموعِ . أَما تَخَافُ نَفَادَهَا ؟
تِلْكَ الدُموعُ قَصِيدَةٌ قَدْ جَوَّدَتْ
عَيْنَاكَ يَوْمَ فِراقِهِمْ إِنْشَادَهَا

مِـنْ أَنَّـةِ الثَّـكْلَى أَخَـذْتَ رَوِيَّـهَا
وَمِـنَ القُـلـوبِ قَـدِ اسْـتَعَـرْتَ مِدَادَهَـا
جَـاءَتْ مُهَـذَّبَـةَ القَـوافِـي مَا اشْتَكَتْ
إِبـطَـاءَهَـا وَزِحَـافَـهَـا وَسِنَـادَهَـا

فإذا تَلَتْـهـا العَيْـنُ وَهْـيَ نَدِيَّـةٌ
سَكِـرَ الـزَّمَـانُ بِلَحْـنِهـا فأعـادَهَا
الحُـزْنُ أَرْسَـلَهَـا وَوَقَّـعَ لَحْنَـهَا
واخْتَـارَ فـي شَـوْطِ القَـرِيضِ جِيَـادَهَا

غَـرَّاءُ هَـذَّبَـهـا وأَحْـكَـمَ صُنْـعَهَا
صَـنَـعُ البَيانِ فَأَتْعَبَـتْ نُقَّـادَهَـا
الشِـعْـرُ مَا مَلَكَ النُـفـوسَ وَهَـزَّهَـا
وَأَثَـارَ ثَـائِـرَهَـا الـكَمِيـنَ وَقَـادَهَا

تَتْلُـو الـطَّبِيعَـةُ فـي الصَّبَـاحِ قَصَـائِداً
بَـذَّتْ بِهِـنَّ لَبِيـدَهَـا وَزِيَـادَهَـا
إِنِّـي لَتُـطْـرِبُـنـي الحَمَـامَـةُ أَنْشَدَتْ
فَـوْقَ الغُـصـونِ فَـرَنَّحَـتْ مَـيَّـادَهَـا

وَيَـهُـزُّنِـي لَحْـنُ النَسِيمِ مُقَـبِّـلاً
نَـوْرَ الخَمَائِـلِ لاثِـماً أَوْرادَهَـا
والصُـبْـحُ مَـرَّ على الـرُبَى بِحَنَانِهِ
فَكَسَـى بِـلُؤْلُـؤِ دَمْعِـهِ أَجْيَـادَهَا

والمَـوْجُ يَخْـطُـبُ فـي الصُـخُـورِ مُثَرْثِـراً
حَنِـقـاً وَيَنْقِـمُ كِبْـرَهَـا وَعِـنَادَهَا
واللَيْـلُ غَـطَّـى فـي رِدَاءِ سُكُونِـهِ
جِسْـمَ البَسِيطَـةِ شُمَّـهَا وَوِهَـادَهَـا

* * *

يـا نَفْحَـةً حَمَلَتْ إليَّ مِـنَ الرُبَـى
غِـبَّ الـرَبِيـعِ شَقِيقَـهـا وَزُبَـادَهَـا
أُمِّـي الجَـزِيـرةَ واسْـرقِـي مِنْ غِيدِهَـا
بَـرْدَ الثُغـورِ على الصِبـا وَبُرادَهَـا
مـا للجَـزِيـرَةِ . لا تُفِيـقُ مِنَ الكَـرَى
طَلَـعَ الصَـبَـاحُ فَنَبِّـهِـي آسَـادَهَـا
مَـلَّ الشُـعوبُ مِنَ الرُقَـادِ وَبَـكَّـرُوا
للطَيِّبَـاتِ فَهَـل تَمَـلُّ رُقَـادَهَـا

بِنْـتُ الغُـزاةِ الفَـاتحيـن تَحَكَّمَـتْ
فيهـا العُـداةُ وأَحْـكَمَـتْ أصْفَـادَهَـا
مَلَـكُـوا عَليهـا الـدِجْلَتَيْـنِ وحَـرَّمُـوا
بَـردَى وَذَادُوا بالـظُبَـى وُرَّادَهـا
وَكَسَـتْ جُنـودُهُـمُ العَـواصِمَ فـارْتَدَتْ
ثَـوْبَ الحِـدادِ وَوَدَّعَـتْ أعْيـادَهَـا
يـالَـلْعَـواصِمِ خُطَّـةً مَغْـزُوَّةً
مَلَكَ الغَـرِيـبُ بَياضَـهـا وسَوادَهـا

الـدَهْـرُ فَـلَّ سُيـوفَهـا هِنْـدِيَّـةً
بِيضـاً وحَـطَّـمَ بالقِـراعِ صِعـادَهـا
مَـدَّتْ الى الفَيْحـاءِ كَـفَّ رَجَائِـها
متـروكـةً وتَـرقَّبـتْ إسْعـادَهَـا
مـا أَسْـرَعَ الفَيْحَـبـاءَ ، لـولا أنَّهـا
طَفَـتِ الخـطـوبُ فَـرَّيْـشَـتْ أنْجَـادهَـا
وشـكـت لِبُغـدادَ الخـطـوبَ ومـا درت
أن الخـطـوبَ تَعـرَّقَـتْ بَغْـدادَهـا
حَبَسـتْ مِيـاهَ الرافِـدَيْـنِ وَحـلَّأتْ
عَـنْ وِرْدِ دِجْلَـةَ لَخْمَهـا وإيادَهَـا
وَيْـحَ العُـروبِـةِ ! حَلَّمَـتْ أحْبـابَهَـا
رِيَـبُ الـزمـانِ ونَـزَّقَـتْ حُسَّـادَهَـا
هِيَ جَنَّـةٌ ما ارْتَادَهـا ذُو شِـرَّةٍ
إلاَّ وأطْمـعَ حُسْنُـهـا مُـرْتَـادَهَـا
كَـالطيـرِ أسْـكَـرَ لَحْنُـهـا صيَّـادَهـا
فَمشـى اليهـا بالـردى واصْطَـادهَـا
ذاكَ الجَمـالُ جَنـى على أبْنائِـها
ظُلْمـاً وجَلَّـلَ بالأذَى أحْفـادَهَـا
وَلَقَـدْ أقـولُ لِغَاصِـبِيـنَ مَشَـوْا بِهَا
مَـرَحـاً وأثْقَـلَهـا الشَـقـاءُ وآدهَـا

هِـيَ جُـذْوَةٌ حـاولْتُـمُ إطْفـاءَهـا
والـظُـلْـمُ راحَ مُحـاوِلاً إبقـادَهَـا
أقْبَلْتُـمُ كـالمُـرشِـديـنَ وسـاءَكُـمْ
بَعْـدَ الـكَـرى أنْ تَسْـتَبِينَ رَشَادَهَـا
قُلْتُـمْ نُؤَيِّـدُ مِنْعَـةَ اسْتِقْـلالِهـا
لـكنـكُمْ أيَّـدْتُـمُ اسْتِعْبـادَهَـا
إنَّ الغَـزَالَـةَ لـو ملكتـمْ أمْرَهَـا
لَحَبَسْـتُـمُ عـن جِـلِّـقٍ آرادَهَـا

* * *

يـاعُصْـبـةَ الأُمَـمِ القَـويـةَ . حـاذِري
بـأْسَ الضِـعـافِ وحَـزْمَهـا وكيـادَهَـا
لاتَـأْمَـنـي بأسَ الأعـارِبِ إنَّهُـم
كـادَتْ تُفـارِقُ بيضُـهُـمْ أغْمـادَهَـا
وكـأنَّنِـي بالصِيـدِ مِـنْ أُمَـرائِهَا
يَـوْمَ الحَـمِيَّـةِ أنْـكَـرَتْ أحْقـادَهَـا
وكـأنَّنـي بـالتَـاجِ أَلْـفَ شَمْلَـهَـا
نَـظْمـاً ولَـمَّ نَثِيـرَهـا وَبِـدادَهَـا
هَلَّـلْـتُ للنَّشْـرِ الجَـديـدِ وَقَـدْ مَشَـى
يَصْـلَـى الحيـاةَ وحَرْبَـهـا وجِهَـادَهَـا
وخَشَـعْـتُ للنَـشءِ الجَـدِيـدِ وقُلْـتُ ذا
جُنْـدُ الشـآمِ فَمَـنْ يُطِيـقُ جِلادَهَـا

حَيَّيْتُ فِيهِ حُمَاتَهَا أَبْطَالَهَا
يَومَ النِزالِ كُماتَهَا قُوَّادَهَا
تِلْكَ المِهارُ ولا أُكابِدُ لَوْعَةً
إنْ مُدَّ فِي عُمْرِي شَهِدْتُ طِرادَهَا

* * *

(١٩٢٤)

طمع الاقوياء

لا تَلُمْـهُ إذا أَحَـبَّ الشَـآمَـا
طَـابَتِ الشَـامُ مَـرْبَعَـاً وَمُقَامَـا
مـا رَأَيْنَـا الشَـآمَ إلاَّ رَأَيْنَـا
مَنْـزِلاً طَيِّبَـاً وأَهْـلاً كِرَامَـا
بَـرَدَى والـوُرودُ فـي ضَفَّـتَيْـهِ
مُسْـغِياتٌ لِشِـعْـرِهِ والخُزَامَـى
هَـاتِ حَـدِّثْ عَـنِ الشَـآمِ وَحَـدِّثْ
وَأَطِـلْ فـي الحَـدِيـثِ عَنْـهـا الكَلاَمَـا
عَـنْ رُبَـاهـا ، عَـنْ غِيدِهـا سَارِحَـاتٍ
يَتَهـادَيْـنَ فـي الحِـمَـى آرامَـا
مَـا عَرَفْـتُ الغَـرامَ لَـولا رُبَـاهَـا
مِـنْ رُبَـى جِـلِّـقٍ عَرَفْـتُ الغَـرامَـا
مِـنْ أَغَـانِـي طُيـورِهَـا ساجِعَـاتٍ
قَـدْ تَعَلَّمْـتُ هَـذِهِ الانْغَـامَـا
أَعْـطِنِـي فـي رُبُـوعِ جِـلِّـقَ يَـوْمَـاً
يـا خَلِيلـي وَخُـذْ مِـنَ العُمْـرِ عَـامَـا
وَأَعِـدْ ذِكْـرَهَـا رَحِيقـا مُصَفَّـىً
وَأَدِرْهُ عَـلَـيَّ جَـامَـاً فَجَـامَـا

* * *

يـا بَنِـي أُمٍّ والحَيَـاةُ زِحَـامْ
ذَلَّ واللـهِ مَـنْ يَخَـافُ الزِحَـامَـا
يـا بَنِـي أُمٍّ هَـبَّةً بَعْدَ نَـوْمٍ
كَشَـفَ الصُـبْـحُ بالضِيَـاءِ الظَـلامَـا

نَظْـرَةً للشُـعـوبِ وَهْـيَ تُحَـيِّـي
بـالاهَـازِيـجِ فَجْـرَهَـا البَسَّـامَـا
أُمَـمٌ تَكْسِـرُ القُيودَ وأُخْـرى
يُرْهِـفُ القَيْـنُ سَيْفَـهَـا الصَمْـصَامَـا

طَالَبَـتْ بالحَيَـاةِ طَعْنـاً وَضَرْبَـاً
بَعْـدَ أَنْ طَالَبَـتْ بِهَـا اِسْتِرْحَـامَـا
لا تَظُـنُّـوا السَـلامَ فـي الارْضِ حَـيّـاً
طَمَـعُ الاقْـوِيَاءِ غـال السَـلامَـا

طَمَـعٌ لَـوْ أَطـاقَ ـ فاخْشَـوْا أَذاهُ ـ
حَبَـسَ النـورَ عَنْـكُمُ والغَمَـامَـا
لَيْـتَ شِعْـرِي وللسِياسَـةِ دِيـنٌ
يُرْسِـلُ النَـارَ حُجَّـةً والحُسَـامَـا

أَيَعُـدُّونَ قَتْـلَ شَعْـبٍ حَـلالاً
وَيَعُـدُّونَ قَتْـلَ فَـرْدٍ حَـرَامَـا
عَبَـثُـوا بالنِـظَـامِ بَغْيـاً وَقَـالـوا
قَـدْ اتَيْنَـاكُمُ لِنَحْمِـي النِظَامَـا

حطَّـمـوا المُرْهَفَـاتِ وَهْـيَ رِقَـاقُ
ثُـم شـاؤوا فَحَطَّـمـوا الأَقْـلامَـا
يَـالَشَـكْـوَى تُغِـصُّ دِجْـلَـةَ بالدَمْـعِ
حَنَـانـاً وَتُحْـزِنُ الأَهْـرَامَـا
لَـوْ تَـلاهَـا بِـأَرْضِ يَثْـرِبَ حَـادٍ
أَبْـكَـتِ الـرُكْـنَ والصَـفـا والمَقَـامَـا

* * *

أَيُّـهَـا الاقْـوِيَاءُ لِيـنـاً وَعَطْفَـاً
أَشُـعـوبَـاً تَـرْعَـوْنَهَـا أَمْ سَـوامَـا
فِـي رَمَـادِ الضَـعِيـفِ نـارُ فَمَهْـلاً
ان ظُلْـمَ القَـوِيِّ يُـذْكِـي الضِـرامَـا
أَنـا أَخْشَـى مِـنَ الضَـعِيفِ عَلَيْكُـمْ
بَعْـدَ حِيـنٍ تَمَـرُّداً وانْتِقامَـا
أَنـا أَخْشَـى مِـنَ الضَـعِيفِ عَلَيْكُـمْ
ثَـوْرَةً تَبْعَـثُ الخُـطـوبَ الجِسـامَـا
ثَـوْرَةً تَهْـدِمُ القُصـورَ وَتَبْنِـي
فَـوْقَهـا الـكُـوخَ عالِيـاً والخِيَـامَـا
ثَوْرَةً تَتْـرِكُ المُتـوَّجَ عَـبْـداً
وأَخَـا الـرق سَيِّـداً قَمْقَـامَـا
شِـدَّةُ البَغْـيِ والاذَى عَلَّـمَتْـهُ
كَيْـفَ يَغْشَـى يَوْمَ الصِـدامِ الصِـدامَـا

أرْهِقُونَا ما شِئْتُمُ واظْلِمُونَا
وامْنَعُونَا حَتَّى الكَرى والطَعَامَا
واسْلُبوا ما تَرَوْنَهُ مِنْ حُطَامٍ
لَكُمُ وَحْدَكُمْ جَمَعْنَا الحُطامَا
وامْلأُوا هَذِهِ السجونَ الى أنْ
تَشْتَكي مِنْ ضُيوفِها الازْدِحَامَا
ثُمَّ سُوموا السُجودَ كِبْراً وَتيهاً
إذْ تَمُرّونَ : شَيْخَنَا والغُلامَا
واحْكُمونا بالعَسْفِ حَتَّى كَأَنَّا
قَدْ مَثَلْنَا أَمامَكُمْ أنْعَامَا
لا إخَالُ الأَرْواحَ تَكْسِرُ قَيْدَ الأَسْرِ
إنْ لَمْ تُعَذِّبُوا الأَجْسَامَا
يَفْتُكُ الظُلْمُ بالضَعيفِ وَيُرْدي
بَعْدَ حِينٍ بِشؤْمِهِ الظُلاَّمَا

(١٩٢٤)

اهوى الشـآم

القيت في قاعة المجمع العلمي بدمشق

قِـفْ بـالشَـآمِ مُسـائِلاً آثـارَهـا
مَـرْحـى لِمَـنْ أَمَّ الشـآم وزَارَهَـا
أَهْـوى أَزاهِـرَهـا . أَحِـنُّ لِعَـهْـدِها
أَشـتـاقُ بُلْبُلَهـا ، أُحِـبُّ هَـزارَهـا
قَضَّيْـتُ أَيَّـامـي القِصـار بِظِلِّهـا
جـادَتْ مَـدامِـعُ مُقْلَتَـيَّ قِصـارَهـا
أَفْـدي مُهَفْهَفَـةَ القَـوامِ أَسِيـرةً
تَشْـكو القُيـودَ فَمـن يَفُـكُّ إِسَارَهَا
غَـلُّـوا الأُسـودَ الصِيدَ مِنْ أَبْطالها
فـي الغُـوطَتَيْـن وَحَجَّبُـوا أَقْمـارَهَـا
وَكَسَـوْا مَنـاكِبَهـا فـلا أَنْجـادَهـا
تَـرَكُـوا لِقـاطِنِهـا ولا أَغْـوارَهَـا

* * *

هَـذي الشـآمُ فَحَـيِّ لَيْثَ عرِينِهـا
يَـوْمَ النِـزالِ لُبـابَهَـا مُخْتـارهـا[1]
إِنْ كانَ قد هَجَـرَ الشـآم فإِنَّهُ
أَبْـكـى الشـآم وَهَـزَّهَـا وأَثَارَهَـا

(١) يريد به زعيم احرار السوريين الدكتور عبد الرحمن شهبندر وكان في رحلته الى اوروبا واميركا للدفاع عن القضية الوطنية .

حَـزِنَـتْ قُبـورُ الفـاتِحِيـنَ وأَطْلَقَـتْ
حُمْـرَ الـدموعِ وأَرْسَـلَـتْ مِدْرَارَهَـا
وَبَـكَـتْ غِيـاضُ الغُـوطَتَيْـنِ أمـا تَرى
أنَّ المَدامِـعَ بلَّلَـتْ أزْهَـارَهـا
يـاابْـنَ الصـنـاديدِ الأُلـى قد عَفَّـروا
هَـامَ الملـوكِ ونَـكَّسـوا جَبَّـارَهـا
أَلْمُوقِـدي نـارَ الضِيـافَـةِ أرْسَلَـتْ
مِثْـلَ الجِبـالِ الـراسيـاتِ شَـرَارهـا
مِـنْ كُـلِّ وَضَّـاحِ الجَبيـنِ مُغامِـرٍ
يَغْشَـى المَعـامِعَ مُسْـتَثِيـراً نـارهَـا
كأسُ المَنِيَّـةِ في فِـرنْـدِ حُسامِـهِ
فـاذا الْتَقَـتْ حَلَـقُ البِطـانِ أدَارَهَـا
قَـدْ أرْقَلَـتْ بِـكَ فـي الخِضَـمِّ مَطِيَّـةٌ
هَـوْجَـاءُ مـانَكَـثَ الخِضَـمُّ مغَـارَهـا
ظَمْأَى تَسـيرُ على الخِضَـمِّ مُجَرْجِـراً
سَيْـرَ الـذَلُـولِ ولا تَبُـلُّ أُوارَهَـا
فـإذا بَلَغْـتَ الغَـرْبَ وهْـوَ مَمالِـكُ
بـالسَـيْفِ تَـمْنَـعُ مَـجْدَهـا وذِمـارَهـا
رَفَعَـتْ عَلـى حَـدِّ السيـوفِ عُـروشَهـا
وبَنَـتْ بلشْـلاءِ الضِـعـافِ دِيـارَهَـا

* * *

قُـلْ إنْ جَلَسْتَ مخُـاطِبـاطاغُـوتَهـا
ومُحـاوِراً فـي بَغْيِـهِ جَـزَّارَهَا
مـا لِلشَّـآمِ نَسيتُـمُ مِيثـاقَـها
وَخَفَرْتُـمُ بَعْـدَ العُهـودِ جِوَارَهـا
قَـرَّبْتُـمُ للـطَّيِّبـاتِ عَبيـدَهَـا
وَحَـرَمْتُمُ حَـتَّـى الـكَـرى أحْـرارَهَا
عَـزَّ العَـزاءُفَكَفْـكِفُـوا عَبـراتِـها
وخَـلا النـديُّ فـأطْلِقُـوا أطْيـارَهَـا

* * *

لا تَكْـذِبِ الامـمُ القَـوِيَّـةُ . إنَّـا
بـاسْـمِ الحَضَـارَةِ ثَقَّفَـتْ خَطَّـارَهـا
ولْتَهْنَـأ الامَـمُ القـويـةُ . إنَّـا
قـد أدْرَكَـتْ مِمَّـنْ تخُـادِعُ ثـارهَـا
قـالـتْ : لقـد بَلَّغْتُـكُـمْ اوطَـارُكُـمْ
وَهِـيَ التـي بَلَغَـتْ بِنـا أوْطَارهَا

بـا عصـبـة[1] الصيد الغـطـاريف الأُلـى
حفـظـوا الجـدود وخـلـدوا آثـارهـا
هـذي سيـوف الفـاتحين من البلـى
قـد صُنْتُـمُ اجفـانهـا وشفـارهـا[2]

(١) رجال المجمع العلمي
(٢) اشارة الى سيف ابي عبيدة الجراح المحفوظ في متحف المجمع

جـــدَّدتـــمُ عهـــد الحفـــاظ لأمـــة
اللـــهُ طهَّـــر خيمهـــا ونجـــارَهـــا
ارجعتـــمُ صُـــوَرَ العـــروبـــة غضـــةً
فكـــأنـــكـــمْ ارجعتـــمُ إعصـــارَهـا
وبعثتـــم امـــم الجـــزيـــرة بعـــدما
طـــويـــت وحلـــل فـــذكم اطـــوارَهـا
انـــطقتـــمُ الصُـــوَرَ الجَمَـــادَ فخَـــبّرَتْ
عـــن شـــأنهـــا وَروَيْتُـــمُ أَخبـــارَهـا
وســـللتـــمُ صَمْصـــامَهـــا من غِمـــدِه
متـــألّقـــاً وجلـــوتـــمُ دينـــارَهـا
ورفعتُـــمُ رُكْـــنَ القضيـــةِ عاليـــاً
بجهـــادكـــم وكَشَـــفْتـــمُ اســـرارَهـا

***

مَـرْحَـى لنـاشِئَـةِ الشـآمِ ومَرْحبـاً
بـالنَشْـــءِ إنْ عَشَـرَتْ أقـالَ عِثَارَهـا
ألنـاهِضيـنَ لِيَمْنَعُـوا مِيراثَـها
ويُجَـدِّدُوا عَلْيـاءَهـا وفَخَـارَهَـا
هَـذِي الربـوعُ سَرَرْتُـمُ غُيَّابَهَـا
بِجِهـادِكُـمْ وحَـرَسْـتُـمُ حُضَّـارَهَـا
أَسْـهَـرتُـمُ جَفْـنَ العَـدُوِّ وَرَحْتُـمُ
نُـدْمَـانَ كـلِّ فَضيلَـةٍ سُمَّـارَهَـا

أَرْجَعْتُـمُ صُـوَرَ العُـروبةِ غَضَّـةً
فكـأَنَّـكُـمْ أَرْجَعْتُـمُ أَعْصـارهَـا

وَرَفَعْتُـمُ رُكْـنَ القَضِيَّـةِ عَـالِيـاً
بِجِهـادِكُـمْ وكشـفْتُـمُ أَسْـرارَهَـا

وأَرَى العَـدُوَّ دَعـاكُـمُ أَغْـرارَهَـا
أفْـدِي الـذيـنَ دَعـاهُـمُ أَغْـرارَهَـا

لا تَقْنَـطُـوا فَلَقَـدْ غَـرَسْـتُـمْ جَنَّـةً
تَجْـنـي أكفُّـكُمُ غَـداً أثمـارَهَـا

وخُـذُوا شِعـارَكُـمُ القِـلَى لِعِصَـابـةٍ
تَخِـذتْ مُـوالاةَ الغـريـب شِعـارَهَـا

نَسِيَـتْ عُـروبَتهـا ولـم تَعْشَـقْ بِهـا
مِئْـنـافَ جَنَّـاتِ الحِمـى مِعْطَارَهَـا

أَغْفَـتْ علـى أَعْـذَارِهـا ، فَتَـرَيَّثُـوا
أللـهُ لَيْـسَ بِقـابِـلٍ أَعْـذارهَـا

حَسْـبُ العُروبـةِ أَنَّـكُـمْ لَبَّيْتُـمُ
يَـوْمَ النِـداءِ وكُنْتُـمُ أَنْصـارَهَـا

بَـردى أدارَ عليكُـمُ صَهْبَـاءَهُ
وَجَلَـتْ عَـرائِسُـهُ لَكُـمْ نَـوَّارَهَـا

واخَجْلَتِـي لِلنـاكِـريـنَ جَمِيلَـها
والثـالِيـنَ مَـعَ العَـدُوِّ غِـرارَهـا

عَـقُّـوا البَنيـنَ ومـا سَمِعْـتُ بِنـاقَةٍ
وَطِئَـتْ على مَهْـدِ الصَـعيـدِ حُـوَارَهَـا

* * *

(١٩٢٤)

فترقبوا الغارات من ايتامها

خَـلُّـوا الشَـآمَ وداميـات كـلامِهـا
لا تهْتِـكُـوا الاسْـتـارَ عَـنْ آلامِهـا
عَـرِبِيَّـةُ الأَنْسـابِ تَطْـرَبُ لِلْـوَغَـى
فـي جـاهِلِيَّتِهَـا وفـي إسْـلامِهَـا
فـاذا أرادَ زِمـامَـهـا ذُو قُـوَّةٍ
شَـمَسَتْ على الباغِـي بِفَضْـلِ زِمـامِهَا
عَطفَـتْ عَلَيْـهِ بالسُيـوفِ كَـأَنَّهـا
مِـنْ حَـزْمِهـا صِيغَـتْ ومِـنْ إقْدامِهـا
السُـمْـرُ حَـوْلَ قِبـابِهـا مَـرْكُـوزَةٌ
والبِيـضُ لامِعَـةٌ بِظِـلِّ خِيـامِهَـا
وَلقـد أرادَ بهـا القـويُّ تَحَكُّمـاً
فَتَنَمَّـرَتْ أَنَفـاً على حُكَّـامِهـا
إنْ صَـدَّهـا ذو التـاجِ عَنْ حـاجَاتِهـا
سـأَلَتْـهُ حـاجَتَهـا بِحَـدِّ حُسـامِهـا
أَلغـارَةُ الشـعـواءُ عِيـدُ كُمـاتِهـا
ودَمُ الـطُّلـى المَشْبُـوبُ كَـأْسُ مُدَامِهـا
وَرَأَيْتُهـا ظَمْـأَى الجَـوانِـحِ للعُلَـى
فَعَلَـى الـدَمِ المُهَـراقِ بَلُّ أُوامِهـا
الـرَوضُ مُحْتـاجٌ لِقَـطْـرِ دِمـائِهَـا
يـومَ الحَمِيَّـةِ لا لِقَـطْـرِ غَمـامِهـا

والحَـقُّ تَبْلُغُـهُ بِبَـأْسِ حُمـاتِهـا
لا بـاسْتِـكـانتِهـا ولا اسْتِـرْحَـامِهَـا
البَـأْسُ كلُّ البَـأْسِ في آسـادِهـا
والحُسْـنُ كـلُّ الحُسْـنِ في آرامِهَـا
إنْ كـانَ عِنْـدَكَ كـالأَشَـجِّ فَبـاهِهَـا
أو كـالأَعَـزِّ الـوائِلِـيِّ فَسـامِهَـا
يـا ابْـنَ الشـآمِ ومـا نَظَمْـتُ قَصـائِدي
إلاَّ لِهَـزِّ عِـراقِـهـا وشَـآمِهـا
تَشْـدو الحَمائِـمُ في الشَّـآمِ وإنَّمـا
أَنْغَـامُ هـذا الشِـعْـرِ مِـنْ أَنْغـامِهـا
الحُـرُّ يُؤْسَـرُ والحمـائِـمُ حُـرَّةٌ
يا لَيْتَ لِي في الشـامِ حَظَّ حَمَامِهـا
أَلْيـومَ مَعْـرَكَـةُ الحَياةِ فَما الذي
أَعْـدَدْتَ مِـنْ عُدَدٍ لِيَوْمِ صِدامِهَـا
مَـنْ لَيْسَ يَمْنَـعُ حَقَّـهُ في حَـرْبِهَـا
هَيْهَـاتَ يَمْنَعُ حَقَّـهُ بِسَـلامِهَـا
وإذا تَنَكَّـبْـتَ الـزِحَـامَ فَفَتْـرَةٌ
وَتَخِـرُّ مُنْجَـدِلاً غَـداةَ زِحـامِهَـا
للأَقْـويـاءِ شَـريعَـةٌ مَكْتـوبَـةٌ
بـالسَيْـفِ شِيْـبَ حَـلالُـهـا بِحَرامِهَـا

* * *

أمُنَـوِّلَ الأُمَـمِ الضـعيـفـةِ حَقَّـها
وَمُـديلَهَـا القَهَّـارَ مِنْ ظُـلاَّمِهـا
فَصْـلُ الخِـطـابِ دَنـا فَأَيِّـدْ أُمَّـةً
لَـمْ تَبْـغِ الا حَقَّـهـا بِقيـامِـهَا
واسْمَـحْ لِنصْـرِكَ أَنْ يُرفـرفَ فَوْقَهـا
ويُطـاوِلَ الجـوزاءَ فـي أَعْـلامِهَـا
يـاربِّ عَلِّمْهـا المَسـيرَ الـى الـردى
بِسـبيلِ عِـزَّتِهـا ونَيْـلِ مَـرامِهَـا
هـذي دِمـاءُ كِـرامِهـا مَطْلولـةٌ
فـاقْبَـلْ ضَحِيَّـتَهـا دِمـاءَ كِـرامِهَـا
لا تَـرْتَجِـي الا حَيـاةً حُـرَّةً ،
يـا رَبِّ ، أَجْـرَ صَلاتِهـا وصِيـامِهَـا
إنْ لَـمْ تُـرَجِّ الفَـوْزَ قَبْـلَ حِمامِهَـا
فاسْـمَـحْ بِـهِ يـاربِّ بَعْـدَ حِـمـامِهَـا
تَـراهُ بَعْـدَ الموت فـي أَرْواحِهـا
إنْ لـم تكن شَهِـدَتْـهُ فـي أَجْسـامِهـا

***

هَيْهـاتَ تَنْخَـذِلُ الشـآمُ وقَـدْ بَدا
أَثَـرُ القِـراعِ على شَبـا صَمْصامِهَـا
وَوراءَ حَـقِّ الغُـوطَتَيـنِ عِصابـةٌ
آسـادُ غـابَتِهـا شَمـارِيخُ ظَـلامِهَـا

أَلبــاذِلـونَ دِمـاءَهُـمْ يَوْمَ الوَغــى
والثـائِــرونَ بِهـا علـى أخْصــامِهَـا
مـا لِـلـذِئـابِ مُـدِلَّـة فـي حَيِّـهـا
أَوَ لا تَخَــافُ الشــرَّ مِـنْ ضِرْغَامِـهَـا
النــارُ خـامِـدَةُ اللهيــبِ فَحـاذِروا
يـا ظـالِـمِـي قَحْــطـانَ مِـنْ إضْـرامِهَـا
إنْ تَقْتُــلــوا آبــاءَهــا بِسُيـوفِكُــمْ
فَتــرقَّبــوا الغــاراتِ مِــنْ أَيْتـامِهَــا

* * *

(١٩٢٣)

تحيةُ الشباب

ألقيت في جمعية الشباب العربي في مدرسة اللاييك الفرنسية ببيروت .

غَـضُّ الشَـبـابِ وإنْ تَـلِنْ عَذَبَاتُـهُ
خُلِقَـتْ لإدْرَاكِ المُـنَـى عَزَمَـاتُـهُ
أللَّـهُ أكْـبَـرُ للشَـبـابِ صَلِيبَـةٌ
للغـامِـزَاتِ مِـنَ الخُـطُـوبِ قَنَـاتُـهُ
أللَّـهُ أكْبَـرُ للشَـبـابِ جَـلالُـهُ
مِـلءُ العُيـونِ وحُسْـنُـهُ وَسِمَـاتُـهُ
لا يَجْـزَعِ الـوَطَـنُ المُـدِلُّ بِحَقِّـهِ
أَلْباسِـمـونَ مَـعَ الشَـبـابِ حُمَاتُـهُ
فِـي ذِمَّـةِ الفِتْيـانِ رَايَـةُ مَجْـدِهِ
إنَّ الشَـبـابَ وَفِيَّـةٌ ذِمَّـاتُـهُ

* * *

خَلُّـوا الأَنَـاةَ وأَسْـرِعُـوا لِمُنـاكُـمُ
عَـارُ الشَـبـابِ العَبْقَـرِيِّ أَنَـاتُـهُ
تَـاجُ الجَـزِيـرَةِ وَهْـيَ مَهْـدُ جُـدودِكُـمْ
نَـزَلَ القَضـاءُ فَنُكِّسَـتْ رَايـاتُـهُ
يَشْـكُو وأَنْتُـمْ سامِعُـونَ فَمـالَـهُ
لا يُسْتَجَـابُ ، وللشَـبـابِ شَكـاتُـهُ

إنِّـي لَتُبْكِينـي الجَـزِيـرَةُ . مـاوَنَـى
عَنْهـا العَـدُوُّ ولا وَنَـتْ غَـاراتُـهُ
وإذَا الحَـزِيـنُ بَكَـى وَلَـمْ يَـكُ شَـاعِـراً
فَـالشِـعْـرُ مـا نَطَقَتْ بِـهِ عَبَـراتُـهُ

* * *

نَفَـحـاتُ لُبْـنـانَ الأشَـمِّ عَلِيلَـةٌ
وَحِمَـى الجَـزِيـرَةِ عَـذْبَـةٌ نَفَحَـاتُـهُ
تَشْـتَـاقُ نَـاضِـرَةَ الشَـآمِ رِمَـالُـهُ
وَتُحِـبُّ خُضْـرَةَ أرْزِكُـمْ فَلَواتُـهُ
يَشْـكُو جِـرَاحَتَـهُ إلـى أعْـدائِـهِ
أيْـنَ الشِـفـاءُ وَجـارِحُـوهُ أُسـاتُـهُ
هَيْهـاتَ يَنْجَـحُ فـي القَضِيَّـةِ مُـدَّعٍ
وخُصـومُـهُ يَـوْمَ الحِسـابِ قُضَـاتُهُ

* * *

وَاضيْعَـةَ الـوَطَـنِ الصَـغيـرِ . تَعَـدَّدَتْ
أدْيـانُـهُ وَعُـروشُـهُ ولُغَـاتُـهُ
وَلَـرُبَّ مُخْتَـالٍ تَنـاسَـاهُ الـرَّدَى
وَوَدِدْتُ لَـوْ بَكَرَتْ عَـلَـيَّ نُعَـاتُـهُ
صَلَّـى لِتَفْـرِيـقِ الشُـعـوبِ فَبَغَّضَـتْ
عِنْـدِي الـدِيَـانَـةَ والتُقَـى صَـلَواتُـهُ
هَـذا أسِيـرُكِ يـا مَذَاهِـبُ ملَّـهُ
عَـضُّ القُيـود ، أَلَـمْ يَئِـنْ إفْـلاتُـهُ ؟

هَيْهَـاتَ بَعْـدَ اليَـوْمِ يَهْـدِمُ مَذْهَـبُ
صَـرْحَ العُـروبَـةِ والشَـبَـابُ بُنـاتُـهُ
إنِّـي عَبَـدْتُ اللَّـهَ ، لا نِيرانُـهُ
سِـرُّ التُقَـى عِنْـدِي ولا جَنَّـاتُـهُ
والعَقْـلُ دَلَّ عَلَـيْهِ لا قُرْآنُـهُ
فـي آيِـهِ الـكُبْـرى ولا تَـوْرَاتُـهُ
الـدِيـنُ دِيـنُ الحُـبِّ فَهْـوَ عَقِيدَتِـي
وَلَـوَ انَّـهُ فـي الشَرْقِ قَـلَّ دُعَـاتُـهُ
والأُفْـقُ أَقْـرَأُهُ كِتَـابـاً مُنْـزَلاً
نِعْـمَ الـكِتَـابُ نُجـومُهُ آيـاتُـهُ
بَيْـتُ العُـروبَـةِ حِيـنَ أَسْجُـدُ قِبْلَـتِـي
لا طُـورُهُ قَصْـدِي ولا عَرَفَـاتُـهُ
مِنْ بَعْـضِ أَسْـمـاءِ العُـروبَـةِ أَرْزُهُ
يَـوْمَ الفَخَـارِ ونِيـلُـهُ وَفُـراتُـهُ
كالـرَوْضِ مُلْتَـفَّ الخَـمَائِـلِ نَـاضِـراً
مـا ضَـرَّهُ لَـوْ نُـوِّعَـتْ زَهَـراتُـهُ

* * *

حَسْـبِـي إذَا ذُكِـرَ القَـرِيـضُ وأَهْـلُـهُ
شِـعْـرُ شَبَـابُ الغُـوطَتَيْـنِ رُواتُـهُ
أَنَـا جَمْـرَةُ الغَمَـراتِ ، مِـلءُ جَـوانِحِـي
هِمَـمُ الشَـبَـابِ تُثِيـرُهـا نَـزَواتُـهُ

سَكِـرُوا وَقَـدْ أَنْشَـدْتُ غُـرَّ قَصـائِدِي
فَهْـيَ الـرَحِيـقُ طَهُـورَةٌ رَشَفَـاتُـهُ
قَالُـوا : الجَـدِيـدُ فَقُلْـتُ : مِـنْ أَنْصَـارِهِ
قَلَـمُ الحَـكِيـمِ وَزِقُّـهُ وَدَوَاتُـهُ
فِيـهِ هَنَـاتٌ لا أَقُـولُ ذَمِيـمَـةٌ
بَعْـضُ المَلاَحَـةِ فـي الجَمـالِ هَنَـاتُـهُ
وَأَرَى القَـدِيـمَ يَحُـولُ عَـنْ حَسَنَاتِـهِ
فَتَضِيـعُ بَيْـنَ ذُنـوبِـهِ ، حَسَنَـاتُـهُ
لاَ تَتْـرُكُوا المِـرْآةَ غَيْـرَ صَقِيلَـةٍ
الشَعْـبُ رُوحُ شَبَـابِـهِ مِـرْآتُـهُ

(١٩٢٤)

تعالوا نعد الصِّيد

ألقى الشاعر هذه القصيدة في قاعة المجمع العلمي بدمشق في ٣١ ايار سنة ١٩٢٤

أَهَـذِي مَغـاني جِلِّـقٍ والمَعَـالِـمُ
لَـكَ الخَيْرُ أَمْ هَـلْ أَنْـتَ وَسْـنـانُ حـالِمُ
بَلـى هَـذِهِ أُمُّ العَـواصِـمِ جِلِّـقٌ
وَهَـذِي لُـيوثُ الغُـوطَتَيْـنِ الضَـراغِـمُ
هُنَـا عَرْشُ أَقْيَارِ العُلى مِـنْ أُمَـيَّـةٍ
هُنَـا ارْتَـكَـزَتْ سُمْـرُ العَـوالِـي اللَّهـادِمُ
هُنـا ابْـنُ أَبِـي سُفْيـانَ أَشْرَقَ تـاجُـهُ
تُـؤَيِّـدُهُ البِيـضُ الـرِقـاقُ الصَـوارِمُ
هُنَـا اليَعْـرُبِيّـونَ الأُلـى عَـزَّ جـارُهُـمْ
فَلَيْـس لَـهُ فـي غُوطَـةِ الشَـامِ هـاضِـمُ
هُنَـا النَفَـرُ البِيـضُ المَيـامِيـنُ ، لِلْعُلَـى
مَـلامِـحُ فـي غُـرَّاتِهِـم وَعَـلائِـمُ
هُنَـا العَـرَبُ الأَنْـجـادُ إِنْ قَـامَ ظَـالِـمٌ
مَشَـوْا بالقَنَـا أَوْ يُـرْجِـعَ الحَـقَّ ظَـالِـمُ
مِـنَ القَـوْمِ مـا زُفَّتْ لِغَيْـرِ كِرامِهِـمْ
حِسَـانُهُـمُ البِيـضُ الغَـوانِـي الكَـرائِـمُ
إِذَا انْتَسَـبُـوا فـي نُـدْوَةِ المَجْـدِ حَلَّقَـتْ
بِهِـمْ لِلْعُلَـى قَيْـسٌ وَذُهْـلٌ ودارِمُ

* * *

بَنِـي الغَـرْبِ هاتُـوا شاهِـداً عِنْـدَ زَعْمِكُـمْ
بِغَيْـرِ دَلِيـلٍ لا تَقُـومُ المَـزاعِـمُ
تَعـالَـوْا نَعُـدُّ الصِيـدَ مِنَّـا وَمِنْكُـمُ
فَفِـي النـاسِ مَقْبـولُ الحُـكومَةِ عَالِـمُ
أَفِيكُـمْ لِسَيْـفِ اللهِ والحَـقِّ خَـالِـدٌ
إِذَا عُـدَّتِ الأَفْـذاذُ نِـدٌّ مُـزاحِـمُ
وَهَـاتُـوا غَـداةَ الفَخْـرِ أَنْـدادَ خَـالِـدٍ
وَيَحْكُمُ فِيـما بَيْنَنَـا اليَـوْمَ حَـاكِـمُ
وَهَـاتُـوا لَنَـا أَنْـدادَ مُوسى وَطَـارِقٍ
لِنَعْـرِفَ مَـنْ تُخْـزِيهِ مِنَّـا المَـواسِـمُ
فَـلا تَفْخَـرُوا : أَلفَخْـرُ للعُـرْبِ وَحْـدَهُـمْ
وللعُـرْبِ قَعْسـاءُ العُلـى والمَـكـارِمُ

* * *

لَقَـدْ زَعَمُـوا أَنِّـي بِجِلِّـقَ هَـائِـمُ
أَجَـلْ والهَـوَى إِنِّـي بِجِلِّـقَ هَـائِـمُ
وَفَيْـتُ بِعَهْـدِ الغُـوطَتَيْـنِ وَهَـذِهِ
شُـهُـودِي القَـوافِـي والـدُمـوعُ السَـواجِـمُ
وَأَصْـفَيْـتُ أَبْنَـاءَ الشَـآمِ مَوَدَّتِـي
صَـغِيـراً ومـا نِيطَـتْ عَلَـيَّ التَـمائِـمُ
إِذَا رَضِيَـتْ عَنِّـي صَنـادِيـدُ جِلِّـقٍ
فَـأَهْـوَنُ شَيءٍ مـا تَقُـولُ اللَّـوائِـمُ

إذَا ظَـلَّ مَجْـدُ العُـرْبِ فـي الشَـامِ سَالِـماً
فَمَجْـدُ بَنِـي قَحْطَـانَ فـي الشَـرْقِ سَالِـمُ

* * *

سَلامـاً عَـرُوسَ المَشرِقَيْـنِ ولا مَشَـتْ
بِـظِـلِّ مَغَـانِيكِ الخُـطُـوبُ الغَواشِـمُ
خُـذِي قَلَّـدِي مـا شِئْـتِ جِيـداً وَمِعْصَمـاً
مِـنَ اللُـؤْلُـؤِ الـرَطْـبِ الـذِي أنـا نـاظِـمُ
سَلِينِـي دَمِـي يـا أُمُّ أسْفِـكْـهُ راضِيـاً
ومـا أنـا هَيَّـابٌ ولا أنـا نَـادِمُ
طَـلاسِـمُ هَـذَا الـذُلِّ دَقَّـتْ وإنَّمَـا
تُفَـكُّ بِحَـدِّ السَيْـفِ هَـذِي الطَـلاسِـمُ
وللبُـطْـلِ صَوْلاتٌ على الحَـقِّ جَـمَّـةٌ
وَتُسْـفِـرُ عَـنْ فَـوْزِ المُحِـقِّ الخَـواتِـمُ
يَفُـوزُ بِأَوْطـارِ الحَيـاةِ مُـحَـارِبٌ
وَيَرْجِـعُ بالخِـذْلانِ فيهـا مُسـالِـمُ
أرى النَـاسَ هَـذا ضَـاحِـكٌ مُتَفَـائِـلٌ
غُـروراً ، وهـذَا نـادِبٌ مُتَشَـائِـمُ
فَقُـلْ لِضَـعِيـفٍ رَاح يَسْـأَلُ رَحْـمَـةً
رُوَيْـدَكَ مـا للضُـعْـفِ فِي النـاسِ راحِـمُ
وَقُـلْ لِلَّـذِي جَـافَى عَلَى القُـرْبِ أَهْلَـهُ
رُوَيْـدَكَ تَقْـوى بالخَـوافِـي القَـوادِمُ
(١٩٢٤)

شعاع العيون

حَدِّثِيني عَنِ الهَوى حَدِّثيني
وأَتِيري كَوامِنَ الأَشْجانِ
عَنْ ليالي نُعْمانَ جَادَتْ دُموعي
ما جَفَاهُ الرَبابُ مِنْ نُعْمانِ
عَنْ كُؤوسِ الصِبا تُدارُ عَلَيْنا
والنَدامى نَواعِسُ الأَجْفانِ
يا سُلَيْمىَ : وفي الأَحَاديثِ سَلْوَى
حَدِّثِيني عَمَّا مَضَى حَدِّثِيني

* * *

ذَبُلَتْ هَذِهِ الخَمِيلَةُ حُزْناً
وَسَقَاها مِنَ الرَدى ساقِيهَا
كَيْفَ تَذْوي غُصونُها ظامِئَاتٍ
وأنا مِنْ مَدامِعي أُرْوِيهَا
هِيَ في حَاجةٍ لِعَطْفِ فَتاةٍ
فاذْرُفِي دَمْعَةَ الأَسَى نُحْيِيهَا
لا تَضَنِّي بالدَمْعِ يَوْماً عَلَيْها
مِنْ شُروطِ الوفاءِ أَنْ تَبْكِيها
واذْرُ فِيهِ شِعْراً وطِيباً وخَمْراً
إنَّ في الدَمْعِ راحَةً للحَزِين

***

قَدْ جَفاها النَسِيمُ مُنْذُ لَيالٍ
آهِ مِمَّا جَنَى عَلَيْها النَسِيمُ
ضَنَّ في لَحْنِهِ الرقيقِ عَلَيْها
بَعْدَ جُودٍ وَقَدْ يَضِنُّ الكَرِيمُ
فاحْمِلِي النايَ واتْبِعِيني إِلَيْها
فَمِنَ البِرِّ أَنْ يُواسَى الكَلِيمُ
أَسْمِعيها صَوْتَ المَلائِكِ يُرْجِعْ
زَهْوَها صَوْتُكِ النَدِيُّ الرَخِيمُ
وَأَعِيدي لَحْنَ الرَبيعِ فَفِيهِ
ما تَمَنَّتْهُ مِنْ هَوَىً وحَنِينِ

***

ذَرَفَتْ دَمْعَها سُليمى فأَحْيَتْ
ذابِلاتِ الغُصونِ والأَوْراقِ
وتَغَنَّتْ أَلْحانَها فأَثارَتْ
كامِناتِ الشُجونِ والاشْواقِ
زَيَّنَتْ عاطِلَ الخَميلَةِ جُوداً
بِلآلٍ تَجْرِي مِنَ الآماقِ
وأَعادَتْ عَهْدَ الرَبيعِ إِلَيْها
مُنْذُ سَقَتْها بالمَدْمَعِ الرَقْراقِ
وَحَبَتْها مِنْ عِطْرِها نَفَحاتٍ
تُسْكِرُ الطَيْرَ وهْيَ فَوْقَ الغُصونِ

* * *

عاطِفاتُ الحَنانِ في صَدْرِ سَلْمَى
كَرَّمَ اللهُ هذهِ العاطِفاتِ
أيُّ شِعْرٍ لَمْ يَسْتَكِنْ للقَوافِي
مُحْزِنٍ في دُموعِها الجارِياتِ
أيُّ شِعْرٍ لَمْ يَسْتَكِنْ للقَوافِي
مُرْقِصٍ في ألْحانِها المُسْكِراتِ
ما أشَدَّ الظَلامَ لَوْلا شُعَاعٌ
يُرْسِلُ النورَ في عُيونِ الفَتاةِ
يا شُعَاعَ العُيونِ وَطْفاءَ نُجْلاً
أنْتَ في ظُلْمَةِ الأسى تَهْدِيني

* * *

يا شُعاعَ العُيونِ فِيكَ قَرَأْنا
سِرَّ هَذِي الحَياةِ وَهْوَ دَقِيقُ
نِعْمَةُ اللهِ أنْتَ في الكَوْنِ لَوْلاكَ
لَعَمَّ الوُجودَ حُزْنٌ وَضِيقُ
فِي لَيالي الهُمومِ تُرْسِلُ نُوراً
بِدْعَةَ العِطْرِ والهَوى فَنُفِيقُ
خَالِقُ الكَوْنِ قَدْ بَراكَ عَزاءً
لِيُداوِي آلامَهُ المَخْلُوقُ
ما عَشِقْنا الحَياة وَهْيَ شَقاءُ
النَاسِ لَوْلاكَ يا شُعاعَ العُيونِ

دَمْعَـــةٌ مِـــنْ لِحـاظِ هَيْفَـاءَ خَـوْدٍ
تَخْلُـقُ العَـطْفَ فـي قُلوبِ القُسـاةِ

بَسْـمَـةٌ فـي الحَياةِ مِـنْ شَفَتَيْهـا
تَبْعَـثُ النُـورَ فـي ظَلامِ الحَيـاةِ

لَمْسَـةٌ مِـنْ بَنَـانِهـا وَهْـوَ رَخْـصٌ
بَـرْدُ تِلْـكَ الجـوانِـحِ الظَامِئـاتِ

نَفْحَـــةٌ مِـــنْ نُهُـودِهـــا ســرُّ مـا
تَنْشَـــقُ بَيْـــنَ الـرُبـى مِنَ النَفَحَـاتِ

هِـيَ سِرُّ الحَيـاةِ . انْشـــودَةُ اللـهِ
شِـفَـاءُ الـــداءِ العَصِـــيِّ الكَمِيـــنِ

***

أنـا أهـوى بِـلا رَجَـاءٍ ومـا
حَـالُ مُحِـبٍّ يَهْـوَى بِغَيْـرِ رَجَـاءِ

بـائِـسٌ يـا ابْنَـةَ الصَبـاحِ شَقِـيٌّ
كَفْـكِفـي مِـنْ مَـدامِـعِ البُؤَسـاءِ

وارْحَمِينـي فَفِـي غَـدٍ يَهَـبُ اللهُ
ضِيـاءً لأَوْجُـهِ الرُحَمَـاءِ

وَهَبِينـي خَمِيلَـةً جُـدْتِ مـا
جـدتِ عَلَيْهـا بالنُـورِ والأَنْـداءِ

أنـا أَشْـقَـى مِنْها وأَظْمـأ رُوحـاً
أَسْـعِـدِينـي فالعَـدْلُ أَنْ تُسْعِـدِينـي

* * *

ذا اعْتِـرافـي أَمـامَ كاهِنَـةِ الحُـبِّ
فَهَـلْ يَغْفِـرُ الخطـايـا اعْتِـرافـي
لإِلَـهِ الهَـوى صَلاتِـي ونسْكِـي
وَحَـوالَـيْ بَيْـتِ الغَـرامِ طَوافِـي
هَيْكَـلُ الحُـبِّ طافَ فيه جُـدودي
وَجَـثَـتْ حَـوْلَ رُكْنِهِ أَسْـلافِـي
أَنـا راضٍ بِنَـظْـرَةٍ أَوْ بِوَعْـدٍ
مِنْكِ لِلعِـلَّـةِ الـكَمِيـنَـةِ شـافِـي
فَعِـدِينِـي ولا تَبَـرِّي فَحَسْبِـي
مِـنْ نَعِيـمِ الحَياةِ أَنْ تَعِـدِينـي

* * *

(١٩٢٤)

غَنِّ يا بُلْبُلُ فَوْقَ الدَوْحِ غَنِّ
أَنْتَ أَوْلى بالهَوى والشِعْرِ مِنِّي

لَكَ سِحْرٌ مِثْلُ سِحْرِي عَجَبٌ
أَتَرى عِنْدَكَ حُزْناً مِثْلَ حُزْنِي

فَتَرَنَّمْ بِأَناشِيدِ الهَوَى
ناعِماً ما شِئْتَ مِنْ غُصْنٍ لِغُصْنِ

وَتَعَلَّمْ كَيْفَ يَبْكِي شَاعِرٌ
ضَاعَ ما بَيْنَ صُدودٍ وَتَجَنِّ

إِنَّما الدُنْيا وفِي أَمْثالِها
عِبَرُ الدُنْيا وأَصْداءُ التَمَنِّي

غَارَةٌ لَمْ أَتَهَيَّبْ جَمْرَهَا
فَنَبَا سَيْفِي وَلَمْ يَسْلَم مِجَنِّي

رُبَّ دَهْيَاءَ أَنَاخَتْ بالحِمَى
ـ غَابَ حامِيهِ ـ وخَطْبٍ مُرْجَحِنِّ

بَيْنَ سَمْعٍ وَعِيَانٍ ، لَيْتَنِي
لا تَرَى عَيْنِي ولا تَسْمَعُ أُذْنِي

ما عَلى لَحْنِي وَقَدْ أَرْسَلْتُهُ
يُلْهِبُ الدُنْيا على الغَاصِبِ لَحْنِي

فإذَا لَمْ أَسْتَشِرْهَا هِمَمَاً
لا وَرَى زَنْدِي ولا ظَلَّلَ رُكْنِي

* * *

غَنِّ يا بُلْبُلُ فَوْقَ الدَوْحِ غَنِّ
أَنْتَ أَوْلَى بالهَوى والشِعْرِ مِنِّي
لَسْتَ تَدْرِي الهَمَّ بالدُنْيَا فَخُذْ
أَيُّها الطَيْرُ دُروسَ الهَمِّ عَنِّي

* * *

تَاجُ هَارونَ خَبَا لأْلاَؤُهُ
فَبَكَتْ دِجْلَةُ حُزْناً والفُرَاتْ
وَذُرَى الزَهْرَاءِ خَرَّتْ بَعْدَمَا
طَاوَلَتْ زُهْرَ النُجومِ النَيِّرَاتْ
وَبَنُو مَرْوانَ وَلَّوا وانْطَوَوا
وَتَخَلَّوا عَنْ مُتونِ الصَافِنَاتْ
قُلْ لِجَيْشِ الرُومِ ماذَا تَتَّقِي
طَاحَ رَيْبُ الدَهْرِ غَدْراً بالغُزَاةْ
لا بَنُو العَبَّاسِ في زَحْمِ الوغَى
لا ولا أبناءُ حَمْدَانَ الأُبَاةْ
عُقِلَتْ بَيْنَ خِيَامِ المُنْحَنى
والفُراتَيْنِ عِتَاقُ السابِقَاتْ

وَهِـيَ الاسْيـافُ فـي أغْمـادِهَـا
صَـدِئَـتْ يـا وَيْلَـتي للمُـرْهَفَـاتْ !

* * *

غَـنِّ يـا بُلْبُـلُ فَـوْقَ الـدَوحِ غَـنِّ
أَنْـتَ أَوْلـى بالهَـوى والشِـعْـرِ مِنِّـي
لَسْـتَ تَـدْرِي الهَـمَّ بالـدُنْيـا فَخُـذْ
أَيُّهـا الطَيْـرُ دُروسَ الهَـمِّ عَنِّـي

* * *

قِـفْ عَلى اليَرْمُـوكِ واخْشَعْ باكِـياً
وَتَيَـمَّـمْ مِـنْ صَعيـدِ القـادسِـيَّـهْ
تُـرْبَـةٌ طِيبَـةٌ طَـاهِـرَةٌ
وقُبـورٌ مِنْ حَيَـا الـدَمْـعِ رَوِّ ـهْ
هـا هُنـا مَثْـوىَ الصَـنـادِيدِ الأُلـى
قَـدْ لَـوَوْا قَسْـراً عِنَـانَ الجَاهِلِيَّـهْ
دَوَّخُـوا الـرُومَ وَثَـلُّـوا عَرْشَـهـا
وَطَـوَوْا خُمْـرَ البُـنـودِ الفارِسِيَّـهْ
وَقَضَـوْا بَيْـنَ العَـوالِي والظُبَـى
هَـكَـذا تَقْـضِي الأُسـودُ العَـرَبِيَّـهْ
فامْسَـحِ الأَحْجَـارَ والْثَـمْـهُ ثَـرىً
طـاهِـراً واعْقِـرْ على القَبْـرِ المَطِـيَّهْ

يـا قُـبـوراً مـحُيِـيـتْ وانْدَثَـرَتْ
أنْـتِ نِبْـراسُ الهُـدى والوَطَنِـيَّـهْ
لَـكِ مِـنْ دَمْعِـي إذَا ضَـنَّ الحَيَـا
دِيَـمٌ تَبْكِـي وَوَطْفَـاءُ رَوِيَّـهْ

* * *

غَـنِّ يـا بُلْبُـلُ فَـوْقَ الـدَوْحِ غَـنِّ
أنْـتَ أوْلـى بالهَـوى والشِّـعْـرِ مِنِّـي
لَسْتَ تَـدْرِي الهَـمَّ بالـدُنْيـا فَخُـذْ
أيُّـها الطَيْـرُ دروسَ الهَـمِّ عَنِّـي

* * *

قَـدْ رأوْا لَيْـلايَ تُـذْرِي دَمْعَهَـا
كَـرّم اللـهُ الـدُمـوعَ الطـاهِـرهْ
حَـرَسَ اللـهُ جُفـونـاً عَطَّـرَتْ
بـالنَـدى تِلْـكَ الخُـدودَ الناضِـرَهْ
كَفْـكِفـي دَمْعَـكِ لا يَشْهَـدُهُ
نـاظِـرٌ حتـى النُجـومُ الزاهِـرَهْ
إنَّ لـي يـا ابْنَـةَ وُدِّي هِمَّـةً
تَخْضُـدُ الخَـطْـبَ وَنفْسـاً ثَائِـرَهْ
وأرانِـي فِـي غَـدٍ مُقْتَحِمـاً
مُسْتَـظِـلاً بالسيُـوفِ البَاتِـرَهْ

مُلْقِياً نَفْسِيَ في غَمْرَتِهَا
كَيْفَمَا دَارَتْ هُنَاكَ الدَائِرَهْ
فإذَا مِتُّ غَرِيباً نَائِياً
وأنا في التِسْعِ بَعْدَ العاشِرَهْ
أُذْكِرِينِي واحْفَظِي عَهْدَ الهَوى
وانْدُبِي شُؤْمَ الجُدودِ العَاثِرَهْ
لَسْتُ تاللَّهِ مُحِبَّاً غَادِراً
لا تَكُونِي بَعْدَ مَوْتِي غَادِرَهْ

* * *

غَنِّ يا بُلْبُلُ فَوْقَ الدَوْحِ غَنِّ
أَنْتَ أَوْلى بالهَوى والشِعْرِ مِنِّي
لَسْتَ تَدْرِي الهَمَّ بالدُنْيا فَخُذْ
أَيُّها الطَيْرُ دُروسَ الهَمِّ عَنِّي

(١٩٢٥)

أنا وهي

أَقْبَـلَ اللَّيْـلُ فَقُـومِـي وانْثُـرِي
فَـوْقَ هَـذا الـرَوْضِ مِـنْ وَجْهِـكِ نُـورَا
واقْطِفِـي لِـي وَرْدَةً قَبَّلَهـا
لُـؤْلُـؤُ الصُـبْـحِ نَظِيـما ونَثِيـرَا
وامْـلأي كَـأْسَـكِ لِـي مِـنْ رِيقَـةٍ
تُسْـكِرُ الأَرْواحَ طِيـبـا وعَبِيـرَا
وَرْدُ خَـدَّيْكِ نَضِيـرٌ مُسْـتَحٍ
فَـدَعِيتـي أَلْـثِـمُ الـوَرْدَ النَضِيـرا
طَـهَّـرَ الحُـبُّ فُـؤَادي فَغَـدا
كَفُـؤَادِ الطِـفْـلِ يـا مَـيُّ طَـهُورا
عَمَـرَ النَفْـسَ شُـعُـوراً بالأَسَـى
والأَسَـى يَخْـلُقُ فـي النَفْـسِ الشُعُـورا

* * *

إمْـلأي المِصْـبـاحَ زَيْتـاً واتْرُكـي
لِعَبِيـدِ الـوَهْـمِ نُـورَ الكَهْـرَبَـاءْ
وَتَغَنَّـيْ بأَنـاشِيـدِ الهَـوى
تُسْـكِـرُ الأَرْواحَ أَلْحَـانُ الغِنَـاءْ
وارْفَعِـي للأُفْـقِ عَيْنَيْـكِ تَـرَيْ
أَيَّ حُسْـنٍ وَجَـلالٍ فـي السَمَـاءْ

كُوخُنَا يا مَيُّ في هَذِي الرُبَى
لا تُسَامِيهِ قُصُورُ الأُمَرَاءْ
قَدْ أَمِنَّا قُوَّةَ النَاسِ بِهِ
أَيُّ كَسْبٍ عِنْدَنا للأَقْوِيَاءْ
ضُعَفَاءْ نَحْنُ يا مَيُّ وذَا
كُلُّ ما تَمْلِكُ كَفُّ الضُعَفَاءْ

* * *

إسْمَعِي أَخْبَارَ جَنَّاتِ الرُبَى
وَدَعِينا مِنْ أَحَادِيثِ البَشَرْ
بُلْبُلِي اليَوْمَ حَزِينٌ صَامِتٌ
لَيْتَ شِعْرِي أَيَّ إِلْفٍ قَدْ ذَكَرْ
والرَياحِينُ زَهَتْ وابْتَسَمَتْ
حِينَما غَازَلَهَا جَفْنُ المَطَرْ
ذَلِكَ الدَّوْحُ الذِي ظَلَّلَنَا
دَاعَبَتْهُ الرِيحُ لَيْلاً فانْتَثَرْ
أَشْرَقَ الصُبْحُ عَلى زَهْرِ الرُبَى
نَاثِراً لُؤْلُؤَهُ فِيما نَثَرْ
فَاقْطُفِي ما شِئْتِ مِنْها وارْفَعِي
فَوْقَ ذَا المَفْرِقِ تِيجَانَ الزهَرْ

* * *

لا تَقُولِي : قُـصَّ أَنْبَاءَ الـسُّوَرَى
حَسْبُنَـا أَنْبَـاءُ هَـذِي الزَهَـرَاتْ
وارْبَـأِي بالسَـمْعِ عَـنْ أَخْبـارِهِـمْ
إِنَّهَـا تُـدْمِي قُـلُـوبَ الفَتَيَـاتْ
أُمَّـةٌ تَقْتُـلُ ظُلْمَـاً أُخْتَهَـا
وَغَنِـيٌّ مُـسْـتَبِـدٌّ بالعُفَـاةْ
وَدِمـاءٌ خَضَـبَـتْ وَجْـهَ الثَـرَى
وَدُمُـوعٌ كالغَـوادِي جَـارِيَـاتْ
وَشُـعُـوبٌ بَاكِيَـاتٌ تَشْتَكِـي
عَنَـتَ الأَسْـرِ وأُخْـرَى ضَـاحِكَـاتْ
وَحَيَـاةٌ كُـلُّ مـا فِيهـا أَذَىً
لا سَقَـى عَهْـدُ الحَيَـا هَـذِي الحَيَـاةْ

* * *

إِسْمَعِـي : لَـنْ تَسْـمَعِـي فِـي أَرْضِهِـمْ
غَيْـرَ أَصْـواتِ عَـوِيـلٍ وَبُكَـاءْ
وَالِـدٌ يَبْـكِـي ابْنَـهُ أَوْدَتْ بِـهِ
فِـي الـوَغَـى أَطْمَـاعُ قَـوْمٍ أَقْـوِيَـاءْ
وَرُؤُومٌ فَقَـدَتْ وَاحِـدَهَـا
فَتَعَـزَّتْ فِيـهِ عَـنْ حُسْـنِ العَـزَاءْ
ضَحِـكَـاتُ الأَقْـوِيَـاءِ ارْتَفَعَـتْ
وَعَـلا بالنَـوْحِ صَـوْتُ الضُعَفَـاءْ

أفْسَدُوا المَاءَ على شَارِبِهِ
فَغَدَا حَسْرَةَ أكْبَادٍ ظِمَاءْ
كَيْفَ يَرْوِي غُلَّةَ الصَادِي وَقَدْ
مَزَجُوهُ بِشَآبِيبِ الدِمَاءْ

***

مَيُّ : عَفْواً ما لِعَيْنَيْكِ وَهَى
فِيهِمَا سِلْكُ اللآلِي فانْفَرَطْ
أنَا أحْرَزْتُكِ يا مَيُّ فَهَلْ
يَغْفِرُ الرَحْمَنُ لِيْ هَذا الشَطَطْ
إحْسبيني كَاذِباً وابْتَسِمِي
وَدَعِينِي أرْتَشِفْ هَذِي النُقَطْ
أدمُعٌ طَاهِرَةٌ ، ذَوْبُ النَدَى
فَوْقَ أكْمَامِ الأزاهِيرِ سَقَطْ
لا رَعَى اللَّهُ قَوِيًّا فَاتِحاً
المَنَايَا ناشِطَاتٌ مَا نَشَطْ
أنْتِ الثَكْلى فَوَلَّى ضَاحِكاً
وَرَأى الأسْيَافَ تَدْمَى فاغْتَبَطْ

* * *

كَفْكِفِي دَمْعَكِ يا مَيُّ فَقَدْ
جَرَحَتْ قَلْبِيَ هَذِي الأدْمُعُ
وَتَنَاسَيْ عَالَمَ الشَرِّ فَمَا
فِي هُدَى هَذِي البَرايَا مَطْمَعُ

واتْـرُكـي القَصْـرَ مَنِيعـاً عَالِيَـاً
حَسْـبُنَـا هَـذا الفَضَـاءُ البَـلْقَـسـعُ
واقْنَعِـي : أَشْـقَـى البَـرايَـا طَامِـعْ
سَـادِرٌ فِـي غَـيِّـهِ لا يَقْنَـعُ
تَحْتَ أَغْصَـانِ الـدَوالـي بالرُبَـى
هَيْكَـلُ الحُـبِّ الـطَهُـورُ الأَرْفَـعُ
هَيْكَـلُ الحُـبِّ الـذي أَجْثُـو بِـهِ
خاشِعَـاً : مَـا حُـبُّ مَـنْ لا يَخْشَـعُ ؟

* * *

هَـا هُنَـا فـي الـرَوْضِ والـرَوْضُ شَـذَىً
نِيعَـةُ اللَّـهِ تَضُـمُّ المُـؤْمِنِينَـا
فَـالْبَسِـي الإِكْلِيـلَ يـا مَـيُّ فَقَـدْ
أَشْـرَقَ الصُـبْـحُ على الـدُنْيَـا مُبِينَـا
حَفْـلَـةُ العُـرْسِ وَمِـنْ زَهْـرِ الـرُبَـى
قَـدْ دَعَـوْنَـا يـا ابْنَـةَ الخَـيْرِ مِنَّـا
وَطُيـورُ الـرَوْضِ يـا فـاتِنَتِـي
قَـدْ أَقَمْنـاهَـا مقـامَ المنشـدينـا
أَقْبَـلَ البُلْبُـلُ فاجْثِـي واخْشَعِـي
واتْـرُكـي الازْهـارَ يَلْثِمْـنَ الجَبِينَـا
يـا لَـهُ مِـنْ مُؤْمِـنٍ يَمْنَحُنَـا
بَرَكَـاتِ الأَتْقِيَـاءِ الصَـالِحِينَـا
(١٩٢٥)

تحية وفاء *

إلى أخي ميخائيل إليان

إن تهتف الشام : ميخائيل : أنجدها
كأنه قدر يُحْمَى به القدَر
اذا الوجوه عنت لليأس حالكة
أضاء في وجهك الايمان والظفَر
عففت عن قدرة عصماء باذخةٍ
وربّما عفَّ أقوام وما قدروا
صعب الشكيمة والأعناق مسلسة
قاسٍ من الحق لكن لستَ تنكسرُ
لك الشمائل من نور ومن كرم
لها على النجم ذيل مترف عَطِر
رأيٌ كأن بنات الغيب تعشقه
فعنده السر والأطياف والصور
وجرأة في العلى والحق لوجَبهت
ليثا تبرأ منه الناب والظُفر
زينتَها بوسيم جل مبدعه
من الحياء فلا زهوٌ ولا بطر

---

* الناشر : وردت هذه القصيدة متأخرة .

ومـا اسـتبـاح عـرين الحـق طاغيـة
إلاّ وصـرح عـن أنيـابـه النَّمِـر
ولـم تهـادن قويـاً فـي تحكمـه
ولا غـدرتَ وشـر النـاس من غـدروا
اذا تـأرج ذكـر منـك أو نبـأ
تهلَّـلـت حلـب الشـهبـاء تنتظـر
أنـت اللبـانـة فـي نجـوى ضمـائـرها
وفيـك عطَّـرَ جـوَّ السـامـر السَّمَـر
أصـفيتـك الحب لا منـّا ولا كـدراً
ومـن هَنَـاتِ المحب المـن والكـدر
ومـا اصـطفيتُك عـن خـوف ولا ملقٍ
ولا لأنـي إلـى نعمـاك أفتقـر
لكـن وفـآء لنعمـى منـك سابقـةٍ
وأنـك الـكنـز للأوطـان يـدخـر
وبلبـل الـدوح يـرضيـه بأيكتـه
سـرُّ الجمـال . ويُـرضـي غيـرَه الثمـر

٣٠ - ٦ - ٥٨